

هُوَ الْعِلْمُ

دَوْرَةُ الْعُلُومِ وَالْعَارِفِ لِلسَّنَةِ  
٢

# مَعْرِفَةُ الْإِسْلَامِ

المجلد السادس عشر وسابع عشر

تَأَلِيفُ

سَمَاحَةَ الْعِلْمِ الْأَمَةِ الرَّاحِلِ

آيَةَ اللَّهِ الْحَاجِّ الْحَاجِّ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِ الْحُسَيْنِيِّ الطَّهْرَانِيِّ

أفاض الله علينا من بركات نفسه الغدريته

تَعْرِيْبُ

عَلَى هَبَّاشِمٍ

وَلِلْمَجْمَعَةِ الْبَيْضَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هو العزيز

# معرفة الإمام

بحوث تفسيرية، فلسفية، روآئية، تاريخية، اجتماعية

حوّل الإمامة والولاية عموماً؛

و حوّل إمامة و ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

و الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين

خصوصاً

دروس استدلالية و علمية متخذة من القرآن الكريم

وروايات مأثورة عن الخاصة والعامة؛ وأبحاث حلتية و نقدية

حوّل الولاية

لمؤلفه الحقير

السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

عفي عنه

هوالمزین

## امام شناسی

بحث های تفسیری، فلسفی، روایی، تاریخی، اجتماعی

در باره امامت و ولایت بطور کلی  
و در باره امامت و ولایت ائمه المومنین علی بن ابیطالب

و ائمه معصومین سلام الله علیهم اجمعین بالخصوص

درس های استدلالی علی قنذازقران کریم

و روایات وارده از خاصه و عامه؛ و ابجاث حلی و نقدی

پیرامون ولایت

لموافقه الحقیقه:

سید محمد حسین حسینی طهرانی

بحقی عنده

الفهرست

فهرس مطالب وموضوعات  
معرفة الإمام  
الجزآن السادس عشر والسابع عشر

الصفحات

المطالب

الدرس السادس والعشرون بعد المائتين إلى الأربعين بعد المائتين  
تقدّم الشيعة وتأسيسهم جميع العلوم  
من عهد الإمام الباقر إلى زمان الإمام العسكريّ عليهما السلام  
الصفحة ٣ إلى الصفحة ١٨١

يشمل المطالب التالية :

- |    |   |
|----|---|
| ٥  | عظمة الكلمات الآفاقية والأئفسيّة                            |
| ٧  | كلمات قصار للعلماء في عظمة القلم والكتابة                   |
| ٩  | كلام أبي سعيد في رواية الحديث                               |
| ١١ | الصحابة يكتبون جميع ما يسمعونه من النبيّ صلى الله عليه وآله |
| ١٣ | خلاف العامة في صيغة التشهد                                  |
| ١٩ | تدوين الشيعة الحديث اقتداءً بأنمّتهم                        |

٢١	أئمة العامة الأربعة من الناس العاديين في أعصارهم
٢٣	تدوين الشيعة التابعين للحديث
٢٥	منزلة أبي حمزة الثمالي
٢٧	منزلة بُريد، و زرارة، ومحمد بن مسلم، وأبي بصير
٢٩	كلام الشهرستاني في تبجيل الإمام الصادق عليه السلام
٣١	دفاع الشهرستاني عن هشام بن الحكم
٣٣	المدونون من أصحاب الإمام الكاظم حتى العسكري عليهم السلام
٣٥	كلام عبد الحلیم الجندي في تدوين الشيعة للسنة النبوية
٣٧	الشيخ الطوسي والشريفان المرتضى والرضي
٣٩	السباقون في التدوين هم شيعة علي من الصحابة والتابعين
٤١	شروط الشيعة في قبول الحديث ممن يرويه
٤٣	الشيعة يروون عن أهل السنة أيضاً
٤٥	رواة الشيعة أفضال في الحفظ والإتقان والورع
٤٧	مائة من مشايخ الشيعة كانوا من شيوخ العامة في الرواية
٥٩	ترجمة معروف الكرخي وتوثيقه
٦٧	بقية أسماء المائة من مشايخ الشيعة
٧١	ذنب المحدثين من الشيعة تشييعهم!
٧٣	تقدم الشيعة في تأسيس العلوم الإسلامية
٧٥	الشيعة هم السباقون في العلوم القرآنية المتنوعة
٧٩	أئمة علم القرآن من الشيعة
٨٩	تقدم الشيعة في علم الحديث
٩١	تقدم الشيعة في علمي الدراية والرجال
٩٥	تقدم الشيعة في علم الفقه
٩٧	تقدم الشيعة في علم الكلام

١٠٣	تقدّم الشيعة في علم مكارم الأخلاق
١٠٥	تقدّم الشيعة في الجغرافية وعلم الأخبار والتواريخ
١٠٧	تقدّم الشيعة في علم اللغة
١١٣	تقدّم الشيعة في علم الإنشاء والكتابة
١٢١	الأحاديث النبوية في لزوم التشيع
١٢٣	مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر رسول الله
١٢٧	مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر أمير المؤمنين عليه السلام
١٢٩	مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر الإمام المجتبي عليه السلام
١٣٥	مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر سيد الشهداء عليه السلام
١٤١	مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام
١٤٥	ثورة التوائين
١٤٩	ثورة المختار والثناء عليه
١٥١	جرائم الحجاج وعبد الملك ضد الشيعة
١٥٣	كان الكثير من حكّام الجور في بادئ أمرهم من أهل الزهد والعبادة
١٥٩	مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر الإمام الباقر عليه السلام
١٦١	مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر الإمام الصادق عليه السلام
١٦٣	مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر الإمام الكاظم عليه السلام
١٦٥	مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر الإمام الرضا عليه السلام
١٧١	مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر الإمام الجواد عليه السلام
١٧٥	مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر الإمام عليّ الهاديّ عليه السلام
١٧٧	مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر الإمام العسكريّ عليه السلام
١٧٩	مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر الإمام المهديّ عليه السلام
١٨١	مسار العلوم وتأريخ الشيعة في الغيبة الكبرى



الدرس الحادي والأربعون بعد المائتين إلى الخامس والخمسين بعد المائتين

مدرسة الإمام الصادق عليه السلام العلمية

مصدر إشعاع دائم على المعمورة

الصفحة ١٨٥ إلى الصفحة ٥١٦

يشمل المطالب التالية :

- ١٨٧ الكلمة الطيبة هي حقيقة الولاية
- ١٨٩ ردّ العلامة الطباطبائي على الآوسي في الدفاع عن بني أمية
- ١٩١ حقيقة الكلمة التكوينية الطيبة وجود سرّ الإنسان الكامل
- ١٩٣ كلام المرحوم الكمبائي في الفرق بين الكلمة والكتاب الإلهي
- ١٩٥ رسول الله وآله لهم المقام الجمعي في أعلى القلم
- ١٩٧ وراثة الإمام الصادق العلوم الكليّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله
- ١٩٩ عمر الإمام الصادق الطويل أحد البواعث على ظهور علومه
- ٢٠١ أسباب تسمية التشيع بالمذهب الجعفري
- ٢٠٣ تعبد الناس بفقهِه العامة حتى عصر الإمام الصادق عليه السلام
- ٢٠٧ دور الإمام الصادق عليه السلام في عرض الأسس الإسلامية
- ٢١١ عمل الإمام الصادق عليه السلام إبانة الإسلام الحقيقي
- ٢١٥ سبب إعراض الإمام الصادق عليه السلام عن ممارسة الحكم
- ٢٢١ كلام مترجم كتاب «مغز متفكر جهان شيعة» حول المذهب الجعفري
- ٢٢٣ تفصيل مواقف المنصور الدوانيقي من الإمام الصادق عليه السلام
- ٢٢٥ كان المنصور الدوانيقي يعطي الأمان ويقتل
- ٢٢٧ اعتقال المنصور بني الحسن في سجن الهاشمية
- ٢٢٩ موقف المنصور من محمّد الديباج وتعذيبه
- ٢٣١ المنصور أول مشير للخلاف بين العباسيين والعلويين

٢٣٣	شدة حرص المنصور الدوانيقي وبخله
٢٣٧	استدعاء الأمويين الإمام الصادق عليه السلام إلى الشام
٢٣٩	استدعاء المنصور الإمام الصادق من المدينة إلى قصر الحمراء
٢٤١	حوار المنصور مع الإمام الصادق عليه السلام ولين الإمام
٢٤٣	إغلاق الإمام الصادق عليه السلام كل طريق للانتهاك أمام المنصور
٢٤٥	موقف آخر للمنصور من الإمام الصادق عليه السلام
٢٤٧	جواب الإمام الصادق للمنصور حول سبب امتناعه عن مخالطته
٢٤٩	دعاء الإمام الصادق عليه السلام في دفع شر المنصور عنه
٢٥٣	استدعاء المنصور ، واستحلاف الإمام الصادق الرجل الكاذب وهلاكه
٢٥٧	ضعف الأسباب في استدعاء المنصور للإمام الصادق عدة مرات
٢٥٩	عدم استطاعة المأمون تحمّل الإمام الرضا عليه السلام
٢٦١	احتجاج رجل صوفي ، وعزم المأمون على قتل الإمام الرضا
٢٦٣	علوم الإمام الصادق كالشجى المعترض في حلق المنصور
٢٦٥	الإمام الصادق عليه السلام يُطفئ غضب المنصور
٢٦٧	موقف الإمام الحكيم من المنصور
٢٦٩	الإمام الصادق عليه السلام يجيب جواسيس المنصور بالنفي
٢٧١	تشيع جعفر بن محمد بن الأشعث بسبب علوم الإمام الغيبية
٢٧٣	التجسس على العلويين وخداعهم بالمال الكثير
٢٧٥	تقية الإمام الصادق عليه السلام الشديدة وخوفه على سفيان
٢٧٧	مواعظ الإمام الصادق عليه السلام لسفيان الثوري
٢٨١	سنون الحكومة الأموية والمراتية
٢٨٣	معاناة الإمام الصادق عليه السلام من الولاة الجائرين
٢٨٩	خطبة والي المدينة واعتراض الإمام الصادق عليه السلام
٢٩١	قتل المعلى بن خنيس ومصادرة أموال الإمام عليه السلام

٢٩٣	تبدیل الثورة الدينية للعباسيين إلى إمبراطورية
٢٩٥	اعتقال الإمام الصادق عليه السلام ودعاؤه بالخلاص
٢٩٧	بعض الإصلاحات التي قام بها عمر بن عبدالعزيز
٢٩٩	حوار الإمام الصادق عليه السلام مع المتصوفة حول الزهد الحقيقي
٣٠١	مدرسة الإمام الصادق عليه السلام وعلومه وتلاميذه
٣٠٣	تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام أربعة آلاف
٣٠٥	جمع كثير من المشايخ كانوا تلاميذ الإمام عليه السلام
٣٠٩	تلمذة مالك للإمام الصادق عليه السلام
٣١١	الإمام الصادق عليه السلام وأبو حنيفة
٣١٣	تمجيد أبي حنيفة للإمام الصادق عليه السلام
٣١٥	ترجمة مالك بن أنس أحد أئمة العامة في الفقه
٣١٧	تمجيد مالك للإمام الصادق عليه السلام
٣١٩	رد الإمام الكاظم عليه السلام أحاديث العامة للحسن بن عبد الله
٣٢١	تتمة ترجمة مالك بن أنس
٣٢٣	ترجمة أبي حنيفة
٣٢٥	مناقبة مزيفة مزعومة لأبي حنيفة
٣٢٧	مخالفة أبي حنيفة للسنة النبوية الشريفة في مواضع كثيرة
٣٢٩	صلاة القفال المروزي على فتوى أبي حنيفة
٣٣١	ترجمة أبي يوسف القاضي تلميذ أبي حنيفة
٣٣٣	عبارات دامغة لأعظم السنة في أبي حنيفة
٣٣٧	كرامتان باهртان لقبر أبي حنيفة
٣٣٩	قصة الرجل الزائر مع خادم قبر أبي حنيفة
٣٤١	مدة الحمل عند العامة ومدة حمل الشافعي
٣٤٣	استهزاء أبي حنيفة بقول النبي صلى الله عليه وآله

٣٤٥	كلام الخطيب البغدادي في أبي حنيفة
٣٤٩	حكم أبي حنيفة في قطع يد السارق الذي سرق فسيل النخل
٣٥١	تشبيه أبي حنيفة بالمولدين من بني إسرائيل
٣٥٣	كلام شريك حول انحراف أبي حنيفة
٣٥٥	فتوى أبي حنيفة تفصل النساء عن أزواجهنّ
٣٥٧	شهادة علماء العامة على جهل أبي حنيفة
٣٥٩	اتهام مؤمن الطاق بأحنية بالتناسخ
٣٦١	رد ابن المبارك على أحاديث أبي حنيفة
٣٦٣	مرجع الكتب الشاملة لفتاوى الفقهاء الأربعة
٣٦٥	حوار يوحنا مع علماء العامة
٣٦٧	أبو حنيفة : حكم القاضي نافذ ظاهراً وباطناً
٣٦٩	تصديق المذنب الشهودَ يوجب سقوط الحدّ !
٣٧١	موارد من فتوى أبي حنيفة المخالفة للشرع والعقل
٣٧٣	مالك يجيز اللواط
٣٧٥	الحنابلة يقولون بجسمانية الله
٣٧٧	بعض علماء العامة يكفرون الشيعة ويستحلون دماءهم
٣٧٩	مدح الصحابة بشرط عدم ارتدادهم
٣٨١	إشكالات الجويني على مالك
٣٨٣	جواز تعاطي البنج ولعب الشطرنج و... عند الفقهاء الأربعة
٣٨٥	رد استدلال المالكيين على جواز وطء الغلام
٣٨٩	مسألة رضاع الكبير عند العامة
٣٩١	قصة رضاع سالم مولى أبي حذيفة
٣٩٣	رضاع الكبير عند عائشة من الثدي
٣٩٧	ترجمة محمد بن إدريس الشافعي

٤٠١	حوار الشافعيّ مع مالك
٤٠٣	شعر الشافعيّ في ولاء أهل البيت
٤٠٥	شعر الشافعيّ في حبّ آل محمّد صلّى الله عليه وآله
٤٠٧	كان الشافعيّ عامّيّ المذهب ومعتقداً بالخلفاء
٤٠٩	الشافعيّ ستّيّ معتدل
٤١١	الشافعيّ لا يجيز العمل بالرأي والقياس
٤١٣	ردّ الإمام الصادق عليه السلام على أبي حنيفة قوله بالقياس
٤١٧	نصائح الإمام الصادق للإمام الكاظم على ما نقله الدميريّ
٤١٩	حوار الإمام الصادق عليه السلام مع أبي حنيفة حول الرأي والقياس
٤٢٣	أهل القياس يبدّلون الحلال والحرام أحدهما بالآخر
٤٢٥	كان أبو بكر لا يجيز العمل بالرأي والقياس
٤٢٧	روايات الشيعة في حرمة العمل بالقياس
٤٢٩	وفاة الشافعيّ وشيء من شعره
٤٣١	ترجمة أحمد بن حنبل
٤٣٣	من مشاهير المعتزلة
٤٣٥	لقاء أحمد بأحد مشايخ الشيعة بالكوفة
٤٣٧	كيفية تقليد العامة قبل الرشيدّين وبعدهما
٤٣٩	أحمد بن حنبل يجيز لعن يزيد ويسبّب لعن بعض الصحابة
٤٤١	شعر الزمخشريّ في كتمان مذهبه
٤٤٣	العواقب السيّئة لغلق باب الاجتهاد والقول بعدالة الصحابة
٤٤٥	الإماميّة يعتقدون بالعدل الإلهيّ وعصمة الأنبياء
٤٤٧	الأشاعرة يعتقدون بجسمانيّة الله في رؤيته
٤٥١	رأي الشيعة وأهل السنّة في العدل
٤٥٩	كلام الشيعة وأهل السنّة في عصمة الأنبياء

- ٤٦١ عقائد الأشاعرة في التوحيد والعدل مدعاة إلى البراءة من الإسلام
- ٤٦٣ الحُسن والقبح العقليّان من منظار الشيعة والأشاعرة
- ٤٦٧ الله تعالى لا يفعل القبيح
- ٤٦٩ أفعال الله معللة بأغراض
- ٤٧١ صفات النبيّ عند الشيعة وأهل السنة
- ٤٧٣ انتهاء علوم الفقهاء الأربعة إلى الإمام الصادق عليه السلام
- ٤٧٥ خطأ أحمد أمين في الحكم بأخذ الشيعة عن المعتزلة
- ٤٧٧ خطأ أحمد أمين في التأريخ وعلم المصادر
- ٤٨١ لقاء مالك بالمنصور الدوانيقيّ بمنى
- ٤٨٣ أمر المنصور مالكا بتأليف كتاب الفقه
- ٤٨٥ دفاع مالك عن فتواه في القسامة
- ٤٨٧ حوار المغيرة المخزوميّ - تلميذ مالك - مع أبي يوسف القاضي
- ٤٨٩ موطأ مالك دستور المنصور الانقلابيّ للبلاد
- ٤٩١ أبيات الشاعر برون اعتصاميّ في ظلم الحكّام
- ٤٩٣ سبب تقليل روايات «الموطأ»
- ٤٩٥ سبب تأليف «الموطأ» وزمانه
- ٤٩٧ الانحراف التدريجيّ لمالك وركونه إلى المنصور
- ٤٩٩ تهزّب مالك من أمر المنصور بتأليف الرسالة
- ٥٠١ كلام عبد الحلیم الجنديّ في انتقال الفقه من المدينة إلى العراق
- ٥٠٣ المذهب الجعفريّ يبطل القياس
- ٥٠٥ كلام قادح لأحمد أمين في الإمام الصادق عليه السلام
- ٥٠٧ عظمة محمّد بن زيد في معاملة ابن هشام الأمويّ
- ٥٠٩ نماذج الأصالة عند محمّد بن زيد العلويّ
- ٥١١ شعر الشافعيّ في مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام

٥١٣

فضيلة زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام

٥١٥

آيات من القصيدة الأثرية في عظمة مقام الأئمة

الَّذِينَ سَادُوا عَشْرُونَ بَعْدَ الْاِثْنَيْنِ فِي الْاِثْنَيْنِ بَعْدَ الْاِثْنَيْنِ

تَقَدَّمَ الشَّيْعَةَ وَتَأَسَّسَهُمْ جَمِيعَ الْعُلُومِ مِنْ عَهْدِ الْاِمَامِ الْبَاقِرِ  
إِلَى زَمَانِ الْاِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ  
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم  
الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ (بِيدِ الْكُتَّابِ) وَالْبَحْرُ  
يَمُدُّهُ بِعَدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ (تكون جبراً ، ويريد الناس أن يحصوا كلمات الله  
وموجوداته فإنهم لا يستطيعون ، (لأنه) مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
عَزِيزٌ حَكِيمٌ<sup>١</sup>.

قال سماحة أستاذنا الأكرم العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية  
المباركة : والظاهر أن المراد بالسبعة التكثير دون خصوص هذا العدد .  
والكلمة هي اللفظ الدال على معنى . وقد أُطلق في كلامه تعالى على الوجود  
المفاض بأمره تعالى . وقد قال : **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ**<sup>٢</sup> . وقد أُطلق على المسيح عليه السلام الكلمة في قوله : **وَكَالِمَتُهُ  
أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ**<sup>٣</sup>.

فالمعنى : ولو جعل جميع أشجار الأرض أقلاماً وأخذ البحر وأضيف

١- الآية ٢٧ ، من السورة ٣١: لقمان .

٢- الآية ٨٢ ، من السورة ٣٦: يس .

٣- الآية ١٧١ ، من السورة ٤: النساء .

إليه سبعة أمثاله ، وجُعِلَ المجموع مداداً فكتب كلمات الله - بتبديلها ألفاظاً دالةً عليها - بتلك الأقلام من ذلك المداد لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات الله ، لكونها غير متناهية <sup>١</sup>.

ومع أن هذه الآية الكريمة الشريفة كانت في مقام عظمة وكثرة الكلمات الآفاقية والأنفسية الإلهية المعبر عنها بعالم الكون والوجود ، بيد أن استعمال لفظ القلم للكتابة ، والبحر مداداً لإحصاء موجودات العالم الزاخر بالأبته والجلالة ، والمليء بعجائب الخلق وأسرارها اللامتناهية يجعلنا ندرك أهميّة القلم والكتابة بوضوح ، ونقف على عظمة وجلال وعمق أئمة الشيعة والمجتمع الشيعي ، إذ نهضوا بالأمر منذ البداية وقاموا بتدوين السنّة النبوية عملاً بكلام رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، على الرغم من الأجواء المشاكسة المناوئة .

وكان أئمة الشيعة رواد مدرسة العلم والقلم والتدوين . ولم يتحفوا شيعتهم فقط بنور العلم ، بل أتشفوا العالم الإسلامي كله ، بل العالم البشريّ بجميع ملله ونحله . وقالوا وكتبوا وبثوا شعاع العلم في أقطار العالم عبر المجرّة والقلم والكتابة على صفحات الورق الواسعة ، والألواح ، وجلود الحيوانات ، وجريد النخل (العُسْب) ، وعظام الجمال والأبقار والأغنام .

ويحسن بنا - قبل أن ندخل في الحديث حول تدوين آل محمّد عليهم السّلام وتصنيفهم - أن نذكر مطالب رائعة أتخاذه للعالم النحرير الشيخ الحسين بن عبد الصمد عزّ الدين الحارثيّ الهمدانيّ العامليّ ، الوالد الجليل لشيخنا الأعظم بهاء الدين العامليّ ، نقلها في كتابه النفيس في الأخلاق ، باب الكتابة . ثم ندخل في بحثنا .

١- «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٦ ، ص ٢٤٥ .

قال : قال بعض العلماء في مدح الكتب : **الْكُتُبُ بَسَاتِينُ الْعُقَلَاءِ** .  
أي : أن جميع الناس غير العقلاء يظنون أن الرياض والحداثق والبساتين  
تنحصر بالأراضي المفروشة بالورود والسنبال والرياحين والأرجوان ، في  
حين يرى العقلاء أن رياضهم وحداثقهم الحقيقية التجول بين الكتب  
وتصفحها والنظر في مطالبها البديعة المتنوعة .

وقال بعض البلغاء : **الْكِتَابُ وَعَاءٌ مَلِيٌّ عِلْمًا ، وَظَرْفٌ مَلِيٌّ ظَرْفًا** .  
وقال بعض الفصحاء : **الْكُتُبُ أَصْدَافُ الْحِكْمِ تَنْشُقُ عَنْ جَوَاهِرِ  
الْكَلِمِ** .

وقال بعضهم : **الْكِتَابُ بُسْتَانٌ يُحْمَلُ فِي رُذْنٍ ،<sup>١</sup> وَرَوْضَةٌ تُقْلَبُ فِي  
حِجْرِ ، يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتَى ، وَيَتَرَجِمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ** .  
وقال الشاعر :

وَلِي جُلَسَاءٌ لَا يَمَلُّ حَدِيثُهُمْ      أَلْبَاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدًا  
يُفِيدُونَنِي مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَنْ مَضَى      وَعَقْلًا وَتَأْدِيًا وَرَأْيًا مَسْدَدًا  
فالحاصل : أن المرء يظهر في كتابه مكنون علمه ، ويعبئ فيه موقر  
رويته وفهمه . فيتأتى له فيه كثير ما لم يتأت على لسانه ، ولا يتيسر له أن  
يعرب عنه ببلاغته وبيانه ، لأنه في الأغلب يكون منفرداً في خلوته ،  
فيكون متفرغاً لاستعمال بصيرته وفكرته .  
ولهذا قال بعض الحكماء : **كِتَابُ الْمَرْءِ عُنْوَانُ عَقْلِهِ وَلِسَانُ فَضْلِهِ** .

١- الرُذْنُ في «أقرب الموارد» بضم الراء أصل الكَمِّ ، وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير  
قال الحريري : إذا ثقل رُذْنِي خَفَّ عَلَيَّ أَنْ أَكْفَلَ ابْنِي .

وقال بعض العلماء: لَا يَزَالُ الْمَرْءُ تَحْتَ سِتْرِ مِنْ عَقْلِهِ حَتَّى يُؤَلَّفَ كِتَابًا أَوْ شِعْرًا.

وقال بعضهم: مَا قَرَأْتُ كِتَابَ رَجُلٍ إِلَّا عَرَفْتُ مِقْدَارَ عَقْلِهِ.

وقال بعض الملوك: ثَلَاثَةٌ تَدُلُّ عَلَى عُقُولِ أَرْبَابِهَا: الْهَدِيَّةُ، وَالْكِتَابُ، وَالرَّسُولُ.

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: عَقْلُ الْكَاتِبِ قَلَمُهُ.

وقال مسعدة: الْأَقْلَامُ مَطَايَا الْفِطْنِ.

وقال بعضهم: عُقُولُ الرِّجَالِ تَحْتَ أَسِنَّةِ أَقْلَامِهِمْ.

وعلى كل حال، فالحظ من أكبر المهمات الدينية والدنيوية، وعليه مدار أكثر الأمور الدينية والعلمية. ولهذا كانت الكتاب سامية الملك، وعمارة المملكة، وخزنة الأموال.

ومما يدل على شرفه أن الله تعالى أقسم ببعض أدواته وهو القلم، كما أقسم به في قوله تعالى: ن \* وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ<sup>١</sup>.  
وعدده الله من نعمه في قوله تعالى: عَلَّمَ بِالْقَلَمِ<sup>٢</sup>. فوصف نفسه بأنه عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، كما وصف نفسه بالكَرَمِ.

وفي «منثور الحكم»: الدَّوَاتُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدَوَاتِ، وَالْحَبْرُ أَجْدَى مِنَ التَّبْرِ.

وقال بعض الفضلاء: الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ، وَحَسْنُ الْخَطِّ أَحَدُ الْفَصَاحَتَيْنِ.

وقال بعض الحكماء: صُورَةُ الْخَطِّ فِي الْأَبْصَارِ سَوَاءٌ، وَفِي الْبَصَائِرِ

١- الآية ١، من السورة ٦٨: القلم.

٢- الآية ٤، من السورة ٩٦: العلق.

## بَيَاضٌ .

وقال بعضهم : الْقَلَمُ رُوحُ الْيَدِ ، وَلِسَانُ الْفِكْرِ .  
 وقال أقليدس : الْخَطُّ هُنْدِسَةٌ رُوحَانِيَّةٌ وَإِنْ ظَهَرَتْ بِالَّةِ جَسَدَانِيَّةٌ .  
 وقال بعض العلماء : الْقَلَمُ صَانِعُ الْكَلَامِ .  
 وقال بعضهم : لَمْ أَرَبَاكِيًّا أَحْسَنَ تَبَسُّمًا مِنَ الْقَلَمِ .  
 وقالوا : جَهْلُ الْخَطِّ الزَّمَانَةُ الْخَفِيَّةُ .  
 وقال ابن مُقَلَّةَ : لِأَدِيَّةٍ عِنْدَنَا لِيَدٍ لَا تَكْتُبُ .  
 وقال ابن البواب : الْيَدُ الَّتِي لَا تَكْتُبُ رَجُلٌ .  
 وقال جعفر بن يحيى : الْخَطُّ سِمَطُ الْحِكْمَةِ ، بِهِ تُفْصَلُ شُدُورُهَا ،  
 وَيَنْتَظِمُ مَنُشُورُهَا .

وقال ابن المُقَفَّعِ : اللَّسَانُ مَقْصُورٌ عَلَى الْحَاضِرِ ، وَالْقَلَمُ عَلَى  
 الشَّاهِدِ وَالْغَائِبِ .<sup>١</sup>

وقال بعض العلماء : لَا شَيْءَ أَفْضَلَ مِنَ الْقَلَمِ ، لِأَنَّ مُدَّةَ عُمُرِ  
 الْإِنْسَانِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُدْرِكَ فِيهَا بِفِكْرِهِ مَا يُدْرِكُ بِقَلَمِهِ .  
 وعن ابن عباس في قوله تعالى : «أَوْ أَثَارَةَ مِنْ عِلْمٍ»<sup>٢</sup> يَعْنِي الْخَطَّ .  
 وعن مجاهد في قوله تعالى : «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ»<sup>٣</sup> . قَالَ :  
 الْخَطُّ . وَأَيْضاً : «مَنْ يُؤْتَى الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» . يَعْنِي الْخَطَّ .  
 وقال بعض الحكماء : الْقَلَمُ وَالسَّيْفُ حَاكِمَانِ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ،

١- في منتخبات «البيان والتبيين» للجاحظ، ص ١٧٩: على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب.

٢- الآية ٤، من السورة ٤٦: الأحقاف.

٣- الآية ٢٦٩، من السورة ٢: البقرة.

## وَلَوْ هُمَا مَا قَامَتِ الدُّنْيَا ١.

أي : ينبغي إقامة العالم بالقلم والكتابة وبيان العلوم ، وأيضاً بالسلطة العادلة الفاضلة .

أجل ، استبان ممّا ذكرناه أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله لم يحظر الكتابة ، بل كان جاداً في تدوين السنّة ، وكان يأمر المؤهلين بالكتابة ، ويأذن لمن يستأذن فيها ٢.

روى الخطيب البغداديّ في كتاب «تقييد العلم» بسنده المتّصل عن فايد غلام عبيدالله بن أبي رافع ، عن عبيدالله بن أبي رافع قال: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَأْتِي أَبَا رَافِعٍ فَيَقُولُ: مَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ كَذَا؟! مَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ كَذَا؟! وَمَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ الْوَاحِ يَكْتُبُ فِيهَا ٣.

وروى بسنده المتّصل عن أبار: أبي حفص ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال: فَيَدُوا الْعِلْمَ! وَتَقْيِيْدُهُ كِتَابُهُ ٤.

١- «نور الحقيقة ونور الحقيقة» تأليف الحسين بن عبدالصمد الهمدانيّ، من أحفاد الحارث الأعور الهمدانيّ، ولد سنة ٩١٥، وتوفّي سنة ٩٨٥ هـ. ص ١٠٧ إلى ١١٠، الطبعة الأولى، مطبعة سيّد الشهداء عليه السلام. إيران، قم.

٢- قال آية الله الخواجه نصير الدين الطوسيّ في كتاب «آداب المتعلّمين» من كتاب «جامع المقدمات» ص ١٩٨، طبعة عبدالرحيم: وينبغي أن يستصحب (طالب العلم) دفترًا على كلّ حال يطالعه، وقيل: من لم يكن الدفتر في كُفِّهِ لم يثبت الحكمة في قلبه. وينبغي أن يكون في الدفتر بياض ويستصحب المحبرة ليكتب ما يسمعه كما قال النبيّ صلّى الله عليه وآله لهلال بن يسار حين قرّر له العلم والحكمة: هَلْ مَعَكَ مِحْبَرَةٌ؟! ٣-

٣- «تقييد العلم» للحافظ أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت، الخطيب البغداديّ، صاحب «تاريخ بغداد» ص ٩١، الطبعة الثانية، نشر دار إحياء السنّة النبويّة.

٤- «تقييد العلم» ص ٩٢.

وروى بسنده المتصل الآخر عن أبي بشر جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : **خَيْرُ مَا قِيدَ بِهِ الْعِلْمُ الْكِتَابُ** .<sup>١</sup>

وروى بسنده الآخر عن أبي المتوكل قال : سألت أبا سعيد الخدري عن التشهد ، فقال : **التَّحِيَّاتُ ، الصَّلَوَاتُ ، الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ . السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . السَّلَامُ عَلَيْنَا وَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ . أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .** قال أبو سعيد : **وَ كُنَّا لَا نَكْتُبُ إِلَّا الْقُرْآنَ وَ التَّشْهَدَ** .<sup>٢</sup>

نلاحظ هنا أن أبا سعيد يقول : وكان دأبنا ألا نكتب إلا القرآن والتشهد ، من جانب الآخر نجد في حديث يلي الحديث المتقدم أن الخطيب يقول بعد روايته إياه عن أبي سعيد : وأبو سعيد هو الذي روي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : **لَا تَكْتُبُوا عَنِّي سِوَى الْقُرْآنِ ، وَ مَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلَيْمَحُهُ !**

ونلاحظ هنا من جهة أخرى أنه يخبر أنهم كانوا يكتبون التشهد أيضاً مع القرآن . وهذا دليل على أن المراد من النهي عن كتابة غير القرآن هو ما يتناه سلفاً . أي : شيء يكون نظيراً للقرآن ، فيعرض الناس عن القرآن ويهتمون به .

بيد أن أبا سعيد لما رأى نفسه آمناً من هذا الخطر ، وشعر بالحاجة الماسة إلى كتابة العلم ، لم يرَ في نفسه كراهة في كتابة العلم كما أن الصحابة

١- «تقييد العلم»، ص ٩٢.

٢- «تقييد العلم» ص ٩٣. من الجدير ذكره أن لا تفاوت بين العامة والخاصة في كيفية التشهد، إلا أن الخاصة يبدأون بالشهادتين، ثم يعقبونهما بالتحيات والسلام. أما العامة فيفعلون بالعكس.



لم يكرهوا كتابة التشهد . ولا يُلاحظ بين التشهد وغير التشهد فرق عن كافة العلوم في أنها جمعياً ليست قرآناً . والعلوم التي دوتها الصحابة في كتبهم وأمروا بكتابتها كانت على سبيل الاحتياط ، كما أن كراهتهم الكتابة كانت كذلك . والله أعلم .

وروى الخطيب أيضاً بسنده عن هُبيرة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، أو عن رجل آخر أنه قال : كُنَّا إِذَا أُتِينَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ وَكَثْرَنَا عَلَيْهِ ، أَخْرَجَ إِلَيْنَا مَجَالًّا<sup>١</sup> مِنْ كُتُبٍ ، فَقَالَ : هَذِهِ كُتُبٌ سَمِعْتُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَرَأُواهَا عَلَيْهِ<sup>٢</sup> .

وبعد أن ذكر الخطيب حديثين آخرين بهذا المضمون ، أورد حديثاً آخر عن هُبيرة بن عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك : إِنَّهُ كَانَ إِذَا حَدَّثَ فَكَثُرَ النَّاسُ عَلَيْهِ لِلْحَدِيثِ ، جَاءَ بِصِّكَاكٍ<sup>٣</sup> فَأَلْقَاهَا إِلَيْهِمْ فَقَالَ : هَذِهِ أَحَادِيثٌ سَمِعْتُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَكُتِبَتْهَا وَعَرَضْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ<sup>٤</sup> .

وروى أيضاً بسند آخر عن عبد الله بن المثنى قال : حَدَّثَنِي عَمَّايِ النَّضْرُ وَمَوْسَى ابْنَا أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِمَا أَنَسٌ : إِنَّهُ أَمَرَهُمَا بِكِتَابَةِ الْحَدِيثِ

١- مجال : بتشديد اللام ، جمع مجلّة . والمجلّة (بالفتح) : الصحيفة فيها الحكمة ، وكلّ كتاب . («القاموس» للفيروزآبادي ، ج ٣ ، ص ٣٦١) .

٢- «تقييد العلم» ص ٩٣ إلى ٩٥ .

٣- الصِّكَّ (بتشديد الكاف) : الكتاب . وفي «النهاية» لابن الأثير ج ٣ ، ص ٤٣ : وفي حديث أبي هريرة قال لمروان : أُحْلَلْتُ بَيْعَ الصِّكَاكِ . هي جمع صكّ وهو الكتاب . وذلك أنّ الأمراء كانوا يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتباً فيبيعون ما فيها قبل أن يقبضوها تعجلاً ويعطون المشتري الصِّكَّ ليمضي ويقبضه ، فنهوا عن ذلك ، لأنّه بيع ما لم يقبض .

٤- «تقييد العلم» ص ٩٥ .

وَالْآثَارَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَعَلَّمَهَا. وَقَالَ أَنَسٌ: كُنَّا لَا نَعُدُّ عِلْمَ مَنْ لَمْ يَكْتُبْ عِلْمَهُ عِلْمًا.<sup>١</sup>

ثم نقل الخطيب سبعة أحاديث أخرى عن أنس ، وحديثاً عن أبي أمامة الباهلي . وبعد ذلك ذكر حديثاً يدل على أنّ الصحابة كان دأبهم في زمن النبي صلى الله عليه وآله أن يكتبوا جميع ما سمعوه من نبيهم .

فقد روى بسنده عن عبد الله بن عمرو أنه قال : أتيتُ النبي صلى الله عليه وآله مع قوم أنا أصغرهم ، فسمعته يقول : مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ . قال إسحاق [راوي الحديث] وحسبته قال : مُتَعَمِّدًا ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ . فأقبلتُ على صاحبي فقلتُ : كَيْفَ تَجْتَرُونَ عَلَيَّ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ سَمِعْتُمْ مَا قَالَ ؟!

قَالُوا: يَا ابْنَ أَخْتِنَا! إِنَّا لَمْ نَسْمَعْ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ عِنْدَنَا فِي كِتَابٍ.<sup>٢</sup>

وذكر الخطيب هذا المضمون بسند آخر أيضاً ، وفيه : مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ

مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.<sup>٣</sup>

وبعد أن يُثبت الخطيب أنّ الكتابة كانت متداولة عند بعض الصحابة والتابعين ، وهو لم يسمع كلامهم في منع الأمة منها ، وفتح فصلاً في رواية التابعين وكتابتهم تحت عنوان «الرواية عن الطبقات الأخرى من التابعين في ذلك» . روى فيه بسنده عن أبي المليح ، عن أيوب أنه قال : يَعْيَبُونَ

١- «تقييد العلم» ص ٩٦.

٢ و....- «تقييد العلم» ص ٩٨. وللعالم المصري الواعي الشيخ محمود أبو رية كلام مفصل حول هذا الموضوع في كتاب «أضواء على السنة المحمدية» ص ٦٠، الطبعة الثانية. وفيه أنّ أحاديث الطائفة الأولى المنقولة عن كبار الصحابة تخلو من كلمة متعمداً. وقد أُدخلت تدريجاً للحؤول دون افتراءاتهم على النبي صلى الله عليه وآله.

عَلَيْنَا الْكِتَابَ ثُمَّ تَلَا: عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ<sup>١</sup>

وروى بسنده أيضاً عن بَقِيَّةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: رَبَّمَا سَمِعَ مِنِّي أَرْطَاةَ الْحَدِيثِ، وَنَحْنُ نَمْشِي فِي السُّوقِ، فَيَقُولُ: أَمَلِهِ عَلَيَّ! فَأَقُولُ: فِي وَسْطِ الطَّرِيقِ؟ فَيَقُولُ: أَوْ فِي غَيْرِ اللَّهِ نَحْنُ؟!<sup>٢</sup>

وروى بسنده عن مَعْمَرٍ قَالَ: حَدَّثْتُ يَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ بِأَحَادِيثٍ فَقَالَ لِي: اكْتُبْ لِي حَدِيثَ كَذَا وَكَذَا! فَقُلْتُ: إِنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَكْتُبَ الْعِلْمَ يَا أَبَا نَصْرٍ! فَقَالَ: اكْتُبْ لِي، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَتَبْتَ، فَفَرَدُ ضَمِيْعَتَ؛ أَوْ قَالَ: عَجَزْتَ.<sup>٣</sup>

وجملة القول: استبان ممّا ذكرناه مفصّلاً في الجزء الرابع عشر من هذا الكتاب، وأعقبناه بشرح في الجزء الخامس عشر منه أنّ التدوين كان شائعاً غير محظور في عصر النبيّ صلّى الله عليه وآله. وبعده كان الخلاف فيه شديداً بين عمر وبعض الصحابة من جهة، وبين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبعض الصحابة الآخرين من جهة أخرى. فكان عمر يقول: إذا دُوِّنَتِ السَّنَةُ فَإِنَّ النَّاسَ يُقْبَلُونَ عَلَيْهَا وَيَنْشَغَلُونَ بِقِرَاءَتِهَا فَيُهْجَرُ كِتَابُ اللَّهِ، أَوْ تَشْتَبِهَ السَّنَةُ بِالْقُرْآنِ فِي التَّدْوِينِ وَيَحْدُثُ خَلْطٌ بَيْنَهُمَا.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لا خطر في ذلك أبداً. فتدوين السنة منفصل عن تدوين القرآن. ولا بدّ أن تُدَوَّنَ السَّنَةُ، وإلاّ يبقى

١- «تقييد العلم» ص ١١، وفي الهامش: مثله باللفظ من حماد بن زيد في «سنن الدارمي» ج ١، ص ١٢٦؛ و«جامع بيان العلم» ج ١، ص ٧٣. وفيهما: أيّوب عن أبي المليح: وكان أيّوب يكتب. انظر: «تاريخ دمشق» ج ٣، ص ٢١٢. والآية هي: الآية ٥٢، من السورة ٢٠: طه.

٢ و... - «تقييد العلم»، ص ١١٠.

القرآن بلا ترجمان وبلا بيان وتفسير . لهذا كان عليه السلام دائم الاشتغال في التدوين ، وكان يأمر به مؤكداً .

وقد قالوا ، وكتبوا ، ونشروا فلم يحدث خطر قط ، وظلت السنة حية صريحة عند أتباعه ومواليه . أما عند الطرف المخالف ، حيث تركت السنة بلا تدوين ، فإن الفقر العلمي قد عم الأرجاء . وبعد موت الصحابة ومجيء التابعين لم يكن هناك من ينقل السنة للأمة ، اللهم إلا محفوظات كان التابعون قد أخذوها من الصحابة ، ومُنيت بضروب من الخطأ والخلط والنسيان بسبب طول المدّة . يضاف إليه أنهم لما أجازوا النقل بالمعنى في الأحاديث ، ولم يكن هناك تدوين ، فإنهم نقلوا الموضوع الواحد بألفاظ متفاوتة ، حتى أن العامة رَووا التشهد بتسعة ألفاظ<sup>١</sup> ، واختلفوا في صلاة

١- تحدّث الفقيه المصري المتنوّر الشيخ محمود أبو ريّة في كتابه المفيد «أضواء على السنة المحمّديّة» ص ٨٢ إلى ٨٦ ، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، عن اختلاف العلماء في جواز رواية الحديث بالمعنى، لا باللفظ. وذكر صيغ التشهدات في الصلاة وكانت من أهم الأمور، وكان المسلمون يسمعونها كل يوم بلفظ رسول الله صلى الله عليه وآله عدّة مرّات، ويحفظونها في أذهانهم. مضافاً إلى أن أحاديث عديدة قد وردت وفيها: أننا ما كنا نكتب حديثاً، بل كنا نكتب قرآناً وتشهداً. ومع ذلك فقد وردت كيفية التشهد عند السنة بتسعة طرق، وكلهم ذكروا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقرأ بصيغة واحدة فحسب، ويعلمه الصحابة.

ونقل فيما يأتي كلامه نصّاً لمزيد الإطلاع: **صِغَ التَّشَهُدَاتِ تَشَهُدُ ابْنِ مَسْعُودٍ:** في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: علّمني رسول الله التشهد وكفّي بكفّة كما علّمني السورة من القرآن: **التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ . أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .** وكذلك رواه أصحاب السنن.

وفي رواية: ولقّنيه كلمة كلمة. وفي رواية: إذا قلت هذا، أو قضيت هذا فقد قضيت صلاتك! وقد اختاره أبو حنيفة وأحمد وأصحاب الحديث وأكثر العلماء.

تشهد ابن عباس: روى مسلم وأصحاب السنن عن ابن عباس، وكذلك روى الشافعي في «الأم» قال: كان رسول الله يعلمنا كما يعلمنا السورة من القرآن فيقول: قولوا: التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ . السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ . السَّلَامُ عَلَيْنَا وَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ . أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

تشهد عمر بن الخطاب: روى مالك في «الموطأ» عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عبدالرحمن بن عبدالقاري أنه سمع عمر بن الخطاب وهو على المنبر يقول: قولوا: التَّحِيَّاتُ الزَّكِيَّاتُ لِلَّهِ . الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ .

ورواية السرخي في «المبسوط»: التَّحِيَّاتُ النَّامِيَّاتُ الزَّكِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ .

قال مالك: أفضل التشهد تشهد عمر بن الخطاب، لأن عمر قاله على المنبر بمحض من الصحابة فلم ينكروه عليه إجماعاً. ورواه أبو داود وابن مردويه مرفوعاً.

تشهد أبي سعيد الخدري: التَّحِيَّاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ . السَّلَامُ عَلَيْنَا وَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ . أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . قال أبو سعيد: وكنا لا نكتب إلا القرآن والتشهد!\*

تشهد جابر: وفي حديث جابر المرفوع عند النسائي وابن ماجه والترمذي في «العلل» بلفظ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ : بِاسْمِ اللَّهِ ، وَ بِاللَّهِ التَّحِيَّاتُ ... إلى آخره. وصححه الحاكم.

تشهد عائشة: روى مالك في «الموطأ» عن عائشة زوج النبي أنها كانت تقول إذا تشهدت: التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ الزَّكِيَّاتُ لِلَّهِ . فَتُسْقَطُ لِلَّهِ عَقِيبُ التَّحِيَّاتِ وَالصَّلَوَاتُ بخلاف ما في حديث عمرو ابن مسعود من إثباتهما، وهي مرفوعة. وزادت على حديث عمر وحده لا شريك له . وكذلك تثبت هذه الزيادة في حديث أبي موسى مرفوعاً عند مسلم.

تشهد أبي موسى الأشعري: روى مسلم وأبو داود أن التشهد عند أبي موسى: التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ . وفيه: وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .\*\*

تشهد سمره بن جندب: التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ وَالصَّلَوَاتُ وَالْمُلْكُ لِلَّهِ ... إلى آخره.

تشهد ابن عمر: روى مالك في «الموطأ» عن نافع، عن ابن عمر أنه كان يتشهد فيقول: بِاسْمِ اللَّهِ (في أوله) التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ بِاسْقَاطِ (كاف الخطاب

ولفظ أيها) ... إلى آخره. وقال فيه: فإذا قضى تشهده وأراد أن يسلم قال: **السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . السَّلَامُ عَلَيْنَا وَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ .** وهذه زيادة تكرير في التشهد.

ورواية **السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ** التي جاءت في هذا التشهد قد وردت في رواية البخاري عن ابن مسعود في باب الاستئذان فقد قال في آخره: **وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** وهو بين ظهرانينا. فلما قضى قلنا: **السَّلَامُ** يعني على النبي.

وقال السُّبُكِيُّ في «شرح المنهاج»: إن صحَّ هذا عن الصحابة دلَّ على أنَّ الخطاب في السلام بعد النبي غير واجب فيقال: **السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ**. قال الحافظ: قد صحَّ بلا ريب. قال عبدالرزاق: أخبرنا ابن جريح، أخبرنا عطاء أنَّ الصحابة كانوا يقرأون والنبي حي: **السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ**. فلمآمات قالوا: **السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ**. وهذا إسناد صحيح. ولهذا الاختلاف \*\*\* قال القاضي: هذا يدلُّ على أنه إذا أسقط لفظه هي ساقطة في بعض التشهدات المروية صحَّ التشهد. فعلى هذا يجوز أن يقال: أقل ما يجزئ في التشهد: **التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ . السَّلَامُ عَلَيْنَا وَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ .** **أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ - أَوْ: أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .**

هذه تسعة تشهدات \*\*\* وردت عن الصحابة وقد اختلفت ألفاظها، ولو أنها كانت من الأحاديث القولية التي رويت بالمعنى لقلنا عسى! ولكنَّها من الأعمال المتواترة التي كان يؤدِّيها كلُّ صحابيٍّ مرَّات كثيرة كلَّ يوم وهم يعدُّون بعشرات الألف. وممَّا يلتفت النظر أنَّ كلَّ صاحب تشهد يقول: إنَّ الرسول كان يعلمه التشهد كما يعلمهم، وأنَّ تشهد عمر قد ألقاه من فوق منبر رسول الله، والصحابة جميعاً يسمعون فلم ينكر عليه أحد منهم ما قال، كما ذكر مالك في «الموطأ».

وممَّا يلتفت النظر كذلك أنَّ هذه التشهدات على تباين ألفاظها وتعدَّد صيغها وكثرة رواياتها قد خلت كلها من الصلاة على النبي فكأنَّ الصحابة كانوا - كما قال إبراهيم النخعي - يكتفون بالتشهد والسلام عليك أَيُّهَا النَّبِيُّ ورحمة الله.

ولقد اختلفت الأئمة في وجوب الصلاة على النبي! في الصلاة المفروضة فأبو حنيفة وأصحابه لا يوجبونها فيها. وأمَّا الشافعي فقد جعلها شرطاً! وفي «البحر الزاخر» لابن نجيم: وأمَّا موجب الأمر في قوله تعالى: **صَلُّوا عَلَيَّ** فهو افتراضها في العمر مرة واحدة في

الصلاة أو خارجها، لأن الأمر لا يقتضي التكرار وهذا بلا خلاف. وقد قال بذلك السرخي في «المبسوط» وابن همّام في شرح «فتح القدير»، والقسطلاني في «إرشاد الساري». وقال القاضي عياض في «الشفاء». وقد شدّد الشافعي فقال: من لم يصلّ عليه فضلاته فاسدة، ولا سلطان له في هذا القول ولا سنة يتبعها، وشنع عليه في ذلك جماعة منهم الطبري والقشيري. وخالفه من أهل مذهبه الخطابي فقال: إنها ليست بواجبة ولا أعلم له فيها قدوة. والتشّهّدات المرويّات عن الصحابة لم يذكر فيها ذلك. أمّا حديث لا صلاة لمن لم يصلّ عليّ فقد ضعّفه أهل الحديث. وحديث ابن مسعود من صلّى صلاة لم يصلّ فيها عليّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه فقد قال الدار قطني: إنّه من قول أبي جعفر محمد الباقر بن عليّ بن الحسين. ونصّ قوله لو صلّيت صلاة لم أصلّ فيها على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنّها لا تيمّ.

كان هذا تفصيل كلام الشيخ محمود أبو ريّة. ومع أنّه من العامّة إلّا أنّنا نلاحظ كيف يضعف أساس الأحاديث المنقولة عن العامّة. من هنا، فإنّ أحاديثهم لاتستند على دعامة قويّة.

وتحامل عليه محمد عجّاج الخطيب وتهجم في كتاب «السنة قبل التدوين» ص ١٣٨ إلى ١٤٠، في سياق الأحاديث المنقولة بالمعنى. وسماه مفترياً ومدّعياً بلا برهان. ونقل مطالب من كتاب «الأنوار الكاشفة» ص ٨٣ لمؤلفه عبدالرحمن بن يحيى المعلميّ اليمانيّ الذي ألفه ردّاً على كتاب «الأضواء»، ومن كتاب «ظلمات أبي ريّة» لمحمد عبدالرزاق حمزة، ص ٦٨ إلى ٩٩، وقد ألفه ردّاً على الشيخ محمود أيضاً. وهذه المطالب لا تقاس بكلام أبي ريّة ومؤاخذاته أبداً. وما هي إلّا هفوات لاتقيم برهاناً أمام استدلاله المتين على أصل ضعف الأحاديث الواردة في «صحيح البخاريّ» و«صحيح مسلم» وسائر صحاح العامّة وسننهم ومسانيدهم.

قال في هامش ص ١٣٨: افتتح أبو ريّة موضوعه هذا فقال: يحسب الذين لاخبرة لهم بالعلم، ولا علم عندهم بالخبرة أنّ أحاديث الرسول التي يقرأونها في الكتب، أو يسمعونها ممن يتحدّثون بها قد جاءت صحيحة المبني محكمة التأليف، وأنّ ألفاظها قد وصلت إلى الرواة مصونّة كما نطق النبيّ بها، بلا تحريف ولا تبديل، وكذلك يحسبون أنّ الصحابة ومن جاء بعدهم ممن حملوا عنهم إلى زمن التدوين قد نقلوا هذه الأحاديث بنصّها كما

سمعوها، وأدوها على وجهها كما لقنوها، فلم ينلها تغير ولا اعتراضها تبديل، ومما وقر في أذهان الناس أنّ هؤلاء الرواة قد كانوا جميعاً صنفاً خاصاً بين بني آدم في جودة الحفظ وكمال الضبط وسلامة الذاكرة... ولقد كان ولا جرم لهذا الفهم أثر بالغ في أفكار شيوخ الدين - إلاّ من عَصَمَ رَبُّكَ - فاعتقدوا أنّ هذه الأحاديث في منزلة آيات الكتاب العزيز، من وجوب التسليم بها، وفرض الإذعان لأحكامها، بحيث يَأْثَمُ أو يَرْتَدُّ أو يَفْسُقُ من خالفها، ويستتاب من أنكرها أو شكّ فيها.

انظر: «أضواء على السنّة المحمّديّة»، ص ٥٤، ولا مجال للرّد على فريته هذه هنا، وسيظهر لنا اهتمام النقاد والرواة وضبطهم في الفصول التالية من هذا الكتاب.

ولقد أنعمتُ النظر كثيراً في جميع مطالبه المذكورة في كتابه الذي يربو على خمسمائة صفحة فلم أعثر على كلام رصين ومنطق محكم يمكن أن يصمد أمام منطق أبي ريّة. وها أنّي أترك الدور لكم فابحثوا وقفوا على وهن كلامه! وأما التّشّهّدات التسعة التي نقلها محمّد عجّاج ثمانية خطأ، فإنّ الجواب الذي أتى به من عبدالرحمن اليمانيّ في «الأنوار الكاشفة في الرّد على أبي ريّة» هو: هذه التّشّهّدات كلّها صحيحة وكان النبيّ يعلم أصحابه التّشّهّد بألفاظ مختلفة، (ص ١٤٠). وقال في هامش هذه الصفحة بعد إشكال أبي ريّة على تعدّد التّشّهّد (انظر: «أضواء على السنّة» ص ٦٣): إنّه يريد أن يشكّكنا حتّى فيما نتعبّد به وفيما ثبت متواتراً. والرّد على أبي ريّة وعلى دعواه في طيّ عبارته. فلو تجرّد وانطلق إلى أفق أوسع من أفقه ما استغرب تعدّد هذه الصيغ ولا فتح على المسلمين باب الشكّ والريبة ولا شكّك في الصحابة حفظة الشريعة وحرّاسها.

أجل، إنّ بطلان جواب اليمانيّ حول تعدّد ألفاظ التّشّهّد المُجزية كلّها، والتي أيدها محمّد عجّاج، أمر واضح بيّن، ذلك أنّ الذي يستبين من سيرة العامة وتأريخهم أنّهم كانوا يرون أنّ تشهّداً خاصاً واحداً مُجزٍ، وغيره باطل. فلماذا أخذ كلّ مذهب بتشّهّد واحد بخصوصه. ولو قدر أنّ مطلق التّشّهّد يكفي، وأنّ التّشّهّدات جميعها صحيحة ومُجزية عندهم، لما كان لهذا الصراع وجود موضوعي. وكلام عمر على المنبر، وكلام أبي موسى الأشعريّ، وغيرهما يدلّ على إلزام المأمومين بتشّهّد واحد كانوا يقرأونه وقد سمعوه من النبيّ، وغيره لايجزي والصلاة به باطله.



الميت ولم يعلمواكم تكبيرة واجبة فيها،<sup>١</sup> مع أنهم كانوا ملازمين للنبي صلى الله وآله ويأتمون به في الصف الأول. أو أنهم كانوا يصلون مع

١\* - وكنا لا نكتب إلا القرآن والتشهد. «تقييد العلم» للخطيب البغدادي، ص ٩٣. .  
 \*\* - عن حطان بن عبد الله الرقاشي قال: صليت مع أبي موسى الأشعري وبعد الصلاة قال: أما تعلمون كيف تقولون في صلاتكم؟! إن رسول الله خطبنا فبين لنا سُنَّنا، وعلمنا صلاتنا وذكر التشهد، فإذا هو التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ ... إلى آخره، «صحيح مسلم» ج ٢، ص ١٣.

\*\*\* - «المغني»؛ و«الشرح الكبير» ج ١، ص ٥٧٥.  
 \*\*\*\* - هذا ما أمكن إحصاؤه من التشهدات ولم يتفق أئمة الفقه على تشهد واحد منها، بل اختلفوا فيها، فاختر أبو حنيفة وأحمد تشهد ابن مسعود. واختار مالك تشهد عمر بن الخطاب، واختار الشافعي تشهد ابن عباس.  
 \*\*\*\*\* - «الشفاء» ج ٢، ص ٥٥.

١- قال آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي في كتاب «النص والاجتهاد» ص ٢١٢، المورد ٢٧، الطبعة الثانية، في بيان مخالفات عمر لنصوص النبي صلى الله عليه وآله: وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله كان يكبر على الجنائز خمساً، لكن الخليفة الثاني رافقه أن يكون التكبير في الصلاة عليها أربعاً، فجمع الناس على الأربع. نص على ذلك جماعة من أعلام الأمة كالسيوطي (نقلًا عن العسكري) حيث ذكر أوليات عمر من كتابه «تاريخ الخلفاء»، وابن الشحنة، حيث ذكر وفاة عمر سنة ٢٣ من كتابه «روضة المناظر» المطبوع في هامش «تاريخ ابن الأثير» وغيرهما من أثبات المتبعين. وحسبك ما في كتاب «الديمقراطية» لمؤلفه الأستاذ خالد محمد خالد مما أوردناه آنفاً في مبحث الطلاق الثلاث فراجع. وقد أخرج الإمام أحمد من حديث زيد بن أرقم عن عبد الأعلى، قال: صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبر خمساً. فقام إليه أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى فأخذ بيده، فقال: أنسيت؟ قال: لا، ولكني صليت خلف أبي القاسم خليلي صلى الله عليه وآله فكبر خمساً، فلا أتركه أبداً - انتهى.\* («مسند الإمام أحمد بن حنبل» ج ٤، ص ٣٧٠).

قلت: وصلى زيد بن أرقم على سعد بن جبيرة المعروف بسعد بن حبه وهي أمه، وهو من الصحابة، فكبر على جنازته خمساً، فيما رواه ابن حجر في ترجمة سعد من إصابته. ورواه ابن قتيبة في أحوال أبي يوسف من معارفه. وكان سعد هذا جد أبي يوسف القاضي.

نبيهم على موتى المسلمين مراراً . ولكن لما لم يكن هناك باعث على الحفظ أو التدوين ، أو أنّ الصَّفَقَ في الأسواقِ قد شغلهم ، لذا لم يبق عندهم مجال لتنظيم شؤونهم العبادية والدينية وضبطها وتثبيتها .

أجل ، لقد سلك العامة وأهل السنة مسلكهم ، وقصّروا ، بل تقاعسوا وتكاسلوا في أمر التدوين حتى رأوا أنّ السيف قد سبق العَدَل ، وأنّ سنة رسول الله صلّى الله عليه وآله التي خالوا أنّهم أولو الأمر عليها قد اندثرت . لهذا أُجبروا وفقاً لضرورة التأريخ على اتباع الشيعة في تدوين السنة والتصنيف فيها . وقد تأخر هذا الموضوع ، كما رأينا أنّهم قد اشتغلوا فيه إبان منتصف القرن الثاني الهجريّ . أي : تأخروا عن تدوين الكتب الأولى للسنة قرناً ونصف ، لذلك تخلّف العامة عن الخاصة قرناً ونصف في تدوين السنة والعلوم النبوية . وقد أدى هذا التخلف والتأخير في التدوين وما نتج عنه من آثار سيئة ذميمة إلى اختلاف مذاهب العامة حتى اضطروا إلى حصرها وتصفيدها في أربعة مذاهب .

قال العالم الخبير والباحث الجليل القدير آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ :

١ - إنّ أولي الألباب ليعلمون بالضرورة انقطاع الشيعة الإمامية خلفاً عن سلف في أصول الدين وفروعه إلى العترة الطاهرة . فرأى بهم تبج لرأي الأئمة من العترة في الفروع والأصول وسائر ما يؤخذ من الكتاب والسنة أو يتعلّق بهما من جميع العلوم لا يعولون في شيء من ذلك إلا عليهم ، ولا يرجعون فيه إلا إليهم ، فهم يدينون الله تعالى ، ويتقرّبون إليه سبحانه بمذهب أئمة أهل البيت ، لا يجدون عنه حِوَالاً ولا يرتضون بدلاً .

على ذلك مضى سلفهم الصالح من عهد أمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة التسعة من ذرية الحسين عليه السلام إلى زماننا هذا . وقد

أخذ الفروع والأصول عن كل واحد منهم جم من ثقات الشيعة وحفاظهم وافر ، وعدد من أهل الورع والضبط والإتقان يربو على التواتر . فرووا ذلك لمن بعدهم على سبيل التواتر القطعي ، ومن بعدهم رواه لمن بعده على هذا السبيل . وهكذا كان الأمر في كل خلف وجيل ، إلى أن انتهى إلينا كالشمس الضاحية ليس دونها حجاب . فنحن الآن في الفروع والأصول على ما كان عليه الأئمة من آل الرسول ، روينا بقضنا وقضيضنا مذهبهم عن جميع آبائنا . وروى جميع آبائنا ذلك عن جميع آبائهم . وهكذا كانت الحال في جميع الأجيال إلى زمن النَّقِيِّينِ الْعَسْكَرِيِّينِ ، وَالرُّضَائِيِّينِ الْجَوَادِيِّينِ ، وَالكَاطِمِينَ الصَّادِقِينَ ، وَالْعَابِدِينَ الْبَاقِرِينَ ، وَالسَّبْطِينَ الشَّهِيدِينَ ، وَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

فلا نحيط الآن بمن صحب أئمة أهل البيت من سلف الشيعة ، فسمع أحكام الدين منهم ، وحمل علوم الإسلام عنهم . وإنّ الوسع ليضيق عن استقصائهم وعددهم . وحسبك ما خرج من أقلام أعلامهم من المؤلفات الممتعة التي لا يمكن استيفاء عدّها في هذا الإملاء ! وقد اقتبسوها من نور أئمة الهدى من آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم واغترفوها من بحورهم ، سمعوها من أفواههم ، وأخذوها من شفاههم . فهي ديوان علمهم ، وعنوان حكمهم ، ألّفت على عهدهم فكانت مرجع الشيعة من بعدهم . وبها ظهر امتياز مذهب أهل البيت على غيره من مذاهب المسلمين . فإنّا لا نعرف أنّ أحداً من مقلّدي الأئمة الأربعة مثلاً ألّف على عهدهم كتاباً في أحد مذاهبهم . وإنّما ألّف الناس على مذاهبهم فأكثروا بعد انقضاء زمنهم وذلك حيث تقرّر حصر التقليد فيهم ، وقصر الإمامة في الفروع عليهم ، وكانوا أيّام حياتهم كسائر من عاصروهم من الفقهاء والمحدّثين ، لم يكن لهم امتياز على من كان في طبقتهم . ولذلك لم يكن

على عهدهم من يهتم بتدوين أقوالهم ، اهتمام الشيعة بتدوين أقوال أئمتها المعصومين - على رأيها - فإن الشيعة من أول نشأتها لا تبيح الرجوع في الدين إلى غير أئمتها ، ولذلك عكفت هذا العكوف عليهم ، وانقطعت في أخذ أخذ معالم الدين إليهم . وقد بذلت الوسع والطاقة في تدوين كل ما شافهوها به ، واستفرغت الهمم والعزائم في ذلك بما لا مزيد عليه ، حفظاً للعلم الذي لا يصحّ - على رأيها - عند الله سواه .

وحسبك ممّا كتبوه أيام الصادق عليه السلام تلك الأصول الأربعمئة ، وهي أربعمئة مصنّف لأربعمئة مصنّف ، كتبت من فتاوى الصادق على عهده . ولأصحاب الصادق غيرها هو أضعافها ، كما ستستمع تفصيله قريباً إن شاء الله تعالى .

أمّا الأئمة الأربعة فليس لهم عند أحدٍ من الناس منزلة أئمة أهل البيت عند شيعتهم ، بل لم يكونوا أيام حياتهم بالمنزلة التي تبوأوها بعد وفاتهم ، كما صرح به ابن خلدون المغربي في الفصل الذي عقده لعلم الفقه من مقدمته الشهيرة . واعترف به غير واحد من أعلامهم .

ونحن مع ذلك لا نرتاب في أنّ مذاهبهم إنّما هي مذاهب أتباعهم التي عليها مدار عملهم في كلّ جيل . وقد دونوها في كتبهم ، لأنّ أتباعهم أعرف بمذاهبهم ، كما أنّ الشيعة أعرف بمذهب أئمتهم الذي يدنون الله بالعمل على مقتضاه ، ولا تتحقّق منهم نيّة القرية إلى الله بسواه .

٢ - وإنّ الباحثين ليعلمون بالبداهة تقدّم الشيعة في تدوين العلوم على من سواهم ، إذ لم يتصدّد لذلك في العصر الأوّل غير عليّ وأولي العلم من شيعته . ولعلّ السرّ في ذلك اختلاف الصحابة في إباحة كتابة العلم وعدمها . فكرهها - كما عن العسقلانيّ في مقدّمة «فتح الباري» وغيره - عمر بن الخطّاب وجماعة آخرون ، خشية أن يختلط الحديث في الكتاب . وأباحه

عليّ وخلفه الحسن السبط المجتبي وجماعة من الصحابة . وبقي الأمر على هذه الحال حتى أجمع أهل القرن الثاني في آخر عصر التابعين على إباحته .  
 وحينئذٍ ألف ابن جريح كتابه في الآثار عن مجاهد وعطاء بمكة .  
 وعن الغزاليّ أنّه أول كتاب صُنّف في الإسلام . والصواب أنّه أول كتاب صنفه غير الشيعة من المسلمين . وبعده كتاب معتمر بن راشد الصنعانيّ باليمن . ثمّ «موطأ مالك» . وعن مقدّمة «فتح الباري» أنّ الربيع بن صبيح أول من جمع . وكان في آخر عصر التابعين . وعلى كلّ ، فالإجماع منعقد على أنّه ليس لهم في العصر الأوّل تأليف .  
 أمّا عليّ وشيعته ، فقد تصدّوا لذلك في العصر الأوّل . وأوّل شيءٍ دوّنه أمير المؤمنين كتاب الله عزّ وجلّ .

وأسهب السيّد شرف الدين هنا في الحديث عن قرآن أمير المؤمنين ، ومصحف فاطمة ،<sup>١</sup> وصحيفة الديات التي دوّنت بيده المباركة . وبعد ذلك ذكر مؤلّف في الشيعة في عصره كسلمان ، وأبي ذرّ الغفاريّ على ما نقل ابن شهر آشوب . كما ذكر أبا رافع ، وعليّ بن أبي

١- يُستفاد من كلام آية الله السيّد محسن الأمين العامليّ أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام كان لها خطّ ، وأنّ مصحفها كان بخطّ بدها . قال في سياق مسائل طرحها: هل كانت السيّدة فاطمة عليها السلام ، سائر نساء العترة الطاهرة أمّيات أو لا !! وهل يقضي العقل بعصمتهنّ قولاً وفعلاً؟! الجواب: يظهر من بعض الأخبار أنّ السيّدة فاطمة عليها السلام لم تكن أمّيةً ، وذلك قول الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام لبعض ولد الحسن عليه السلام لما أجاب الصادق عن مسألة غامضة سأله عنها أمير المدينة بأمر خليفة الوقت العباسيّ: من أين علمت هذا! قال: قرأت في كتاب أمك فاطمة . ولعلّ المتتبع يعثر على غير هذا . أمّا سائر نساء العترة فيجوز أن يكون فيهنّ الأمّية وغيرها . وحالهنّ في ذلك حال سائر نساء الأمّة . أمّا العصمة فليست ثابتة لغير البضعة الزهراء عليها السلام . («معادن الجواهر ونزهة الخواطر» ج ١ ، ص ٤١٧ ، مسألة ٥).

رافع ، وعبيد الله بن أبي رافع ، وربيعه بن سميع ، وعبد الله بن الحرّ الفارسيّ ، والأصبغ بن نباتة ، وسُلَيْم بن قيس الهلاليّ .<sup>١</sup> ثمّ دخل في الحديث عن المؤلّفين من الطبقة الثانية ، فقال :

٣- وأما مؤلّفوا سلفنا من أهل الطبقة الثانية - طبقة التابعين - فإنّ مراجعتنا هذه لتضيّق عن بيانهم . والمرجع في معرفتهم ومعرفة مصنّفاتهم وأسانيدها إليهم على التفصيل إنّما هو فهرس علمائنا ومؤلّفاتهم في تراجم الرجال .

سطع - أيّام تلك الطبقة - نور أهل البيت ، وكان قبلها محجوباً بسحائب ظلم الظالمين ، لأنّ فاجعة الطفّ فضحت أعداء آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وأسقطتهم من أنظار أولي الألباب ، ولفتت وجوه الباحثين إلى مصائب أهل البيت منذ فقدوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، واضطّرتّ الناس بقوارعها الفادحة إلى البحث عن أساسها ، وحملتهم على التنقيب عن أسبابها ، فعرفوا جذرتها وبذرتها . وبذلك نهض أول الحميّة من المسلمين إلى حفظ مقام أهل البيت والانتصار لهم ، لأنّ الطبيعة لبشريّة تنتصر بجبلتها للمظلوم ، وتنفر من الظالم . وكانّ المسلمين بعد تلك الفاجعة دخلوا في دور جديد ، فاندفعوا إلى مولاة الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين ، وانقطعوا إليه في فروع الدين وأصوله ، وفي كلّ ما يؤخذ من الكتاب والسنة من سائر الفنون الإسلاميّة ، وفزعوا من بعده إلى ابنه الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام .

١- تحدّثنا بصورة وافية عن كتب أميرالمؤمنين عليه السلام وشيعته المعاصرين له في الجزء (١٤) من كتابنا هذا، الدرس ١٩٦ إلى ٢٠٠، والدرس ٢٠١ إلى ٢١٠؛ وكذلك في ج (١٥)، الدرس ٢١١ إلى ٢٢٥.

وكان أصحاب هذين الإمامين «العابدَيْنِ الباقرين» من سلف الإمامية ألوفاً مؤلفة لا يمكن إحصاؤهم ، لكن الذين دَوَّنت أسماؤهم وأحوالهم في كتب التراجم من حملة العلم عنهما يقاربون أربعة آلاف بطل ، ومصنفاتهم تقارب عشرة آلاف كتاب أو تزيد ، رواها أصحابنا في كلِّ خَلْفٍ عنهم بالأسانيد الصحيحة . وفاز جماعة من أعلام أولئك الأبطال بخدمتهما وخدمة بقيتهما الإمام الصادق عليه السلام . وكان الحظُّ الأوفر لجماعة منهم فازوا بالقدح المعلى علماً وعملاً .

فمنهم : أبو سعيد أبان بن تَغْلِبِ بن رِبَاحِ الجَرِيرِيِّ القَارِيِّ الفقيه المحدث المفسر الأصولي اللغوي المشهور . كان من أوثق الناس . لقي الأئمة الثلاثة (السجاد ، والباقر ، والصادق عليهم السلام) فروى عنهم علوماً جمّة ، وأحاديث كثيرة . وحسبك أنه روى عن الصادق خاصّة ثلاثين ألف حديث ، كما أخرج الميرزا محمّد في ترجمة أبان من كتاب «منتهى المقال» بالإسناد إلى أبان بن عثمان عن الصادق عليه السلام . وكان له عندهم حظوة وقدم .

قال له الباقر عليه السلام ، وهما في المدينة الطيبة : اجلس في المَسْجِدِ وَأَفْتِ النَّاسَ ! فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ يُرَى فِي شِيعَتِي مِثْلَكَ !  
وقال له الصادق عليه السلام : نَاطِرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ! فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِثْلَكَ مِنْ رُوَاتِي وَرِجَالِي !

وكان إذا قدم المدينة تقوّضت إليه الخلق ، وأُخليت له سارية النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وقال الصادق عليه السلام لسليم بن أبي حَبَّة : أَنْتَ أَبَانُ بَنِ تَغْلِبِ فَإِنَّهُ سَمِعَ مِنِّي حَدِيثًا كَثِيرًا ! فَمَا رَوَى لَكَ فَارَوْهُ عَنِّي ! وقال

١- نصّ على ذلك أئمة الفنّ كالشيخ البهائي في وجيزته ، وغير واحد من أعلام الأئمة .

عليه السلام لأبان بن عثمان : **إِنَّ أَبَانَ بْنَ تَغْلِبَ رَوَى عَنِّي ثَلَاثِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ فَازَوْهَا عَنْهُ .**

وكان إذا دخل أبان على الصادق يعانقه ويصافحه ، ويأمر بوسادة تثنى له ، ويُقبل عليه بكله . ولَمَّا نُعي إليه قال عليه السلام : **أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ أُوجِعَ قَلْبِي مَوْتُ أَبَانَ .** وكانت وفاته سنة إحدى وأربعين ومائة .  
ولأبان روايات عن أنس بن مالك ، والأعمش ، ومحمد بن المنكدر ، وسماك بن حرب ، وإبراهيم النخعي ، وفضيل بن عمرو ، والحكم . وقد احتج به مسلم وأصحاب السنن الأربعة كما بيناه ، إذ أوردناه في المراجعة ١٦ . ولا يضره عدم احتجاج البخاري به ، فإن له أسوة بأئمة أهل البيت ، الصادق ، والكاظم ، والرضا ، والجواد التقي ، والهادي النقي ، والحسن العسكري الزكي ، إذ لم يحتج بهم ، بل لم يحتج بالسبط الأكبر سيد شباب أهل الجنة .

نعم ، احتج بمروان بن الحكم ، وعمران بن حطان ، وعكرمة البربري ، وغيرهم من أمثالهم **فَانَا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ .**  
ولأبان مصنفات ممتعة ، منها كتاب تفسير «غريب القرآن الكريم» أكثر فيه من شعر العرب شواهد على ما جاء في الكتاب الحكيم . وقد جاء فيما بعد عبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي ، فجمع من كتاب أبان ، ومحمد بن السائب الكلبي ، وابن روق عطية بن الحارث ، فجعله كتاباً واحداً بين ما اختلفوا فيه ، وما اتفقوا عليه . فتارة يجيء كتاب أبان مفرداً ، وتارة يجيء مشتركاً على ما عمله عبد الرحمن . وقد روى أصحابنا كلاً من الكتابين بالأسانيد المعتبرة ، والطرق المختلفة . ولأبان كتاب «الفضائل» ، وكتاب «صفيين» . وله أصل من الأصول التي تعتمد عليها الإمامية في أحكامها الشرعية ، وقد روت جميع كتبه بالإسناد إليه والتفصيل في كتب



الرجال .

ومنهم : أبو حمزة الشمالي ثابت بن دينار. كان من ثقات سلفنا الصالح وأعلامهم ، أخذ العلم عن الأئمة الثلاثة : الصادق ، والباقر ، وزين العابدين عليهم السلام . وكان منقطعاً إليهم ، مقرباً عندهم . أثنى عليه الصادق ، فقال عليه السلام : **أَبُو حَمَزَةَ فِي زَمَانِهِ مِثْلُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ فِي زَمَانِهِ** . وعن الرضا عليه السلام : **أَبُو حَمَزَةَ فِي زَمَانِهِ كَلْقَمَانَ فِي زَمَانِهِ** . له كتاب تفسير القرآن . رأيت الإمام الطبرسي ينقل عنه في تفسيره «مجمع البيان» .<sup>١</sup> وله كتاب «النوادر» ، وكتاب «الزهد» ، ورسالة الحقوق .<sup>٢</sup> رواها عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام . وروى عنه دعاءه في السحر ، وهو أسنى من الشمس والقمر . وله رواية عن أنس ، والشعبي . وروى عنه وكيع ، وأبو نعيم ، وجماعة من أهل تلك الطبقة من أصحابنا وغيرهم ، كما بيّناه في أحواله في المراجعة ١٦ . وهناك أبطال لم يدركوا الإمام زين العابدين ، وإنما فازوا بخدمة الباقرين الصادقين عليهما السلام .

فمنهم : **أَبُو الْقَاسِمِ بَرِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْعَجَلِيُّ** ، **وَأَبُو بَصِيرِ الْأَصْغَرِ لَيْثُ بْنُ مُرَادِ الْبَخْتَرِيِّ الْمُرَادِيِّ** ، **وَأَبُو الْحَسَنِ زُرَّارَةُ بْنُ أَعْيُنَ** ،<sup>٣</sup> **وَأَبُو جَعْفَرٍ**

١- قال في الهامش: راجع من «مجمع البيان» تفسير قوله تعالى: **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** من سورة الشورى تجده ينقل عن تفسير أبي حمزة .  
٢- وقد روى أصحابنا كتب أبي حمزة كلها بأسانيدهم إليه ، و التفصيل في كتب الرجال . و اختصر سيدنا الحجّة السيّد صدر الدين الموسوي رسالة الحقوق ، و طبعها كرسالة مختصرة ليحفظها نشء المسلمين . وقد أجاد إلى الغاية متّع الله المسلمين بجميل رعايته ، و جليل عنايته .

٣- قال المحدث القمي في «تتمّة المنتهى» الطبعة الثالثة ص ١٦٨ إلى ١٧٠ (ما

تعريبه): وتوفي أيضاً الثقة الجليل زراة بن أعين بن سُئسن سنة ١٥٠ هـ. وجلالة قدره وكثرة علمه أكثر من أن يذكر. وتُقل أن الصادق عليه السلام قال فيه: **لولا زرارة لقلت إن أحاديث أبي ستهذب**. ونقل عن زرارة نفسه أنه كان يقول: يزيد إيماني بكلّ كلام أسمع من أبي عبدالله عليه السلام (الإمام الصادق). وعن الثقة الجليل ابن أبي عمير أنه قال لجميل بن درّاج: ما أبهى محضرك وأحسن مجلسك! قال: بلى، ولكن تالله فنحن عند زرارة كالأطفال عند الأستاذ. وقال أبو غالب الزراريّ في رسالة كتبها إلى حفيده محمّد بن عبدالله: روي أن زرارة كان وسيماً جسيماً أبيض اللون. وحين كان يذهب إلى صلاة الجمعة كان على رأسه بُرنس، وعلى جبهته أثر السجود ويده عصا، والناس كانوا يهابونه ويصطفّون وينظرون إلى حسن هيئته وجماله. وكان متفوّقاً في الجدل والخصام في الكلام ولم يقدر أحد على أن يغلبه في المناظره إلا أن كثرة العبادة منعتة من الكلام. وكان متكلمو الشيعة في سلك تلاميذه. عمّر سبعين سنة (تسعين سنة في النسخة البدل). ولأل أعين فضائل جمّة، وما روي في حقّهم أكثر من أن أكتبه لك - انتهى.

وبالجملة، كان بيت أعين من البيوت الشريفة وأغلبهم من أهل الحديث والفقهاء والكلام وتُقلت عنهم أصول تصانيف وروايات كثيرة. وكان لزرارة أولاد منهم رومي وعبدالله، وكلاهما من ثقات الرواة. ومنهم حسن وحسين اللذان دعا لهما الصادق عليه السلام فقال: **أحاطهما الله وكلاهما ورعاهما وحفظهما بصلاح أبيهما كما حفظ الغلامين**. وكان له إخوة أيضاً. أحدهم حمران الذي شهد الصادقان عليهما السلام له بالإيمان في أخبار مأثورة. وقال له باقر العلوم عليه السلام: **أنت من شيعتنا في الدنيا والآخرة**. وفي رواية أنه كان من حوارى الصادقين عليهما السلام. وأولاده حمزة ومحمّد وعقبة كانوا جميعهم من أهل الحديث. والآخر بكبير الذي قال فيه الصادق عليه السلام حين نعي إليه: **والله لقد أنزله الله بين رسوله وبين في نسخة أمير المؤمنين صلوات الله عليهما**. وفي رواية أيضاً أنه كان من حوارى الصادقين. وكان له ستّة أولاد ذكورهم عبدالله، وجهم، وعبد الحميد، وعبد الأعلى، وعمرو، وزيد، وعبدالله الذي كان من الثقات ومن أصحاب الإجماع رغم أنه كان فطحى المذهب. وكان أولاد جهم من كبار أهل الحديث وأصحاب التصنيف منهم: الحسن الثقة العدل، وابنه سليمان جدّ أبي غالب الزراريّ. وهو أوّل من نُسب إلى زُرارة من آل زرارة. وقد لقّبه الإمام عليّ الهاديّ عليه السلام بالزراريّ. والأخ الآخر لزرارة عبدالرحمن

مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ رَبَاحِ الْكُوفِيِّ الطَّائِفِيِّ الثَّقَفِيِّ، وجماعة من أعلام الهدى ومصابيح الدجى، لأيسع المقام استقصاءهم.

أما هؤلاء الأربعة فقد نالوا الزلفى، وفازوا بالقدح المعلى، والمقام الأسمى، حتى قال فيهم الصادق عليه السلام وقد ذكرهم:

هَؤُلَاءِ وَأُمْنَاءُ اللَّهِ عَلَى حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ. وَقَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحْيَاءً ذَكَرْنَا إِلَّا زُرَّارَةً، وَأَبُو بَصِيرٍ لَيْثٌ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَبُرَيْدٌ. وَلَوْلَا هَؤُلَاءِ مَا كَانَ أَحَدٌ يَسْتَنْبِطُ هَذَا. ثُمَّ قَالَ: هَؤُلَاءِ حُفَاظُ الدِّينِ وَأُمْنَاءُ أَبِي عَلَى حَلَالِ اللَّهِ وَحَرَامِهِ، وَهُمْ السَّابِقُونَ إِلَيْنَا فِي الدُّنْيَا، وَالسَّابِقُونَ إِلَيْنَا فِي الآخِرَةِ. وقال عليه السلام: بَشَّرَ الْمُحِبِّينَ بِالْجَنَّةِ - ثُمَّ ذَكَرَ الْأَرْبَعَةَ.

وقال في كلام طويل ذكرهم فيه: كَانَ أَبِي اتَّمَنَّهُمْ عَلَى حَلَالِ اللَّهِ وَحَرَامِهِ، وَكَانُوا عَيْبَةَ عِلْمِهِ، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ هُمْ عِنْدِي مُسْتَوْدَعُ سِرِّي، وَأَصْحَابُ أَبِي حَقًّا، وَهُمْ نُجُومُ شِيعَتِي أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتًا. بِهِمْ يَكْشَفُ اللَّهُ كُلَّ بِدْعَةٍ، وَيَنْفُونَ عَنِ هَذَا الدِّينِ انْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْغَالِبِينَ - انتهى.

إلى غير ذلك من كلماته الشريفة التي أثبتت لهم من الفضل والشرف والكرامة والولاية ما لا تسع بيانه عبارة. ومع ذلك فقد رماهم أعداء أهل البيت بكلِّ إفك مبین. كما فصلناه في كتابنا «مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام». وليس ذلك بقادح في سموّ مقامهم، وعظيم خطرهم عند الله ورسوله والمؤمنين، كما أنّ حسدة الأنبياء مازادوا أنبياء الله إلا رفعةً، ولا أثروا في شرائعهم إلا انتشاراً عند أهل الحق، وقبولاً في نفوس أولي الألباب.

الذي شهد المشايخ باستقامته. وعبد الملك الذي رُوي أنّ الصادق عليه السلام زار قبره وترحم عليه؛ وابنه ضريس من ثقات الرواة.

وقد انتشر العلم في أيام الصادق عليه السلام بما لا مزيد عليه ، وهرع إليه شيعة آباءه عليهم السلام من كل فج عميق . فأقبل عليهم بانبساطه ، واسترسل إليهم بأنسه ، ولم يأل جهداً في تثقيفهم ، ولم يدخر وسعاً في إيقافهم على أسرار العلوم ، ودقائق الحكمة ، وحقائق الأمور ، كما اعترف به أبو الفتح الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل» ، حيث ذكر الصادق عليه السلام ،<sup>١</sup> فقال :

وَهُوَ ذُو عِلْمٍ غَزِيرٍ فِي الدِّينِ ، وَأَدَبٍ كَامِلٍ فِي الْحِكْمَةِ ، وَزُهْدٍ بَالِغٍ فِي الدُّنْيَا ، وَوَرَعٍ تَامٍّ عَنِ الشَّهَوَاتِ .

قَالَ : وَقَدْ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ مُدَّةً يُفِيدُ الشَّيْعَةَ الْمُتَمَتِّينَ إِلَيْهِ ، وَيُفِيضُ عَلَى الْمُؤَلِّينَ لَهُ أَسْرَارَ الْعُلُومِ . ثُمَّ دَخَلَ الْعِرَاقَ وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً . مَا تَعَرَّضَ لِلْإِمَامَةِ - أَي : لِلسُّلْطَنَةِ - قَطُّ ، وَلَا نَازَعَ أَحَدًا فِي الْخِلَافَةِ .

قَالَ : وَمَنْ غَرِقَ فِي بَحْرِ الْمَعْرِفَةِ لَمْ يَطْمَعْ فِي شَطِّ ، وَمَنْ تَعَلَّى إِلَى ذُرْوَةِ الْحَقِيقَةِ لَمْ يَخَفْ مِنْ حَطِّ - إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ .<sup>٢</sup>

وهنا قال آية الله السيد شرف الدين بالمناسبة : وَالْحَقُّ يُنْطِقُ مُنْصِفًا

وَعَنِيدًا .

نبغ من أصحاب الصادق عليه السلام جم غفير ، وعدد كثير ، كانوا

١- عند ذكره الباقرية والجعفرية من فرق الشيعة من كتابه «الملل والنحل».

٢- وآخر كلامه الشهرستاني : وَقِيلَ : مَنْ أَنَسَ بِاللَّهِ تَوَحَّشَ عَنِ النَّاسِ ، وَمَنْ اسْتَأْنَسَ بِغَيْرِ اللَّهِ شَبَّهَهُ الْوَسْوَاسُ . وذكرنا لفظه نفسه في ج ٨ من كتابنا هذا «معرفة الإمام» ، الدرس ١١٨ إلى ١٢٠ ، نقلاً عن كتاب «الملل والنحل» المطبوع في هامش كتاب «الفصل» لابن حزم ، ص ج ١ ، ص ٢٢٤ ، وج ٢ ، ص ٢ ، طبعة مصر ، سنة ١٣١٧ هـ . لهذا أوردناه هنا لأنه كان في تضاعيف كلام السيد شرف الدين وكان شاهد كلامه من أجل أن يتبين كلام هذا الرجل الرباني تماماً .

أئمة هُدى ، ومصاييح دجى ، وبحار علم ، ونجوم هداية . والذين دوّنت أسماؤهم وأحوالهم في كتب التراجم منهم أربعة آلاف رجل من العراق والحجاز وفارس وسوريا . وهم أولو مصنفات مشهورة لدى علماء الإمامية ، ومن جملتها الأصول الأربعمئة ، وهي - كما ذكرناه سابقاً - أربعمئة مصنف لأربعمئة مصنف كُتبت من فتاوى الصادق عليه السلام على عهده . فكان عليها مدار العلم والعمل من بعده ، حتى لخصها جماعة من أعلام الأمة ، وسفراء الأئمة في كتب خاصة ، تسهياً للطالب ، وتقريباً على المتناول .

وأحسن ما جُمع منها الكتب الأربعة التي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم من الصدر الأوّل إلى هذا الزمان ، وهي «الكافي» ، و«التهذيب» ، و«الاستبصار» ، و«من لا يحضره الفقيه» . وهي متواترة ومضامينها مقطوع بصحتها . و«الكافي» أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها . وفيه ستة عشر ألف ومائة وتسعة وتسعون حديثاً ، وهي أكثر مما اشتملت عليه الصحاح الستة بأجمعها ، كما صرّح به الشهيد في «الذّكرى» ، وغير واحد من الأعلام .

وألف هشام بن الحكم من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام كتباً كثيرةً ، اشتهر منها تسعة وعشرون كتاباً ، رواها أصحابنا بأسانيدهم إليه . وتفصيلها في كتابنا «مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الإسلام» . وهي كتب ممتعة باهرة في وضوح بيانها ، وسطوع برهانها ، في الأصول والفروع ، وفي التوحيد والفلسفة العقلية ، والردّ على كلّ من الزنادقة ، والملاحدة ، والطبيعيين ، والقدرية ، والجبرية ، والغلاة في عليّ وأهل البيت . وفي الردّ على الخوارج والناصبية ، ومنكري الوصية إلى عليّ ومؤخريه ومحاربيه ، والقائلين بجواز تقديم المفضول وغير ذلك .

وكان هشام من أعلم أهل القرن الثاني في علم الكلام ، والحكمة الإلهية ، وسائر العلوم العقلية والنقلية ، مبرزاً في الفقه والحديث ، مقدماً في التفسير ، وسائر العلوم والفنون . وهو ممتن فتق الكلام في الإمامة ، وهذب المذهب بالنظر . يروي عن الصادق والكاظم ، وله عندهم جاه لا يحيط به الوصف . وقد فاز منهم بثناءٍ يسمو به في الملاء الأعلى قدره . وكان في مبدأ أمره من الجهميّة . ثمّ لقي الصادق فاستبصر بهديه و لحق به ، ثمّ بالكاظم ففاق جميع أصحابهما .

ورماه بالتجسيم وغيره من الطامات مريدو إطفاء نور الله من مشكاته ، حسداً لأهل البيت وعدواناً . ونحن أعرف الناس بمذهبه ، وفي أيدينا أحواله وأقواله . وله في نصرة مذهبنا من المصنّفات ما أشرنا إليه ، فلا يجوز أن يخفى علينا من أقواله - وهو من سلفنا وفرطنا - ما ظهر لغيرنا ، مع بعدهم عنه في المذهب والمشرب !

على أن ما نقله الشهرستاني في «الملل والنحل» من عبارة هشام لا يدلّ على قوله بالتجسيم . وإليك عين ما نقله . قال :

وَهشَامُ بْنُ الْحَكَمِ صَاحِبُ غُورٍ فِي الْأُصُولِ ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُغْفَلَ عَنِ الزَّامَاتِهِ عَلَى الْمُعْتَزَلَةِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ وَرَاءَ مَا يُلْزَمُهُ عَلَى الْخَصْمِ ، وَدُونَ مَا يُظْهِرُهُ مِنَ التَّشْبِيهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ أَلْزَمَ الْعَلَّافَ فَقَالَ : إِنَّكَ تَقُولُ : الْبَارِي عَالِمٌ بِعِلْمٍ وَعِلْمُهُ ذَاتُهُ ، فَيَكُونُ عَالِمًا لَا كَالْعَالَمِينَ ، فَلِمَ لَا تَقُولُ : هُوَ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ ؟! - انتهى .

ولا يخفى أنّ هذا الكلام إن صحّ عنه فإنّما هو بصدد المعارضة مع العلاف ، وليس كلّ من عارض بشيء يكون معتقداً له ، إذ يجوز أن يكون قصده اختبار العلاف ، وسبر غوره في العلم ، كما أشار الشهرستاني إليه بقوله : فإنّ الرجل وراء ما يلزمه على الخصم ، ودون ما يظهر من التشبيه .

على أنه لو فُرض ثبوت ما يدلُّ على التجسيم عن هشام ، فإنَّما يمكن ذلك عليه قبل استبصاره ، إذ عرفت أنه كان ممَّن يرى رأي الجهميَّة ، ثم استبصر بهدي آل محمَّد ، فكان من أعلام المختصِّين بأئمتهم ، لم يعثر أحد من سلفنا على شيء ممَّا نسبته الخصم إليه . كما أنَّنا لم نجد أثراً ما لشيء ممَّا نسبوه إلى كلِّ من زرارة بن أعين ، ومحمَّد بن مسلم ، ومؤمن الطاق ، وأمثالهم ، مع أنَّنا قد استفرغنا الوسع والطاقة في البحث عن ذلك . وما هو إلاَّ البغي والعدوان ، والإفك والبهتان ، وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ .

أمَّا ما نقله الشهرستاني! عن هشام من القول بالهيَّة عليّ ، فشيء يُضحك الثكلى . وهشام أجلُّ من أن تُنسب إليه هذه الخرافة والسخافة . وهذا كلام هشام في التوحيد ينادي بتقديس الله عن الحلول ، وعلوِّه عمَّا يقوله الجاهلون . وذاك كلامه في الإمامة والوصيَّة يعلن بتفضيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عليّ ، مصرِّحاً بأنَّ عليّاً من جملة أُمَّته ورعيته ، وأنَّه وصيّه وخليفته . وأنَّه من عبادالله المظلومين المقهورين ، العاجزين عن حفظ حقوقهم ، المضطَّرين إلى أن يضرعوا لخصومهم ، الخائفين المترقِّبين الذين لا ناصر لهم ولا معين .

وكيف يشهد الشهرستاني لهشام بأنَّه صاحب غورٍ في الأصول ، وأنَّه لا يجوز أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة ، وأنَّه دون ما أظهره لعلاف من قوله : فَلِمَ لا تقول : إنَّ الله جسم لا كالأجسام ؟ ثمَّ ينسب إليه القول بأنَّ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ؟ أليس هذا تناقضاً واضحاً !؟

وهل يليق بمثل هشام على غزارة فضله أن تنسب إليه الخرافات ؟ كلاً . لكن القوم أبوا إلاَّ الإرجاف جسداً وظلماً لأهل البيت ومن يرى رأيهم . وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

وقد كثر التأليف على عهد الكاظم ، والرضا ، والجواد ، والهادي ،  
والحسن الزكي العسكري عليهم السلام بما لا مزيد عليه ، وانتشرت الرواة  
عنهم ، وعن رجال الأئمة من آبائهم في الأمصار ، وجسروا للعلم عن ساعد  
الاجتهاد ، وشمروا عن ساق الكدّ والجِدِّ ، فحاضوا عباب العلوم ، وغاصوا  
على أسرارها ، وأحصوا مسائلها ، ومحصوا حقائقها ، فلم يألوا في تدوين  
الفنون جهداً ، ولم يدّخروا في جمع أشتات المعارف وسعاً .

قال المحقق الحلبي أعلى الله مقامه في «المعتبر» : وكان من تلامذة  
الجواد عليه السلام فضلاء كالحسين بن سعيد ، وأخيه الحسن ، وأحمد بن  
محمد بن أبي نصر البزنطي ، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي ، وشاذان ،  
وأبي الفضل العمي<sup>١</sup> ، وأيوب بن نوح ، وأحمد بن محمد بن عيسى ،  
وغيرهم ممن يطول تعدادهم . قال أعلى الله مقامه : وكتبهم إلى الآن منقولة  
بين الأصحاب دالة على العلم الغزير - انتهى .

قال السيد شرف الدين هنا : قلت : وحسبك أن كتب البرقي تربو  
على مائة كتاب . وللبزنطي الكتاب الكبير المعروف بـ «جامع البزنطي» .  
وللحسين بن سعيد ثلاثون كتاباً . ولا يمكن في هذا الإملاء إحصاء ما ألفه  
تلامذة الأئمة الستة من أبناء الصادق عليه السلام . بيد أنني أحيلك على كتب  
التراجم والفهارس ، فراجع منها أحوال محمد بن سنان ، وعلي بن مهزيار ،  
والحسن بن محبوب ، والحسن بن محمد بن سماعة ، وصفوان بن يحيى ،  
وعلي بن يقطين ، وعلي بن فضال ، وعبد الرحمن بن نجران ، والفضل بن  
شاذان - فإن له مائتي كتاب - ومحمد بن مسعود العياشي - فإن كتبه تربو  
على المائتين - ومحمد بن عمير ، وأحمد بن محمد بن عيسى ، فإنه روى

١- العمي تصغير الأعمى مُرَحِّمًا ، كما في «أقرب الموارد» .



عن مائة رجل من أصحاب الصادق عليه السلام ، ومحمد بن علي بن محبوب ، وطلحة بن طلحة بن زيد ، وعمار بن موسى الساباطي ، وعلي بن النعمان ، والحسين بن عبد الله ، وأحمد بن عبد الله بن مهران المعروف بابن خانة ، وصدقة بن المنذر القمي ، وعبيد الله بن علي الحلبي الذي عرض كتابه على الصادق عليه السلام فصحه واستحسنه ، وقال : أترى لهؤلاء مثل هذا الكتاب ؟ ، وأبي عمرو الطيب ، وعبد الله بن سعيد الذي عرض كتابه على أبي الحسن الرضا عليه السلام ، ويونس بن عبد الرحمن الذي عرض كتابه على الإمام أبي محمد الحسن الزكي العسكري عليه السلام .

ومن تتبّع أحوال السلف من شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، واستقصى أصحاب كل من الأئمة التسعة من ذرية الحسين ، وأحصى مؤلفاتهم المدونة على عهد أئمتهم ، واستقرأ الذين رووا عنهم تلك المؤلفات ، وحملوا عنهم حديث آل محمد في فروع الدين وأصوله من ألوف الرجال ، ثم ألمّ بحملة هذه العلوم في كل طبقة طبقة ، يدأ عن يد من عصر التسعة المعصومين إلى عصرنا هذا ، يحصل له القطع الثابت بتواتر مذهب الأئمة ، ولا يرتاب في أنّ جميع ما ندين الله به من فروع وأصول ، إنّما هو مأخوذ من آل الرسول . لا يرتاب في ذلك إلا مكابر عنيد ، أو جاهل بليد (الذي لا يقبل كلام الطرف المقابل من وحي زهوه الوهمي الخيالي ، وهو من أهل العناد والخصومة ، أو هو جاهل قليل الفهم وسفيه سقيم الذهن) . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ .<sup>١</sup>

١- «المراجعات» ص ٢٨٩ إلى ٣٠٣ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٥ هـ مطبعة العرفان.

قال المستشار المصري عبد الحليم الجندى في كتابه الثمين «الإمام جعفر الصادق»: ولا مرية كان منهج عليّ ومن تابعه في التدوين خيراً كبيراً للمسلمين منع المساوي المنسوبة إلى بعض الروايات ، وأقفل الباب دون افتراء الزنادقة والوضّاعين . فَالَسَّبُّ فِي التَّدْوِينِ فَضِيلَةُ الشَّيْعَةِ . ولما أجمع العلماء بعد زمان طويل على الالتجاء إليه كانوا يسلمون بهذه الفضيلة - بالإجماع - لعليّ وبنيه .

والسنة شارحة للكتاب العزيز ، وهو مكتوب بإملاء صاحب الرسالة . فهي كمثلها حقيقة بالكتابة .

وبعد أن ذكر أنّ التدوين لم يتحقق عند العامة حتى قرنين أو قرنين ونصف ، وأنّ الناس كانوا مجبورين على الرحلة إلى أقطار العالم لتلقي الحديث على العلماء ، وبعد أن تحدّث عن هذا الموضوع ، قال :

كان تلاميذ الصادق من كتّاب المدوّنين ، فلقد عاشوا في عصر نهضة علمية كبرى أعجب بها العالم . تبارت فيها يراعات المدوّنين . ودارت عجالات التدوين كهتية ما دارت عجالات الطباعة عند ظهور المطبعة . بدأها عمر بن عبد العزيز على رأس القرن ، إذ أمر بتدوين السنة . وتابعها علماء الأئمة من أهل السنة .

ومن بعد وفاة الصادق في عام ١٤٨ هـ دوّن أربعة آلاف من تلاميذه في كلّ علومه ، ومن جملة ما يُسمّى (الأصول الأربعمائة) . وهي أربعمائة مصنّف لأربعمائة مصنّف من فتاوى الصادق . وعليها مدار العلم والعمل من

صيदा، المراجعة ١١٠ بتاريخ ٢٩ ربيع الثاني، سنة ١٣٣٠ هـ، تحت عنوان: ١- تواتر مذهب الشيعة عن أئمة أهل البيت. ٢- تقدّم الشيعة في تدوين العلم زمن الصحابة. ٣- المؤلّفون من سلفهم زمن التابعين وتابعي التابعين.

بعده . وخير ما جمع منها كتب أربعة هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم إلى اليوم . وهي «الكافي» ، و«من لا يحضره الفقيه» ، و«التهذيب» ، و«الاستبصار» .

و«الكافي» - للكليني أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩) - أعظمها وأقومها ، وأحسنها وأتقنها ، فيه ١٦١٩٠ حديثاً ألفه الكليني في عشرين سنةً .

وأما كتاب «من لا يحضره الفقيه» فوضعه ابن بابويه القمي محمد بن علي بن موسى بن بابويه القمي<sup>١</sup> الملقب بالصدوق . دخل بغداد سنة ٣٥٠ ومات بالري سنة ٣٨١ هـ) ، وفيه ٥٩٦٣ حديثاً . وهذا الكتاب أهم مؤلفاته ، مع أنه ألف ثلاثمائة كتاب .

وأما «التهذيب» ، و«الاستبصار» فوضعهما بعد نحو قرن محمد بن الحسن بن علي الطوسي (٤٦٠) الملقب (شيخ الطائفة) . وكان فقيهاً في مذهبي الشيعة وأهل السنة . وفي «التهذيب» ١٣٥٩٠ حديثاً ، وفي «الاستبصار» ٥٥١١ حديثاً .

دخل الطوسي بغداد سنة ٤٠٨ هـ ، واستقر بها في أيام الشيخ المفدي محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ - ٤١١ هـ) صاحب «شرح عقائد الصدوق» ، و«أوائل المقالات» ، ونحو مائتي مؤلف .

وتتلمذ الطوسي بعد موت الشيخ المفيد للشيخ المرتضى ، فنجب في مدرسة الشرف ، وفي «دار العلم» التي أنشأها . وكان يجري عليه اثني عشر ديناراً في الشهر طوال ملازمته له حتى وفاة المرتضى . وانتفع بكتب

١- نسبة إلى مدينة قم في إيران . وهي أقدم المدن التي بدأ فيها الشيعة الإمامية في إيران . وقد نشأت على أيدي جماعة من الناجين من جيش ابن الأشعث (٨٣) .

المرتضى والكتب التي حوتها مكتبته . فألّف في كلّ علوم الإسلام ، واجتهد الاجتهاد المطلق ، فكان حجّة في فقه الشيعة والسنة .

ومن أجل آثاره تدرّسه في مجالسه ، وأماله بالنجف الأشرف في جوار مشهد أمير المؤمنين عليّ . وبهذا افتتح عصر العلم بالنجف الأشرف ، فصار صنواً للأزهر الأغرّ - الذي أقامته دولة من دول الشيعة - والمعهدان هما اللذان حفظا علوم الإسلام .

فالطوسي ، والشريفان الرضيّ والمرتضى ، والشيخان المفيد والصدوق ، والكلينيّ ، قد وصلوا ما انقطع من التأليف منذ عصر الإمام الصادق حتّى منتصف القرن الخامس ، ليستمرّ التيار في التدفّق .

والشريفان في مدرسة جدّهما صنوان . أبوهما أبو أحمد الموسويّ (نسبة إلى جدّه الإمام موسى الكاظم) . وفيه قول ابن أبي الحديد شارح «نهج البلاغة» للشريف الرضيّ : كان أبوه أبو أحمد جليل القدر عظيم المنزلة في دولة بني العباس وبني بويه ، ولقّب بـ «الطاهر ذي المناقب» . ولقّب أبو نصر بن بويه بـ «الطاهر الأوحّد» . ولي نقابة الطالبين عدّة مرّات ، كما ولي النظر في المظالم ، وحجّ بالناس مراراً على الموسم .

عاش أبو أحمد طوال القرن الرابع (٣٠٤ - ٤٠٠ هـ) ، وكان يستخلف على الحجّ ولديّه : الرضيّ والمرتضى .

والشريف الرضيّ (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ) هو شاعر العربيّة الشهير ، وجامع «نهج البلاغة» الأشهر ، من خطب أمير المؤمنين عليّ . تولّى نقابة الطالبين في حياة أبيه ومن بعده . وتولّى النيابة عن الخليفة العبّاسي . فهذه ولاية ينفرد بها في التاريخ ، تجمع بين نقابة الطالبين وبين نيابة الخلافة السنيّة . وللشريف الرضيّ تأليف عظيمة في تفسير القرآن منها : ١ -

«تلخيص البيان في مجازات القرآن»<sup>١</sup>.

٢- «حقائق التأويل ومتشابه التنزيل».

٣- «معاني القرآن». كذلك له .

٤- «مجازات الآثار النبوية».

٥- «خصائص الأئمة».

أما الشريف المرتضى (٤٣٦ هـ) فيقول عنه الثعالبي في «يتممة الدهر»

- وهما متعاصران - :

انتهت الرئاسة اليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم . وله شعر نهاية في الحسن . ومؤلفاته كثيرة ، منها :

«أمالِي المرتضى»، «الشاقِي»، «تنزيه الأنبياء»، «المسائل الموصليّة الأولى»، «مسائل أهل الموصل الثانية»، «مسائل أهل الموصل الثالثة»، «المسائل الديلمية»، «المسائل الطرابلسية الأخيرة»، «المسائل الحلبيّة الأولى»، «المسائل الجرجانية»، «المسائل الصيداوية»، وتآليف أخرى كبيرة في الفقه والقياس ورفضه . وقد شرح تلميذه الطوسي أكثر من مؤلف له .

ومن أعظم آثاره إنشاء «دار العلم» ببغداد ، ورصده الأموال عليها وإجراؤه العطاء على التلاميذ وإطعامهم وإسكانهم ، وكان يتبع «دار العلم» هذه مكتبته التي تحوي أكثر من ثمانين ألف مجلد . وحسبه أن يكون الطوسي من تلاميذه . وفي آثار هذا السلف العظيم تتابع ركب العلماء والمؤلفين الفحول يخلّدون فقه الإسلام .

١- ذكر في الكتاب «معجزات القرآن» سهواً.

### مَشِيخَةُ الْعُلَمَاءِ :

كان مع الكتب التي آلت عن عليّ ومعاصريه مؤلّفات كبيرة أو صغيرة ، وضعها من جاؤوا بعده . وسير لهذا الثبت الضخم من شيعته من الصحابة ، والتابعين ، وتابعي التابعين . فهذا هو التراث التاريخيّ للشهداء وأشياء الشهداء . لا تكفّ الأمة عن ترديده ، جهرهً وخفيةً ، يتصدّروهم الصحابة العظام . وإليك بعض الأسماء :

سلمان الفارسيّ (الذي يُطلق عليه سلمان المحمديّ) ، وأبو ذرّ (أصدق الناس لهجةً) ، وعمّار الذي (تقتله الفئة الباغية) وهو في التسعين يحارب مع عليّ ، والعبّاس بن عبد المطّلب ، وأبو أيّوب الأنصاريّ ، والمقداد بن الأسود الكنديّ الذي قال لعليّ يوم بيعة السقيفة : **إِنْ أَمَرْتَنِي ضَرَبْتُ بِسَيْفِي ، وَإِنْ أَمَرْتَنِي كَفَفْتُ . قَالَ : اكْفُفْ !** وخزيمة ذو الشهادتين ، وأبو التّيّهان ، وعبد الله والفضل ابنا العبّاس ، وبلال بن رباح ، وهاشم بن عُتْبَةَ المِرْقَال ، وأبان وخالد ابنا سعيد بن العاص ، وأبيّ بن كعب سيّد القراء ، وأنس بن الحرث بن نبيه ، وعثمان وسهل ابنا حنيف ، وبريدة ، وحذيفة ، وقيس بن سعد بن عبادة رئيس الأنصار ، وهند بن أبي هالة - أمّه أمّ سلمة<sup>١</sup> - أمّ المؤمنين - وجعدة بن هبيّرة المخزوميّ - أمّه أمّ هانئ ابنة أبي طالب - وجابر بن عبد الله الأنصاريّ .

وسيجزي في آثار الصحابة التابعين لهم وتابعي التابعين . فيضيفون إلى التراث العظيم آثار رجال عظام منهم ، من أشياع عليّ ، الأحنف بن قيس ، سويد بن غفلة ، الحكم بن عينية ، سالم بن أبي الجعد ، عليّ بن أبي

١- هذا ما ورد في النصّ . وهو خطأ تاريخيّ ، لأنّ هند بن أبي هالة كان ابن خديجة وخال الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ، لهذا اقتضى التذكير .

الجعد ، السعيدان : ابن جُبَيْر ، وابن المسيَّب ،<sup>١</sup> ويحيى بن نظير العدواني ،  
والخليل بن أحمد الفراهيدي! مؤسس علم العروض ، وأبو مسلم معاذ بن  
مسلم الهراء مؤسس علم الصرف .

وفي مدرسة التابعين هذه برز أبو هاشم (عبد الله بن محمد ابن  
الحنفية ابن أمير المؤمنين) وأبو هاشم أول من تكلم في علم الكلام . ومن  
بعده نشأت مدرسة المعتزلة بزعامة واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد .  
وبأبي هاشم تبدأ مدرسة المتكلمين من الشيعة .

ومن جيل التابعين هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وأبو مخنف  
الأزدبي المؤرِّخان .

ويتوالى موكب العلم العظيم من عهد عليّ . وتتعالى أصوات الدعاة  
العظماء للمذهب الشيعي ، كالنابغة الجعدي ، شهد صقّين مع  
أمير المؤمنين ، وله فيها أشعاره المشهورة وكان معه عروة بن زيد الخيل ،  
وليبيد بن ربيعة ، وكعب بن زهير صاحب قصيدة «بانت سعاد» .

ومن بعدهم الفرزدق ، وكثير عزة من شعراء القرن الأول ، ثم  
الكميت ، وقيس بن ذريح ، والسيد الحميري ، ودعبل الخزاعي ، وأبو  
تمام ، والبحتري ، وديك الجن ، والحسين بن الضحّك ، وابن الرومي ،

١- قال في الهامش: سعيد بن جبیر هو الشهيد الوحيد الذي قتل من الرعب فاته! سأله الحجاج وهو يقدّمه للقتل: أي قتلة تشاء؟ فأجابه: اخترت أنت! فالفصاح أمامك. ذلك أن الفصاح قتل بقتل. فكان الحجاج بعد استشهاد سعيد يهب من نومه فرعاً وهو يقول: مالي ولسعيد بن جبیر! ثم مات بعد بشهر. مات في رمضان وسعيد في شعبان سنة ٩٥هـ، ورفض ابن المسيب أن يبيع لولدي عبد الملك بن مروان - الوليد وسليمان - وتمسك برأيه، فأخذه ليقطوه، ثم بضربه بالسياط وجرّده من ثيابه وطافوا به. ورفض أن يزوج ابنه للوليد بن عبد الملك، وهو ولي عهد عبد الملك، وأثر أن يزوجها تلميذاً فقيراً من تلاميذه.

## والأشجع السلميّ .<sup>١</sup>

١- قال عبدالحليم في الهامش: من الطبيعيّ أن يكون كثرة الشعراء شيعة. فالشعر ضمير الجماعة وصوتها الصّداح. والضمير الإسلاميّ كلّهُ، ينقله أو يعدّبه، أو يهيج قرائحه، ما أصاب أهل البيت من ظلم الدول. ويخفّف عنه ما يعقده حول أهل البيت من أمل، لهم وله. وكلّما أحسّ الشعب ظلماً طلب الرجاء والافتداء بأبناء النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم - وبهذا انضاف إلى الثبت الحافل السابق ذكره: ابن هانئ الأندلسيّ، ومهيار الديلميّ، وأبو فراس الحمدانيّ، والناشئ الصغير، والناشئ الكبير، وكشاجم، وأبو بكر الخوارزميّ، والبدیع الهمدانيّ، والطغرانيّ، والسريّ الرقّاء، وعمارة اليمينيّ. بل أصبح ثناءً على الشاعر أن يقال: **يَتَرَفُّضُ فِي شِعْرِهِ، أَي: يَتَشَيِّعُ. وللمتنبّيّ وأبي العلاء شعر شيعيّ.**

وكان مولى الموالي الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام نفسه ينظم الشعر. وبلغ نظمه للشعر مبلغاً لا يشكّ فيه أحد. وقد أثبتنا في تفسيرنا لسورة يس، الذي لم يطبع بعد أن المراد من قوله تعالى: **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ** أو قوله: **وَأَلْشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**، الشعر الباطل الواهي والهجاء القائم على الوهم والخيال. ومبدئيّاً لا يُطلق على الحقائق شعراً سواء كانت نظماً أم نثراً. قال آية الله السيّد محسن الأمين العامليّ في كتاب «معادن الجواهر ونزهة الخواطر» ج ١، ص ٤٢٤ تحت عنوان: المسألة ١٦: هل نظم مولانا أميرالمؤمنين وأبناءؤه عليهم السلام الشعر أم لا؟ وهل ما ينسب إليهم منه لهم مع أنّه دون أقوالهم البالغة أقصى درجات البلاغة، على أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يقله وهم مقتدون به قولاً وفعلاً!

الجواب: لا شكّ أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قد نظم الشعر وتطابقت الأنقال على كثير منه، مثل قوله عليه السلام:

دَعَوْتُ فَلْبَانِي مِّنَ الْقَوْمِ عُصْبِيَّةُ      فَوَارِسُ مِّنْ هَمْدَانَ غَيْرِ لِنَامِ  
فَوَارِسُ مِّنْ هَمْدَانَ لَيْسُوا بَعَزَلُ      غَدَاةُ الْوَعْيِ مِّنْ شَاكِرٍ وَشِبَامِ  
لِهَمْدَانَ أَخْلَاقٌ وَدِينٌ يَزِينُهُمْ      وَبِأَسِّ إِذَا لَاقُوا وَجَدَ خِصَامِ  
جَزَى اللَّهُ هَمْدَانَ الْجَنَانَ فَإِنَّهَا      سَمَامُ الْعَدَى فِي كُلِّ يَوْمِ رِجَامِ  
فَلَوْ كُنْتُ بِوَابِأَ عَلَى بَابِ جَنَّةٍ      لَقَلْتُ لِهَمْدَانَ ادْخُلُوا بِسَلَامِ

وقول عليه السلام يوم صفين وقد أقبل الحضيض بن المنذر الرقاشيّ، وهو يومئذ شابٌّ يزحف برايته وكانت حمراء فأعجب عليّاً زحفه وثباته، فقال:



وعلم أهل البيت علم كل الأمة . فأمير المؤمنين عليّ في قمة السند عند الجميع من سنة وشيعة . لكن الذين ينقلون عنه - من الشيعة أو أهل السنة - محلّ تفاوت .

فالشيعة لا يقبلون كلمة ممن حارب عليّاً أو ظلمه من الصحابة أو التابعين . وأهل السنة ، مع اختلافهم من ناحية شروط الرواية والراوي ، لا يقبل بعضهم ما لا يصل إليه بطريقته ، ويتشكك بعضهم في بعض ما يرويه الشيعة لأموّر تتعلّق بالسند أو بالمتن أو برواية من الشيعة<sup>١</sup> .  
وينبغي التنبيه لا يشترطون في قبول الرواية والخبر الذي يصل إليهم من النبيّ أو الأئمة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم

لِمَنْ رَايَةٌ حَمْرَاءُ يَخْفَقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ: قَدَّمَهَا حُضَيْنٌ تَفَدَّمَا  
وَيَدْنُو بِهَا فِي الصَّفِّ حَتَّى يَزِيرَهَا حِيَاضُ الْمَنَايَا تَقَطَّرُ الْمَوْتَ وَالِدَمَا  
تَرَاهُ إِذَا مَا كَانَ يَوْمَ كَرِيهَةٍ أَبَى فِيهِ إِلَّا عَزَّةً وَتَكْرَمًا  
جَزَى اللَّهُ عَنِّي وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ رَبِيعَةٌ خَيْرًا مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمًا

إلى غير ذلك مما روته النقات الأثبات. ولا يلتفت إلى قول من قال بأنه لم يثبت عنه شيء من الشعر، ويشبه أن يكون مثل إنكار نسبة «نهج البلاغة» إليه. وقد جمعنا ما صحّ من شعره عليه السلام في ديوان مرتّب على حروف المعجم. نسأله تعالى التوفيق لإكمالهِ وطبعه.

نعم! ليس كل ما نسب إليه من الشعر هو له، بل بعضه معلوم أنه ليس له، وكذلك باقي الأئمة عليهم السلام قد صحّت نسبة الشعر إلى كثير منهم وليس هو دون كلامهم. وبعض ما يُنسب إليهم لم تصحّ نسبته. وبعضه معلوم أنه ليس لهم لركّته. أمّا عدم نظم جدّهم صلّى الله عليه وآله وسلّم للشعر فليس عجزاً، بل لحكمة اقتضت ذلك، وهي دفع شبهات المنافقين عن القرآن العظيم بأنه ليس قول شاعر. ولا يجب مساواتهم عليهم السلام له في ذلك، واللّه أعلم.

١- «الإمام جعفر الصادق» وأخر ص ٢٠٣ إلى ٢١٢، صادر عن جمهورية مصر العربيّة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، طبعة القاهرة، سنة ١٣٩٧ هـ.

أجمعين أن يكون الراوي شيعياً . بل يكفي أن يكون ثقة سواء كان سنياً أشعرياً أم معتزلياً ، أو تابعاً لمذهب غير مذهب أهل البيت في الفروع . ذلك أنّ مناط الخبر الصحيح والموثق ومعياريهما عند الشيعة وثوقه والاطمئنان إلى صدوره . من هنا نلاحظ مثلاً أنّهم يعملون بموثقة عبد الله بن بكير مع أنّه فطحيّ المذهب ، لأنّه ليس من أهل الكذب في مذهبه وكلامه ، ويسرد مروياته مستنداً مراعيّاً الأمانة في النقل والكلام .

نعم ، يرفض الشيعة رواية الخوارج والنواصب ، لأنّهم يعادون الأئمّة عليهم السلام ويؤسيئون إليهم .

وعلى هذا الأساس نجد أنّ كثيراً من علماء الشيعة ومحدّثيهم ومفسريهم ومؤرّخيهم منذ عصر الأئمّة عليهم السلام ينقلون ويروون أحاديث كثيرة عن رواة العامة أو كتبهم ، وأدّت هذه النقطة المهمّة إلى ما يأتي : ١ - نقل ورواية كثير من أحاديث العامة بنفضل الشيعة وبركاتهم ، وعدم انقطاع مسلسل الروايد ، وبقاء رواية السنّة النبويّة حيّة في كلّ زمان ومكان . ٢ - نتيجة لثقة العامة واطمئنانهم إلى علماء الشيعة العظام الذين لهم منزلتهم العلميّة عندهم ويعرفون بالصدق لديهم ، فقد رووا عنهم . وكان بين رواة كثير من الأحاديث الواردة في صحاح العامة ومسانيدهم وسننهم ، بل القسم الأعظم منها شيعة كانوا حملةً للدين وأعلاماً في الحديث والخبر والتفسير ، حتّى أنّه لو لم يأخذ العامة هذه الأحاديث من الشيعة لضاع واندثر مقدار عظيم من كتبهم .

من هنا قال الذهبيّ : لو أسقطنا رواية الشيعة من سلسلة السند ، لضاع ثلث السنّة .

وقد ناقش آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ هذا الموضوع في كتاب «المراجعات» . وتحدّث عنه في المراجعة (١٤) جواباً

عن المراجعة (١٣) للشيخ سليم البشريّ المصريّ - واعترض فيها بأنّ الذين رووا نزول تلك الآيات في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام - فيما قلتهم - إنّما هم رجال الشيعة ، ورجال الشيعة لا يحتجّ أهل السنّة بهم ولا يقبلون كلامهم - وحدّد الجواب في ثلاثة أمور هي : ١ - بطلان قياس المعترض . ٢ - المعترض لا يعلم حقيقة الشيعة . ٣ - امتيازهم في تغليظ حرمة الكذب في الحديث .

١ - الجواب : أنّ قياس هذا المعترض باطل ، وشكله عقيم ، لفساد كلّ من صغراه وكبراه .

أمّا الصغرى ، وهي قوله : «إنّ الذين رووا نزول تلك الآيات إنّما هم من رجال الشيعة» فواضحة الفساد . يشهد بهذا ثقات أهل السنّة الذين رووا نزولها فيما قلناه ، ومسانيدهم تشهد بأنّهم أكثر طرقاً في ذلك من الشيعة كما فصلناه في كتابنا «تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة» . وحسبك «غاية المرام» المنتشر في بلاد الإسلام .

وأمّا الكبرى ، وهي قوله : «إنّ رجال الشيعة لا يحتجّ أهل السنّة بهم» فأوضح فساداً من الصغرى . تشهد بهذا أسانيد أهل السنّة وطرقهم المشحونة بالمشاهير من رجال الشيعة . وتلك صحاحهم السنّة وغيرها تحتجّ برجال من الشيعة . وصمهم الواصمون بالتشيع والانحراف ، ونبزوهم بالرفض والخلاف ، ونسبوا إليهم الغلوّ والإفراط والتنكبّ عن الصراط . وفي شيوخ البخاريّ رجال من الشيعة نُبِزوا بالرفض ، ووصموا بالبغض ، فلم يقدح ذلك في عدالتهم عند البخاريّ وغيره ، حتّى احتجّوا بهم في الصحاح بكلّ ارتياح . فهل يصغى بعد هذا إلى قول المعترض : «إنّ رجال الشيعة لا يحتجّ أهل السنّة بهم؟» كلاً .

٢ - ولكنّ المعترضين لا يعلمون ولو عرفوا الحقيقة لعلموا أنّ الشيعة

إنما جروا على منهاج العترة الطاهرة ، واتسموا بسماتها ، وأنهم لا يطبعون إلا على غرارها ، ولا يضربون إلا على قلبها ، فلا نظير لمن اعتمدوا عليه من رجالهم في الصدق والأمانة ، ولا قرين لمن احتجوا به من أبطالهم في الورع والاحتياط ، ولا شبيه لمن ركنوا إليه من أبدالهم في الزهد والعبادة وكرم الأخلاق ، وتهذيب النفس ومجاهدتها ومحاسبتها بكل دقة آناء الليل وأطراف النهار . لا يُبارون في الحفظ والضبط والإتقان ، ولا يجارون في تمحيص الحقائق والبحث عنها بكل دقة واعتدال . فلو تجلّت للمعترض حقيقتهم - بما هي في الواقع ونفس الأمر - لناط بهم ثقته ، وألقى إليهم مقاليدَه ، لكن جهله بهم جعله في أمرهم كخابط عشواء ، أو راكب عمياء في ليلة ظلماء . يتهم ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني ، وصدوق المسلمين محمد بن علي بن بابويه القمي ، وشيخ الأمة محمد بن الحسن بن علي الطوسي . ويستخف بكتبهم المقدسة - وهي مستودع علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلّلا - ويرتاب في شيوخهم أبطال العلم وأبدال الأرض الذين قصرُوا أعمارهم على النصح لله تعالى ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلّم ولأئمة المسلمين وعامتهم .

٣- وقد علم البرّ والفاجر حكم الكذب عند هؤلاء الأبرار ، والألوف من مؤلفاتهم المنتشرة تلعن الكاذبين ، وتعلن أنّ الكذب في الحديث من الموبقات الموجبة لدخول النار . ولهم في تعمّد الكذب في الحديث حكم قد امتازوا به حيث جعلوه من مفطرات الصائم ، وأوجبوا القضاء والكفارة على مرتكبه في شهر رمضان كما أوجبوهما بتعمّد سائر المفطرات . وفقههم وحديثهم صريحان بذلك . فكيف يُتّهمون بعد هذا في حديثهم ، وهم الأبرار الأخيار ، قوامون الليل صوامون النهار ؟ وبماذا كان الأبرار من شيعة آل محمد وأوليائهم متهمين ، ودعاة الخوارج والمرجئة والقدريّة

غير متهمين لولا التحامل الصريح ، أو الجهل القبيح !؟  
نعوذ بالله من الخُذْلان ، وبه دَسْتَجِير من سوء عواقب الظُّلم  
والعدوان ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم . والسلام .<sup>١</sup>  
وواصل الفقيه المحدث العالم الشيعيّ الكبير السيّد شرف الدين  
كلامه في كتابه المبارك المذكور . فصرّح أنّ الميزان في صحّة الرواية عند  
العامة قبول الأحاديث الموثوق بها سواء كان راويها من العامة أم من  
الشيعة . وأورد أسماء مائة من أعظم الشيعة ومشاهيرهم الذين اعترف  
السنّة أنفسهم بتشيعهم ، وأنّهم من المبرّزين في الفقه والحديث ورواية  
السنّة ، وأنّهم كانوا في ذروة الورع والتقوى والزهد . وأحصاهم حسب  
الترتيب الهجائي . وذكر لهم ترجمة موجزة ، وثبّه على أنّهم كانوا من  
مشايخ الرواية في جميع الصحاح السنّة أو بعضها .  
تنبيهاً لإخواننا العامة وإيقاظاً لهم نكتفي فيما يأتي بذكر أسمائهم  
وكناهم وتأريخ حياتهم ومن روى عنهم من مشايخ العامة .

### حرف الهمزة (أ)

١ - أَبَانُ بْنُ تَغْلِبَ بْنِ رَبِاحِ الْقَارِيّ الْكُوفِيّ . احتجّ به مسلم في  
صحيحه وأصحاب السنن الأربعة (أبو داود ، والترمذيّ ، والنسائيّ ، وابن  
ماجة) . مات سنة ١٤١ .

٢ - إبراهيم بن يزيد بن عمرو بن الأسود بن عمرو النخعيّ  
الکوفيّ الفقيه . احتجّ به البخاريّ ومسلم . ولد سنة ٥٠ ، ومات سنة ستّ أو  
خمس وتسعين بعد موت الحجاج بأربعة أشهر .

١- «المراجعات» ص ٣٩ إلى ٤١ ، الطبعة الأولى .

- ٣- أحمد بن المُفضَّل ابن الكوفي الحفريّ . احتجّ به أبو زرعة وأبو حاتم وأبو داود والنسائيّ .
- ٤- إسماعيل بن أبان الأزديّ الكوفيّ الوراق . شيخ البخاريّ في صحيحه . احتجّ به البخاريّ والترمذيّ ويحيى وأحمد . مات سنة ٢٨٦ لكن القيسرانيّ ذكر أنّ وفاته كانت سنة ٢١٦ .
- ٥- إسماعيل بن خليفة الملائّي الكوفيّ أبو إسرائيل . احتجّ به الترمذيّ وكثير من أرباب السنن .
- ٦- إسماعيل بن زكريّا الأسديّ الخَلْقانيّ الكوفيّ . احتجّ به أصحاب الصحاح الستّة .
- ٧- إسماعيل بن عبّاد بن العبّاس الطالقانيّ أبو القاسم المعروف بالصاحب بن عبّاد . احتجّ بن أبو داود الترمذيّ .<sup>١</sup> توفي ليلة الجمعة ٢٤

١- قال السيّد شرف الدين في الطبعة الأولى من «المراجعات» ص ٤٤ ، عند ترجمة إسماعيل بن عبّاد بن عبّاس الطالقانيّ المعروف بالصاحب بن عبّاد: ذكره الذهبيّ في ميزانه، فوضع على اسمه (دت) رمزاً إلى احتجاج أبي داود والترمذيّ به في صحيحيهما إلى آخر كلامه .

وقال في الهامش: خالف الذهبيّ طريقته في الميزان عند ذكره لإسماعيل بن عبّاد حيث ذكره بين إسماعيل بن أبان الغنويّ، وإسماعيل بن أبان الأزديّ . وقد اهتمنّه فلم يوفه شيئاً من حقوقه .

أقول: قال الذهبيّ في «ميزان الاعتدال» ج ١ ، ص ٢١٢ :

٨٢٦- إسماعيل بن عبّاد [د] ، ت[أبو القاسم] صاحب أدبٍ بارع شيعيٍّ معتزليٍّ! . وله رواية قليلة . ونظمه لا بأس به . وشعره حسنٌ جداً . وبشبهاته يضرب المثل . انتهى . سها الذهبيّ هنا ، إذ عدّ أبا داود والترمذيّ ممّن روى من الصحاب بن عبّاد . وحكاه المرحوم السيّد شرف الدين في كتابه بلا تحقيق فيه . لأنّ ابن خلّكان ذكر في وفياته في ج ١ ، ص ٣٨٢ من الطبعة القديمة: أنّ ولادة أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزديّ السجستانيّ

من صفر سنة ٣٨٥ بالري عن ٥٩ سنة .

٨- إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الكوفي المفسر المشهور بالسُّدِّي . احتج به مسلم وأصحاب السنن الأربعة ، ووثقه أحمد ، وأخذ عنه الثوري وأبو بكر بن عيَّاش . مات سنة ١٢٧ .

٩- إسماعيل بن موسى الفزاري الكوفي . احتج به الترمذي وأبو داود . مات سنة ٢٤٥ .

كانت في سنة ٢٠٢ ، ووفاته في يوم الجمعة منتصف شوال سنة ٢٧٥ . ويرى الذهبي في «ميزان الاعتدال» ج ٣ ، ص ٦٧٨ : أن ولادة أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي كانت في سنة ٢٠٩ ، ذلك أنه يذهب إلى أن وفاته كانت في سنة ٢٧٩ ، وهو ابن سبعين . لهذا كان ميلاده سنة ٢٠٩ . من هنا فإنَّ الصاحب بن عباد ولد بعد وفاة أبي داود والترمذي . فكيف يصتور أحد أنهما رويَا عنه؟! وكانت ولادته على ما نقلت كتب التاريخ وأورده السيد شرف الدين في ص ٤٥ من مراجعاته في سنة ٣٢٦ هـ . لأننا نعلم أن وفاته كانت في ليلة الجمعة ٢٤ صفر سنة ٣٨٥ وله من العمر تسع وخمسون سنة . فمولده حينئذٍ كان في سنة ٣٢٦ . بناء على هذا فإنَّه ولد بعد وفاة الترمذي بسبع وأربعين سنة ، وبعد وفاة أبي داود بإحدى وخمسين سنة .

٣٢٦ ولادة الصاحب - ٢٧٩ وفاة الترمذي = ٤٧ الفرق .

٣٢٦ ولادة الصاحب - ٢٧٥ وفاة أبي داود = ٥١ الفرق .

من هنا يتضح أنه علينا أن نركن إلى كلام منقول بمجرد نقله من قبل صاحبه . وما لم يرجع المرء نفسه إلى المصادر الأصلية ، فلا يقر له قرار !  
وأما بخس الذهبي حقَّ الصاحب العباد مع جلالته العلمية وعظمته في النشر والنظم والأدب العربي وتأليفاته كالمحيط في اللغة وغيره ، ووزراته ، وتأسيسه المدارس العظيمة ومكتبته التي لا نظير لها بالري ، وتربيته للطلاب ، وعطاياه الجزيلة الوافرة ، فهو أمر عجيب ، إذ على الذهبي أن يؤلف كتاباً مستقلاً في ذلك . بيد أنه أجحف وجانب الصواب ، إذ اكتفى بسطرين عنه كما نقلناه آنفاً . **سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا إِلَّا ذَنْبٌ عَظِيمٌ** . وهذا كله يعود إلى تشييع الصاحب وصلابته وشجاعته في تشييعه . فلا بد للذهبي وأمثاله أن يكابروه ، ويُخسروا إذا كالوه ، بل يتركوا وفاضه خالياً .

## حرف التاء (ت)

١٠- تَلِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْكُوفِيِّ الْأَعْرَجِ . احتج به أحمد وابن نمير .

## حرف التاء (ث)

١١- ثابت بن دينار المعروف بأبي حمزة الثمالي . احتج به الترمذي ووكيع وأبو نعيم . مات سنة ١٥٠ .  
١٢- تَوَيْرُ بْنُ أَبِي فَاخِتَةَ أَبُو الْجَهْمِ الْكُوفِيُّ مَوْلَى أُمِّ هَانِي ابْنَةِ أَبِي طَالِبٍ ، أَخَذَ عَنْهُ سَفِيانُ الثَّورِيِّ وَشُعْبَةُ ، وَأَخْرَجَ لَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي صَحِيحِهِ .

## حرف الجيم (ج)

١٣- جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي . أخذ عنه شعبة وأبو عوانة ، واحتج به النسائي وأبو داود والترمذي . مات سنة ١٢٧ أو ١٢٨ .  
١٤- جرير بن عبد الحميد الضبي الكوفي . احتج به جميع أهل الصحاح الستة . مات سنة ١٨٧ .  
١٥- جعفر بن زياد الأحمر الكوفي . احتج به الترمذي والنسائي . مات سنة ١٦٧ .  
١٦- جعفر بن سليمان الضُّبَيْعِيُّ الْبَصْرِيُّ . أبو سليمان . احتج به مسلم والنسائي . مات سنة ١٧٨ .  
١٧- جَمِيعُ بْنُ عَمِيرَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْكُوفِيِّ التِّيمِيِّ . له في السنن ثلاثة أحاديث ، وحسن الترمذي له .

## حرف الحاء (ح)

١٨- الحارث بن حصيرة ، أبو النُّعْمَانَ الْأَزْدِيُّ الْكُوفِيُّ . احتج به



النسائي .

١٩- الحارث بن عبدالله الهمداني صاحب أمير المؤمنين  
وخاصته . احتج به النسائي .

٢٠- حبيب بن أبي ثابت الأسدي الكوفي الكاهلي التابعي . احتج  
به أصحاب الصحاح الستة . مات سنة ١١٩ .

٢١- الحسن بن حيي ، واسم حيي صالح بن صالح الهمداني . احتج به  
مسلم وأصحاب السنن . ولد سنة ١٠٠ ، وما سنة ١٦٩ .

٢٢- الحَكَمُ بْنُ عُمَيْبَةَ الكوفي . احتج به البخاري ومسلم . مات سنة  
١١٥ عن خمس وستين سنة .

٢٣- حَمَادُ بْنُ عَيْسَى الجُهَنِي ، غريق الجُحْفَةَ . احتج به الترمذي ،  
وابن ماجة القزويني . مات سنة ٢٠٩ .

٢٤- حُمَرَانُ بْنُ أَعْيُنٍ أخو زُرارة . احتج به الدارقطني .

### حرف الخاء (خ)

٢٥- خالد بن مخلد القطواني أبو الهيثم الكوفي . احتج به  
البخاري ومسلم وجميع أصحاب السنن .

### حرف الدال (د)

٢٦- داود بن أبي عوف أبو الحجاج . احتج به أبو داود والنسائي .

### حرف الزاي (ز)

٢٧- زيد بن الحارث بن عبد الكريم الياضي الكوفي أبو عبد  
الرحمن . احتج به أصحاب الصحاح وأرباب السنن كافة . مات سنة ١٢٤ .

٢٨- زيد بن الحباب أبو الحسين الكوفي التميمي. احتج به مسلم .

### حرف السين (س)

٢٩- سالم بن أبي الجعد الأشجعي الكوفي. احتج به البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود. توفي ٩٧ أو ٩٨ وقيل: في سنة ١٠٠ أو ١٠١ .

٣٠- سالم بن أبي حفصة العجلي الكوفي. احتج به الترمذي، وأخذ عنه السفينان: سفیان الثوري وسفيان بن عيينة، كما أخذ عنه محمد بن فضيل. مات سنة ١٣٧ و

٣١- سعد بن طريف الإسكافي الحنظلي الكوفي. احتج به الترمذي وابن ماجة القزويني .

٣٢- سعيد بن أشوع. احتج به البخاري ومسلم. توفي في ولاية خالد بن عبد الله .

٣٣- سعيد بن خثيم الهلالي. احتج به النسائي والترمذي .

٣٤- سلمة بن الفضل الأبرش، قاضي الري. احتج به أبو داود والترمذي. مات سنة ١٩١ .

٣٥- سلمة بن كهيل بن حصين بن كادح بن أسد الحضرمي أبو يحيى. احتج به أصحاب الصحاح الستة وغيرهم. مات يوم عاشوراء سنة ١٢١ .

٣٦- سليمان بن صرد الخزاعي الكوفي. احتج به البخاري ومسلم. قُتل مستهل ربيع الثاني سنة ٦٥ عن ٩٣ سنة بينما كان يقود جيش التوابين (الذين ثاروا لدم الحسين عليه السلام) .

٣٧- سليمان بن طاخان التيمي البصري. احتج به أصحاب الصحاح الستة وغيرهم. مات سنة ١٤٣ .

- ٣٨ - سليمان بن قرم بن معاذ أبو داود الضبِّي الكوفي . احتج به مسلم والنسائي والترمذي وأبو داود .  
٣٩ - سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي الأعمش . احتج به أصحاب الصحاح الستة وغيرهم . مات سنة ١٤٨ .

#### حرف الشين (ش)

- ٤٠ - شريك بن عبد الله بن سنان بن أنس النَّخَعِي الكوفي . القاضي . احتج به مسلم وأصحاب السنن الأربعة . مات سنة ١٧٧ أو ١٧٨ .  
٤١ - شعبة بن الحجاج أبو الورد العتكي . احتج به أصحاب الصحاح الستة وغيرهم . ولد سنة ٨٣ ، ومات سنة ١٦٠ .

#### حرف الصاد (ص)

- ٤٢ - صَعَصَعَة بن صُوحان بن حُجْر بن الحارث العَبْدِي . احتج به النسائي .

#### حرف الطاء (ط)

- ٤٣ - طاووس بن كيسان الخَوْلَانِي الهَمْدَانِي أبو عبد الرحمن . احتج به أرباب الصحاح الستة وغيرهم . توفي حاجاً بمكة قبل يوم التروية بيوم ، وذلك في سنة ١٠٤ أو ١٠٦ .

#### حرف الظاء (ظ)

- ٤٤ - ظالم بن عمرو بن سفيان ، أبو الأسود الدؤلي . احتج به أصحاب الصحاح الستة . مات سنة ٩٩ وعمره ٨٥ سنة .

## حرف العين (ع)

- ٤٥- عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الليثي أبو الطفيل. احتج به مسلم. وُلِدَ عام أحد. مات سنة ١٠٠، وقيل: سنة ١٠٢، أو ١٠٧، أو ١١٠. وأرسل ابن القيسراني! أنه مات سنة ١٢٠.
- ٤٦- عَبَّاد بن يعقوب الأَسَدِيِّ الرَّوَّاجِنِيِّ الكُوفِيِّ. أخذ عنه الأئمة الستة البخاري والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن أبي داود. فهو شيخهم ومحل ثقتهم. ومات في شوال سنة ٢٥٠.
- ٤٧- عبد الله بن داود أبو عبد الرحمن الهَمْدَانِيُّ الكُوفِيُّ. احتج به البخاري. مات في سنة ٢١٢.
- ٤٨- عبد الله بن شَدَّاد بن الهاد. احتج به أصحاب الصحاح كلهم وسائر الأئمة.
- ٤٩- عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان بن صالح بن عمير القُرَشِيِّ الكُوفِيِّ الملقَّب مُشَكَّدَانَةً، شيخ مسلم وأبي داود والبغوي، وخلق من طبقتهم أخذوا عنه، احتج به مسلم وأبو داود. مات في سنة ٢٣٧ أو ٢٣٨ أو ٢٣٩.
- ٥٠- عبد الله بن لُهَيْعَد بن عَقَبَةَ الحضرمي قاضي مصر وعالمها، احتج به الترمذي وأبو داود وابن ماجه القزويني. مات منتصف ربيع الثاني سنة ١٧٤.
- ٥١- عبد الله بن ميمون القَدَّاح المَكِّي. من أصحاب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. احتج به الترمذي.
- ٥٢- عبد الرحمن بن صالح الأزدي أبو محمد الكوفي. احتج به النسائي وعباس الدوري والإمام البغوي. مات سنة ٢٣٥.
- ٥٣- عبد الرزاق بن همام بن نافع الحَمِيرِيُّ الصنعائي. كان من

أعيان الشيعة وخيرة سلفهم الصالحين . وهو مصنف «الجامع الكبير» . احتج به أصحاب الصحاح والمسانيد جميعهم . أدرك من أيام الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام اثنتين وعشرين سنة عاصره فيها . ومات في أيام الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام قبل وفاته بتسع سنين . لأنه ولد سنة ١٢٦ ومات سنة ٢١١ .

٥٤ - عبد الملك بن أعين أخو زُرارة و حُمران و بُكَيْر وعبد الرحمن ، وملك وموسى و ضُرَيْس ، و أمّ الأسود بنى أعين ، حدث عنه السفينان (الثوري وابن عيينة) . وقال ابن القيسراني : كان شيعياً . وسمع أبا وائل في التوحيد عند البخاري ، وفي الإيمان عند مسلم ، وروى عنه سفيان بن عيينة .

٥٥ - عبيد الله بن موسى العَبَسِي الكوفي . شيخ البخاري في صحيحه . احتج به أصحاب الصحاح الستة وغيرهم . كانت وفاته مستهله ذي القعدة سنة ٢١٣ .

٥٦ - عثمان بن عمير أبو اليقظان الثقفي الكوفي البجلي . يقال له : عثمان بن أبي زرعة . احتج به أبو داود والترمذي وغيرهما .  
٥٧ - عدي بن ثابت الكوفي . احتج به أصحاب الصحاح الستة ، وأجمعوا على الإخراج عنه .

٥٨ - عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي أبو الحسن التابعي الشهير . احتج به أبو داود والترمذي . توفي سنة ١١١ .

٥٩ - العلاء بن صالح التيمي الكوفي . احتج به أبو داود والترمذي .

٦٠ - علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي أبو شبل . احتج به

أصحاب الصحاح الستة وغيرهم . مات سنة ٦٢ .

٦١ - علي بن بديمة . أخرج عنه أصحاب السنن .

- ٦٢ - عَلِيٌّ بن الجَعْدِ أبو الحسن الجوهريّ البغداديّ . مولى بني هاشم ، أحد شيوخ البخاريّ واحتجّ بن . توفّي سنة ٢٣٠ وهو ابن ٩٦ سنة .
- ٦٣ - عَلِيٌّ بن زيد بن عبد الله بن زهير بن أبي مليكة بن جَدْعَان أبو الحسن القرشيّ اليتيميّ البصريّ . احتجّ به مسلم . توفّي سنة ١٣١ .
- ٦٤ - عَلِيٌّ بن صالح أخو الحسن بن صالح . احتجّ به مسلم . ولد سنة ١٠٠ ، ومات سنة ١٥١ .
- ٦٥ - عَلِيٌّ بن غراب أبو يحيى الفزاريّ الكوفيّ . احتجّ به النسائيّ وابن ماجة القزوينيّ . مات سنة ١٨٤ أيام هارون .
- ٦٦ - عَلِيٌّ بن قادم أبو الحسن الخُزاعيّ الكوفيّ . احتجّ به الترمذيّ وأبو داود . مات سنة ٢١٣ .
- ٦٧ - عَلِيٌّ بن المنذر الطرائفيّ . شيخ الترمذيّ والنسائيّ وابن صاعد وعبد الرحمن بن أبي حاتم ، وغيرهم من طبقتهم أخذوا عنه واحتجّوا به ، واحتجّ به الترمذيّ والنسائيّ وابن ماجة القزوينيّ في سننهم . مات سنة ٢٥٦ .
- ٦٨ - عَلِيٌّ بن هاشم بن البريد أبو الحسن الكوفيّ الخزاز العائذيّ . أحد مشايخ الإمام أحمد . احتجّ به الخمسة ( أصحاب الصحاح والسنن ماعدا البخاريّ ) . مات سنة ١٨١ .
- ٦٩ - عَمَّار بن زُرَيْق الكوفيّ . احتجّ به مسلم ، وأبو داود والنسائيّ .
- ٧٠ - عَمَّار بن معاوية أو ابن أبي معاوية . احتجّ به مسلم وأصحاب السنن الأربعة . توفّي سنة ١٣٣ .
- ٧١ - عمرو بن عبد الله أبو إسحاق السبيعيّ الهمدانيّ الكوفيّ . احتجّ به أصحاب الصحاح الستّة وغيرهم . ولد لثلاث سنين بقين من خلافة عثمان ، وتوفّي سنة ١٢٧ ، أو ١٢٨ ، أو ١٢٩ ، أو ١٣٢ .

٧٢- عوف بن أبي جميلة البصريّ أبو سهل، يُعرَف بالأعرابيّ .  
احتجّ به أصحاب الصحاح الستّة وغيرهم . مات سنة ١٤٦ .

### حرف الفاء (ف)

٧٣- الفضل بن دُكَيْن المَلَائِيّ الكوفيّ أبو نعيم . شيخ البخاريّ في صحيحه . احتجّ به أرباب الصحاح الستّة . كان مولده سنة ١٣٠ ، ووفاته سنة ٢٢٠ أيام المعتصم .

٧٤- فضيل بن مرزوق الأغرّ الرواسيّ الكوفيّ أبو عبد الرحمن .  
احتجّ به مسلم . مات سنة ١٥٨ .

٧٥- فطر بن خليفة الحنّاط الكوفيّ . احتجّ به البخاريّ وأرباب السنن الأربعة وغيرهم . مات سنة ١٥٣ .

### حرف الميم (م)

٧٦- مالك بن إسماعيل بن زياد بن درهم أبو غسان الكوفيّ النهديّ . شيخ البخاريّ في صحيحه . احتجّ به مسلم . مات سنة ٢١٩ .

٧٧- محمّد بن خازم أبو معاوية الضّرير التميميّ الكوفيّ . احتجّ به أرباب الصحاح الستّة . مات سنة ١٩٥ .

٧٨- محمّد بن عبد الله الضبّيّ الطّهانيّ النيسابوريّ أبو عبد الله الحاكم . إمام الحفاظ والمحدّثين . ولد سنة ٣٢١ ، ومات سنة ٤٠٥ .<sup>١</sup>

---

١- ذكر السيّد شرف الدين في كتاب «المراجعات» بعض الأعلام والأساطين، وإثبات تشييعهم فقد استشهد بكلام أهل السنّة الذين عبّروا عنهم بالرافضة، أو الرافضة الخبيثة، أو الشيعة، أو أن لهم ميلاً إلى التشييع . في حين إذا رجعنا إلى ترجمتهم وكتبهم

وجدناهم من العامة في الأصول والفروع ولا يمكن أن نسميهم شيعة. وسار المرحوم آية الله السيّد حسن الصدر على نفس المنوال أيضاً في كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» وكتاب «الشيعة وفنون الإسلام» فعَدَّ بعض العامة شيعة كالحاكم النيسابوريّ صاحب «المستدرک»، الذي قالت عنه كتب التراجم إنّه شافعيّ.

أمّا صاحب «المراجعات» فقد عدّه في ص ٩٢، تحت الرقم ٧٨ من علماء الشيعة وذكره بما نصّه: محمّد بن عبدالله الضبّيّ الطهانيّ النيسابوريّ أبو عبدالله الحاكم إمام الحفّاظ والمحدّثين، وصاحب التصانيف التي لعلّها تبلغ ألف جزء.

وأما صاحب «تأسيس الشيعة...» فقد عدّه إمامياً أيضاً في ص ٢٦٠ و٢٩٤ من كتابه المذكور، وفي ص ٧٥ من كتابه «الشيعة وفنون الإسلام»، إذ قال فيه: والحاكم من الشيعة باتّفاق الفريقين. فقد نصّ السمعانيّ في «الأنساب»، والشيخ أحمد بن تيمية، والحافظ الذهبيّ في «تذكرة الحفّاظ» على تشييعه. بل حكى الذهبيّ في «تذكرة الحفّاظ» عن ابن طاهر أنّه قال: سألت أبا إسماعيل الأنصاريّ عن الحاكم فقال: ثقة في الحديث، رافضيّ خبيث. قال الذهبيّ: ثمّ قال ابن طاهر: كان الحاكم شديد التعصّب للشيعة في الباطن، وكان يظهر التسنن في التقديم والخلافة. وكان منحرفاً عن معاوية وآله متظاهراً بذلك ولا يعتذر منه، إلى آخر ما ذكره الذهبيّ.

قال المرحوم الصدر: وقد نصّ أصحابنا على تشييعه كالشيخ محمّد بن الحسن الحرّ في آخر «الوسائل»، وحكي عن ابن شهر آشوب في «معالم العلماء» في باب الكنى أنّه عدّه في مصنّفي الشيعة، وأنّ له «الأمالي» وكتاباً في «مناقب الرضا»، وذكروا له كتاب «فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام» وقد عقوله المولى عبدالله أفندي في كتابه «رياض العلماء» ترجمة مفصّلة في القسم الأوّل من كتابه المختصّ بذكر الشيعة الإمامية، وذكره في باب الألقاب، وباب الكنى، ونصّ عليه، وذكر له كتاب «أصول علم الحديث»، وكتاب «المدخل إلى علم الصحيح». قال: واستدرک على البخاريّ في صحيحه أحاديث منها في أهل البيت حديث الطير المشويّ، وحديث من كنت مولاه. انتهى كلام الصدر رحمه الله.

علماً أنّ الحاكم عدّ الشيخين في كتبه خليفتين، وفي الفروع مثلاً في كتاب الطهارة، باب الوضوء يتعبّد بفقهاء العامة ويتّبع آراءهم وأخبارهم بدون تقيّة. ويجدر بنا أن نقول هنا: لقد عدّ هؤلاء العظماء الحاكم وأمثاله من الشيعة لتقدمه



- ٧٩- محمد بن عبيدالله بن أبي رافع المدنيّ. احتجّ به الترمذيّ وابن ماجة القزوينيّ والطبرانيّ .
- ٨٠- محمد بن فضيل بن غزوان أبو عبد الرحمن الكوفيّ . احتجّ به أصحاب الصحاح الستّة وغيرهم . مات سنة ١٩٥ ، وقيل : سنة ١٩٤ .
- ٨١- محمد بن مسلم بن الطائفيّ . كان من البارزين في أصحاب الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام . احتجّ به مسلم . مات سنة ١٧٧ . وفي

أمير المؤمنين عليه السلام على عثمان، وكثرة رواياته في مناقب أهل البيت، حتّى لُقّب بالرافضيّ وأمثاله، وهذا لا يكفي في التشيع. فأصل التشيع القول بخلافة مولى الموالي عليه السلام بلا فصل، وتقديمه على الشيخين في الولاية الظاهريّة والباطنيّة والأصول والفروع. ولن يكون المرء شيعياً إلا أن يعتقد بأنّهما غاصبان للخلافة، وأنّ التبري عدل التوليّ. كما نلاحظ أنّ البعض يقدّم أمير المؤمنين عليه السلام على معاوية ويسبّ معاوية ويلعنه لكنّه يرى عثمان خليفة كابن أبي الحديد. ولنا أن نعدّ هؤلاء شيعة لأمير المؤمنين عليه السلام في مقابل حزب معاوية وتكلمه، لا شيعد في مقابل عثمان، ولا شيعة في مقابل الشيخين وعثمان، فافهم فإنّه دقيق.

أجل، يستبين من العبارات المنقولة عن الحاكم أنّ تشيعه بمعنى تقديم أمير المؤمنين عليه السلام على عثمان ومعاوية إلا أن تدلّ العبارة المأثورة أنّه شديد التعصّب للشيعة في الباطن، وكان يظهر التسنن في التقديم والخلافة على رفض الشيخين في الباطن لمصالح ومحاذير أملتها التقيّة فاعتقد بتقدّمهما في الظهار وحينئذ فهو شيعي، أمّا لفظ الذهبيّ الذي أورده السيّد حسن الصدر في «تأسيس الشيعة» ص ٢٩٤ بعد هذا الكلام: وكان منحرفاً عن معاوية وآله متظاهراً بذلك ولا يعتذر منه، قال الذهبيّ: قلت: أمّا انحرافه عن خصوم عليّ فظاهر. أمّا أمر الشيخين فمطمّ لهما بكلّ حال فهو شيعي لا رافضيّ. انتهى كلامه في «تذكرة الحفاظ». فلا يستفاد منه رفض الشيخين، ولم يُسمّ منه كلام يصرح بغصبهما لحقّ أمير المؤمنين عليه السلام الثابت. فالحكم بتشيعه بالمعنى الصحيح مشكل. والله العالم بسرائر عبادته وهو اللطيف الخبير. إلا أنّه - كما أشرنا - إذا استبان من كتبه وكلماته أنّه كان يرفض الشيخين في الباطن لكنّه لم يصرح بذلك تقيّة، فهو شيعي صحيح التشيع.

تلك السنة مات سمّيه محمّد بن مسلم بن جَمَاز بالمدينة .

٨٢- محمّد بن موسى بن عبد الله الفِطْرِيّ المدنيّ . احتجّ به مسلم وأصحاب السنن .

٨٣- معاوية بن عمّار الدُّهْنِيّ البَجَلِيّ الكوفيّ . احتجّ به مسلم والنسائيّ . مات سنة ١٧٥ .

٨٤- معروف بن خَرَّبُود الكرخيّ . احتجّ به البخاريّ ومسلم وأبو داود . توفيّ ببغداد سنة ٢٠٠ ، وقبره معروف يزار . وكان سَرِيّ السَّقَطِيّ من تلامذته <sup>١</sup> .

١- ظنُّ آية السيّد عبدالحسين شرف الدين العامليّ رضوان الله عليه أن معروف بن خَرَّبُود هو معروف الكرخيّ نفسه، فقال في ترجمته: معروف بن خَرَّبُود \* الكرخيّ . أورده الذهبيّ في ميزانه فوصفه بأنّه صدوق شيعيّ ، ووضع على اسمه رمز البخاريّ ومسلم وأبي داود إشارة إلى إخراجهم له . وذكر أنّه يروي عن أبي الطفيل ، قال: هو مُقَلّ ، حدّث عنه أبو عاصم وأبو داود وعبيد الله بن موسى وآخرون . ونقل عن أبي حاتم أنّه قال: يكتب حديثه .

قلْتُ: وذكره ابن خلّكان في «الوفيات» فقال: هو من موالى عليّ بن موسى الرضا . ثمّ استرسل في الثناء عليه، فنقل عنه حكاية قال فيها: وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي عليّ بن موسى الرضا عليه السلام... إلى آخره . وابن قتيبة حين أورد رجال الشيعة في كتابه «المعارف» عدّ معلوماً منهم احتجّ مسلم بمعروف . ودونك حديثه في الحجّ من الصحيح عن أبي الطفيل . توفيّ ببغداد ٢٠٠ \* ، وقبره معروف يزار، وكان سَرِيّ السَّقَطِيّ من تلامذته . انتهى .

أقول: معروف بن خَرَّبُود ومعروف الكرخيّ شخصان لا شخص واحد . أولاً: لا يصحّ وصف ابن خَرَّبُود بالكرخيّ . ثانياً: كلامه: أنّ الذهبيّ أورده في ميزانه إلى قوله: ونقل عن أبي حاتم أنّه قال: يكتب حديثه، ينطبق على ابن خَرَّبُود . ثالثاً: كلامه: قلْتُ: وذكره ابن خلّكان في «الوفيات»، إلى كماله: وابن قتيبة حين أورد رجال الشيعة في كتابه «المعارف» عدّ معلوماً منهم، ينطبق على معروف الكرخيّ . رابعاً: كلامه: احتجّ مسلم بمعروف،

ودونك حديثه في الحجّ من الصحيح عن أبي الطفيل، ينطبق على معروف بن خربوذ. خامساً: كلامه: توفيَّ ببغداد سنة ٢٠٠، وقبره معروف يزار، وكان سرّي السقطي من تلامذته، ينطبق على معروف الكرخي.

وفيما يأتي حديث موجز يحوم حول ترجمتهما:

أما معروف بن خربوذ فقد جاءت ترجمته في جميع كتب الرجال، ومنها «تنقيح المقال» للمامقاني، ج ٣، ص ٢٢٧ و ٢٢٨؛ ومجملاً: معروف بن خربوذ المكي. وقد عدّ الشيخ الرجل في رجاله تارة من أصحاب السجّاد عليه السلام، وأخرى من أصحاب الباقر عليه السلام بالعنوان المذكور، وثالثة من أصحاب الصادق عليه السلام... وفي «الوجيزة» و«البلغة» أنه: ثقة اجتمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه - انتهى. وأشار بذلك إلى قول الكشي في عبارته... اجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وانقادوا لهم بالفقه، فقالوا: أفقه الأولين ستة: زارة ومعرف بن خربوذ وبريد... إلى آخره.

فمن الأخبار المادحة ما رواه (الكشي) بقوله: ذكر أبو القاسم نصر بن الصباح عن الفضل قال: دخلتُ على محمد بن أبي عمير وهو ساجد، فأطال السجود، فلما رفع رأسه وذكر له طول سجوده، فقال له: كيف لو رأيت جميل بن دُرّاج؟! ثم حدّثه أنه دخل على جميل بن دُرّاج فوجده ساجداً، فأطال السجود جداً. فلما رفع رأسه، قال له محمد بن أبي عمير: أطلت السجود! فقال له: لو رأيت معروف بن خربوذ!

ومنها: ما رواه هو رحمه الله عن طاهر بن عيسى قال: وجدتُ في بعض الكتب عن محمد بن الحسين، عن إسماعيل بن قتيبة، عن أبي العلاء الخفاف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: **أَنَا وَجْهُ اللَّهِ! وَأَنَا جَنُّ اللَّهِ، وَأَنَا الْأَوَّلُ! وَأَنَا الْآخِرُ! وَأَنَا الظَّاهِرُ! وَأَنَا الْبَاطِنُ! وَأَنَا وَارِثُ الْأَرْضِ. وَأَنَا سَبِيلُ اللَّهِ! وَبِهِ عَزَمْتُ عَلَيْهِ. فَقَالَ مَعْرُوفُ بْنُ خَرْبُوذٍ: وَلَهَا تَفْسِيرٌ غَيْرٌ مَا يَذْهَبُ فِيهَا أَهْلُ الْغُلُوِّ.**

ومنها: ما رواه هو رحمه الله عن طاهر قال: حدّثني جعفر، قال: حدّثنا الشجاع عن محمد بن الحسين، عن سلام بن بشر الرماني! وعلي بن إبراهيم التيمي، عن محمد الإصفهاني قال: كنت قاعداً مع معروف بن خربوذ بمكة ونحن جماعة، فمر بنا قوم على حمير معتمرون من أهل المدينة.

فقال لنا معروف: فاسألوهم ما كان بها؟! فسألناهم، فقالوا: مات عبدالله بن الحسن! فأخبرناه بما قالوا. فلما جاوزوا، مرّ بنا قوم آخرون. فقال لنا معروف: فاسألوهم ما كان بها؟! فسألناهم، فقالوا: كان عبدالله بن الحسن بن الحسن أصابته غشية، وقد أفاق، فأخبرناه بما قالوا. فقال: ما أدري ما يقول هؤلاء وأولئك؟! أخبرني ابن المُكْرَمَة، \*\*\* يعني أبا عبدالله عليه السلام أن قبر عبدالله بن الحسن وأهل بيته على شاطئ الفرات، قال: فحملهم أبو الدوانيق فُقبروا على شاطئ الفرات.

وجه دلالة على مدحه أن جزمه بما أخبره به الصادق عليه السلام يكشف عن قوّة إيمانه. ثمّ نقل المرحوم المامقاني! عدداً من الأخبار الدائمة له، وقام بتوجيهها، وأثبت جلالة مقامه، وأثنى عليه، ووثّقه. وأورد الشيخ محمد تقي التستري! في الجزء التاسع من «قاموس الرجال»، ص ٥١ إلى ٥٣ عدداً من الروايات في مدحه، محتدياً حذو المامقاني.

وذكر ابن خلّكان ترجمة معروف الكرخي في «وفيات الأعيان» ج ٢، ص ٥٥١ إلى ٥٥٣ من الطبعة القديمة، فقال: (أبو محفوظ معروف بن فيروز، وقيل: الفيروزان، وقيل: عليّ، الكرخي الصالح المشهور) وهو من موالى عليّ بن موسى الرضا، وقد تقدّم ذكره. وكان أبواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدّبهم وهو صبيّ. فكان المؤدّب يقول له: قل: **ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ**، فيقول معروف: **بَلْ هُوَ الْوَاحِدُ**. فضربه المعلم على ذلك ضرباً مبرحاً، فهرب منه. وكان أبواه يقولان: ليتني يرجع إلينا على أيّ دين شاء فنوا فقهه عليه!

ثمّ إنّه أسلم على يد عليّ بن موسى الرضا. ورجع إلى أبيه، فدقّ الباب، فقبله له: من الباب؟ فتقال: معروف، فقبل له: عليّ أيّ دين؟ فقال: عليّ الإسلام! فأسلم أبواه.

وكان مشهوراً بإجابة الدعوة، وأهل بغداد يستسقون بقبره، ويقولون: **قَبْرُ مَعْرُوفٍ تَرْيَاقٌ مُجَرَّبٌ**.

وكان سرّي السَّقَطِيّ تلميذه. وقال له يوماً: إذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى فأقسم عليه بي! وقال سرّي السَّقَطِيّ: رأيتُ معلوماً الكرخي في النوم كأنه تحت العرش، والباري جلّت قدرته يقول لملائكته: من هذا؟ وهم يقولون: أنت أعلم ياربنا منّا! فقال: **هَذَا مَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ سَكَّرَ مِنْ حُبِّي فَلَا يَفِيْقُ إِلَّا بِلِقَائِي**.

وقال معروف: قال لي بعض أصحاب داود الطائي: إياك أن تترك العمل! فإنّ ذلك الذي يقربك إلى رضا مولاك. فقلت: وما ذلك العمل؟ قال: دوام الطاعة لمولاك، وحرمة

المسلمين، والنصيحة لهم.

وقال محمد بن الحسين: سمعت أبي يقول: رأيتُ معروفاً الكرخي في النوم بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي! فقلتُ: بزهك وورعك؟ فقال: لا، بل يقبول موعظة ابن السَّمَاك، ولزومي الفقر، ومحبتي للفقراء.

وكانت موعظة ابن السَّمَاك ما رواه معروف قال: كنتُ ماراً بالكوفة، فوقفتُ على رجل يقال له: ابن السَّمَاك، وهو يعظ الناس. فقال في خلال كلامه: مَنْ أعرض عن الله كَلِيْبَةً، أعرض عنه الله جملة. ومن أقبل على الله تعالى بقلبه، أقبل الله تعالى برحمته عليه، وأقبل بوجوه الخلق إليه. ومن كان مرّةً ومرّةً فالله تعالى يرحمه وقتاً ما. فوقع كلامه في قلبي، وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا وذكرْتُ هذا الكلام لمولاي، فقال: يكفيك هذا موعظة إن اتَّعظت.

وقيل لمعروف في مرض موته: أوص! فقال: إذا متُّ فتصدَّقوا بقميصي، فإنِّي أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً!

ومرّ معروف بسقّاء، وهو يقول: رحم الله من يشرب. فتقدّم وشرب، وكان صائماً، فقيل له: ألم تك صائماً؟ قال: بلى، ولكن رجوتُ دعاءه!

وأخبار معروف ومحاسنه أكثر من أن تعدّ. وتوفّي سنة ٢٠٠، وقيل: ٢٠١، وقيل: ٢٠٤ ببغداد. وقبره مشهور بها يزار رحمه الله تعالى والكرخي بفتح الكاف وسكون الراء وبعدها خاء معجمة. هذه النسبة إلى الكرخ، وهو اسم تسعة مواضع ذكرها ياقوت الحموي في كتابه. وأشهرها كرخ ببغداد. والصحيح أنّ معروفاً الكرخي منه. وقيل: إنّه من كرخ جُدان بضمّ الجيم وتشديد الدال المهملة وبعد الألف نون. وهي بُلَيْدة بالعراق تفصل بين ولاية خانقين وشهر زور، والله تعالى أعلم بالصواب. انتهى كلام صاحب «وفيات الأعيان» في ترجمة معروف هنا.

وذكر الشيخ محمد تقي التستري في «قاموس الرجال» ج ٩، ص ٥٤، ترجمة معروف بإيجازٍ وبأسلوبٍ مستهجن، كما هو دأبه في الاستخفاف بالمطالب العرفانيّة والإزاء بالعرفاء العظام، فقد قال فيه:

[معروف] الكرخي. قال: وفي أربعين البهائيّ، و«شرح النخبة»، و«مجمع البحرين» أنّه روى عن الصادق عليه السلام. ويعارضه رواية «المناقب» إسلامه على يد الرضا عليه

السلام. أقول: وفي «فهرست» ابن النديم: أخذ الخلدِي عن جُنَيْد، وجُنَيْد عن السَّرِي، والسَّرِي عن معروف الكرخي، ومُعرف عن داود فَرَقْد، وفرقد عن الحسن البصري، والحسن عن أنس. وفي «تاريخ بغداد»: (قال ابن المنادي: كان بالجانب الغربي من بغداد أبو محفوظ معروف بن الفيروزان، ويُعرف بالكرخي، توفي سنة ٢٠٠) ونقل عنه كرامات مجعولة. انتهى ما جاء في «القاموس».

لاحظوا إلى أي مدى حطَّ من شأن الرجل! أولاً: أسقط رواية «الأربعين»، و«شرح النُخبة»، و«مجمع البحرين» لتعارضها فحسب، ولم يتوقَّر على دراسة هذا الموضوع. ثانياً: أوصل سلسلة معروف إلى فرقد، والحسن البصري، وأنس. ولم يذكر أقوال رجال آخرين غير ابن النديم، وهم عدوّه من شيعة الإمام الرضا عليه السلام وخدّامه، ولم يذكر أيضاً حتّى كلام العلامة الحلّي الذي قال في بحث الإمامة من «شرح التجريد»: **فَأَبُو يَزِيدَ البُسْطَامِي كَانَ يَفْتَخِرُ بِأَنَّهُ يَسْتَقِي المَاءَ لِدارِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعْرُوفِ الكَرْخِي أَسْلَمَ عَلَى يَدِي الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ بَوَّابِ دارِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ.\*\*\*** ثالثاً: لمّا ذكر كلام ابن المنادي الذي نقله الخطيب في «تاريخ بغداد» قال: ونُقل عنه كرامات مجعولة.

على أيّ أساس تعدّ الكرامات المنقولة عنه مزوّرة موضوعة بلا دليل ولا برهان، وبدون مشاهدة وعيان!! وماذا تقول يوم القيامة إذا اعترضك الشيخ معروف، أو تصدّى لك في بعض العقبات، وأخذك على هذه التهم والتقوليات المرسلّة بلا مصدر يُعتمد عليه؟! أما الشيخ عبدالله المامقاني فقد أنصف في «تنقيح المقال» ج ٣، ص ٢٢٨ و ٢٢٩. وبعد كلام مفصّل له يذهب فيه إلى أنّ الشيخ معروفاً لا يمكن أن يكون من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، قال: وعلى كلّ حال، فالأظهر كون الرجل إمامياً لتسالم أهل السير على أنّه أسلم على يد الرضا عليه السلام، ولم يكن زمان الرضا عليه السلام زمان تقيّة. فلا بدّ وأن يكون مَنْ يسلم على يده إمامياً اثني عشرياً.

مضافاً إلى تسالم أهل السير على أنّه كان من موالِي الرضا عليه السلام حتّى قيل إنّه كان بواباً له، بل عن الجمي أنّه مات على باب الرضا عليه السلام بازدحام الناس وقد وطئوه، وإن كان يردّ ذلك أنّ الرضا عليه السلام يومئذٍ، أعني سنة وفاة معروف، وهي سنة مائتين أو مائتين وواحدة، كان بخراسان. فلو كان موته على بابه لم يكن قبره ببغداد لعدم تعارف النقل

يومئذٍ سيّما من دون مقتضٍ ولا داعٍ.

ومما يشهد بكونه إمامياً ما حُكي عنه من أنّه قال: كنتُ ماراً بالكوفة، فوقفتُ على رجل يقال له: ابن السّمّك وهو يعظ الناس. (ثمّ نقل المامقاني هنا قصّة الموعظة وتشرفه بخدمة الإمام الرضا عليه السلام. وهذا دليل على أنّه كان متلقياً أمراً من الإمام الرضا عليه السلام).

وحكي عنه أنّه كان يقول: **أَقْسِمُوا عَلَيَّ اللَّهُ بِرَأْسِي وَاطْلُبُوا حَوَائِجَكُمْ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ تَزْكِيَةِ نَفْسِهِ! فَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ ذَلِكَ لِأَنِّي وَضَعْتُ رَأْسِي عَلَى بَابِ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مُدَّةً!**

وجاء رجل إلى الرضا عليه السلام ليعلمه دعاءً يسكن البحر به عند الطوفان فلم يتمكّن من الوصول إليه. فكتب معروف شيئاً وأعطاه، وقال له: إذا اضطرب البحر فاقرأ ما في الكتاب، يسكن!

فأخذ الرجل ثمّ سافر إلى البحر. فلمّا رأى آثار الطوفان، فتح الكتاب ليقرأ الدعاء ظناً منه أنّ فيه دعاءً قد تعلّمه معروف من الرضا عليه السلام، فرأى فيه مكتوباً: **أَيُّهَا الْبَحْرُ! اسْكُنْ بِحَقِّ مَعْرُوفٍ صَاحِبِ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ! فَتَغَيَّرَ الرَّجُلُ مِنْ ذَلِكَ وَطَرَحَهُ فِي الْبَحْرِ فَسَكَنَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. فَعَرَفُوا أَنَّهُ مِنْ بَرَكَاتِهِ. وَصَارَ ذَلِكَ عَادَةً لِأَهْلِ الْبَحْرِ بَعْدَ ذَلِكَ.**

فإنّ ذلك كلّه يكشف عن يقينه بالرضا عليه السلام وخلوص عقيدته فيه، وجزمه بأنّ جلالته عليه السلام عند الله تعالى تقضي قضاء حاجة من توسّل برأسه ببركة مولاه عليه السلام. وحيث كان إمامياً، كان زهده وكونه بواباً للرّضا عليه السلام مدرجاً له في الجسان إن لم نستفد من غاية زهده وثاقته.

وهنا أجاب آية الله المامقاني عن عددٍ من الإشكالات المثارة على إماميته، فقال: فمنها: ميل العامّة إليه وتكريمهم لقبره، حتّى قال في «القاموس»: **إِنَّ مَعْرُوفَ بَنِ فَيْرُوزَانَ الْكَرْحِيَّ قَبْرُهُ التَّرْيَاقُ الْمَجْرَبُ بِبَغْدَادَ. انْتَهَى.**

ونقل في «التاج» في شرح العبارة عن الصاغاني أنّه قال: **عَرَضْتُ لِي حَاجَةٌ وَحَيَّرْتَنِي فِي سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرٍ وَسِمَائَةَ، فَأَتَيْتُ قَبْرَهُ، وَذَكَرْتُ لَهُ حَاجَتِي كَمَا تَذَكَّرُ لِلْأَوْصِيَاءِ مَعْتَقِداً أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا يَمُوتُونَ، وَلَكِنْ يَنْتَقِلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ، وَانصرفت، فَفَضَّيْتُ الْحَاجَةَ قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَى مَسْكِنِي.**

وقال القشيري في رسالته المعروفة: إِنَّ مَعْرُوفَ بْنَ فَيْرُوزَ الْكَرْخِيَّ كَانَ مِنَ الْمَشَايخِ الْكِبَارِ، مُجَابَ الدَّعْوَةِ، يُسْتَشْفَى بِقَبْرِهِ، يُقُولُ الْبَغْدَادِيُّونَ: قَبْرُ مَعْرُوفٍ تَرِيَاقُ مُجَرَّبٌ. انتهى.

ومنها: أَنَّ خَلْوَةَ كَتَبَ الرِّجَالُ طَرَأً عَنْ ذِكْرِهِ مَدْحًا وَمَدًّا مِمَّا يَرِيبُ الْفُطَنَ فِي اخْتِصَاصِهِ بِالرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامَ، سَيِّمًا خَلْوَةَ كِتَابِ «عِيُونَ أَخْبَارِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامَ» عَنْ ذِكْرِهِ. بَلْ جَزَمَ الْفَاضِلُ الْمَجْلِسِيُّ رَحِمَهُ بِعَدَمِ كَوْنِهِ بَوَّابًا لِمَوْلَانَا الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامَ مَعْلَمًا بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ، لَكَانَ يَنْقَلِبُهُ أَصْحَابُ كِتَابِ الرِّجَالِ مِنَ الشِّيْعَةِ، مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا رَطْبًا وَلَا يَبَسًا مِنْ أَصْحَابِ الْأَثْمَةِ وَخَوَاصِّهِمْ وَخَدَامَتِهِمْ وَمَوَالِيهِمْ مِنَ الْمَمْدُوحِينَ وَالْمَذْمُومِينَ وَالْمَشْهُورِينَ وَالْمَجْهُولِينَ إِلَّا وَقَدْ تَعَرَّضُوا لِبَيَانِهِ وَذِكْرِهِ، وَلَمْ يَكُونُوا لِيَهْمَلُوا ذِكْرَ مَا وَرَدَ فِي شَأْنِهِ. لَأَنَّا نَقُولُ: إِنَّ مِنَ الْمَقْرَّرِ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْفِعْلَ مَجْمَلٌ لِكَوْنِهِ ذَا جِهَاتٍ، وَمَا لَمْ تَتَبَيَّنْ جِهَةٌ الْفِعْلَ لَمْ يُمْكِنِ الْاِحْتِجَاجُ بِهِ. وَمِيلَ الْعَامَّةِ إِلَيْهِ وَتَبَرُّكِهِمْ بِقَبْرِهِ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ زَهْدِهِ وَتَرْكِهِ لِلدُّنْيَا، فَإِنَّهُمْ يَمِيلُونَ إِلَى كُلِّ مَنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا، فَضَلًّا عَمَّا لَوْ كَانَ رَافِضِيًّا.

ويؤيد ما ذكرنا أَنَّ جَمْعًا مِنَ الْعَامَّةِ، مِنْهُمْ: الْقَشِيرِيُّ، مَعَ تَصْرِيحِهِمْ بِأَنَّهُ مُجَابِ الدَّعْوَةِ، وَأَنَّ قَبْرَهُ تَرِيَاقٌ، نَصَّوْا عَلَى أَنَّهُ مِنْ مَوَالِي الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامِ.<sup>٦</sup> وَأَمَّا خَلْوَةُ الْكُتُبِ عَنْ ذِكْرِهِ، فَلَعَلَّهُ لِأَنَّ الصُّوفِيَّةَ لَمَّا اتَّسَبَّوْا إِلَيْهِ وَادَّعَوْا كَوْنَهُ مِنْهُمْ اقْتَضَتْ الْمَصْلَحَةَ السَّكُوتَ عَنْهُ، نَظِيرَ تَجْوِيزِ الشَّارِعِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الَّذِي تَتَرَسَّ بِهَ الْكُفَّارِ. وَيَشْهَدُ بِمَا قَلْنَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ مَذْمُومًا لَرَوَوْا فِيهِ الدَّمَ. فَسَكُوتُهُمْ عَنْ ذَمِّهِ يَكْشِفُ عَنْ أَنَّ عَدَمَ تَعَرُّضِهِمْ لِمَدْحِهِ لِإِخْمَالِ ذِكْرِهِ حَتَّى لَا يَحْتَجَّ الْمَتَّصِفُونَ بِمَدْحِنَا إِيَّاهُ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ لِانْتِسَابِهِمُ الْكَذَابَ إِلَيْهِ، وَإِلَّا فَلَمْ يَنْقَلِ عَنْهُ مَا يَقْضِي بِالتَّصَوُّفِ.<sup>٧</sup> وَإِنَّمَا نَسَبَ الْمَتَّصِفُونَ إِلَيْهِ التَّصَوُّفَ رَوَاجًا لَطَرِيقَتِهِمُ الْفَاسِدَةَ. وَهَذِهِ عَادَةُ أَهْلِ الْمَذَاهِبِ الْفَاسِدَةِ، يَنْسُبُونَ إِلَى مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ مَذْهَبَهُمْ كَذِبًا وَبِهْتَانًا تَرْوِيجَ مَذْهَبِهِمُ الْفَاسِدِ. أَلَيْسَ يَنْسُبُونَ التَّصَوُّفَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ الْبَرِيِّ مِنْهُمْ وَمِنْ مَسْلِكِهِمْ؟ وَمِنْ أَغْلَاطِ الْمَقَامِ مَا صَدَرَ مِنْ بَعْضِهِمْ مِنْ زَعْمِ نَسْبَتِهِ إِلَى خِدْمَةِ جَعْفَرِ الثَّانِي الشَّهِيرِ بِالْكَذَّابِ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ الرِّضَا، ابْنِ عَلِيِّ الْهَادِي. وَأَنَّ الرِّضَا فِي نَسْبَةِ الْخِدْمَةِ تَصْحِيفُ ابْنَ الرِّضَا. وَأَنَّ رَوَايَتَهُ عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامِ اشْتِبَاهَ بِجَعْفَرِ الْكَذَّابِ. فَإِنَّ فِيهِ أَوْلًا: أَنَّ



الرجل مات قبل [استشهاد] الرضا عليه السلام فكيف يدرك زمان جعفر الكذاب؟  
وثانياً: أنّ صريح كلماتهم روايته عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وجعفر  
الثاني ليس ابن محمد، ولا متصفاً بالصدق ولا ملقباً به كما هو صريح.  
ثم إنَّ منهم من أرخ موت الرجل بسنة المائتين، ومنهم من أرخه بسنة المائتين  
وواحدة، ومنهم من أرخه بسنة المائتين وأربع. والعلم عند الله تعالى. (انتهى كلام «تنقيح  
المقال»).

استبان ممّا ذكرنا أنّ معروفاً الكرخي كان من الأعلام المتحرّكين في سبيل الله  
والمنقطعين إليه. وعدم ذكر أصحابنا له في كتب الرجال يعود إلى ما أورده المامقاني، أو إلى  
عدم اهتمام علماء الظاهر بالعلوم الباطنية، ولم يُثَمَّن الرجل كما ينبغي، حتّى أنّ المامقاني  
عدّه من الحسّان، لا من الصّحاح، مع أنّه يجب عليه أن يعدّه من أعظم أصحاب العدل  
والثبّت واليقين.

وأعجب من تلك الأسطورة الموضوعية والافتراء البين إذ نفّسوا - نظير أمرٍ دُبر بالليل -  
فجعلوه من أصحاب جعفر الكذاب!

سُبْحَانَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا إِلَّا بُهْتَانًا عَظِيمًا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

واتضح من بياننا أيضاً أنّ معروف بن خربوذ مكّي، ومعروف بن فيروز كرخي بغداديّ  
وكلاهما من الأجلة والأعلام. رحمه الله عليهما رحمة واسعة.

\* - وقيل: ابن فيروز، وقيل: ابن الفيروزان، وقيل: ابن عليّ.

٢ - وقيل: سنة ٢٠١، وقيل: سنة ٢٠٤.

٣ - قال الشيخ عباس القمّي في «منتهى الآمال» ج ٢، ص ٨١. عند ترجمة الإمام  
الصادق عليه السلام (ما تعريبه): قال المؤلف: كانت أم فروة جليلة مكرّمة إلى درجة أنّ  
ولدها الإمام الصادق عليه السلام كان يقال له أحياناً: ابن المكرّمة.

٤ - في «كشف المراد» ص ٢٤٩، طبعة صيدا، سنة ١٣٥٣، مطبعة العرفان، بحث  
الإمامة، في شرح قول الخواجة نصير الدين: وتميّزه بالكمالات النفسانية والبدنية  
والخارجية، الذي عدّه الوجه الخامس والعشرين من وجوه الخواجة في الاستدلال على  
الإمامة، قال في أواخر البحث: وقد نشروا من العلم والفضل والزهد والترك للدنيا شيئاً  
عظماً حتّى أنّ الفضلاء من المشايخ كانوا يفتخرون بخدمتهم عليهم السلام. فأبو يزيد

- ٨٥- منصور بن المُعْتَمِر بن عبد الله بن ربيعة السَّلَمِي الكوفي .  
كان من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام . احتجّ بن أصحاب الصحاح  
الستّة وغيرهم . مات سنة ١٣٢ .
- ٨٦- المِنْهَال بن عمرو الكوفيّ التابعي . احتجّ به البخاريّ ومسلم .
- ٨٧- موسى بن قيس الحضرميّ أبو محمّد . جاء حديثه في السنن .  
مات أيتام المنصور .

البسطامي! كان يفخر بأنّه يسقي الماء لدار جعفر الصادق عليه السلام، ومعروف الكرخي  
أسلم على يد الرضا عليه السلام، وكان بَوَاب داره إلى أن مات. وكان أكثر الفضلاء  
يفتخرون بالانتساب إليهم، إلى آخر ما ذكره العلامة الحلبيّ .

٥ - يعني لقضاء الحوائج (المامقانيّ).

٦ - عدّ المستشار عبدالحليم الجندی! في كتاب «الإمام جعفر الصادق»، ص ٢١٧،  
معروفاً الكرخي من الشيعة. قال: معروف الكرخي (٢٠٠) زعيم الصوفيّة. وصف ابن حنبل  
معروفاً لابنه عبدالله عندما سأله: هل عنده علم؟ فقال: كان عنده رأس الأمر كلّه. تقوى  
الله .

٧ - يستبين هنا جيّداً أنّ أنّ معروفاً كان ممدوحاً مدحاً كثيراً لكنّ البعض تجنّب ذكر  
اسمه ومحامده لعدم ذكره على الألسن. وهذا يشبه تماماً عمل من يريد المحافظة على  
المسلمين في الحرب، فيقتل عدد منهم ممّن يكون في الصّف الأوّل حيث يتترّس بهم  
الكفّاس. جواب المامقانيّ! هو تتّرس الكفّار بالمسلمين وجواز قتل المسلمين في الصّف  
الأوّل لضرورة ألجأ الكفّار المسلمين إليها، ولكن ما هي الضرورة في إخمال اسم معروف  
الكرخي غير أنّنا حسبناه ضرورة بظنّنا وهمنا؟! ولو كنّا قد ذكرنا معروفاً في الكتب الرجاليّة  
وعددناه منّا وعددنا أنفسنا منه، فإنّ هذا الأمر لا يثبت طريقة التّصوّف الباطلة ولا يوجبها،  
بل يوجب طريقتها الحقّة. كما قسّم العلامة المجلسي رضوان الله عليه التّصوّف إلى حقّ  
وباطل. من هنا فإنّنا، بعدم ذكرنا معروفاً وطريقه ومنهجه، عزلنا أنفسنا عن التّصوّف الحقّ  
واتّباع الولاية الباطنيّة لإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام. فيا للأسف بهذا الخسران  
المبين والهلاك العظيم!

### حرف النون (ن)

- ٨٨ - نفيح بن الحارث أبو داود النَّخَعِي الكوفيَّ الهمدانيَّ السَّبَّيْعِيَّ . احتجَّ به الترمذيَّ ، وأخرج له أصحاب المسانيد .
- ٨٩ - نوح بن قيس بن رباح الحدانيَّ ، ويقال : الطاحيَّ البصريَّ . احتجَّ به مسلم وأصحاب السنن .

### حرف الهاء (هـ)

- ٩٠ - هارون بن سعد العِجْلِيَّ الكوفيَّ . احتجَّ به مسلم .
- ٩١ - هاشم بن البريد بن زيد أبو عليَّ الكوفيَّ . احتجَّ به أبو داود والنسائيَّ .
- ٩٢ - هُبَيْرَة بن بريم الحَمِيرِيَّ . صاحب أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب عليه السلام . نظير الحارث في ولائه واختصاصه . احتجَّ به أصحاب السنن .
- ٩٣ - هشام بن زياد أبو المَقْدَام البصريَّ . احتجَّ به الترمذيَّ وابن ماجة القزوينيَّ .
- ٩٤ - هشام بن عمّار بن نصير بن مَيْسَرَة أبو الوليد ، ويقال : الظفريَّ الدمشقيَّ . شيخ البخاريَّ في صحيحه . ولد سنة ١٥٣ ، ومات في آخر المحرّم سنة ٢٤٥ .
- ٩٥ - هُشَيْم بن بشير بن قاسم بن دينار السَّلَمِيَّ الواسطيَّ أبو معاوية . كان حافظاً . احتجَّ به أصحاب الصحاح الستة . مات سنة ١٨٣ ، وله ٧٩ عاماً .

### حرف الواو (و)

- ٩٦ - وكيع بن الجَرَّاح بن مَلِيح بن عديَّ أبو سفيان الرّواسيَّ

الكوفيّ، من قيس غيلان. احتجّ به أصحاب الصحاح الستّة وغيرهم. مات  
بفيد قافلاً من الحجّ في المحرّم سنة ١٩٧، وله من العمر ٦٨ سنة.

### حرف الياء (ي)

- ٩٧ - يحيى بن الجَزَّارِ العَرَنِيِّ الكوفيّ. صاحب أمير المؤمنين عليه  
السلام. احتجّ به مسلم وأرباب السنن.
- ٩٨ - يحيى بن سعيد القَطَّان أبو سعيد مولى بني تميم البصريّ.  
احتجّ به أصحاب الصحاح الستّة وغيرهم. مات سنة ١٩٨، عن ٧٨ سنة.
- ٩٩ - يزيد بن أبي زياد الكوفيّ أبو عبد الله مولى بني هاشم.  
احتجّ به أصحاب السنن الأربعة. مات سنة ١٣٦، وله ٩٠ سنة تقريباً<sup>١</sup>.

١ - من الجدير ذكره أنّ معظم الأشخاص الذين ذُكروا من الشيعة كانوا من أعلامهم  
ومصنّفهم في القرن الثاني. وذكرهم آية الله السيّد حسن الصدر في كتاب «الشيعة وفنون  
الإسلام» ص ٧٠، ٧١ بإيجاز وقال: «الصحيفة الرابعة فيمن جمع الحديث في أثناء المائة  
الثانية من الشيعة، وصنّفوا الكتب والأصول والأجزاء من طريق أهل البيت. كانوا في عصر  
من ذكر في أوّل من جمع الآثار من أهل السنّة. روى عن الإمام زين العابدين، وابنه الإمام  
الباقر عليهما السلام، كأبان بن تغلب، فإنّه روى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ثلاثين  
ألف حديث، وجابر بن يزيد الجعفيّ. روى عن أبي جعفر الباقر سبعين ألف حديث عنه،  
عن آبائه، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. وعن جابر أنّه قال: عندي خمسون ألف  
حديث ما حدّثت منها بشيء، كلّها عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من طريق أهل  
البيت. ومثلهما في كثرة الجمع وكثرة الرواية، أبو حمزة الثماليّ، ووزارة بن أعين، ومحمّد  
ابن مسلم الطائفيّ، وأبو بصير يحيى بن القاسم الأسديّ، وعبد المؤمن بن القاسم بن قيس  
ابن محمّد الأنصاريّ، وبسام بن عبد الله الصيرفيّ، وأبو عبيدة الحدّاء، وزياد بن عيسى،  
وأبو الرجاء الكوفيّ، وزكريّا بن عبد الله الفيّاض أبو يحيى، وثور بن أبي فاخته أبو جهم -  
روى عن جماعة من الصحابة، وله عن الباقر عليه السلام كتاب مفرد - وجحدر بنا لمغيرة  
الطائيّ، وحجر بن زائدة الحضرميّ أبو عبد الله، ومعاوية بن عمّار بن أبي معاوية خبّاب بن

١٠٠- أبو عبدالله الجَدَلِيّ، احتج به أبو داود والترمذِيّ  
 أجل، إذا لاحظنا هؤلاء الأشخاص، وآخرين كثيرين غيرهم - وقد  
 قال آية الله شرف الدين في صدر هذا المقال : ... مقتصراً على ثلثة ... على  
 شرط أن لا أكلف بالاستقصاء فإنه ممّا يضيق عنه الوسع في هذا الإملاء -  
 استبان لنا أنّ أصول فقه العامة وحديثهم ورجالهم هم الشيعة . وإذا أنعمنا  
 النظر ، عرفنا أنّ أكثر الرجال المذكورين في سند الروايات التي تنقلها هذه  
 الكتب الضخمة هم من الشيعة ، ومشهورون بالصدق والأمانة في الحديث .  
 وهذه نقطة في غاية الدقّة . وعندما ندرك أنّنا إذا أسقطنا رجال الشيعة من  
 سند رواياتهم ، فحينئذٍ يسقط كثير من رواياتهم ، ومن ثمّ يصغر حجم  
 كتبهم وتتغيّر أشكالها ، ويمكن أن يتحوّل الكتاب الضخم إلى رسالة  
 وكتراسة .

إذا نظرنا في أحوال رواة الشيعة واحداً واحداً ، وجدناهم أولي ضبط  
 وثبت ووثوق وورع . وذبهم الوحيد الذي لا يُغْفَرُ عند العامة هو أنّهم  
 شيعة عليّ بن أبي طالب . وبه يُسقطون مزاياهم كلّها . على سبيل المثال ،  
 الحارث الهمدانيّ! الجدّ الأعلى للشيخ البهائيّ ، نراهم يحطّون من شأنه  
 لتشيّعه الصحيح ، مع أنّهم لا يمترون في فقهه وعلمه ودرايته لكنّهم  
 لا يرفعون عن اتّهامه بالغلوّ ، والرفض ، وأحياناً الكذب ، يُسقطوا مقامه  
 ومنزلته عند العامة . ثمّ ذكر المرحوم السيّد شرف الدين ترجمته بما نصّه :  
 (الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) الْهَمْدَانِيُّ صَاحِبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَاصَّتِهِ .  
 كان من أفضل التابعين ، وأمره في التشيع غنيّ عن البيان . وهو أوّل من

---

عبدالله، والمطلب الزهريّ القرشيّ المدنيّ، وعبدالله بن ميمون بن الأسود القدّاح . وقد  
 ذكرت كتبهم وتواريخهم في الأصل «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام».

عدّهم ابن فُتَيْبَة في معارفه من رجال الشيعة . وقد ذكره الذهبي في ميزانه فاعترف بأنّه من كبار علماء التابعين ، ثمّ نقل عن ابن حبان القول بكونه غالباً في التشيع ، ثمّ أورد من تحامل القوم عليه - بسبب ذلك - شيئاً كثيراً . ومع هذا فقد نقل إقرارهم بأنّه كان من أئمة الناس ، وأفرض الناس ، وأحسب الناس لعلم الفرائض ، واعترف بأنّ حديث الحارث موجود في السنن الأربعة . وصرّح بأنّ النسائيّ مع تعنّته في الرجال قد احتجّ بالحارث ، وقوى أمره . وأنّ الجمهور مع توهينهم أمره يوون حديثه في الأبواب كلّها ، وأنّ الشعبيّ كان يكذبه ، ثمّ يروي عنه . قال في «الميزان» : والظاهر أنّه يكذّبه في لهجته وحكاياته ، وأمّا في الحديث النبويّ ، فلا .

قال في «الميزان» : وكان الحارث من أوعية العلم . ثمّ روى في «الميزان» عن محمّد بن سيرين أنّه قال : كان من أصحاب ابن مسعود خمسة يؤخذ عنهم ، أدركت منهم أربعة ، وفاتني الحارث ، فلم أره ، وكان يفضل عليهم وكان أحسنهم .

قال : ويختلف في هؤلاء الثلاثة أيّهم أفضل ، علقمة ومسروق وعبدة ، إلى آخر كلامه .

قلتُ : وقد سلّط الله على الشعبيّ من الثقات الاثبات من كذّبه واستخفّ به جزاءً وفاقاً ، كما نبّه على ذلك ابن عبد البرّ في كتابه «جامع بيان العلم» حيث أورد كلمة ابراهيم النخعيّ ! الصريحة في تكذيب الشعبيّ .<sup>١</sup> ثمّ قال : وأظنّ الشعبيّ عوقب لقوله في الحارث الهمدانيّ : حَدَّثَنِي

١- «المراجعات» ص ٥٢ ، الطبعة الأولى . وقال في الهامش : كما في ص ١٩٦ من مختصر كتاب «جامع بيان العلم وفضله» لشيخنا العلامة أحمد بن عمر المحمصانيّ البيروتيّ المعاصر .

## الْحَارِثُ وَكَانَ أَحَدَ الْكَذَّابِينَ .

قال ابن عبد البرّ: ولم يبين من الحارث كذب، وإنما نقم عليه إفراطه في حبّ عليّ، وتفضيله له على غيره. (قال: ) ومن ها هنا كذبته الشعبيّ، لأنّ الشعبيّ يذهب إلى تفضيل أبي بكر، وإلى أنّه أوّل من أسلم، وتفضيل عمر... إلى آخره كلامه.

قلتُ: وأنّ ممّن تحامل على الحارث محمّد بن سعد، حيث ترجمه في [الجزء السادس من] «الطبقات»، فقال: إنّ له قول سوء. وبخسه حقّه، كما جرت عادته مع رجال الشيعة، إذ لم يُنصفهم في علم، ولا عمل. والقول السيّئ الذي نقله ابن سعد عن الحارث إنّما هو الولاء لآل محمّد، والاستبصار بشأنهم، كما أشار إليه ابن عبد البرّ فيما نقلناه من كلامه. كانت وفاة الحارث سنة خمس وستين رحمه الله تعالى<sup>١</sup>.

ونقل أبو إسحاق الجوزجانيّ! عبارة فيها من الفظاظة ماجرت به عادة الجوزجانيّ! وسائر النواصب، قال: وكان من أهل الكوفة قوم لا يحمد الناس مذاهبهم، هم رؤوس محدّثي الكوفة، مثل أبي إسحاق ومنصور، زُبَيْدَ الياميّ والأعمش وغيرهم من أقرانهم. احتملهم الناس لصدق ألسنتهم في الحديث، وتوقفوا عندما أرسلوا، إلى آخر كلامه الذي أنطقه الحقّ به. وَالْحَقْدُ يُنْطَقُ مُنْصِفاً وَعَيْنِداً.

إِذَا رَضِيَتْ عَنِّي كِرَامُ عَسِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَيَّ لِئَامُهَا<sup>٢</sup>

\* \* \*

١- «المراجعات» ص ٥٢ و ٥٣، الرقم ١٩، الطبعة الأولى، ترجمة الحارث بن

عبدالله.

٢- «المراجعات»، ص ٥٨.

وخصّص المرحوم الصدر الصحيفة السادسة من كتابه في عدد ما صنّفه الشيعة الإمامية في الحديث من طريق أهل البيت من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عهد أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام .

قال : فاعلم أنّها تزيد على ستّة آلاف وسثمائة كتاب ، على ما ضبطها الشيخ الحافظ محمّد بن الحسن الحرّ صاحب «الوسائل» ، ونصّ على ذلك في آخر الفائدة الرابعة من كتابه الجامع الكبير في الحديث المسمّى بـ «وسائل الشيعة إلى أحكام الشريعة» . وقد ذكرتُ أنا في كتابي «نهاية الدراية في أصول علم الحديث» ما يؤيد هذا العدد <sup>١</sup> .

توسّع المرحوم الصدر في كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» في حديث عن تقدّم الشيعة في تدوين جميع العلوم وتصنيفها ، وذكر أدلة كثيرة على كلامه . واختصر ذلك في كتاب «الشيعة وفنون الإسلام» ، واكتفى برؤوس المطالب . ونقل فيما يأتي منتخباً من هذا الكتاب المختصر ليطلع القراء الكرام على شأن الشيعة ومنزلتهم البالغة الأهمية في تقدّمهم وسبقهم .

قال المرحوم الصدر : أوّل من صنّف في علم تفسير القرآن سعيد بن جبّير التابعي رضي الله عنه . كان أعلم التابعين بالتفسير . كما حكاه السيوطي في «الإتقان» عن قتادة . وذكره ابن النديم في «الفهرست» عند ذكر للكتب المصنّفة في التفسير ، ولم ينقل تفسيراً لأحدٍ قبله . وكانت شهادته سنة أربع وتسعين من الهجرة .

وكان ابن جبّير من خلّص الشيعة . نصّ على ذلك علماؤنا في كتب

١- «الشيعة وفنون الإسلام» ص ٧٢ .



الرجال ، كالعلامة جمال الدين ابن المطهر في «الخلاصة» ، وأبي عمرو الكشّي في كتابه في الرجال . وروى روايات عن الأئمة عليهم السلام في مدحه وتشيعه واستقامته . قال : وما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر - يعني التشيع - قتله سنة ٩٤ .

ثم أعلم أنّ جماعة من التابعين من الشيعة صتّفوا في تفسير القرآن بعد سعيد بن جبير .

منهم : السُّدِّيُّ الكبيرُ إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفيّ أبو محمّد القُرَشِيّ المتوفّي سنة سبع وعشرين ومائة . قال السيوطيّ في «الإتقان» : أمثُلُ التفاسير تفسيرُ إسماعيل السُّدِّيِّ . روى عنه الأئمة مثل الثوريّ! وشعبة .

قلتُ : وقد ذكره وذكر تفسيره النجاشيّ ، والشيخ أبو جعفر الطوسيّ في فهرست أسماء مصنّفي الشيعة . وقد نصّ على تشيعه ابن قتيبة في كتاب «المعارف» ، والعسقلانيّ في «التقريب» و«تهذيب التهذيب» . وكان من أصحاب عليّ بن الحسين والباقر والصادق عليهم السلام .

ومنهم : محمّد بن السائب بن بشر الكَلْبِيّ صاحب التفسير المشهور . وذكره ابن النديم عند تسمية الكتب المصنّفة في تفسير القرآن . وقال ابن عدّيّ في «الكامل» : للكلبيّ أحاديث صالحة ، وخاصّة عن أبي صالح ، وهو معروف بالتفسير . وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع . وقال السمعانيّ : محمّد بن السائب صاحب «التفسير» ، كان من أهل الكوفة ، قائلاً بالرجعة . وابنه هشام ذو نسب عالٍ ، وفي التشيع غالٍ .

قلت : كان من الشيعة المخصوصين بالإمام زين العابدين وابنه الباقرش ، وكانت وفاته سنة ستّ وأربعين بعد المائة من الهجرة المباركة .

ومنهم : جَابِرُ بْنُ يَزِيدِ الجُعْفِيّ الإمام في التفسير ، أخذه عن الإمام

الباقر ، وكان من المنقطعين إليه . وصنّف تفسير القرآن وغيره . وتوفّي سنة سبع وعشرين ومائة بعد الهجرة . وهو غير تفسير الإمام الباقر الذي ذكره ابن النديم عند تسمية الكتب المصنّفة في التفسير .

قال : كتاب الباقر محمّد بن عليّ بن الحسين ، رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجاروديّة الزيديّة .

قلتُ : وقد رواه عن أبي الجارود أيام استقامته قبل تزيده جماعة من ثقات الشيعة كأبي بصير يحيى بن القاسم الأسديّ وغيره .

إنّ أوّل من دوّن علم القراءة أبانُ بنُ تغلبِ الربيعيّ أبو سعيد . ويقال : أبو أميمة الكوفيّ . قال النجاشيّ في فهرس أسماء مصنّفي الشيعة : كان أبان رحمه الله مقدّمًا في كلّ فنّ من العلم ، في القرآن والفقه والحديث . ولأبان قراءة مفردة مشهورة عند القراء . ثمّ أوصل إسنده عن محمّد بن موسى بن أبي مريم صاحب اللؤلؤ عن أبان في رواية الكتاب .

وقد ذكر ابن النديم في «الفهرست» تصنيف أبان في القراءة . قال : وله من الكتب «معاني القرآن» لطيف ، كتاب «القراءة» ، وكتاب من الأصول في الرواية على مذهب الشيعة - انتهى .

وبعد أبان ، صنّف حمزةُ بنُ حبيب أحد القراء السبع كتاب «القراءة» . قال ابن النديم : كتاب «القراءة» لحمزة بن حبيب ، وهو أحد السبعة من أصحاب الصادق - انتهى . وقد ذكره الشيخ أبو جعفر الطوسيّ في كتاب «الرجال» في أصحاب الصادق عليه السلام أيضاً . ووجد بخطّ الشيخ الشهيد محمّد بن مكّيّ ، عن الشيخ جمال الدين أحمد بن محمّد بن الحدّاد الحلّيّ ما صورته : قرأ الكسائيّ القرآن على حمزة ، وقرأ حمزة على أبي عبد الله الصادق ، وقرأ على أبيه ، وقرأ على أبيه ، وقرأ على أبيه ، وقرأ على أمير المؤمنين عليّ .

قلتُ : وحمزة على الأعمش أيضاً ، وعلى حمران بن أعين ، وهما من شيوخ الشيعة أيضاً . ولم يعهد لأحدٍ قبل أبان ، وحمزة تصنيف في القراءات ، فإنّ الذهبيّ وغيره ممّن كتب في طبقات القراء نصّوا على أنّ أوّل من صنّف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفّى سنة ٢٢٤ هـ . ولا ريب في تقدّم أبان ، لأنّ الذهبيّ في «الميزان» ، والسيوطي في «الطبقات» نصّوا على أنّه توفي سنة ١٤١ ، فهو مقدّم على أبي عبيد بثلاث وثمانين سنة ، وكذلك حمزة بن حبيب ، فإنهم نصّوا أنّه تولّد سنة ثمانين ، ومات سنة ١٥٦ ، وقيل : سنة ١٥٤ ، وقيل : سنة ١٥٨ ، وأنّ الأخير وهم . وكيف كان فالشيعة أوّل من صنّف في القراءة ، ولا يخفى هذا على الحافظ الذهبيّ ، وحافظ الشام السيوطي ، لكن إنّما أرادوا أوّل من صنّف في القراءات من أهل السنّة ، لا مطلقاً .

وقد تقدّم في التصنيف في القراءة على أبي عبيد من الشيعة جماعة آخرون غير من ذكرنا ، مثل ابن سعدان : أبي جعفر محمّد سعدان الضرير . ومثل أبي جعفر محمّد بن الحسن بن أبي سارة الرّواصي الكوفيّ أستاذ الكسائيّ والفراء ، من خواصّ الإمام الباقر عليه السلام ، ومثل زيد الشهيد ، له قراءة جدّه أمير المؤمنين ، رواها عنه عمر بن موسى الرّجهيّ . في أوّل كتاب قراءة زيد : هذه القراءة سمعتها من زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ، وما رأيتُ أعلم بكتاب الله وناسخه ومنسوخه ومشكله وإعرابه منه . وممّن تقدّم من الشيعة في التصنيف في معان شتى من القرآن :

أبان بن تغلب ، صنّف كتاب «معاني القرآن» . ولم أعثر على أحدٍ صنّف فيه قبل أبان .

عبد الله بن عبد الرحمن الأصمّ المسمعيّ البصريّ ، من شيوخ

الشيعة ، من أصحاب أبي عبد الله الصادق عليه السلام . وهو أوّل من صنّف كتاباً في الناسخ والمنسوخ . وبعد دارم بن قبيصة بن نهشل بن مجمع أبو الحسن التميمي الدارمي ، من شيوخ الصدر الأوّل من الشيعة . عمّر حتى أدرك الإمام الرضا عليه السلام ، ومات في أواخر المائة الثانية . له كتاب «الوجوه والنظائر» ، وكتاب «الناسخ والمنسوخ» . وقد ذكرهما النجاشي في ترجمته في فهرست أسماء المصنّفين من الشيعة . وصنّف بعدهما في ذلك الحسن بن عليّ بن فضال صاحب الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ، وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين . والشيخ الأعظم أحمد بن محمّد بن عيسى الأشعريّ القميّ ، صاحب الرضا أيضاً ، وعاش حتى أدرك الإمام أبا محمّد الحسن العسكريّ .

وأوّل من صنّف في نوادر القرآن : عليّ بن الحسين بن فضال ، أحد شيوخ الشيعة في المائة الثالثة . قال ابن النديم في «الفهرست» : وكتاب الشيخ عليّ بن إبراهيم بن هاشم في نوادر القرآن ، شيعي ، كتاب عليّ بن الحسن بن فضال من الشيعة ، كتاب أبو النصر (أبو النصر - ظ) العياشي من الشيعة - انتهى .

وأوّل من صنّف في مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ : حمزة بن حبيب الزيات الكوفيّ ، من شيعة أبي عبد الله الصادق وصاحبه . المتوفى سنة ست وخمسين بعد المائة بحلوان .

وأوّل من صنّف في مَقْطُوعِ الْقُرْآنِ وَمَوْصُولِهِ هو الشيخ حمزة بن حبيب ، وقد ذكره محمّد بن إسحاق المعروف بابن النديم في «الفهرست» . وأوّل من وضع نقط المصحف وأعربه وحفظه عن التحريف في أكثر الكتب هو أبو الأسود الدؤليّ ، وفي بعضها يحيى بن يعمر العدوانيّ تلميذه ، والأوّل هو الأصحّ . وأيّهما كان فالفضل للشيعة ، لأنّما من الشيعة

بالإتفاق .

وأول من صنّف في مجاز القرآن: الفراء يحيى بن زياد المتوفى سنة سبع ومائتين ، والآتي ذكره في أئمة علم النحو . وقد نصّ المولى عبد الله الأندلسي في «رياض العلماء» على أنه من الشيعة الإمامية . ثم قال : وما قال السيوطي من ميل الفراء إلى الاعتزال لعلّه مبني على خلط أكثر علماء الجمهور بين أصول الشيعة والمعتزلة ، وإلا فهو شيعي إمامي - انتهى .

وقد كتب في مجازات القرآن جماعة ، وأحسن ما صنّف فيه كتاب «مجازات القرآن» للسيد الشريف الرضي الموسوي أخي السيد المرتضى . وأول من صنّف في أمثال القرآن هو الشيخ الجليل محمد بن محمد ابن الجنيد . وقد ذكر ابن النديم في «الفهرست» في آخر تسمية الكتب المؤلفة في معاني شتى من القرآن ما لفظه «كتاب الأمثال» لابن الجنيد - انتهى . ولم أعثر على أحد صنّف في ذلك قبله .

وأول من صنّف في فضائل القرآن: أبي بن كعب الأنصاري الصحابي . نصّ عليه ابن النديم في «الفهرست» . وكانّ الجلال السيوطي لم يطلع على تقدم أبي في ذلك ، فقال : أول من صنّف في فضائل القرآن الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة أربع ومائتين - انتهى .

ثم إن السيد علي بن صدر الدين المدني صاحب «سلافة العصر» قد نصّ على تشييع أبي بن كعب في كتاب الطبقات أعني «الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة» . وأكثر من الدلالات والشواهد على تشييعه . وقد زدت أنا عليه شواهد ودلالات في الأصل ، «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» .

وأول من صنّف في أسباع القرآن كتاباً وكتاباً في حدود أي

١- في «أقرب الموارد»: السُّبُع بالضمّ : جزء من سبعة ، ج أسباع . ومنه أسباع

القرآن : حمزة بن حبيب الكوفي الزيات ، أحد السبعة من الشيعة ، كما تقدم النص على ذلك من الشيوخ. وقد ذكر كتاب «أسباع القرآن»، وكتاب «حدود آي القرآن» ابن النديم في «الفهرست» لحمزة المذكور. ولا أعلم أحداً تقدمه فيها .

### أئمة علم القرآن من الشيعة

منهم : عبد الله بن عباس ، وهو أول من أملى في تفسير القرآن من الشيعة . وقد نص كل علمائنا على تشييعه . وترجمه ترجمة حسنة السيد في كتابه «الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة» . مات سنة ٦٧ هـ في الطائف . ولما حضرته الوفاة قال :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِوَلَائِي لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .  
ومنهم : جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي . وهو في الطبقة الأولى من طبقات المفسرين لأبي الخير . وقال الفضل بن شاذان النيسابوري صاحب الرضا : جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . وقال ابن عقدة عند ذكره : منقطع إلى أهل البيت . مات بالمدينة بعد السبعين من الهجرة ، وعمره أربع وتسعون سنة .

ومنهم : أَبِي بِن كَعْبٍ سَيِّدُ الْقُرَاءِ ، عدوه في الطبقة الأولى من الفسرين من الصحابة . وهو كما عرفت من الشيعة . وترجمته في «الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة» .

وبعد هؤلاء : التابعون :

القرآن، وهي مُحدثة.

ومنهم : **سعيد بن جبير** أعلم التابعين بالتفسير - بشهادة قتادة له بذلك - كما في «الإتقان» ، وقد تقدّم ذكره وتشيعه .

ومنهم : **يحيى بن يعمر** التابعي ، أحد أعلام الشيعة في علم القرآن . قال ابن خلكان : هو أحد قرّاء البصرة ، وعنه أخذ عبد الله بن إسحاق القراءة . وكان عالماً بالقرآن الكريم ، والنحو . ولغات العرب . وأخذ النحو عن أبي الأسود الدئلي . وكان شيعياً من الشيعة الأولى القائلين بتفضيل أهل البيت ، من غير تنقيص لذي فضل من غيرهم - انتهى .

ومنهم : **أبو صالح** ، مشهود بكنيته ، تلميذ ابن عباس في التفسير . اسمه **ميزان البصري** ، تابعي شيعي . نصّ على تشيعه وثقته الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان في كتاب «الكافئة في إبطال توبة الخاطئة» بعد حديث عنه ، عن ابن عباس . مات أبو صالح بعد المائة .

ومنهم : **طاووس بن كيسان أبو عبد الله اليماني** ، أخذ التفسير عن ابن عباس . وعده الشيخ أحمد بن تيمية من أعلم الناس بالتفسير ، كما في «الإتقان» . ونصّ ابن قتيبة في كتاب «المعارف» على تشيعه . قال في ص ٢٠٦ من المطبوع بمصر : الشيعة : الحارث الأعور ، وصعصعة بن صوحان ، والأصبخ بن نباتة ، وعطيّة العوفي ، وطاووس ، والأعمش - انتهى . توفي طاووس بمكة سنة ستّ ومائة ، وكان منقطعاً إلى علي بن الحسين السّجاد عليه السلام .

ومنهم : **الأعمش الكوفي** : **سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي** ، وقد تقدّم نصّ ابن قتيبة على تشيعه ، وكذلك الشهرستاني في «الملل والنحل» ، وغيرهما . ومن علمائنا الشيخ الشهيد الثاني زين الدين في حاشية «الخلاصة» ، والمحقق البهبهاني في «التعليقة» ، والميرزا محمد باقر الداماد في «الرواشح» .

ومنهم : **سعيد بن المُسيَّب** ، أخذ عن أمير المؤمنين وابن عباس . وكان قد رباه أمير المؤمنين عليه السلام ، وصحبه ولم يفارقه وشهد معه حروبه . ونص الإمام الصادق ، والإمام الرضا على تشييعه ، كما في الجزء الثالث من كتاب «قرب الإسناد» للحميري . كان إمام القراء بالمدينة . وعن ابن المدائني أنه قال : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه . مات بعد التسعين ، وقد ناهز الثمانين .

ومنهم : **أبو عبد الرحمن السلمي** شيخ قراءة عاصم . قال ابن قتيبة : كان من أصحاب علي عليه السلام ، وكان مقرئاً ، ويحمل عنه الفقه . قلت : وقرأ أبو عبد الرحمن علي أمير المؤمنين عليه السلام ، كما في «مجمع البيان» للطبرسي . وعده البرقي في كتاب «الرجال» في خواص علي بن أبي طالب عليه السلام من مضر . مات بعد السبعين .

ومنهم : **السدي الكبير** صاحب التفسير المتقدم ذكره .<sup>١</sup>

١- قال أحمد أمين بك في كتاب «فجر الإسلام» ص ٢٧٥: فاشتغل بعض علمائهم (الشيعة) بعلم الحديث، وسمعوا الثقات وحفظوا الأسانيد أحاديث تتفق ومذهبهم. وأصلوا بهذه الأحاديث كثيراً من العلماء لانخداعهم بالإسناد. بل كان منهم من سمي بالسدي. ومنهم من سمي بابن قتيبة. فكانوا يروون عن السدي، وابن قتيبة، فيظن أهل السنة أنهما المحدثان الشهيران، مع أن كلا من السدي، وابن قتيبة الذي ينقل عنه الشيعة إنما هو رافضي غال. وقد ميزوا بينهما بالسدي الكبير، والسدي الصغير. والأول ثقة، والثاني شيعي وضاع، وكذلك ابن قتيبة الشيعي غير عبد الله بن مسلم بن قتيبة. بل وضعوا الكتب وحشوها بتعاليمهم ونسبوها لأئمة أهل السنة، ككتاب «سر العارفين» الذي نسبه للغزالي. ومن هذا القبيل ما نراه ماثلاً في الكتب من إسناد كل فضل وكل علم إلى علي بن أبي طالب إما مباشرة، وإما بواسطة ذريته. (إلى آخر كلامه هنا).

لقد أخطأ أحمد أمين هنا أيضاً. أولاً: أين لوحظ أن علماء الشيعة احتاجوا إلى موضوع يتحقق إثباته بواسطة الطرق الروائية للعامّة؟ ونحن قد رأينا أن معظم الرواة في كتب العامّة



ومنهم : **محمد بن السائب بن بشر الكلابي** صاحب التفسير الكبير المتقدم ذكره .

ومنهم : **حُمران بن أعين** ، أخو زرارة بن أعين الكوفي ، مولى آل شيان ، من أئمة القرآن ، أخذ عن الإمام زين العابدين والباقر عليهما السلام . ومات بعد المائة .

ومنهم : **أبان بن تغلب** المتقدم ذكره ، كان المقدم في كل فن من العلم . أخذ القراءة عن الأعمش ، وهو من أصحاب الإمام السجاد علي بن الحسين والباقر عليهما السلام . مات سنة ١٤١ .

ومنهم : **عاصم بن بهدلة** ، أحد السبعة ، قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي ، القارئ علي بن أمير المؤمنين عليه السلام . ولذا كانت قراءة عاصم أحبّ القراءات إلى علمائنا . ونصّ علي تشييعه الشيخ الجليل عبد الجليل الرازي المتوفى سنة ٥٥٦ هـ في كتابه «نقض الفضائح» ، وأنه كان مقتدي الشيعة .

هم من الشيعة. ثانياً: كلامنا يحوم حول السُّديّ الكبير وهو شيعي ، أمّا السُّديّ الصغير فلا كلام لنا حوله. ثالثاً: مطالب الشيعة مأخوذة من ابن قتيبة العالم المحدث المعروف صاحب كتاب «المعارف» ، وكتاب «الإمامة والسياسة» ، وغيرهما. ومعظم المطالب التي يذكرونها ينقلونها من كتاب «الإمامة والسياسة» المذكور فيه ما يدين العامة من الوثائق البيّنة التي تثبت إجرامهم. ولا ريب في نسبه إلى محمد بن مسلم ابن قتيبة الدينوري أبداً. وعنوان كتاب الغزالي «سرّ العالمين» ، لا «سرّ العارفين». ويبدو أنّ الدكتور أحمد أمين لم ير غلاف الكتاب، ويحكم علي ما فيه ! وكان قد اعترف في النجف بأنّ كتب الشيعة غير موجودة عنده. واستبان هنا أنّ كتب العامة غير موجودة عنده أيضاً ! ثمّ أرخى العنان لقلمه - كمؤرّخ - ووطأت قدمه هذا المضمار. وأنا أقتني في مكتبي ربع طبقات مختلفة من هذا الكتاب وطالعت مراراً. وتحدّثت عن صحّة انتسابه إلى الغزالي حديثاً وافياً في الجزء الثامن من كتابنا هذا، الدرس ١١٨ إلى ١٢٠.

ومنهم:

مات عاصم سنة ثمان وعشرين بعد المائة بالكوفة ، وقيل : بالسماوة وهو يريد الشام ودُفن بها . وكان لا يبصر كالأعمش . ونصّ على تشييعه القاضي نور الله المرعشيّ في كتابه «مجالس المؤمنين» . وهو في طبقات الشيعة . وبعد هؤلاء أتباع التابعين :

منهم : **أَبُو حَمَزَةَ الثَّمَالِيّ** : ثابِتُ بْنُ دِينَارِ شَيْخِ الشَّيْخَةِ بالكوفة : قال ابن النديم في «الفهرست» : كتاب تفسير أبي حمزة الثماليّ ، وكان من أصحاب عليّ بن الحسين عليه السلام ، من النجباء الثقات . وصحب أباجعفر الباقر - انتهى . ومات أبو حمزة سنة مائة وخمسين .

ومنهم : **يحيى بن القاسم أبو بصير الأسديّ** ، كان مُقَدِّمًا في الفقه والتفسير ، وله فيه مصنّف معروف . ذكره النجاشيّ ، وأوصل إسناده إلى رواية التفسير . مات في حياة أبي عبد الله الصادق عليه السلام المتوفّي سنة ١٤٨ هـ .

ومنهم : **البطائنيّ : عليّ بن سالم المعروف بابن أبي حمزد أبو الحسن الكوفيّ مولى الأنصار** . له كتاب «تفسير القرآن» . يروي فيه عن أبي عبد الله الصادق ، وأبي الحسن موسى الكاظم ، وأبي بصير المتقدم ذكره .  
ومنهم : **الحصين بن مُخارق : أَبُو جُنَادَةَ السَّلُولِيّ** . قال ابن النديم : كان من الشيعة المتقدمين ، وله من الكتب كتاب «التفسير» ، كتاب «جامع العلوم» - انتهى . وذكر له النجاشيّ أيضاً كتاب «التفسير والقراءات» ، وكتاباً كبيراً .

ومنهم : **الكسائيّ أحد السبعة** . اجتمع فيه أمور : كان أعلم الناس بالنحو ، وأوحدهم في الغريب والقرآن . وهو من أولاد الفُرس من سواء العراق . وقد ذكرتُ نسبه في الأصل «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ومن

نصّ على تشييعه . مات بالري ، أو بطوس ، وهو في صحبة الرشيد سنة ١٨٩ هـ ، وقيل : سنة ١٨٣ هـ ، وقيل : ١٨٥ هـ ، وقيل : سنة ١٩٣ هـ ، والأوّل هو الأصحّ .

وبعد هؤلاء طبقة أخرى . ويفضّل المرحوم الصدر هنا الكلام في ترجمتهم ، وتصنيفهم في علوم القرآن المتنوّعة ، وهم من الشيعة . ويذكرهم واحداً تلو الآخر ، من ابن سَعْدَانَ الضَّرِيرِ : أَبِي جَعْفَرِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدَانَ بْنِ الْمُبَارِكِ الْكُوفِيِّ ، إِلَى النِّعْمَانِيِّ صَاحِبِ التَّفْسِيرِ الْمَعْرُوفِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَرْوَانَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْحَجَّامِ . ثمّ يقول : والذين صنّفوا في أنواع علوم القرآن جماعة منهم :

**مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الشَّيْبَانَ** شيخ الشيخ المفيد . صنّف «نهج البيان عن كشف معاني القرآن» ، ونوّع علوم القرآن إلى ستين نوعاً ، صنّفه باسم المستنصر العبّاسيّ ! ، وينقل عنه السيّد المرتضى في كتاب «المحكم والمتشابه» .

**والشيخ المفيد : مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النِّعْمَانَ الْمَعْرُوفِ فِي عَصْرِهِ بِابْنِ الْمُعَلِّمِ** . كان شيخ الشيعة ، صاحب كرسيّ . له كتب مذكورة في فهرست مصنّفاته ، منها : كتاب «البيان في أنواع علوم القرآن» . مات في المحرّم سنة تسع وأربعمائة . ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» .

و**مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلِيمِ أَبِي الْفَضْلِ الصَّوْلِيِّ الْجُعْفِيِّ الْكُوفِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالصَّابُونِيِّ** ، صاحب «الفاخر في اللّغة» . له كتاب تفسير عنوانه «معاني تفسير القرآن وتسمية أصناف كلامه المجيد» . من شيوخ أصحابنا . سكن بمصر ومات فيها سنة ثلاثمائة .

إنّ أوّل تفسير جمع فيه كلّ علوم القرآن هو كتاب «الرغيب في علوم القرآن» لأبي عبد الله مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو الْوَاقِدِيِّ . ذكره ابن النديم في كتابه

«الفهرست» ونص على تشييعه<sup>١</sup>.

١- قال أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بابن النديم في كتابه المذكور، ص ١١١، طبعة جامعة طهران: أخبار الواقدي. أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي مولى الأسلميين بني سهم بن أسلم كان يشتم، حسن المذهب، يلزم التقيّة. وهو الذي روى أنّ عليّاً عليه السلام كان من معجزات النبي صلى الله عليه وآله كالعصا لموسى على نبيّنا وعليه السلام وإحياء الموتى لعيسى ابن مريم عليه السلام، وغير ذلك من الأخبار... إلى آخر ترجمته.

وتحدّث الدكتور مارسدن جونس في مقدّمته على كتاب «المغازي» للواقدي، في الجزء الأول، عن تشييع الواقدي في سياق ترجمته له في ص ١٦ إلى ١٨، فقال: لعل وجود كتابين للواقدي، أحدهما في مولد الحسن والحسين ومقتل الحسين، والآخر في مقتل الحسين خاصّة يومه أنّه كان شيعياً، كما ذكر ابن النديم منفرداً بهذا الرأي دون غيره. وينقل جونس هنا لفظ ابن النديم الذي أوردناه آنفاً، ثم يقول: وقد نقل صاحب «أعيان الشيعة» هذا القول عن ابن النديم، مستدلاً به على تشييعه. ومن ثمّ ترجم له<sup>١</sup>.

وكذلك ذكره آغا بزرك الطهراني<sup>٢</sup> حين تحدّث عن تأريخ الواقدي. على أنّه ممّا يثير الدهشة أنّ الطوسي - وهو معاصر لابن النديم - لم يذكر الواقدي في كتابه «الفهرست» ولم يذكر كتاباً من كتبه، وخاصّة تلك التي تتعلّق بمولد الحسن والحسين ومقتل الحسين، على أهميّة هذا الأمر الذي شغل جميع علماء الشيعة ومؤرّخيهم وجامعي أخبارهم. ولو سلّمنا لابن النديم أنّ الواقدي كان يلزم التقيّة، فإنّ تشييعه كان لا بدّ أن يظهر على نحو ما عند الحديث عن عليّ أو في الرواية عنه، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث. بل على النقيض من ذلك نرى الواقدي يذكر أحاديث قد تحطّ من قدر عليّ، أو توهم من شأنه على أقلّ ما يقال. فحين يصف رجوع النبي إلى المدينة من أحد، يذكر أنّ فاطمة مسحت الدم عن وجه النبي، وذهب عليّ إلى المهراس ليأتي بماء، وقبل أن يمشي ترك سيفه وقال لفاطمة: أمسكي هذا السيف غير ذميم! ولما أبصر النبي سيف عليّ مختضباً قال: إن كنت أحسنّت القتال، فقد أحسن عاصم بن ثابت، والحارث بن لصفمة، وسهل بن حنيف، وسيف أبي دجانة غير مذموم.<sup>٣</sup>

وحين نقرأ عدد القتلى من قریش يوم بدر عند ابن إسحاق مثلاً نرى أنّ عليّاً قد قتل طعيمة بن عدي<sup>٤</sup>، ولكن الواقدي يذكر أنّ الذي قتله هو حمزة وليس عليّاً.<sup>٥</sup>

ونرى الواقدي أيضاً حين يذكر قتل صواب يوم أُحد، واختلاف الأقوال فيمن قتله، يقول: فاختلف في قتله، فقاتل قال: سعد بن أبي وقاص، وقاتل: علي، وقاتل: قزمان، وكان أثبتهم عندنا قزمان.<sup>٦</sup>

وأهم من كل ذلك ما ينقله الشيعة أنفسهم، كابن أبي الحديد مثلاً في كتابه حين ينقل فقرة طويلة عن الواقدي، ثم يورد فيها رواية أخرى مختلفة الأولى، ويبدأها بقوله: وفي رواية الشيعة،<sup>٧</sup> مما يدل دلالة قاطعة على أن ابن أبي الحديد لم يعتبر الواقدي مصدراً شيعياً، أو يمثل رأي الشيعة على الأقل.

ومن الطريف أن يلاحظ أن ابن إسحاق يُتهم هو الآخر بميوله الشيعية والقدرية.<sup>٨</sup> ويبدو لنا أن السبب في اتِّهام الواقدي وابن إسحاق بالتشيع لا يرجع إلى عقيدتهما الشخصية، وإنما يرجع إلى ما ورد في كتابيهما من الأقوال والآراء الشيعية التي يعرضانها، وليس ذلك عن عقيدة صحيحة فيها، مما تقتضيه طبيعة التأليف في مثل هذه الموضوعات - انتهى موضع الحاجة من كلام مارسون جونس.

ونحن ذكرنا في ج ١٣ من كتابنا هذا «معرفة الإمام» الدرس ١٨١ إلى ١٨٥، أن البعض يرى أن تشيع الواقدي يعود إلى ذكره اسم عثمان وعمر، أو عمر، أو عثمان في زمرة الفارين يوم أُحد. وتعرض الدكتور مارسدن جونس أيضاً لهذا الموضوع في ص ١٨ من مقدمة كتاب «المغازي»، وقال: وهذا لا ينهض دليلاً على تشيعه. أجل، إن محصلة الكلام هو أننا لا يمكن أن نحكم بتشيع الواقدي بمجرد ذكر هذه المواضع. ولعل هذا هو الذي حدا السيد عبدالحسين شرف الدين ألا يذكره في كتاب «المراجعات» مع المائة الذين أوردتهم من عظماء مؤلفي الشيعة.

١ - «أعيان الشيعة» ج ٤٦، ص ١٧١.

٢ - «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» ج ٣، ص ٢٩٣.

٣ - «المغازي» ج ١، ص ٢٤٩.

٤ - «السيرة النبوية» ج ٢، ص ٣٦٦.

٥ - «المغازي» ج ١، ص ١٤٨.

٦ - «المغازي» ج ١، ص ٢٢٨.

ثم كتاب «التبيان الجامع لكلّ علوم القرآن» في عشرة مجلّدات كبار للشيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ الطوسيّ شيخ الشيعة . كانت ولادته سنة ٣٨٥ هـ . وتوفي في الغريّ سنة ٤٦٠ هـ . ذكر في أوّله أنّه أوّل من جمع ذلك .

وكتاب «حقائق التنزيل ودقائق التأويل» ، وهو في كبر «تفسير التبيان» للسيد الشريف الرضيّ ، أخو المرتضى . كشف فيه عن غرائب القرآن وعجائبه وخفاياه وغوامضه ، وأبان غوامض أسرارها ، ودقائق أخبارها . وتكلّم في تحقيق حقائقه ، وتدقيق تأويله ، بما لم يسبقه أحد إليه ، ولا حام فكر أحد عليه ، لكنّه ليس بجامع لكلّ علوم القرآن .

وله كتاب «المُتَشَابِهُ فِي الْقُرْآنِ» ، وكتاب «مَجَازَاتِ الْقُرْآنِ» . هذا ولم يزد عمره على سبع وأربعين سنة ، مات سنة ٤٠٦ هـ .

و«رَوْضُ الْجَنَانِ وَرَوْحُ الْجَنَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» في عشرين جزءاً للشيخ الإمام القدوة أبي الفتوح الرازيّ الحسين بن عليّ بن محمّد بن أحمد الخزازيّ الرازيّ النيسابوريّ . مات بعد القرن الخامس . وتفسيره الجامع متأخر على جامع الشيخ الطوسيّ التفسيريّ .

وكتاب «مجمع البيان في علوم القرآن» في عشرة اجزاء للشيخ أمين الدين أبي عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسيّ ، المتوفى سنة أربعين وخمسمائة ، جامع لكلّ ذلك ، لكنّه صرّح في أوّله أنّه عيال فيه على تبيان الشيخ الطوسيّ قدس سرّه .

و«خلاصة التفاسير» في عشرين مجلّداً ، للشيخ قطب الدين

٧ - «شرح نهج البلاغة» ج ٣ ، ص ٣٣٩ .

٨ - «معجم الأدباء» ج ١٨ ، ص ٧ .

الراونديّ، وهو مشحون بالحقائق والدقائق، من أحسن التفاسير المتأخّرة، عن الشيخ أبي جعفر الطوسي<sup>١</sup>.

### تقدّم الشيعة في علم الحديث

كان ما قيل عن تقدّم الشيعة في جميع علوم القرآن من تفسير وغيره. وأمّا تقدّمهم في علوم الحديث والرواية، فإنّه ذكر أول الجامعين للحديث واحداً تلو الآخر، ومن بوّب منهم أبوابه، وجمع الروايات في عناوين مستقلة. وذكر المبتكرين والمدوّنين للآثار من كبار الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، حتّى بلغ جميع المدوّنين في القرن الثاني، وأحصى المدوّنين في القرن الثالث. ثمّ ذكر بعض المتأخّرين عنهم من أئمة علم الحديث وأرباب الجوامع الكبار التي إليها اليوم مرجع الشيعة في أحكام الشريعة، وقال:

فاعلم أنّ المحمّدين الثلاثة الأوائل هم أرباب الجوامع الأربعة، وهم:

١- أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكُلينيّ صاحب «الكافي» المتوفّى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. أخرج فيه (١٦٠٩٩) حديثاً بأساندها.

٢- محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ المتوفّى سنة ٣٨١ هـ. وهو المعروف بأبي جعفر الصدوق. ألف أربعمائة كتاب في علم الحديث، أجلّها كتاب «من لا يحضره الفقيه». وأحاديثه (٩٠٤٤) حديثاً في الأحكام والسنن.

٣- محمّد بن الحسن الطوسيّ شيخ الطائفة صاحب كتاب

١- «الشيعة وفنون الإسلام» لآية الله السيّد حسن الصدر، من ص ٤٩: الصحيفة الأولى في أول من صنّف في علم تفسير القرآن، إلى ص ٦٥، بإيجاز في اختيار المطالب.

«تهذيب الأحكام»، بؤبه على ثلاثمائة وثلاثة وتسعين باباً، وأخرج فيه (١٣٥٩٠) حديثاً. وكتابه الآخر هو «الاستبصار»، وأبوابه تسعمائة وعشرون باباً، أخرج فيه (٥٥١١) حديثاً. وهذه هي الكتب الأربعة التي عليها المعوّل، وإليها المرجع للشيعة.

ثمّ المحمّدين الثلاثة الأواخر، أرباب الجوامع الكبار، وهم:

١ - محمّد الباقر بن محمّد التقيّ المعروف بالمجلسيّ، مؤلّف «بحار الأنوار في الأحاديث المروية عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمّة من آلّه الأطهار» في ستّة وعشرين مجلداً ضخماً، وعليه تدور رحي الشيعة، لأنّه لا أجمع منه في جوامع الحديث. وقد أفرد العلامة النوريّ كتاباً في أحوال هذا العلامة سمّاه «الفيض القدسيّ في أحوال المجلسيّ» وقد طبع مع «البحار» بإيران.

٢ - محمّد بن مرتضى بن محمود المدعوّ بمحسن الكاشانيّ الشيخ المحدث العلامة المتبحّر في المعقول والمنقول، الملقّب بالفيض. له «الوافي في علم الحديث» في أربعة عشر جزءاً، كلّ جزء كتاب على حدة. يجمع الأحاديث المذكورة في الكتب الأربعة، في الأصول والفروع والسنن والأحكام. وله نحو مائتي مصنّف في فنون العلم. عمّر أربعاً وثمانين سنة، وتوفّي سنة ١٠٩١ هـ.

٣ - محمّد بن الحسن الحرّ الشاميّ العامليّ المشغريّ شيخ الشيوخ في الحديث صاحب «تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل أحاديث الشريعة»<sup>١</sup> على ترتيب كتب الفقه، من أنفع الجوامع في الحديث، أخرجها من ثمانين كتاباً من الجوامع كانت عنده، وسبعين نقل عنها بالواسطة. وقد

١- عنوان الكتاب: «تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة».



طُبع مراراً بإيران ، وعليه تدور رحى الشيعة اليوم . ولد في رجب سنة ١٠٣٣ هـ ، وتوفي بطوس من بلاد خراسان في سنة ١١٠٤ هـ .

وقد ألف الشيخ العلامة ثقة الإسلام الحسين بن العلامة النوري مافات من صاحب «الوسائل» ، وجمعه على أبواب «الوسائل» ، وسماه «مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل» وهو نحو كتاب «الوسائل» . فكان أعظم مصنف في أحاديث المذهب ، وفرغ منه سنة ١٣١٩ هـ . وتوفي في الغري ، ثامن وعشرين جمادى الآخرة ، سنة عشرين وثلاثمائة بعد الألف .

وهناك جوامع كبار الأعلام المحدثين الأخيار ، منها : «العوامل» وهو مائة مجلد في الحديث للشيخ المحدث المتبحر البارع المولى عبد الله بن نور الله البحراني المعاصر للعلامة المجلسي صاحب «البحار» .

ومنها : كتاب «شرح الاستبصار في أحاديث الأئمة الأطهار» في عدة مجلدات كبار ، نحو «البحار» للشيخ المحقق قاسم بن محمد بن جواد المعروف بابن الوندي ، وبالفقيه الكاظمي المعاصر للشيخ محمد بن الحسن الحرّ صاحب «الوسائل» . كان ممن تخرّج على جدنا العلامة السيّد نور الدين أخي السيّد محمد صاحب «المدارك» .

ومنها : «جامع الأخبار في إيضاح الاستبصار» ، وهو جامع كبير يشتمل على مجلدات كثيرة للشيخ العلامة الفقيه : عبد اللطيف بن علي بن أحمد بن أبي جامع الحارثي الهمداني الشامي العاملي . تخرّج على الشيخ المحقق المؤسس المتقن الحسن أبي منصور بن الشهيد الشيخ زين الدين العاملي صاحب «المعالم» ، و«المنتقى» من علماء المائة العاشرة .

ومنها : الجامع الكبير المسمى بـ «الشفاء في حديث آل المصطفى» ، يشتمل على مجلدات عديدة للشيخ المتضلع في الحديث محمد الرضا بن

الشيخ الفقيه عبد اللطيف التبريزي. فرغ منه سنة ١١٥٨ هـ. ومنها: «جامع الأحكام» في خمسة وعشرين مجلداً كبيراً للسيد العلامة: عبد الله بن السيد محمد الرضا الشُّبْرِي الكاظمي. كان شيخ الشيعة في عصره، وواحد المصنِّفين في دهره. لم يكن أكثر منه تأليفاً في المتأخرين عن العلامة المجلسي. مات سنة ١٢٤٢ هـ في بلدة الكاظمية.

### تقدّم الشيعة في علم الدراية

فأول من تصدّى لعلم دراية الحديث وتنويعه إلى الأنواع المعروفة - والتقدّم فيه للشيعة أيضاً - هو أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المشهور، المتوفى سنة خمس وأربعمائة. صنّف فيه كتاباً سمّاه «معرفة علوم الحديث» في خمسة أجزاء. ونوع فيه الحديث إلى خمسين نوعاً. وقد نصّ على تقدّمه في ذلك صاحب «كشف الظنون»، قال: أول من تصدّى له الحاكم، وتبعه في ذلك ابن الصلاح.

وصنّف بعد الحاكم في علم دراية الحديث جماعة من شيوخ علم الحديث من الشيعة، كالسيد جمال الدين أحمد بن طاووس، أبو الفضائل. وهو واضح الاصطلاح الجديد للإمامية في تقسيم أصل الحديث إلى الأقسام الأربعة: الصحيح والحسن والمؤثّق، والضعيف.

### تقدّم الشيعة في علم الرجال

وأول من دوّن علم رجال الحديث وأحوال الرواة: أبو عبد الله محمد بن خالد البرقي القمي. كان من أصحاب الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، كما في كتاب «الرجال» للشيخ أبي جعفر الطوسي. وذكر تصنيفه في الرجال الرواة أبو الفرج: ابن النديم

في «الفهرست» في أوّل الفنّ الخامس ، في أخبار فقهاء الشيعة من المقالة السادسة .

قال : وله من الكتب كتاب «العويص» ، كتاب «التبصرة» ، كتاب «الرجال» . فيه ذكر من روى عن أمير المؤمنين عليه السلام - انتهى .  
ثمّ صنّف بعده أبو محمّد: عبد الله بن جبلة بن حيّان بن أبجر الكنانيّ . صنّف كتاب «الرجال» . ومات سنة تسع عشرة ومائتين عن عمر طويل .

وقال السيوطيّ في كتاب «الأوائل» : أوّل من تكلم في الرجال شُعبة ، وهو متأخّر عن ابن جبلة . فإنّ شعبة مات سنة (٢٦٠) .<sup>١</sup> بل تقدّمه ممّا بعد

١- لقد سها كلا الباحثين اللذين كانا من أساطين العلم والتشيع: السيّد عبدالحسين شرف الدين العامليّ ، والسيّد حسن الصدر في شُعبة بن الحجّاج على سبيل القضية المنفصلة مانعة الخلوّ - وَالْجَوَادُ قَدْ يَكْبُو - فلا بدّ من رفع هذا السهو . أمّا المرحوم آية الله شرف الدين فقد ذكر في كتابه النفيس القيمّ «المراجعات» ص ٦٨ ، تحت الرقم ٤١ الطبعة الأولى ، (شُعبة بن الحجّاج) أبا الورد العتكيّ الواسطيّ الساكن بالبصرة ، المكنى بأبي بسطام ، في رجال الشيعة ، وقال: وعده من رجال الشيعة جماعة من جهابذة أهل السنّة كابن قتيبة في معارفه ، والشهرستانيّ في «الملل والنحل» . إلى أن قال: وحديثه ثابت في صحيحي البخاريّ ومسلم عن كلّ من أبي إسحاق السبيعيّ ، وإسماعيل بن أبي خالد ، ومنصور ، والأعمش ، وغير واحد . وقال: كان مولده سنة ثلاث وثمانين ، ومات سنة ستين ومائة رحمه الله - انتهى موضع الحاجة من كلامه .

أقول: لانتقاش في سنة وفاته ، ١٦٠ هـ ، لأنّه من رواية الإمام الصادق عليه السلام المتوفى سنة ١٤٨ هـ . كما هو ملحوظ من عصر الذين روى عنهم كأبي إسحاق والمنصور والأعمش وإسماعيل بن خالد ، وذكر أصحاب كتب الرجال أنّ وفاته كانت في سنة ١٦٠ هـ . أمّا في تشييعه ، فلنا نقاش بل ردّ صريح على ذلك . أولاً: قال المرحوم آية الله السيّد حسن الصدر في كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ص ٢٣٣ : أوّل من أسس علم الرجال أبو محمّد عبد الله بن جبلة بن حيّان بن أبجر الكنانيّ ، وهو شيعيّ ، صنّف كتاب «الرجال»

كما في فهرس أسماء المصنّفين من الشيعة للنجاشي. وهو متقدّم على شعبة بن الحجّاج الذي عدّه السيوطي في كتاب «الأوائل» أوّل من تكلم في الرجال. ولعلّ مراد السيوطي من ذلك أنّه أوّل عالم من علماء السنّة، لا الشيعة. وإلا لا يخفى على مثل الجلال كتاب «الرجال» لعبدالله بن جبلة المشهور... إلى آخر ما قاله المرحوم الصدر. ويتّضح من هذا جيّداً أنّ المرحوم الصدر كان يعدّ شعبة بن الحجّاج من العامّة، مع أنّ أصل تصنيف كتاب «تأسيس الشيعة» من أجل الكشف عن علماء الشيعة وإظهارهم، وفرزهم عن غيرهم.

ثانياً: تذكر جميع كتب التراجم والرجال والكتب الفقهيّة أنّ شعبة سنّي عامّي وفتاواه مشهورة في مقابل فتاوى الشيعة. وذهب آية الله المامقاني في «تفتيح المقال»، ج ٢، ص ٨٥، إلى أنّه من العامّة، وقال: شعبة بن الحجّاج بن الورد العتكيّ الواسطيّ لم أفف فيه إلا على عدّ الشيخ رحمه الله إياه من أصحاب الصادق عليه السلام، وقوله: **أَسْنَدَ عَنْهُ**. نعم، نقل المولى الوحيد رحمه الله عن الحافظ أبي نُعَيْم أنّه قال: **حَدَّثَ عَنْ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْنِي الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأَثَمَةِ الْأَعْلَامِ شُعْبَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ - انتهى**. ومن تتبّع نقل فتاواه في كتبهم الفقهيّة المعدّة لنقل الخلاف لعلّه لا يستريب بذلك. بل نقل السيّد المرتضى رحمه الله في «الشافعي» عن جمع هو أحدهم أمراً غريباً حيث قال: **عَبَادُ بْنُ صُهَيْبٍ، وَشُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَمَهْدِيُّ بْنُ هَالَلٍ، وَغَيْرُهُمْ رَوَوْا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَتَوَلَّى الشُّيْخَيْنِ وَأَنَّهُ رَوَى عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ** مثل ذلك.

فكّون الرجل من علماء العامّة وأهل الفتوى منهم من البديهيّات. وذلك كافٍ في ضعفه. وروى أبو الفرج في «مقاتل الطالبيين» عن يحيى بن عليّ والجوهريّ والعتكيّ من رجالهم أنّ شعبة بن الحجّاج تبرى، وكان يفتي بالخروج مع إبراهيم بن عبدالله بن الحسن. وروى عن رجاله في موضع آخر أنّه خرج مع إبراهيم من أصحاب الحديث شعبة بن الحجّاج وهشيم بن بشير وعباد بن العوّام ويزيد بن هارون وغيرهم - إلى آخر ما ذكره المامقاني في هذا المقام.

تبين ممّا ذكرنا أنّ نسبة التشييع إلى شعبة بن الحجّاج لعلّها تعود إلى خروجه مع إبراهيم بن عبدالله. ومن المعلوم أنّ مجرد الخروج لا يقوم دليلاً على ذلك. وأبو حنيفة أيضاً قد أفتى بلزوم الخروج. وروايته عن الإمام الصادق لا تنهض دليلاً على ذلك أيضاً، لأنّ كثيراً من

ابن جبلة أبو جعفر اليقطيني صاحب الإمام الجواد محمد بن عليّ الرضا، فإنه صنف كتاب «الرجال» كما في فهرست النجاشي، وفهرست ابن النديم. وكذلك الشيخ محمد بن خالد البرقي. كان من أصحاب الإمام موسى بن جعفر، والرضا. وبقي حتى أدرك الإمام أبا جعفر محمد بن الرضا عليه السلام، وكتابه موجود بأيدينا. فيه ذكر من روى عن أمير المؤمنين عليه السلام، ومن بعده. وفيه الجرح والتعديل كسائر الكتب المذكورة.<sup>١</sup>

أعلام العامة قد روي عنه عليه السلام.

بيد أنّ السيد شرف الدين قد أصاب في تأريخ وفاة شعبة، وهو سنة ١٦٠ هـ. أمّا المرحوم السيد حسن الصدر فقد سها إذ ذكر أنه توفي سنة ٢٦٠ هـ. وسها أيضاً إذ عدّ ابن جبلة الشيعي أول مصنف في علم الرجال، ورأى أنه مُقدّم على شعبة بن الحجاج، الذي نقل أنه توفي سنة ٢٦٠ هـ، وقال: وأنت خير بأنّ شعبة مات سنة ستين ومائتين، فبعد الله متقدّم عليه. ثمّ قال: والسيوطي إنّما ضبط الأول من علماء السنة، لا الشيعة، وإلا لا يخفى على مثل الجلال كتاب «الرجال» لعبدالله بن جبلة المشهور.

أقول: يعود سهو آية الله الصدر في كتاب «تأسيس الشيعة» إلى أنه عدّ وفاد شعبة في سنة ٢٦٠ هـ خطأ، في حين أنّها كانت في سنة ١٦٠ هـ. وهنا - حيث ذكرنا مطلبه نقلاً عن كتاب «الشيعة وفنون الإسلام» ص ٧٦ و ٧٧ - سار على نفس النهج وضبط وفاته سنة ٢٦٠ هـ. وهذا سهو آخر أيضاً.

أجل، لقد وهم المرحوم السيد شرف الدين إذ ظنّ شعبة شيعياً لكنّه أصاب في سنة وفاته، وهي سنة ١٦٠ هـ. وعلى عكسه المرحوم السيد حسن الصدر فقد أصاب في عدّه شعبة سنّياً، لكنّه وهم في سنة وفاته، حيث ذكر في كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» وكتاب «الشيعة وفنون الإسلام» معاً أنه توفي سنة ٢٦٠ هـ.

١- «الشيعة وفنون الإسلام» ص ٦٥ إلى ٧٨.

## تقدّم الشيعة في علم الفقه

تحدّث آية الله السيّد حسن الصدر بعد هذا البحث عن أوّل مَنْ صنّف في طبقات الرواة ، وذكر أنّ أوّل مصنّف كان شيعياً ، وهو أبو عبد الله محمّد بن عمر الواقديّ . ثمّ فتح فصلاً في تقدّم الشيعة في علم الفقه ، وعدّ عليّ بن أبي رافع غلام رسول الله صلّى الله عليه وآله أوّل مصنّف فيه ، وأضاف أنّ النجاشيّ قال بعد وصف هذا التدوين : وكانوا (الشيعة) يعظّمون هذا الكتاب (كتاب ابن أبي رافع) .

ثمّ قال : فهو (عليّ بن أبي رافع) أوّل مَنْ صنّف فيه (في الفقه) من الشيعة . وذكر الجلال السيوطيّ أنّ أوّل من صنّف - يعني من أهل السنة - في الفقه الإمام أبو حنيفة ، لأنّ تصنيف عليّ بن أبي رافع في ذلك أيام أمير المؤمنين عليه السلام قبل تولّد الإمام أبي حنيفة بزمان طويل . ثمّ عقد بحثاً في مشاهير الفقهاء من الشيعة في الصدر الأوّل . وذكر أسماءهم حسب ما أوردها الشيخ أبو عمرو الكشّي في كتابه المعروف بـ «رجال الكشّي» ، وكان معاصراً لأبي جعفر الكلينيّ من علماء المائة الثالثة . وقال ما نصّه :

تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما

السلام :

أجمع العصابة (جماعة من أركان الشيعة كلامهم حجّة على غيرهم) على تصديق هؤلاء الأوّلين من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وانقادوا لهم بالفقه ، فقالوا : أفقه الأوّلين ستّة : زُرارة<sup>١</sup> ، ومَعروف

١- قال أحمد أمين بك المصريّ في كتاب «ضحى الإسلام» ص ٢٦٥ : ومن أكبر رجال

الشيعة زُرارة بن أعين . قال ابن النديم : إنّه أكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً ومعرفة بالكلام

ابن خَرْبُوذ، وِبُرَيْد، وأبو بصير الأسدي، والفُضَيْل بن يَسَار، ومحمد بن مُسَلِّم الطائفي.

قالوا: أفقه الستة زرارة. قال بعضهم: مكان أبي بصير الأسدي أبو بصير المرادي، وهو ليس بالبختري.

ثم قال: تسمية الفقهاء من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام: أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عن هؤلاء وتصديقهم لما يقولون، وأقروا لهم بالفقه من دون أولئك الستة الذين عددناهم وسميتناهم، وهم ستة نفر:

جَمِيل بن دُرَّاج، وعبد الله بن مُسْكَان، وعبد الله بن بُكَيْر، وحمّاد ابن عيسى، وحمّاد بن عثمان، وأبان بن عثمان.

قالوا: وزعم أبو إسحاق الفقيه، وهو ثعلبة بن ميمون، أن أفقه هؤلاء جميل بن دُرَّاج. وهم أحدث أصحاب أبي عبد الله عليه السلام.

ثم قال الكشي: تسمية الفقهاء من أصحاب أبي إبراهيم وأبي الحسن عليهما السلام:

أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عن هؤلاء وتصديقهم والإقرار لهم بالفقه والعلم. وهم ستة نفر آخرون. دون الستة نفر الذين ذكرناهم في أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، منهم:

يونس بن عبد الرحمن، وصفوان بن يحيى بَيَّاع السابري،

والتشيع. أبوه أعين كان عبداً رومياً لرجل من نبيي شيبان تعلم القرآن ثم أعتقه؛ وجدّه سنسب كان راهباً في بلاد الروم.<sup>١</sup> صحب زرارة هذا أبا جعفر محمداً الباقر وابنه جعفرأ الصادق عليهما السلام، ومات سنة ١٥٠ هـ، وله آراء كثيرة منشورة في كتب الكلام.<sup>٢</sup>

١ - «الفهرست» لابن النديم، ص ٢٢٠.

٢ - انظرها في «مقالات الإسلاميين» للأشعري؛ و«أصول الدين» للبغدادي.

ومحمد ابن أبي عمير، وعبد الله بن المغيرة، والحسن بن محبوب،  
وأحمد بن محمد بن أبي نصر، وقال بعضهم مكان الحسن بن محبوب،  
الحسن بن علي بن فضال، وفضالة بن أيوب، وقال بعضهم مكان  
فضالة، عثمان بن عيسى.

وأفقه هؤلاء يونس بن عبد الرحمن وصفوان بن يحيى - انتهى كلام  
الكشي.

### تقدم الشيعة في علم الكلام

أول من صنف ودون في علم الكلام عيسى بن روضة التابعي  
الإمامي المصنف في الإمامة. بقي إلى أيام أبي جعفر المنصور، واختص  
به، لأنه مولى بن هاشم<sup>١</sup> وهو الذي فتح بابَه وكشف نقابه. وذكر كتابه  
أحمد بن أبي طاهر في كتاب «تاريخ بغداد» ووصفه وذكر أنه رأى الكتاب  
كما في فهرست كتاب النجاشي.

ثم صنف أبو هاشم بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام  
كتبا في الكلام. وهو مؤسس علم الكلام من أعيان الشيعة. ولما حضرته  
الوفاة، دفع كتبه إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي  
التابعي، وصرف الشيعة إليه، كما في معارف ابن قتيبة. وهما مقدمان على  
أبي حذيفة: واصل بن عطاء المعتزلي، الذي ذكر السيوطي أن أول من  
صنف في الكلام.

### وأول من ناظر في التشيع من الإمامية أبو ذر الغفاري

١- إذا أضيف المولى إلى طائفة أو قبيلة فالمقصود منه إما الحليف، أو النزيل.



قال أبو عثمان الجاحظ : أول من ناظر في التشيع الكميّ بن زيد الشاعر ، أقام فيه الحجج . ولولاه لما عرفوا وجوه الاحتجاج عليه . قلت : بل تقدّمه في ذلك أبو ذرّ الغفاريّ الصحابيّ رضي الله عنه . أقام بيثّ مدّة في دمشق دعوته وينشر مذهبه في العلويّة وآراءه الشيعيّة . فاستجاب له قوم في نفس الشام . ثمّ خرج إلى صرّند وميس - وهما من أعمال الشام من قرى جبل عامل - فدعاهم إلى التشيع فأجابوا . بل في كتاب «أمل الأمل» : لمّا أخرج أبو ذرّ إلى الشام بقي أيّاماً فتشيع جماعة كثيرة . ثمّ أخرجه معاوية إلى القرى ، فوقع في جبل عامل ، فتشيعوا من ذلك اليوم .

وأول طبقة من مشاهير أئمّة علم الكلام من الشيعة تضمّ كميّل بن زياد نزيل الكوفة . تخرّج على عليّ أمير المؤمنين عليه السلام في العلوم ، وأخبره أنّ الحجّاج يقتله ، فقتله الحجّاج بالكوفة سنة ثلاث وثمانين تقريباً .

وسلّم بن قيس الهلاليّ التابعي . طلبه الحجّج أشدّ الطلب ولم يظفر به . ومات في أيّام الحجّاج . كان من خواصّ عليّ عليه السلام . والحاتر الأعور الهمدانيّ صاحب «المناظرات في الأصول» أخذ من أمير المؤمنين عليه السلام ، وتخرّج عليه . ومات سنة ٦٥ هـ . وجابر بن يزيد بن الحارث الجعفيّ : أبو عبد الله الكوفيّ ، متبحّر في الأصول وسائر علوم الدين . تخرّج على الباقر عليه السلام . وبعد هؤلاء طبقة أخرى مثل قيس بن الماصير ، من أعلام علماء علم الكلام في عصره . تعلّم الكلام من الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام .

وشهد له الإمام أبو عبد الله الصادق بالحدّاقه فيه ، قال : أنت

وَالْأَحْوَالُ قَفَّازَانِ حَادِقَانِ ! والأحوال هو أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي<sup>١</sup> الأحول. كان ذكّانه في طاق المحامل بالكوفة. يُرجع إليه بالنقد فيردّ ردّاً ويخرج كما يقول، فقيل له: شَيْطَانُ الطَّاقِ .

تعلّم من الإمام زين العابدين عليه السلام، وصنّف كتاب «افعل ولا تفعل»، وكتاب «الاحتجاج في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام»، وكتاب «الكلام على الخوارج»، وكتاب «مجالسة مع الإمام أبي حنيفة والمرجئة»، وكتاب «المعرفة»، وكتاب «الردّ على المعتزلة» .

و حُمران بن أعين أخو زرارة بن أعين. تعلّم الكلام من الإمام زين العابدين عليه السلام. وهشام بن سالم من شيوخ الشيعة في الكلام. ويونس بن يعقوب ماهر في الكلام. قال له الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: تَجْرِي بِالْكَلامِ عَلَى الأَثْرِ فَتُصِيبُ !

وَفَضَّالُ بن الحسن بن فَضَّالِ الكوفيّ المتكلّم المشهور. ما ناظر أحداً من الخصوم إلّا قطعه، وحكى السيّد المرتضى في «الفصول المختارة»<sup>٢</sup> بعض مناظراته مع الخصوم. وكلّ هؤلاء كانوا في عصر واحد،

١- تحدّث أحمد أمين بك المصري في كتاب «ضحى الإسلام» ج ٣، عن محمد بن النعمان المؤمن (مؤمن الطاق) الذي يسميه أمل السنّة شيطان الطاق، وختم حديثه عن الإماميّة. قال: والطاق محلّة بغداد. وكان صيرفيّاً ماهراً بمعرفة الدراهم والدنانير، فسّموه شيطان الطاق لذلك. (بعد ص ٢٦٩).

٢- عنوان هذا الكتاب «الفصول المختارة». وهو بقلم الشريف المرتضى ومن إفادات وتقريرات الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان الذي كان يدرّسه في مجالس معيّنة، وتلحق به مطالب من كتاب معروف للشيخ المفيد، وعنوانه «العيون والمحاسن»، وقد أدرجه الشريف المرتضى أيضاً فيه. وطُبع الكتاب المذكور بالنجف الأشرف في جزءين

وماتوا في أثناء المائة الثانية .

وبعد هؤلاء في الطبقة هشام بن الحَكَم .<sup>١</sup> قال الصادق عليه السلام  
فيه : هَذَا نَاصِرُنَا بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ !

ناظر كل أهل الفرق وأفحمهم . وله مجالس مع الخصوم . صنّف في  
الكلام ، وحسده الناس لشدة صولته وعلو درجته ، فرموه بالمقالات  
الفاسدة ، وهو بريء منها ومن كل فاسد . مات سنة ١٧٩ هـ .

ثم السَّكَّاكُ مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيلِ أَبِي جَعْفَرِ الْبَغْدَادِيِّ ، صاحب هشام بن  
الحكم وتلميذه . أخذ عنه الكلام ، وله كتب في الكلام .  
وَأَبُو مَالِكِ الضَّحَّاكُ الْحَضْرَمِيُّ إِمَامٌ فِي الْكَلَامِ ، أَحَدُ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ .

بضمّهما مجلّد واحد، تحت عنوان «الفهرست» خطأ . وقال البعض : إنّما طُبِعَ بهذا العنوان  
عمداً تقيّةً من حكومة بغداد التي كانت تصدر الكتب الشيعيّة .

قال الشيخ محمّد جواد مغنّية في هامش ص ١٧ من كتاب «الشيعيّة والتشيع» طبعة  
مدرسة ودار الكتب اللبنانيّة للطباعة والنشر ببيروت : هذا الكتاب جمعه الشريف المرتضى  
من أقوال أستاذه الشيخ المفيد . وطُبِعَ في النجف سنة ١٩٣٧ م باسم «الفهرست» خشية أن  
تمنعه السلطة يومذاك لو طُبِعَ باسمه الحقيقي .

١- قال أحمد أمين بك المصريّ في «ضحى الإسلام» ج ٣ ، ص ٢٦٩ ، فيما قاله في  
ترجمة هشام : وجاءه رجل ملحد فقال له : أنا أقول بالاثنين . وقد عرفت إنصافك فلست  
أخاف مشاغبتك . فقام هشام وهو مشغول بثوب ينشره وقال : حفظك الله ، هل يقدر  
أحدهما على أن يخلق شيئاً لا يستعين بصاحبه عليه ؟

قال : نعم ! قال هشام : فما ترجو من اثنين ؟! واحدٌ خلق كلُّ شيءٍ أَصْحُ لَكَ ! فقال  
الرجل : لم يكلمني بهذا أحد قبلك . إلى أن قال أحمد أمين : ويظهر أنّه كان يميل إلى الجبر ،  
وله مع المعتزلة في ذلك مناظرات . كما كان يميل إلى التجسيم . وحُكي عنه في ذلك أقوال ،  
والجاحظ يشتدّ عليه في المناقشة ويغضب في نقده غيرة على المعتزلة . وعلى الجملة فقد  
كان له فضل كبير في صياغة الكلام على المذهب الشيعيّ . وألّف كتباً كثيرة لم يصل إلينا  
شيء منها . قال ابن النديم إنّهُ توفّي بعد نكبة البرامكة مستتراً . وقيل : في خلافة المأمون .

أدرك الصادق والكاظم عليهما السلام .

ومنهم آل نوبخت . قال ابن النديم في «الفهرست» : آل نوبخت معروفون بولاية عليٍّ وولده . وقال في «رياض العلماء» : بنو نوبخت طائفة معروفة من متمكّمي علماء الشيعة .

قلتُ : أمّا نوبخت ، فهو فارسيّ فاضل في علوم الأوائل . صحب المنصور لحذاقته باقتران الكواكب . ولمّا ضعف عن الصحبة قام مقام ابنه أبو سهل ، اسمه كنيته . ونشأ لأبي سهل المذكور الفضل بن أبي سهل بن نوبخت ، فتقدّم في الفضل والعلم . قال بعض الفضلاء من أصحابنا عند ذكره : هُوَ الفيلسوف المتكلم ، والحكريم المتألّه ، وَحِيدٌ في علوم الأوائل ، كَانَ مِنْ أَرْكَانِ الدَّهْرِ .

نقل كثيراً من كتب البهلويين الأوائل في الحكمة الإشرافية من الفارسية إلى العربية ، وصنّف في أنواع الحكمة . وله كتاب في الإمامة ، كبير . وصنّف في فروع علم النجوم لرغبة أهل عصره بذلك . وهو من علماء عصر الرشيد هارون بن المهديّ العباسي . وكان على خزانة الحكمة للرشيد . وله أولاد علماء أجلاء .

وقال القفطي<sup>١</sup> في كتاب «أخبار الحكماء» : الفضل بن نوبخت أبو سهل الفارسيّ ! ، مذكور مشهور من أئمة المتكلمين . وذكر في كتب المتكلمين . واستوفى نسبه من ذكره كمحمّد بن إسحاق النديم ، وأبي عبد الله (أبي عبيدالله - ظ) المرزبانّي . كان في زمن هارون الرشيد ، وولاه القيام بخزانة كتب الحكمة .

قلتُ : ومن أولاده البارعين في العلوم إسحاق بن أبي سهل بن

١- جاء في المصدر «القفطيّ» سهواً.

نوبخت ، تخرّج على أبيه في العلوم العقلية وسائر علوم الأوائل . وقام مقام أبيه في خزانة كتب الحكمة لهارون . وله أولاد علماء متبحرون في الكلام كأبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت ، صاحب كتاب «الياقوت في الكلام» الذي شرحه العلامة ابن المطهر الحلي . قال في أوله :  
لشيخنا الأقدم وإمامنا الأعظم أبي إسحاق بن نوبخت .

وهنا ذكر باحثنا القدير المرحوم الصدر عدداً كبيراً من العلماء ، وواصل حديثه إلى أن قال : ومنهم : شَيْخُ الشَّيْعَةِ وَمُحَوِّبِ الشَّرِيعَةِ شَيْخُنَا الْمُفِيدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ التُّعْمَانَ المعروف بابن المعلم . قال ابن النديم : انتهت رئاسة متكلمي الشيعة إليه . مقدّم في صناعة الكلام على مذهب أصحابه ، دقيق الفطنة ، ماضي الخاطر . شاهده ، فرأيتّه بارعاً ، وله كتب - انتهى .

قلتُ : وهو إمام عصره في كلّ فنون الإسلام . كان مولده سنة ٣٣٨ هـ ، توفّي سنة ٤٠٩ هـ .

### تقدّم الشيعة في علم مكارم الأخلاق

إنّ أوّل من صنّف فيه هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام . كتب كتاباً فيه عند منصرفه من صفّين ، وأرسله إلى ولده الحسن أو محمّد ابن الحنفية . وهو كتاب طويل جمع فيه جميع أبواب هذا العلم ، وطرق سلوكه ، ومكارم الملكات ، وكلّ المنجيات والمهلكات ، وطرق التخلّص من تلك الهلكات .

رواه علماء الفريقين وأثنوا عليه بما هو له أهل . رواه الكلينيّ منّا في كتاب «الرسائل» من عدّة طرق . ورواه الإمام أبو محمّد الحسن بن عبد الله ابن سعيد العسكري ، وأخرجه بتمامه في كتاب «الزواجر والمواعظ» . قال :

ولو كان من الحكمة ما يجب أن يكتب بالذهب لكانت هذه . قال :  
 وحدّثني بها جماعة . ثم ذكر طرقه في رواية الكتاب <sup>١</sup> .  
 وأوّل من صنّف فيه من الشيعة إسماعيل بن مهران بن أبي نصر أبو  
 يعقوب السّكُونِيّ ، وسماه كتاب «صفة المؤمن والفاجر» . وله جمع خطب  
 أمير المؤمنين عليه السلام وأمثاله .  
 ذكرهما أبو عمر الكشّيّ ! ، وأبو العباس النجاشيّ في فهرست أسماء  
 المصنّفين من الشيعة ، وذكروا أنّه روى عن عدّة من أصحاب أبي عبد الله  
 الصادق عليه السلام ، وعمّر حتّى لقي الإمام الرضا عليه السلام ، وروى  
 عنه . وهو من علماء المائة الثانية .  
 وقد صنّف فيه من القدماء الشيعة كآبي محمّد الحسن بن عليّ بن

١- وذكره الشريف الرضيّ في «نهج البلاغة» ج ٢ ، باب الرسائل ، الرسالة ٣١ ، تحت  
 عنوان : ومن وصيّة له للحسن بن عليّ عليهما السلام كتبها إليه بحاضرين منصرفاً من  
 صفين . وهو في «نهج البلاغة» ج ٢ ، ص ٣٧ إلى ٥٧ ، طبعة مصر ، شرح الشيخ محمّد عبده .  
 وحين هاجرت إلى مدينة مشهد المقدّسة سلام الله عليه ثاويها كتبت في طهران  
 وصيّة بتاريخ ٢٠ ربيع الأوّل سنة ١٤٠٠ هـ ، جاء فيها : وأوصيهم أدام الله توفيقهم وتأيدهم  
 بنظم أمورهم والتوجّه إلى الله تعالى وا لتبتّل إليه في كلّ الأحوال والتمسك بالعروة الوثقى  
 ولحبل المتين ولواء أمير المؤمنين عليه السلام . وعزمت على أن تكون وصيّة مفصلة  
 مشتملة على مطالب أخلاقيّة مهمّة . فرأيت أنّ من المخجل التحدّث عن مكارم الأخلاق  
 وآداب المعاشرة مع وجود وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام - التي كتبها بحاضرين لولده  
 الإمام المجتبي عليه السلام ، والحاوية مطالب رفيعة وحقائق سامية ، وهي مثبّته في «نهج  
 البلاغة» - لذا أوصي جميع أولادي أن يطالعوا هذه الوصيّة وينظروا فيها دائماً ويُنعموا الفكر  
 في مضامينها . ويعلقوا تلك الدرر الثمينة في آذانهم ، ويجعلوها قدوة لأعمالهم ، يأخذوا  
 من جدّهم ، ويسيروا على نهجه ، ويتأسّوا برسول الله ووصيّه أبويّ الأئمة الشفيقين ،  
 ويتمسّكوا بالمقام المقدّس للصدّيقة الكبرى سلام الله عليها ، ويستضيئوا بمعنويّة  
 وروحانيّة قدسها وطهارتها وعصمتها .

الحسن بن شُعْبَةَ الْحَرَّانِي رضي الله عنه من علماء المائة الثالثة ، صَنَّف كتاب «تحف العقول فيما جاء في الحكم والمواعظ ومكارم الأخلاق عن آل الرسول» . وهو كتاب جليل لم يُصنَّف مثله . وقد اعتمده شيوخ علماء الشيعة ، كالشيخ المفيد ابن المعلّم ، ينقل عنه وغيره حتى قال بعض علمائنا : هو كتاب لم يسمح الدهر بمثله .<sup>١</sup>

### تقدّم الشيعة في فنّ الجغرافيّة في صدر الإسلام

إنّ هشام بن محمّد الكلبيّ من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام صَنَّف فيه كتاب «الأقاليم» ، وكتاب «البلدان» الكبير ، وكتاب «البلدان» الصغير ، وكتاب «تسمية الأرضين» ، وكتاب «الأنهار» ، وكتاب «الحيرة» ، وكتاب «منازل اليمن» ، وكتاب «العجائب الأربعة» ، وكتاب «أسواق العرب» ، وكتاب «الحيرة»<sup>٢</sup> ، و«تسمية البيع والديارات» ، كما نصّ على كلّ ذلك أبو الفرج ، وابن النديم في «الفهرست» عند ذكره أنواع ما صنّفه الكلبيّ .

والعجب من الحمويّ في «معجم البلدان» حيث لم يزد على قوله : «وهشام بن محمّد الكلبيّ وقفت له على كتاب سمّاه «اشتقاق البلدان» ، مع أنّه بزعمه استقصى طبقة الإسلاميين المصنّفين في ذلك ، من الذين قصدوا ذكر البلاد والممالك ، وعيّنوا مسافة الطرق والمسالك . وكلّهم متأخرون عن هشام بن محمّد الكلبيّ ، والذين قصدوا ذكر الأماكن العربيّة والمنازل البدويّة من طبقة أهل الأدب ، كلّهم أيضاً متأخرون عن هشام بن محمّد

١- «الشيعة وفنون الإسلام» ص ٧٩ إلى ٩٨ .

٢- ذكر أنفاً ، ويبدو أنّه مكرّر .

الكلبيّ، كما لا يخفى على مثله .

### تقدّم الشيعة في علم الأخبار والتواريخ والآثار ، و مزيتهم على الآخرين

قال ابن النديم : «قرأت بخط أحمد بن الحارث الخزاعيّ : «قالت العلماء : أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره . والمدائنيّ بأمر خراسان والهند وفارس . والواقديّ بالحجاز والسيره ، وقد اشتركا في فتوح الشام» - انتهى .

قلتُ : والشيعة من هولاء أبو مخنف ، والواقديّ . وقد تقدّم نصّ ابن خلكان أنّ هشام بن محمّد الكلبيّ أعلم الناس بالأنساب ، وقد تقدّمت ترجمته . فنذكر ترجمة أبي مخنف ، والواقديّ ، وأمثالهما ممّن فاق أقرانه ، فتول :

أبو مخنف الأزديّ الغامديّ شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة من الشيعة ووجههم . اسمه لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سالم ، أو سليمان ، أو سليم . وكان أبوه يحيى من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وجدّه مخنف صحابيّ ، روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وصحب أمير المؤمنين عليه السلام بعده ، وكانت راية الأزديّ بصقّين معه . واستشهد بعين الورد سنة ٦٤ هـ كما في «التقريب» .

وأبو مخنف صاحب الترجمة روى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام . وقيل : روى عن الباقر عليه السلام . والشيوخ لا تصحّح ذلك . وقد وهم من قال فيه : إنّ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، فإنّه لم يلقه . وصنّف من الكتب كتاب «الرّدة» ، كتاب «فتوح الشام» ، كتاب «فتوح العراق» ، كتاب «الجمل» ، كتاب «صقّين» ، كتاب «أهل النهروان



والخوارج»، كتاب «الغارات»، كتاب «الحرث بن راشد وبني ناجية»، كتاب «مقتل عليّ عليه السلام». وأحصى المرحوم السيّد حسن الصدر له ثلاثة وثلاثين كتاباً آخرًا، ذكرها بأسمائها.

ومنهم: الواقديّ. وهو أبو عبد الله محمّد بن عمر مولى الأسلميين من سَهْم بن أسلم. كان من أهل المدينة. انتقل إلى بغداد وولي القضاء بها للمأمون بعسكر المهديّ. عالماً بالمغازي والسير والفتوح، واختلاف الناس في الحديث والفقّه والأحكام والأخبار.

قال ابن النديم: وكان يتشيع، حسن المذهب، يلزم التقيّة. قال: وهو الذي روى أنّ عليّاً عليه السلام كان من معجزات النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كالعصا لموسى عليه السلام، وإحياء الموتى لعيسى ابن مريم، وغير ذلك من الأخبار - انتهى. كان تولّده سنة ١٠٣، ووفاته سنة ٢٠٧ هـ وله ثمان وسبعون سنة<sup>١</sup>. وله من الكتب كتاب «التاريخ والمغازي والمبعث»، كتاب «أخبار مكّة»، كتاب «الطبقات»، كتاب «فتوح الشام»، كتاب «فتوح القرآن». وثلاثة وعشرون كتاباً آخرًا ذكرها المرحوم الصدر كلّها.

قال ابن النديم: خلف الواقديّ بعد وفاته ستمائة قمطر كتباً (القمطر صندوق للكتب)، كلّ قمطر منها جمل رجلين. قال: وكان له مملوكان

١- بناءً على هذا الحساب ينبغي أن يكون عمره مائة وأربع سنين. ولما كان المرحوم الصدر قد ذكر السنة (١٠٣) رقماً وكتابةً، لهذا لا يتسنّى تغييرها. ولكن ابن سعد ذكر في طبقاته ج ٧، ص ٧٧، ترجمة الواقديّ، أنّه ولد سنة ١٣٠ في آخر حكومة مروان بن محمّد، لذا فإنّ العدد (١٠٣) رقماً وكتابةً من سهو القلم. وعمره، كما ذكر السيّد الصدر، ثمان وسبعون سنة.

يكتبان الليل والنهار . وقبل ذلك بيع له كتب بألفي دينار<sup>١</sup> .

### تقدّم الشيعة في علم اللغة

أول من جمع كلام العرب وحصره وظمّ جميعه ، وبين قيام الأبنية من حروف المعجم وتعاقب الحروف ، وأسّس ذلك بنظر صائب لم يتقدّمه أحد فيه هو الحبر العلامة شيخ العالم حجّة الأدب ، ترجمة لسان العرب المولى أبو الصّفاء الخليل بن أحمد الأزديّ اليحمديّ الفراهيديّ رضي الله عنه<sup>٢</sup> .

١- «الشيعة وفنون الإسلام» ص ١٠٤ إلى ١٠٨ .

٢- قال المحدّث القميّ في «تتمّة المنتهى» ص ٢٢٣ إلى ٢٢٥ ، الطبعة الثالثة ، (ما تعريبه): وفي سنة ١٧٠ هـ أيضاً توقّي الخليل بن أحمد الإماميّ العروضيّ النحويّ اللغويّ بالصبرة كما قال ابن خلدكان ، والخليل أستاذ سيوييه والنضر بن شميل . وهو الذي استنبط علم العروض . مدحوه بالعقل والعلم والزهد والصلاح والحلم والوقار . ونقلت عنه كلمات حكميّة كثيرة . وطالما كان يتمثّل ببيت الأخطل:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال  
ومن كلماته بحقّ أمير المؤمنين عليه السلام: احتياج الكلّ إليه واستغناؤه عن الكلّ  
دليلٌ على أنّه إمامُ الكلِّ . وقيل: إنّ أبا الخليل هو أول من سُمّي «أحمد» بعد رسول الله صلّى  
الله عليه وآله... وبالجملة، كان الخليل رجلاً جليلاً، وكلماته الحكميّة كثيرة: (منها) العلم لا  
يُعطيك بعضه حتّى تعطيه كلّك ، ثمّ أنت في إعطائه إيّاك بعضه مع إعطائك إيّاه كلّك على  
خطر . (ومنها) لا يعلم الإنسان خطأ معلّمه حتّى يُجالس غيره . (ومنها) إذا نسخ الكتاب  
ثلاث مرّات ولم يعارض تحوّل بالفارسيّة (ومنها) أصفى ما يكون ذهن الإنسان وقت  
الشّحر . (ومنها) إنّ أفضل كلمة يرغّب الإنسان إلى طلب العلم والمعرفة قول أمير المؤمنين  
عليه السلام: قدر كلّ امرئ ما يُحسن . إلى غير ذلك . وحكي أنّ دخل رجل على الخليل  
ومعه ابنه ، فقال: أيّها الشيخ! جنتك من سفر بعيد فأدّب ابني شيئاً من علم النجوم والنحو  
الطبّ وفرائض الفقه ، والحمار على الباب . فقال له الخليل: اعلم أنّ الثّريّاً في وسط

وهذا ممّا لاخلاف فيه بين أهل العلم بالأدب . إلى أن قال : قال شيخ الشيعة جمال الدين بن المطهّر في «الخلاصة» : الخليل بن أحمد كان أفضل الناس في الأدب ، وقوله حجّة فيه . اخترع العروض . وفضله أشهر من أن يذكر . كان إمامي المذهب .

وقال المولى عبد الله أفندي في «رياض العلماء» : والخليل جليل القدر ، عظيم الشأن ، أفضل الناس في علم الأدب . كان إمامي المذهب وإليه ينسب علم العروض . وكان في عصر مولانا الصادق ، بل الباقر عليهما السلام أيضاً - انتهى .<sup>١</sup>

ومن مشاهير أئمة اللغة من الشيعة ممّن يزيد على غيره ابن السكّيت . قال أبو العباس ثعلب : أجمع أصحابنا أنّه لم يكن بعد ابن

السماء ، وأنّ الفاعل مرفوع ، وأنّ الهليلج الكابليّ دافع للصفراء ، وإنّ مات أحدٌ وترك ابنين فالمال بينهما سواء . فقال : قم يا بُنَيَّ .

١- قال أبو المحاسن يوسف بن تَغْرِي بَرْدِي في كتاب «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» ، ج ١ ، ص ٣١١ و ٣١٢ : وقيل : وفيها توفّي الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيديّ أبو عبدالرحمن النحويّ البصريّ في سنة إحدى وثلاثين ومائة . قال ابن قراوغي : ولم يكن بعد الصحابة أذكى من الخليل هذا ولا أجمع وكان قد برع في علم الأدب . وهو أوّل من صنّف العروض . وكان من أزهد الناس . قلتُ : ولعلّ ابن قراوغي واهم في وفاة الخليل هذا . والذي أعرفه أنّه كان في عصر أبي حنيفة وغيره . وذكر الذهبيّ وفاته في سنة ٢٦٠ . وقال ابن خلكان : كانت ولادته (يعني الخليل) في سنة ١٠٠ من الهجرة ، وتوفّي في سنة ١٧٠ ، وقيل : ١٧٥ . وقال ابن قانع في تاريخه المرتّب على السنين : إنّه توفّي سنة ١٦٠ . وقال ابن الجوزيّ في كتابه الذي سمّاه «شذور العقود» : إنّه مات سنة ١٣٠ . وهذا غلط قطعاً . والصحيح أنّه عاش لبعده السنين ومائة . ويقال : إنّه كان له ولد ، فدخل عليه ، فوجده يقطّع بيت شعر بأوزان العروض ، فخرج إلى الناس ، فقال : إنّ أبي جُرٌّ ، فدخلوا إليه ، وأخبروه ، فقال مخاطباً ابنه :  
لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت تعلم ما تقول عذلتنا  
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتنا

الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكّيت .

قتله المتوكل لأجل التشيع ، وأمره مشهور . عمّر ثماني وخمسين سنة ، واستشهد ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ٢٤٤ ، وقيل : سنة ٢٤٦ ، وقيل : سنة ٢٤٣ .

وله من الكتب «إصلاح المنطق» الذي قال المُبَرِّد فيه : ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل «إصلاح المنطق» . وله كتاب «الألفاظ» ، وكتاب «الزبرج» ، وكتاب «الأمثال» ، وكتاب «المقصود والممدود» ، وكتاب «المذكر والمؤنث» ، وكتاب «الأجناس» - وهو كتاب كبير - وكتاب «الفِرَق» ، وكتاب «السَّرج واللَّجام» ، وكتاب «الوحوش» ، وكتاب «الإبل» ، وكتاب «النوادر» ، وكتاب «معاني الشَّعر» الكبير ، وآخر صغير ، وكتاب «سركات الشعراء» ، وكتاب «فَعَلَ وأَفْعَلَ» ، وكتاب «الحشرات» ، وكتاب «الأصوات» ، وكتاب «الأضداد» ، وكتاب «الشجر والغابات» .

فتأمل هذه المصنّفات في هذا العمر القصير ! هذا مضافاً إلى ما رواه عن الرضا والجواد والهادي عليهم السلام .

ومنهم : أبو بكر بن دُرَيْد الأزدِيّ إمام اللغة . كان صدرأ في العلم ستين سنة . ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ونشأ بها . ولما فتحها الزنج هرب إلى عمان ، وأقام اثنتي عشرة سنة ، ثم رجع إلى وطنه ، ثم رجع إلى فارس ، إلى بني ميكال ، فعلا عندهم قدره . وتولّى نظارة الديوان .

ولما خُلع بنو ميكال ، جاء إلى بغداد سنة ثمان وثلاثمائة ، واتّصل بابن الفرات وزير المقتدر بالله . فقرّب به المقتدر ، وعيّن له وظيفة نحو خمسين ديناراً في كلّ شهر . وما زال مكرّماً معظماً حتّى جاء أجله في شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وقد عمّر ثماني وتسعين سنةً . وقد

صنّف كتاب «السرّج واللجام» ، وكتاب «المقتبس» ، وكتاب «زوّار العرب» ، وكتاب «اللغات» ، وكتاب «السلاح» ، وكتاب «غريب القرآن» ، وكتاب «الوشاح» ، وكتاب «الجمهرة» في اللغة ، في ستّة أجزاء كلّ جزء في مجلّد . وله مقاطيع محبوبكة الطرفين ، وقصيدة في المقصور والممدود . وله القصيدة المقصورة ذات الحكم والآداب ، أكّبت على شرحها العلماء .

وعده الشيخ رشيد الدين بن شهر آشوب المازندرانيّ في «معالم العلماء» في شعراء أهل البيت المجاهدين فيهم . ومن شعره في ولاء أهل البيت عليهم السلام :

أَهْوَى النَّبِيَّ مُحَمَّدًا وَوَصِيَّةُ      وَابْنَيْهِ وَابْنَتَهُ الْبَتُولَ الطَّاهِرَةَ  
أَهْلَ الْوَلَاءِ فَإِنِّي بِوَلَائِهِمْ      أَرْجُو السَّلَامَةَ وَالنَّجَا فِي الْآخِرَةِ  
وَأَرَى مَحَبَّةً مَنْ يَقُولُ بِفَضْلِهِمْ      سَبَبًا يُجِيرُ مِنَ السَّبِيلِ الْجَائِرَةِ  
أَرْجُو بِذَلِكَ رِضَا الْمُهَيَّمِينَ وَحَدَهُ      يَوْمَ الْوُقُوفِ عَلَى ظُهُورِ السَّاهِرَةِ

ونصّ على تشييعه في «رياض العلماء» ، و«معالم العلماء» ، و«أمل

الآمل» ، و«طبقات الشيعة» للقاضي نور الله المرعشيّ .  
ومنهم : أبو عمرو الزاهد ، قال التنوخيّ : لم أر قطّ أحفظ منه . أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة . ولد سنة إحدى وستين ومائتين ، ومات سنة خمسين وأربعين وثلاثمائة . وله من الكتب كتب «مناقب أهل البيت» ، اختصره السيّد ابن طاووس . وأخرج في «سعد السّعود» جملة من أحاديث أبي عمرو الزاهد في مناقب أهل البيت .

وكذلك صاحب «تحفة الأبرار» السيّد الشريف الحسين بن مساعد الحسينيّ الحائريّ ، روى عن أبي عمرو الزاهد اللغويّ النحويّ من كتابه في مناقب أهل البيت ، ونصّ على تشييعه . إلى أن قال :

ونصّ في «رياض العلماء» على أنّه من علماء الإمامية ، وأنّ له كتاب

«اللباب». وينقل عن كتبه ابن طاووس في كتبه كثيراً من الأخبار. وكتاب «المناقب»، وينقل بعض المتأخرين في كتبهم بعض الأخبار في فضائل أهل البيت عليهم السلام عنه.

قلتُ: لا ريب في تشييع أبي عمرو المذكور.

ومنهم: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين اللغوي المعروف، الكوفي المذهب، صاحب «المجمل» في اللغة، و«فقه اللغة»، المعروف بالصاحب. صنفه للصاحب بن عباد. له ترجمة في «وفيات الأعيان»، و«بغية الوعاة».

ومنهم: صاحب بن عباد وزير فخر الدولة الديلمي. كان كافي

١- قال أحمد أمين بك المصري في كتاب «ظهر الإسلام» ص ١٤٢: أمّا الدولة البويهية فقد كانت كذلك معتنية بالعلم والأدب. لقد بدأت حياتها تتعصب للأدب الفارسي، ولكن ما ثبت أن تتفقت الثقافة العربية وتعصب لها. ونبع من ملوكهم من كان يشارك العلماء والشعراء في شعرهم وأدهم، مثل عضدالدولة البويهية. وكان وزراء استنوا سنتهم وعنوا بالأدب. على رأسهم هؤلاء الأقطاب الأربعة: ابن العميد، والصاحب بن عباد، والوزير المهلب، وابن سعدان. وقد كان كل عظيم الجاه، يقصد إليه الأدباء والعلماء، وكان لكل ميزة. كان للصاحب بن عباد ميزته الأدب البحت، وهو في مجالسه يعلم الأدباء النقد، ويقترح عليهم نظم الشعر في موضوعات معينة، أو إجازة بعض الأبيات. وابن العميد كانت ميزته العلم والأدب، ويضم إليه طائفة من المتخصصين في هذا. وابن سعدان كان يُعنى بالفلسفة ويجالس الفلاسفة أمثال أبي حيان التوحيدي، ويثير في مجالسه مسائل فلسفية. والوزير المهلب كان يُعنى بالأدب الصّرف، وفي التأليف في الأدب. ومن جلسائه: أبو الفرج الإصفهانى، وله ألف كتابه «الأغاني»، والقاضي التنوخي، وغيرهما. هؤلاء ملأوا الدنيا علماً وأدباً. وقال أحمد أمين في ص ١٤٣: وللصاحب بن عباد نحو عشرة آلاف بيت في مناقب أهل البيت والتبرؤ من أعدائهم. ومما يُنسب إليه قوله، وهو من أقطع الهجاء:

قَالَتْ: تُجِبُّ مُعَاوِيَةَ قُلْتُ: اسْكُتِي يَا زَانِيَةَ  
قَالَتْ: أَسَأَتَ جَوَابَنَا فَأَعَدْتُ قَوْلِي ثَانِيَةَ

الكُفَاد . صَنَّفَ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ «المحيط باللغة» فِي عَشْرَةِ أَجْزَاءٍ ، رَتَّبَهُ عَلِيٌّ حُرُوفَ المَعْجَمِ ، كَثَّرَ فِيهِ الأَلْفَاظَ وَقَلَّلَ الشُّوَاهِدَ . وَ«جَوْهَرَةُ الجَمْهَرَةِ» . وَلَهُ فِي الأَدَبِ كِتَابُ «الأعياد» ، كِتَابُ «الوزراء» ، كِتَابُ «الكشف عن مساوي المتبني» ، وَرِسَائِلُ فِي فُنُونِ الكِتَابَةِ ، رَتَّبَهَا عَلِيٌّ خَمْسَةَ عَشَرَ بَاباً ، وَلَهُ دِيْوَانُ شَعْرٍ . وَلَهُ فِي عِلْمِ الكَلَامِ كِتَابُ «أَسْمَاءِ اللّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ» ، وَكِتَابُ «الأَنوَارِ» فِي الإِمَامَةِ ، وَكِتَابُ «الإِبَانَةُ عَنِ الإِمَامِ» . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ الصَّاحِبَ مِنَ الوِزَرَاءِ . مُدِحٌ بِمِائَةِ أَلْفِ قَصِيدَةٍ عَرَبِيَّةٍ وَفَارَسِيَّةٍ ، وَاليَتِيمَةَ فِي شِعْرَائِهِ .

وَحَكَى الحَسَنُ بنُ عَلِيِّ الطَّبْرَسِيِّ فِي كِتَابِهِ «الكامل البهائي» أَنَّ لِصَاحِبِ بنِ عَبَّادِ عَشْرَةَ أَلْفِ بَيْتِ شَعْرٍ فِي مَدْحِ أَهْلِ البَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .<sup>١</sup>

### تقدم الشيعة في علم الإنشاء والكتابة

بعد أن ذكر المرحوم الصدر هنا ابن العميد، والصاحب بن عباد، وأبأبكر الخوارزمي، أضاف قائلاً: وأول من كتب لأئمة المؤمنين عليّ

يَا زَانِيَهُ يَا ابْنَةَ أَلْفِي زَانِيَهُ  
فَعَلَى يَزِيدٍ لَعْنَةٌ  
وَمِنْ شَعْرِ مَهْيَارِ الدَّيْلَمِيِّ فِي ذَلِكَ:

وَقَائِلٌ لِي عَلِيٌّ كَانَ وَارِثُهُ  
فَقُلْتُ كَأَنَّكَ هُنَاكَ لَسْتُ أَذْكَرُهَا  
هُمُ رِجَالٌ إِذَا سَمَّيْتَهُمْ عُرِفُوا  
مَازَلْتُ مُدْبِقَعَتِ سِنِّي أَلُوذَ بِكُمْ  
بِالنَّصِّ مِنْهُ فَهَلْ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوا  
يَجْزِي بِهَا اللّهُ أَقْوَاماً بِمَا صَنَعُوا  
لَهُمْ وَجْوهٌ مِنَ الشَّحْنَاءِ تَمْتَقِعُ  
حَتَّى مَحَا حَقِّكُمْ شَكِّي فَأَنْتَجِعُ

١- «الشيعة وفنون الإسلام» ص ١١٦ إلى ١٢١.

ابن أبي طالب عليه السلام عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال ابن قتيبة في كتاب «المعارف» : فلم يزل كاتباً لعليّ ابن أبي طالب خلافته كلّها .

وقال : ومنهم (الوزراء الكتاب) : بنو سهّل وزراء المأمون . أولهم الفضل بن سهّل ذو الرّياستين لجمعه بين السيف والقلم . ولمّا نقل المأمون الخلافة إلى بني عليّ ، كان الفضل بن سهّل هو القائم بهذا الأمر والمحسّن له . ولمّا رأى المأمون إنكار العباسيين ببغداد لذلك حتّى خلعه وبايعوا إبراهيم عمّه ، قام وقعد ودس جماعة على الفضل بن سهّل فقتلوه في الحّمّام ، ثمّ قتل الإمام الرضا عليه السلام بالسمّ ، وكتب إلى بغداد أنّ الذي أنكرتموه من أمر عليّ بن موسى قد زال . وكان ذلك سنة ٢٠٤ .

ثمّ استوزر المأمون الحسن بن سهّل . ثمّ عرضت له سوداء كان أصلها جزءه على أخيه . فانقطع بداره ليتطبّب واستخلف أحد كتّابه . ومات الحسن بن سهّل في سنة ست وثلاثين ومائتين في أيام المتوكّل .  
ومنهم : أبو الفضل جعفر بن محمود الإسكافيّ وزير المعتزّ والمهتدي .

ومنهم : أبو المعالي هبة الله بن محمّد بن المطّلب وزير المستظهر . كان من علماء الوزراء وأفاضلهم وأخيارهم . نصّ على تشييعه في «جامع التواريخ» . قال : ولهذا لم يرض بوزارته محمّد بن ملكشاه السلجوقيّ ! فكتب إلى الخليفة : كيف يكون وزير خليفة الوقت رافضياً؟! وكترّر الكتابة في ذلك ، فعزله المستظهر .

فذهب أبو المعالي إلى السلطان محمّد بن ملكشاه وتوسّل إليه بواسطة سعد الملك الأوجي وزيره فاسترضاه . واشترط عليه السلطان أن لا يخرج عن مذهب أهل السنّة والجماعة في وزارته . وكتب السلطان إلى



المستظهر، فأعاده إلى الوزارة. ثم تغيّر عليه الخليفة، فذهب إلى إصفهان. وكان في ديوان السلطان محمد ملك شاه حتى مات.

ومنهم: مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن العلقميّ الأسديّ وزير المستعصم. صنّف له الصفانيّ اللغويّ «العباب»، وهو كتاب جليل في اللغة. وصنّف له عزّ الدين بن أبي الحديد «شرح نهج البلاغة» فأثابهما وأحسن جائزتهما، ومدحه الشعراء وانتجعه الفضلاء. وظلمه العامة حيث نسبوا إليه الغدر والخيانة، وهو بريء من كلّ خيانة.

قال ابن الطقطقيّ، وهو من أهل ذلك العصر وأشرف ذلك الزمان، في مقام بيان إهمال المستعصم وعدم التفاته وتفريطه ما لفظه:

وكان وزيره مؤيد الدين بن العلقميّ يعرف حقيقة الحال في ذلك، ويكاتبه بالتحذير والتنبيه، ويشير عليه بالتيقّظ والاحتياط والاستعداد، وهو لا يزداد إلا غفولاً. وكان خواصّه يوهّمونه أنّه ليس في هذا كبير خطر ولا هناك محذور. وأنّ الوزير إنّما يعظّم هذا يلنّفق سوقه ولتبرز إليه الأموال ليجنّد بها العساكر، فيقطع منها لنفسه... إلى آخر كلامه.

ومنهم: أبو الحسن جعفر بن محمد بن فطير الكاتب الوزير المشهور. ذكره ابن كثير، وذكر أنّه من الوزراء الكتاب الشيعة بالعراق. قال: ولما كان تشييعه شائعاً، جاءه رجل فقال له: إنّي رأيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في المنام، وقال لي: امض إلى ابن فطير وقل له يعطيك عشرة دنائير. فقال له: متى رأيته؟ قال: في أول الليل. فقال: صدقت! فإنّي رأيته عليه السلام في آخر الليل. وأمرني أن إذا جاءك سائل كذا صفته وسألك شيئاً فأعطه... إلى آخر القصّة. وقد نقلتها بالواسطة عن تاريخ ابن كثير من كتاب طبقات القاضي المرعشيّ بالفارسيّة.

ومنهم: آل جوين، منهم: صاحب الأعظم شمس الدين محمد

الجُوَيْنِي الملقَّب بصاحب الديوان للسلطان محمّد خوارزم شاه ، وللسلطان جلال الدين ، وكذلك أخوه علاء الدين عطاء الملك الجُوَيْنِي ، وكذلك صاحب المعظّم الأمير الرشيد بهاء الدين محمّد بن صاحب الديوان ، وقد صنّف المحقّق الشيخ ميثم البحرانيّ «شرح نهج البلاغة» باسمه . وصنّف الحسن بن عليّ الطبرسيّ كتاب «الكامل في التاريخ» باسمه ، فسّمه «الكامل البهائيّ» ، ثمّ صاحب شرف الدين هارون أخوه ابن صاحب الديوان الجوينيّ كان جامعاً لجميع العلوم حتّى الموسيقى ، كما في «مجالس المؤمنين» للمرعشيّ . وقام مقام أخيه في الوزارة .

ومنهم : أحمد بن محمّد بن ثوابة بن خالد الكاتب : أبي العبّاس . كان أيام المهديّ . ونصّ ياقوت في «معجم الأدباء» على تشييعه . مات أبو العبّاس سنة ٢٧٧ هـ ، وقيل : سنة ٢٧٣ هـ .

ومنهم : أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مُضْعَب بن زُرَيْق بن ماها الخُزَاعِيّ الأمير البغداديّ الإماميّ . كان ولي بغداد وخراسان . وكان عالماً فاضلاً وشاعراً بارعاً وكاتباً ماهراً ، ولا عجب فإنّه ابن أبيه (عبد الله الشاعر والأديب) وحفيد طاهر .

قال الخطيب عند ذكره لأبيّ أحمد المذكور : كان فاضلاً أديباً شاعراً فصيحاً . وكان أبوه عبد الله شاعراً مجيداً وجواداً سخيّاً . وجدّه طاهر لا يحتاج إلى وصف بالكمال . وهو أحد الثلاثة الذين قال المأمون فيهم : هم أجلّ ملوك الدنيا والدين - قاموا بالدول - وهم الإسكندر ، وأبو مسلم الخراسانيّ ، وطاهر . قال : وكان متشيّعاً كحفيده المذكور ، إلى أن قال : مات أبو أحمد ليلة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاثمائة . حكاها عن الخطيب ضياء الدين في «نسمة السحر» .

ومنهم : أحمد بن علويّة المعروف بأبي الأسود الكاتب الكرانيّ

الإصفهاني. قال ياقوت: كان صاحب لغة يتعاطى التأديب ويقول الشعر الجيد. وكان من أصحاب لفظة؛ ثم صار من ندماء أحمد أبي ذلف. إلى أن قال: وله «رسائل مختارة»، و«رسالة في الشيب والخضاب»، وقصيدة شيعية على ألف قافية. عُرِضت على أبي حاتم السجستاني فأعجب بها وقال: يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ! غَلَبَكُمْ أَهْلُ إِصْفَهَانَ. عمرت نيفاً ومائة سنة، وتوفي سنة نيف وعشرين وثلاثمائة.

ومنهم: الإسكافي محمد بن أبي بكر همّام بن سهل المشهور بالكاتب الإسكافي، من شيوخ الشيعة، مقدّم في كلّ فنون العلم. صنّف في الكلّ. له ترجمة طويلة في الكتب الموضوعية في أحوال الرجال لأصحابنا. كان تولّده في يوم الاثنين سابع ذي القعدة من شهور سنة ثمان وخمسين ومائتين، وتوفي يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة.

ومنهم: الشيخ أبو بكر الخوارزمي محمد بن العباس<sup>١</sup> شيخ

١- قال أحمد أمين بك المصري في كتاب «ظهر الاسلام»، ج ٤، ص ١٤٤: وممن تشيّع من كبار الكتّاب أبو بكر الخوارزمي. كان شيعياً متعصباً لأهل البيت، شريحاً في مواجهته لهم، مسلطاً قلمه على خصومهم. وللتشيّع هذا أثر قوي في رسائله. فهو لا يترك فرصة دون أن يستغلّها في هجاء خصومه أو مدح رؤساء الشيعة أو إظهار التوجّع والتفجّع لما أصاب أهل البيت من ظلم وقتل وغضب. فإذا كتب رسالة إلى جماعة الشيعة في نيسابور، أسهب وأطال فيما أصاب أنصار الشيعد من قتل وتشريد ومحنة وبلاء أيام الأمويين والعبّاسيين بأسلوب تسوده نغمة الحزن والكآبة... ويواصل أحمد أمين حديثه حتّى يقول في ص ١٤٥: وتتابع الشيعد على هذا المنوال. فألف ابن أبي الحديد شارح «نهج البلاغة» قصائد سبعاً كالمعلقات السبع سمّاها «القصائد السبع العلويّات». الأولى في ذكر فتح خيبر، والثانية في ذكر فتح مكّة، والثالثة في وصف النبي، والرابعة في واقعة الجمل، والخامسة في وصف علي، والسادسة في وصفه أيضاً ومدحه، والسابعة في أوصافه. فمثلاً يقول

الأدب وعلامة عصره في علوم عرب . قال الثعالبي في «اليتيمة» عند ذكره :  
 نابغة الدهر ، وبحر الأدب ، علم النظم والنثر ، وعالم الظرف والفضل . كان  
 يجمع بين الفصاحة والبلاغة ، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها ،  
 ويُدرّس كتب اللغة والنحو والشعر ، ويتكلم بكلّ نادرة ، ويأتي بكلّ درّة ،  
 ويبلغ في محاسن الأدب كلّ مبلغ ... إلى آخر كلامه الحسن .

توفي أبو بكر في شهر رمضان سنة ٣٨٣ هـ . ومن شعره المحكيّ في  
 «معجم البلدان» في لفظة (أمل) :

بَأْمَلٍ مَوْلِدِي وَبَنُو جَرِيرٍ فَأَخْوَالِي وَيَنْحِكِي الْمَرْءُ خَالَهٖ  
 فَهَآ أَنَا رَافِضِيٌّ عَن تَرَاثٍ وَغَيْرِي رَافِضِيٌّ عَنو كَلَالَهٗ

ومنهم : أبو الفضل بديع الزّمان أحمد بن الحسين بن يحيى بن  
 سعيد الهمدانيّ أحد أركان الدهر . وشهرته تُغني عن نقل ما ذكره العلماء  
 في ترجمته . نصّ الشيخ أبو عليّ في «منتهى المقال» على أنّه من الشيعة  
 الإماميّة ، وأنّه أوّل من أسّس وضع المقامات . مات سنة ٣٧٨<sup>١</sup> .

ثمّ تحدّث المرحوم الصدر مفصّلاً عن تقدّم الشيعة في علم المعاني

في وصفه:

ولقد بكيت لقتل آل محمّدٍ      بالطفّ حتّى كلّ عضو مدمّع  
 وحریم آل محمّد بين العداء      نهبٌ تقاسمه اللئام الرُّضّع  
 تالله لا أنسى الحسينَ وشلوه      تحت السنايك بالعرء مؤرّع  
 مُتلفعاً حُمُر الثّيابِ وفي غدٍ      بالخضر من فردوسه يتلفّع  
 تَطأُ السنايك صدره وجبينه      والأرض ترجف خيفة وتضعفُ

... إلى آخر القصيدة . وعلى الجملة فالثروة الأدبيّة التي تركها الشيعة في العويل  
 والبكاء ومدح الخلفاء ثروة كبيرة . وإذا نحن قلنا: الأدب الشيعيّ فهو بعينه أدب معتزليّ ، لأنّ  
 الأدب البويهيّ كان أدباً شيعياً معتزلياً - انتهى .

١- «الشيعة وفنون الإسلام» ص ١٢٢ إلى ١٣٤ باختصار مركز.

والبيان والفصاحة والبلاغة، وكتبهم المصنفة في هذا المجال. وكذلك تقدّمهم في علم البديع، والعروض، وفنون الشعر، وعلم الصرف والنحو في فصول وصحائف عديدة. ثم عرّج على تحقيق السبب الذي دعا أمير المؤمنين عليه السلام إلى اختراع أصول علم النحو وتحديد حدوده، وتحقيق السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو الذي كان تعلّمه من الإمام عليه السلام.<sup>١</sup> وبعد ترجمة أولئك الرجال الذين صنّفوا في علم النحو من مشاهير الشيعة وأئمة العربيّة وآدابها كعطاء بن أبي الأسود، والفراء النحويّ المشهور وغيرهما، وبعد نقله مطالب رائعة وثمينة، قال:

ومنهم: قُتَيْبَةُ النُّحَوِيِّ الجُعْفِيُّ الكُوفِيُّ من أئمة علم النحو واللغة. ووصفه النجاشي في فهرست أسماء مصنّفي الشيعة بالأعشى المؤدّب، وكنّاه بأبي محمّد المُقْرِي مَوْلَى الأَزْد. وذكره السيوطي في «الطبقات»، وحكى عن الزبيديّ ذكره في أئمة نحاة الكوفيين. وأنّه قال: وقّع كاتب المهديّ: قري عربيّ، فنون قريّ، فأنكره شبيب بن شيبة، فسأل قتيبة هذا، فقال: إن أريد قري الحجاز فلا تنون، لأنّها لا تنصرف، أو قري السودان نُونّت لأنّها تنصرف.<sup>٢</sup>

وقال: ومنهم: الأخفش الأوّل المتوفّى قبل الخمسين ومائتين، واسمه أحمد بن عمران بن سلامة الإلهانيّ. يكنى أبا عبد الله النحويّ. قال ياقوت بعد ترجمته: وله أشعار كثيرة في أهل البيت، منها:

إِنَّ بَنِي فَاطِمَةَ المَيْمُونَةَ الطَّيِّبِينَ الأَكْرَمِينَ الطَّيِّبِينَ

١- «الشيعة وفنون الإسلام» في خمس صفحات تامّة، تحدّث فيها عن هذا الموضوع ، ص ١٥٨ إلى ١٦٤.

٢- «الشيعة وفنون الإسلام» ص ١٦٨.

رَبِّعِنَا فِي السَّنَةِ الْمَلْعُونَةِ كُلُّهُمْ كَالرُّوْضَةِ الْمَهْتُونَةِ  
 وذكره السيّد بحر العلوم الطباطبائي في كتاب «الرجال»، وذكر أنّه  
 من شعراء أهل البيت عليهم السلام، خالص الودّ لآل البيت، أصله من  
 الشام، وهاجر للعلم بالعراق، ثمّ رحل إلى مصر، ثمّ إلى طبرية. صحب  
 إسحاق بن عبّدس، وكان يؤدّب ولده بطبرية<sup>١</sup>.

\* \* \*

أجل، تبين ممّا ذكرنا كالشمس الساطعة أنّ الشيعة وحدهم كانوا منذ  
 عصر صاحب الرسالة الخاتمة قد وقفوا على أهميّة العلم والحديث والسنة  
 والخبر، وكانوا مجدّين وساعين إلى تدوين الكتب وتصنيف الأسفار،  
 وكانوا يعدّون ذلك من أهمّ واجباتهم في وقت كان المعارضون لنشر العلم  
 والكتابة والتدوين يجلدون رواة الحديث ويعذبونهم ويسجنونهم  
 وينفونهم، وينهون نهياً أكيداً بليغاً عن تفسير القرآن وكتابة وبيان  
 الحديث والسنة النبوية. وما جرى على الشيعة الملتزمين الغيورين  
 الناطقين بالحقائق في القرن الأوّل، والثاني، حيث كانت الحكومات  
 الجائرة الغاصبة تبذل قصارى جهدها لإخفاء الحقائق والصدق والأمانة،  
 لأنّ أركان عروشها المُمَمَّوْهة قائمة على ممارساتها القمعية المتمثلة بكمّ  
 الأفواه، والقتل، والسلب، والنهب.

ولم يكن للشيعة من سبيل إلاّ نشر العلم، ذلك أنّهم أرسوا دعائم  
 منهجهم على الحقّ والصدق. وهذا المنهج لم يسمح لم قطّ أن يستسلموا  
 لحكّام الجور وأمرأ الظلم، أو يركعوا لهم من أجل المحافظة على أرواحهم

١- «الشيعة وفنون الإسلام» ص ١٧٠.

وأموالهم أو رغبة في إعلاء منزلتهم ومكانتهم . لهذا راضوا أنفسهم على الفقر والتشريد والنكبات في جميع العهود الرهيبة ، كي يُيَضُّوا كراساتهم المُسَوَّدَةَ ، ويرووا للآخرين كتبهم المروية ، من أجل أن لا تنقطع سلسلة الحق ، ولا ينفصم عقد الفهم والدراية والعلم . وليصونوا كلام رسول الله الذي أخذوه من رسول الله حتى عصر بقية الله أرواحناه فداه .

لقد قام الشيعة بالكتابة والتدوين والتصنيف منذ عصر رسول الله . وكانوا يحذون حذوه ويتبعون هديته . وكانت الدعوة إلى الإسلام والدعوة إلى التشيع على حدٍ سواء ، إذ تمثلت في آية الإنذار وحديث العشييرة . فكان التشيع روح الإسلام ، والإسلام بلا تشيع كجيفة تنته تزكم الأنوف وتزعج عالم الشرف والضمير والإنسانية ، وتشكل عبثاً ثقيلاً على كاهله .

وكانت دعوة رسول الله إلى القرآن ، ودعوته إلى ولاية مولى المتقين وسيّد الأحرار وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب دعوة واحدة . وكان لزوم اتباعه عليه السلام من اللوازم التي لا تتجزأ عن الإسلام . وكان شيعته في عصر الرسول الأكرم معروفين بارزين لا معين . وكان الحزب المخالف منذ ذلك العصر معروفاً بتخطيطه ، وعرقلته للأمر ، ومخالفته للحق ، ووقوفه أمام الصواب والحق .

قال ابن الأثير : وفي حديث عليّ عليه السلام قال النبيّ صلّى الله عليه وآله :

سَتَقْدَمُ عَلَيَّ اللَّهُ أَنْتَ وَشِيعَتُكَ رَاضِينَ مَرْضِينَ ، وَيَقْدَمُ عَلَيَّ  
عَدُوُّكَ غَضَاباً مُقْمَحِينَ ! ثُمَّ جَمَعَ يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ يُرِيهِمْ كَيْفَ الإِقْمَاحُ ؟!  
ثم قال (ابن الأثير) : أَقْمَحَهُ الْغُلُّ : إِذَا تَرَكَ رَأْسَهُ مَرْفُوعاً مِنْ ضَيْقِهِ .  
وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ

مُقَمَّحُونَ<sup>١</sup>.

وفي «غاية المرام» عن المغازلي بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا<sup>٢</sup> لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ . ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : هُمْ شِيعَتَكَ وَأَنْتَ إِمَامُهُمْ<sup>٣</sup> .

وفيه عنه أيضاً بسنده عن كثير بن زيد قال : دخل الأعمش على المنصور ، وهو جالسٌ للمظالم . فلما بصر به قال له : يا سليمان ! تَصَدَّرُ ! قال : أنا صَدَّرُ حيثُ جلستُ ! إلى أن قال في حديثه : قال :

حدَّثني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، قَالَ : أَتَانِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ آنِفًا ، فَقَالَ : تَخْتَمُوا بِالْعَقِيقِ فَإِنَّهُ أَوَّلُ حَجَرٍ شَهِدَ لِلَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَلِي بِالنُّبُوَّةِ ، وَلِعَلِيِّ بِالْوَصِيَّةِ ، وَلَوْ لِدِهِ بِالْإِمَامَةِ ، وَلِشِيعَتِهِ بِالْجَنَّةِ<sup>٤</sup> .

ويستفاد من هذه الأحاديث الكثيرة وما يماثلها أن لفظ الشيعة استعمله صاحب الشريعة فيمن تولى عترته وآله . فمن يومه كان هذا اللفظ إذا أُطلق عند الاستعمال ، يُفهم منه أن المعنى به مَنْ والى علياً وبنيه عليهم السلام .

وكانت الدعوة إلى التشيع لأبي الحسن عليه السلام من صاحب الرسالة تواكب دعوته للشهادتين . ومن ثم كان أبو ذر الغفاري شيعة عليّ

١- «النهاية» لابن الأثير، ج ٤ ، مادة «ق م ح». والآية هي : الآية ٨ ، من السورة ٣٢ :

يس .

٢- يستعمل العدد «سبعين» في لغة العرب للمبالغة عن الكثرة .

٣- «تاريخ الشيعة» للشيخ محمد حسين المظفر، ص ٧ .

٤- «تاريخ الشيعة» ص ٧ .



عليه السلام ، وهو رابع الإسلام أو سادسهم <sup>١</sup> .  
ولقد كفانا مؤنة التذليل على ما نريد محمد كُرد علي في كتابه («خطط  
الشام» ج ٥ ، ص ٢٥١ إلى ٢٥٦) .

قال : عُرِفَ جماعة من كبار الصحابة بموالاته علي في عصر رسول  
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مثل سلمان الفارسي القائل : **بَايَعْنَا رَسُولَ  
اللَّهِ عَلَى النَّصْحِ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْإِتِّمَامِ بَعْلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالْمُؤَالَاةِ  
لَهُ** .

ومثل أبي سعيد الخدري الذي يقول : **أَمَرَ النَّاسُ بِخَمْسٍ ، فَعَمِلُوا  
بِأَرْبَعٍ وَتَرَكَوا وَاحِدَةً . وَلَمَّا سُئِلَ عَنِ الْأَرْبَعِ قَالَ : الصَّلَاةُ ، وَالزَّكَاةُ ،  
وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَالْحَجُّ .**

**قِيلَ : فَمَا الْوَاحِدَةُ الَّتِي تَرَكَوْهَا ؟ قَالَ : وَلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ !  
قِيلَ لَهُ : وَإِنِّهَا لَمَفْرُوضَةٌ مَعَهُنَّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! هِيَ مَفْرُوضَةٌ مَعَهُنَّ .**  
ومثل أبي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وذو  
الشهادتين خزيمة بن ثابت ، وأبي أيوب الأنصاري ، وخالد بن سعيد بن  
العاص ، وقيس بن سعد بن عبادة .

وأما ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن مذهب التشيع من بدعة  
عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، فهم وهم ، وقلة معرفة بحقيقة  
مذهبهم . ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم منه ومن أقواله  
وأعماله ، وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم ، عَلِمَ مبلغ هذا  
القول من الصواب . لا ريب في أن أول ظهور الشيعة كان في الحجاز بلد  
المتشيع له . وفي دمشق يرجع عهدهم إلى القرن الأول للهجرة .

١ - «الاستيعاب» .

إنَّ مُحَمَّدَ كُرْدِ عَلِيِّ لَيْسَ مِنَ الشَّيْعَةِ ، وَلَا مِنْ أَنْصَارِهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُ رَأَى أَنَّ مِنَ الْأَمَانَةِ إِبْدَاءَ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ نَاصِعَةً دُونَ أَنْ يَشُوْبَهَا بَغْرَضٌ ، وَدُونَ أَنْ يَرْكُنَ إِلَى النِّزَعَاتِ الْمَذْهَبِيَّةِ الَّتِي أَضَاعَتْ الْحَقَّ وَشَوَّهَتْ الْحَقِيقَةَ .  
فهذا كُرْدِ عَلِيٌّ بِوَجِيزِ كَلَامِهِ وَاسْتِدْلَالِهِ عَلَى نُبُوغِ التَّشْيِيعِ أَيَّامَ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ أَغْنَانًا عَنِ الْمَضْيِ فِي التَّدْلِيلِ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ !<sup>١</sup>

### مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم

تبيّن من جميع المطالب المتقدمة كالأيات القرآنيّة ، وحديث الغدير ، وحديث الثقلين ، وحديث العشيرة ، وحديث الطير المشويّ ، وقبول الإسلام بشرط قبول الولاية وأمثالها ، أنّ نفس رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كان يدعو الأمة إلى اتباع أمير المؤمنين عليه السلام ، وأنّ التشيع له كان منذ ذلك العصر ، وأنّ رجالاً من الصحابة من أولي العلم والفهم والحكمة اتّبعوه ورضوه ولياً لهم ، فعرفوا بشيعته منذ ذلك الحين . وهو عليه السلام وشيعته هؤلاء هم الذين تولّوا أمر الكتابة والتدوين والتصنيف في عصر الرسول الأكرم صَلَّى الله عليه وآله .

وبعد وفاة رسول الله ، ووقوع الحوادث الأليمة ، وإقالة مولى الموالي ، والاعتصاب الصريح لمقام الإمامة ، والخلافة ، وإمارة الأمة ، ومنع التدوين والتصنيف وبيان الأخبار والأحاديث والسنة النبويّة والتفسير ومعنى الآيات القرآنيّة المباركة بعنفٍ شديد ، وتحكّم تام ، انعزل الشيعة ومولاهم . وأمّا أولئك فإنّهم مع رواج سوقهم ، وحروبهم وغاراتهم وفتحهم

١- «تاريخ الشيعة» للمظفر، ص ٩ و ١٠.

الأمصار واجتذاب قلوب العامة بزخارف الدنيا وحطامها ، والتبرّع بالمناصب ، لم يسمحوا لأمير المؤمنين عليه السلام أن يدخل معهم بوصفه أعلم الأمة ، ولم ينضوا تحت لواء آرائه وأفكاره وتوجيهاته في حين كانوا هم المتربّعين على أريكة الحكم . وعندما كانوا يستشيرونه في بعض المواطنين القليلة ، فإنّ هذه الاستشارة ليست من منطلق لزوم أتباع الجاهل للعالم ، بل من منطلق الاسترشاد برأيه في مقام الاستشارة .

ولا يمكن للإمام عليه السلام طبعاً وعقلاً مع سعة علمه ودرايته أن يخضع لفهمهم القاصر ونظرتهم الضيقة . لهذا لم يجد بداً من أن يحمل المسحاة والمعول ، ويزرع ، ويُجري القنوات خمساً وعشرين سنة . هذا وهم يعتبون عليه أنّه لم يذهب إلى الحرب ! ويتساءلون :

لماذا لم يستعدّ أن نعقد له لواءً للحرب ؟ ولماذا لم يتوجّه إلى القتال كسائر القادة والأمراء أمثال سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد ، فيقتل ، ويقمع ، ويفتح ، ويوسع أرض المسلمين كما في عصر رسول الله ؟! ولماذا لم يرحل معنا في سفرنا إلى الشام ؟!

**أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَقُولُونَ وَتَتَوَهَّمُونَ وَمَا تَصِيرُونَ إِلَيْهِ وَتَزْعُمُونَ !**  
كيف يكون العقاب المحلّق في السماء خاضعاً لأمر الغراب والحدأة ؟! وأنتم الذين كسرتم جناحه ، بيد أنّه ظلّ عقاباً محلّقاً ، فلا هو بحاجة إلى دنياكم ، ولا هو يطمع في الإمارة عليكم !

هو عقاب ، وهو ليث العلم والحلم والفهم والتمكين . فكيف ينقاد لأوامركم ونواهيكم ؟! لهذا ترك أمير المؤمنين عليه وعلى أولاده وأبنائه الطيبين أفضل السلام والصلاة من الحيّ القيوم ربّ العالمين الحساد وشأنهم ، وأكّبت هو وشيعته على التفسير والتدوين ، وكتّبت السنّة النبويّة للأمة والأجيال القادمة . أمّا أولئك الشمالي بخمرة النزعات والغرور ، فقد

اقتنعوا بظاهر من الإسلام ، وخالوا أنفسهم على سطح القمر والشمس .  
ولكن شتان بين ذلك وهؤلاء !

نه هر که چهره برافروخت دلبری داند  
نه هر که آینه سازد سکندری داند  
نه هر که طرف کله کج نهاد و تند نشست  
کلاهداری و آئین سروری داند  
هزار نکته باریکتر ز مو اینجاست  
نه هر که سر نتراشد قلندری داند  
تو بندگی چو گدایان به شرط مزد مکن  
که خواجه خود روشن بنده پروری داند  
غلام همّت آن رند عافیت سوزم  
که در گدا صفتی کیمیاگری داند  
وفا و عهد نکو باشد از پیاموزی  
و گرنه هر که تو بینی ستمگری داند<sup>۱</sup>

۱- «دیوان الخواجه شمس الدین محمد حافظ شیرازی» أعلى الله درجته، ص ۹۹،  
الغزلیة رقم ۲۲۱، طبعه بزمان.

يقول: «ليس كل من أتقدت وجنتاه صار معشوقاً ومحبوباً، وليس كل من صنع المرأة  
يكون كالإسكندر.

وليس كل من أدار قبّعه وجلس متبخترأ عرف أدب الرئاسة والسلطة والسيادة.  
ألّف نقطة أدقّ من الشعرة هنا، وليس كل من لا يحلق شعره درویشاً.  
لا تشترط العبودية بالأجر (أيها الغافل) كالشحاّذين، فالله أعرف بتربية العبد.  
أنا عبدٌ لهمة المنيع الذي لا يكثرث بعافيته وإن كان مستجدياً في ظاهره لكنّه يعرف  
علم الكيمياء.

الوفاء بالعهد حسنٌ إذا تعلّمته وإلا فكلّ من تراه يعرف كيف يظلم غيره.

به قد و چهره، هر آنکس که شاه خوبان شد  
 جهان بگيرد اگر دادگستری داند  
 به قدر مردم چشم من است غوطه خون  
 درین محیط نه هر کس شناوری داند  
 ببختم دل دیوانه و ندانستم  
 که آدمی بچه‌ای شیوه پری داند  
 مدار نقطه بینش ز حال توست مرا  
 که قدر گوهر یکدانه گوهری داند  
 ز شعر دلکش حافظ کسی بود آگاه  
 که لطف نکته و سر سخنوری داند<sup>١</sup>

مسار العلوم وتأریخ الشيعة في عصر أمير المؤمنين عليه السلام  
 قال المحقق الخبير والعالم المتضلع الشيخ محمد حسين المظفر: فلو  
 كان الأمر بعد الرسول لعلّي عليهما وآلهما السلام، لكان الناس كلّهم شيعة  
 عليّ بعد هذا البيعة<sup>٢</sup> (بيعة الغدير)، وبعد تلك الآيات النازلة والروايات الواردة

١ - يقول: «كل من صار ملكاً لأولي الجمال بقامته ووجهه، فإنّه يستولي على العالم  
 إذا عدل.

الغوص في الدم بمقدار إنسان عيني (الدمع الذي أسكبه) وليس لكل أحد أن يسبح في  
 هذا البحر (العين).

فقدت القلب المجنون وأنا لا أدري أنّ للمعشوق الآدمي أسلوب الحورية الجميلة.  
 إنّ مدار بصيرتي من خالك، إذ لا يعرف قدر الجوهر الفريد (الخال) إلاّ الجوهري.  
 لا يعرف شعر «حافظ» الأخاذ بالقلوب إلاّ من وقف على سرّ الكلام ولطف النكات». .  
 ٢- قال في الهامش: ذكر أرباب الفضائل والحديث والتأريخ والتفسير تهنئة عمر

في فضله .

ولمّا أن حالت الحوائل دون انتهاء الخلافة إليه ، وفوجئ الناس بأمر لم يحتسبوه . فما عتّم الأمر إلا وأبو بكر خليفة ، كيف ننتظر من الناس أتباع السلطان أن يبقوا على الولاء والتشيّع لأهل البيت ؟! أجل ، غير فئة تعدّ بالأصابع لم يغير ذلك الزلزال المفاجئ ثباتها على الولاء والإمامة .

فانقبع التشيّع بانقباع أبي الحسن في بيته . وما كان انتشاره بعدئذٍ في البلاد العريضة إلا كدبيب النمل الصفا من دون حسّ أو جلبة . فلم تبق قبيلة أو بلد إلا وألقى التشيّع بجرانه فيها وهو هادئ وديع .

لا يرى الشيعة خلافة إلهية لغير عليّ وبنيه عليهم السلام . فمن ثمّ لا تسمح السلطات بانتشاره ، ولا ترى أن ينتشق النسيم الطلق فهي تخنقه ما استطاعت ، لأنّ بظهوره وقوته الخوف على عروشهم .

أشغلت الدنيا عثمان وبنو أمية عن الحيلولة دون ظهور التشيّع ، فوجد أنصاره فسحة الدعوة إليه وتذكير الناس بيوم الغدير وفضائل المرتضى وأهل بيت النبوة عليهم السلام ، والقلوب يومئذٍ حاقدة على عثمان ورهطه باستنثاره بالفيء ، وتأميرهم ، وإقطاعهم الضياع ، وإيثارهم بالخمس والصفايا .

لأمير المؤمنين عليه السلام ، وأضاف إليها بعضهم تهنئة أبي بكر . انظر: الرازي في تفسير قوله: **يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ** - الادية ، وأحمد في مسنده عن البراء بن عازب ، والثعلبي ، وابن حجر في أوائل الصواعق في الشبهة الحادية عشرة ، غير أنّه ذكر أنّ أبابكر وعمر قالاً له: **يَا عَلِيُّ! أَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ** . وفي شأن نزول الآية: **الْيَوْمِ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا** ، انظر: «الدرّ المنتور» ، والخطيب البغدادي ، وابن عساكر ، وما جمعه الطبري ، وابن عقدة من طرق حديث الغدير ، والثعلبي ، وابن المغازلي ، والحافظ الجزري الشافعي ، وغيرهم .

ومتى كان يتسنّى لأمثال أبي ذر رضي الله عنه أن يذكر الناس معلناً بولاء المرتضى ويطوف على بيوت المدينة صائحاً :  
**أَدَّبُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَيَّ حُبِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ! وَمَنْ أَبِي فَانظُرُوا فِي شَأْنِ أُمِّهِ !**

وعلى منواله ينسج جابر بن عبد الله الأنصاري . ومتى كان أبو ذر وغيره يطبقون إنكار المنكر والفساد في الأرض ، فكان ذلك منه عاملاً في نفي أبي ذر إلى الشام . فدأب في الشام على سيرته ، ولم يثنه الوعد ولا الوعيد عن خطته ، فكان الصراخه في الشام أثر محمود . وخشي معاوية أن تنقلب عليهم الشام وتذهب أمانيه العذاب سدى ، إن استمر أبو ذر على هتافه . فأعاده إلى المدينة على أخشن مركب مجدّين به السير ، وهو شيخ ضعيف القوى ، فتناثر لحم فخذيّه .

فلما لم يجد عثمان حيلة في سكوته من نفي أو إغراء بالمال أو ترهيب ، نفاه إلى الريدة - داره قبل الإسلام - حتى مات جوعاً .  
**اللَّهُ أَكْبَرُ ! ما يفعل قول الحق بالمرء ؟! وما يلاقيه من جرّاء الأمر بالمعروف والردع عن المنكر ؟!**

ولا بدع ، فإنّ من يريد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، وطّن نفسه على احتمال المكاره والتنكيل والتعذيب ، **وَذَلِكَ فِي ذَاتِ اللَّهِ قَلِيلٌ .**  
 حقّاً إنّه لقليل ، فقد لاقى رسول الله صلّى الله عليه وآله قبله ما هو أنكى وأشدّ ، والحسين عليه السلام بعده ما هو أوجع وأفجع . وهكذا كلّ من أراد إحقاق الحق وإبطال الباطل . وما خلّد ذكر أولئك الأبطال إلّا تلكا

١- ذكر حال أبي ذر وما لاقاه جميع المؤرّخين . وإن شئت أن تقف على شيء منه ، فدونك «شرح النهج» لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٣٧٦

التضحية الغالية . وإنهم لنا أحسن قدوة ومثال ، لا سيّما في هذا الوقت الذي انتشرت فيه الموبقات والضلالة ، وَلَكِنْ أَيْنَ الْعَامِلُونَ؟! فكان التجاهر بالتشيع أيام عثمان . ولم يطق أن يحقّه بتفسير أبي ذرّ ، وبعقاب عمّار وكسر أضلاعه . ولهما أمثال في الناس . وكيف يزال وقد ثبتت قدمه راسخه ، لا سيّما في المدينة ومصر والكوفة .<sup>١</sup>

### مسار العلوم وتاريخ الشيعة في عصر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام

عرفنا في المباحث السابقة أنّ الإمام الحسن المجتبي عليه السلام كان أحد الذين دعوا إلى كتابة الحديث وتدوين السنّة النبويّة . وكان هذا مشهوراً ومشهوداً بين المخالفين ولكن من المؤسف أنّنا لا نلاحظ له ، ولا لسيد الشهداء عليهما السلام في باب الفقه ، والتفسير ، والسنّة إلّا أحاديث معدودة .

هل يتسنى لنا أن نقول : لم يصدر من الإمام المجتبي عليه السلام حديث بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام إلى يوم استشهاده ، في حين دامت تلك المدة عشر سنين؟! وكذلك الأمر بالنسبة إلى سيد الشهداء عليه السلام الذي عاش عشر سنين أخرى . فصار المجموع إلى يوم وقعة الطّف عشرين سنة ، فهل كان مثله مثل أخيه لم يصدر منه حديث ، وهما اللذان كانا مرجعيّ الناس وإمامي الأُمّة؟!

لا ! لا نحتمل هذا أبداً . وما نظنّه ظناً قريباً من اليقين هو أنّ الحكم خلال تلك الفترة كلّها كان لمعاوية بن أبي سفيان عليه الهاوية والخذلان ،

١- «تاريخ الشيعة» للمظفر، ص ١٣ إلى ١٥.



وهو الذي تحدّثت عنه كتب التاريخ جميعها أنّه قد ضيّق الخناق على المسلمين لئلاّ يجرؤ أحد على نقل الحديث وبيانه ، فضلاً عن تدوينه وكتابته .

وفي سفره إلى المدينة حاور قيس بن سعد بن عبادة ، وعبد الله بن عباس ، وبعد هذا الحوار أمر أن يؤدّن في المدينة أن : بَرَبْتُ ذِمَّةَ (الخلافة) مِنْ كُلِّ مَنْ نَقَلَ حَدِيثًا أَوْ رَوَايَةً فِي فَضْلِ أَبِي تَرَابٍ . وَأَنَّ دَمَهُ وَمَالَهُ وَعِرْضَهُ حَلَالٌ . من هنا ، لم يجرؤ أحد على نقل الحديث وروايته . يضاف إلى ذلك أنّه كتب إلى جميع عمّاله وولاته وأئمّة الجمعة والجماعة أن لا يتحدّثوا بشيء من فضل عليّ بن أبي طالب ، وليت الأمر اقتصر على ذلك ، فقد فرض على الجميع سبّه بعد كلّ صلاة .

وتحدّث المرحوم المظفر عن أساس حكومة معاوية ، وما ارتكبه من ظلم بحق الإمام الحسن عليه السلام ، فقال :

ما انقضت على الشيعة تلك الأيّام الغضة الجميلة ، المشرقة بنور الحقّ ، حتّى فأجاهم عصر الظلم والظلمة عصر معاوية . فما رأّت الشيعة فيه إلاّ الجور والاعتساف والاضطهاد . فكأثما تأمر ليقضي عليهم ، وكأثما تشيعوا ليستقبلوا بنحورهم سهام جوره . فاضطرّ أبو محمّد الحسن عليه السلام لموادعة معاوية حين خذله الناس . يقول الباقر عليه السلام كما في «شرح النهج» ج ٣ ، ص ١٥ :

وَمَا لَقِينَا مِنْ ظُلْمٍ قُرَيْشٍ إِيَّانَا وَتَظَاهَرُهُمْ عَلَيْنَا؟! وَمَا لَقِيَ شِيعَتُنَا وَمُحِبُّونَا مِنَ النَّاسِ؟! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قُبِضَ وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ . فَتَمَالَأْتُ عَلَيْنَا قُرَيْشٌ حَتَّى أَخْرَجَتِ الْأَمْرَ عَنْ مَعْدِنِهِ، وَاحْتَجَّتْ عَلَيَّ الْأَنْصَارُ بِحَقِّنَا وَحُجَّتِنَا . ثُمَّ تَدَاوَلَتْهَا قُرَيْشٌ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ آخَرَ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَيْنَا . فَنَكَثَتْ بَيْعَتَنَا، وَنَصَبَتِ الْحَرْبَ لَنَا،

وَلَمْ يَزَلْ صَاحِبُ الْأَمْرِ فِي صَعُودِ كَوْوِدٍ حَتَّى قُتِلَ .  
فَبُوعِ الْحَسَنِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَعُوْدَ ثُمَّ غُدِرَ بِهِ وَأُسْلِمَ،  
وَوَثَبَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ حَتَّى طُعِنَ بِخَنْجَرٍ فِي جَنْبِهِ، وَنَهَبَ عَسْكَرَهُ،  
وَعُوْدِجَتْ خَلَائِلُ أُمَّهَاتِ أَوْلَادِهِ، فَوَادَعَ مُعَاوِيَةَ، وَحَقَنَ دَمَهُ وَدِمَاءَ  
أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُمْ قَلِيلٌ حَقَّ قَلِيلٌ .

و حين وادعه أبو محمد عليه السلام ، اشترط عليه شروطاً كثيرة ،  
منها : أن يكف عن سباب من قام الإسلام بحسامه ، وتأسست بقوائمه  
قواعد الحكم لمعاوية وغيره ؛ وأن لا ينال شيعته بسوء . فلما وصل معاوية  
النخيلة أو دخل الكوفة واعتلى المنبر ، قال : أَلَا إِنِّي قَدْ مَنَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ  
عَلِيٍّ شَرْوْطًا ، وَكُلُّهَا تَحْتَ قَدَمِي هَاتَيْنِ !<sup>١</sup>

يقول أبو الفرج في «المقاتل» : صَلَّى معاوية الجمعة بالنخيلة ، ثم  
خطب ، فقال : إِنِّي مَا قَاتَلْتُكُمْ لِتَصْلُوا ، وَلَا تَصُومُوا ، وَلَا لِتَحْجُوا ،  
وَلَا لِتَزُكُوا ! إِنَّكُمْ لِتَغْفُلُونَ ذَلِكَ ! إِنَّمَا قَاتَلْتُكُمْ لِأَتَأْمَرَ عَلَيْكُمْ وَقَدْ  
أَعْطَانِي اللَّهُ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ كَارَهُونَ !

قال شريك في حديثه : هَذَا هُوَ التَّهْتُكُ !

إنَّ أبا محمد عليه السلام ليعلم أنَّ معاوية لا يفي بشيء من الشروط ،  
ولكن ما اشترط عليه إلا ليتجلى للناس غدره ونكته بالعهود .

فكأنما صالحه على أن يجتهد في سب المرتضى وتتبع شيعته ما  
استطاع . وما اكتفى بسبِّه بنفسه حتى كتب إلى عماله أن يسبوه على المنابر

١- «الإمامة والسياسة» لابن قتيبة، ص ١٣٦؛ و«شرح نهج البلاغة» ج ٤، ص ٦؛  
و«تاريخ الطبري» في حوادث عام ٤١، ج ٦، ص ٩٣؛ و«تاريخ العبري» ص ١٨٦؛ إلى كثير  
سواها.

ودبر كل صلاة . ولما عوتب على ذلك ، قال : **لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَرْبُو عَلِيَهُ الصَّغِيرُ وَيَهْرُمُ الْكَبِيرُ** .

فما زال سب أمير المؤمنين عليه السلام سنة في دولة بني أمية إلى أن انقرضت ، سوى أيام الخليفة ابن عبد العزيز في بعض البلاد . وزاد معاوية على السب أن كتب لعمّاله : برئت الذمة ممن روى حديثاً في فضل أبي تراب<sup>١</sup> .

وما زال متتبّعاً أثر شيعته حتى انتهك منهم كل حرمة وارتكب كل محترم . يقول المدائني كما في «شرح نهج البلاغة» ج ٣ ، ص ١٥ : وكان أشدّ الناس بلاءً أهل الكوفة لكثرة من فيها من شيعة عليّ عليه السلام ، فاستعمل عليهم زياد بن أبيه وضمّ إليه البصرة . فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف ، لأنّه كان منهم أيام عليّ عليه السلام ، فقتلهم تحت كل حجر ومدبر ، وأخافهم ، وقطع الأيدي والأرجل ، وسمل العيون ، وصلبهم على جذوع النخل ، وطردهم وشردهم عن العراق ، فلم يبق بها معروف منهم .

هذه بعض سيرة معاوية مع الشيعة . فكان لا يجهر أحد بالولاء لأبي الحسن ولآل محمّد الأطهار إلّا حمل خشبة الصلب على عاتقه ، وسنّ الحسام لعنقه بيده . وما حيلة البعض منهم ، وهو جهير بالتشيع معروف فيه لا يستطيع كتمه ولا دفعه ، أمثال حجر بن عدّي وأصحابه ، وعمرو بن الحمق الخزاعيّ وأضرابه؟!

وما وقف معاوية عند هذا الحدّ من شقائه حتى أراد أن يقتل إمام الشيعة أبا محمّد الحسن عليه السلام فدنس إليه السمّ على يدي زوجته جعدة

١- «شرح نهج البلاغة» ج ٣ ، ص ١٥ نقلاً عن المدائني ؛ وابن عرفة المعروف بنفطويه

ابنة الأشعث ، فنال بذلك منه ما أراد .<sup>١</sup>

وحسب معاوية أن بمطاردة الشيعة والقضاء عليهم والقتل لإمامهم يغالب القدر ، فيمحو ذكر أهل البيت ويقضي على شريعة الرسول صلى الله عليه وآله خصمه الله ، ولكن **يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ** .<sup>٢</sup> فإنه بالرغم من تلك الجهود العظيمة التي كانت لمعاوية ومن جرى على سيرته في حرب أهل البيت ، كان شأن أهل البيت لا يزداد إلا رفعة وسناء كما تراه اليوم . فإن أيام معاوية في سلطانه بلغت عشرين عاماً وقضاها مجداً بالقضاء على أهل البيت وشأوهم الرفيع حتى حُيِّلَ لمن لا يعرف عواقب الأمور أن رعاة الدين لم يبق منهم نافخ ضرمة . وأن المنكر قد تغلبت رجاله حتى لم يبق من رجال المعروف أحد يعرف ، ولكن ما مضت الأيام إلا وانهار كل ما بناه معاوية وأسس غيره ، وشاده أعقابه ، وعلا الحق مرتفعاً في حجته وآثاره ، **وَالْحَقُّ يَعْلُو وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ** .

وهذا أمر بارز للعيان ينتبه إليه أهل البصائر في كل أوان وقد أخبروا عنه أهل العصور الأوزل . يقول الشعبي لولده ، وهو المتهم بالانحراف عن علي عليه السلام :

١- انظر: «تاريخ أبي الفداء» ج ١ ، ص ١٨٣ ؛ و«الاستيعاب» لابن عبد البر ؛ و«مروج الذهب» ج ٢ ، ص ٣٦ ؛ و«مقاتل الطالبين» ؛ و«شرح نهج البلاغة» ج ٤ ، ص ٤ و٧ و٤١٨ ، إلى غير هؤلاء . وما اكتفى بالسّم وحده بل خرّ ساجداً لما بلغه موت الحسن عليه السلام ، كما ذكر ذلك الطبري والدميري وأبو الفداء وابن قتيبة ، وابن عبد ربّه وغيرهم . ويا للعجب ممّا جناه معاوية ، كأنه لم يتوصّل إلى الملك إلا للقضاء على الشريعة وأربابها . وأنّ الأعجب منه أن ترى له أنصاراً ومدافعين حتى اليوم . وكانت ولادة الحسن في النصف من شهر رمضان لسنتين مضتا للهجرة أو ثلاث ، وموته في السابع من صفر سنة ٥٠ للهجرة .

٢- الآية ٣٢ ، من السورة ٩ : التوبة .

يَا بُنَيَّ! مَا بَنَى الدِّينُ شَيْئاً فَهَدَمْتَهُ الدُّنْيَا، وَمَا بَنَتِ الدُّنْيَا شَيْئاً إِلَّا وَهَدَمَهُ الدِّينُ. انظُرْ إِلَى عَلِيِّ وَأَوْلَادِهِ! فَإِنَّ بَنِي أُمِّيَّةٍ لَمْ يَزَالُوا يَجْهَدُونَ فِي كَتْمِ فَضَائِلِهِمْ وَإِخْفَاءِ أَمْرِهِمْ وَكَأَنَّمَا يَأْخُذُونَ بِضُبُعِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ. وَمَا زَالُوا يَبْذُلُونَ مَسَاعِيَهُمْ فِي نَشْرِ فَضَائِلِ أَسْلَافِهِمْ وَكَأَنَّمَا يَنْشُرُونَ مِنْهُمْ جِيْفَةً!

ويقول عبد الله بن عروة بن الزبير لابنه: يَا بُنَيَّ! عَلَيْكَ بِالدِّينِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَا بَنَتْ شَيْئاً إِلَّا هَدَمَهُ الدِّينُ. وَإِذَا بَنَى الدِّينُ شَيْئاً لَمْ تَسْتَطِعِ الدُّنْيَا هَدْمَهُ. أَلَا تَرَى عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمَا يَقُولُ فِيهِ خُطْبَاءُ بَنِي أُمِّيَّةٍ مِنْ ذَمِّهِ وَعَيْبِهِ وَغَيْبَتِهِ! وَاللَّهِ لَكَأَنَّمَا يَأْخُذُونَ بِنَاصِيَتِهِ إِلَى السَّمَاءِ! أَلَا تَرَاهُمْ كَيْفَ يَنْدُبُونَ مَوْتَاهُمْ وَيَرْثِيهِمْ شِعْرَاؤُهُمْ! وَاللَّهِ لَكَأَنَّمَا يَنْدُبُونَ جِيْفَ الحُمُرِ!

ولا غرابة فإن الله لا يُخزي أوليائه وقد ضحوا بنفوسهم ونفيسهم في ذاته. وكيف ينصر أعداءه وهم حرب له ولأوليائه؟ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.<sup>٢</sup>

## مسار العلوم وتاريخ الشيعة

في عصر سيّد الشهداء عليه السلام<sup>٣</sup>

كان عصر إمامته عليه السلام، بعد سمّ أخيه الإمام الممتحن المجتبي

١- «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٤١٤.

٢- «تاريخ الشيعة» للمظفر، ص ٢٠ إلى ٢٥. والآية هي: الآية ١٢٨، من السورة ١٦:

النحل.

٣- وُلد عليه السلام في الثالث من شعبان بعد ثلاث سنين من الهجرة، واستشهد في

العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ.

عليه السلام واستشهاده، عصبياً مضطرباً حتى عشرين سنين كان معاوية فيها حياً قد ترّبع على العرش وتسلط غاصباً بكل ما أوتي من اقتدار . وكانت الغنائم والأموال تنهال على دمشق ، ومعاوية يصرفها لإشباع أطماعه . ولم يدخر وسعاً من أجل تثبيت حكومته واستقرارها . وكان يمنح الجوائز والصلوات الكثيرة لمن يشاء ، وبالعكس فقد ترك بني هاشم وذريه رسول الله - على أساس تلك السياسة - جياً عطاشى عراة ، دون أن يقيم لهم وزناً ، إلى درجة أن بناتهم حين كنّ يبلغن لم يستطعن الزواج ، وكذلك شبابهم فإنهم كانوا غير قادرين على الزواج . وكان فتيانهم يمضون أعمارهم عمالاً ، وفتياتهم حوائك خلف عيدان الحياكة والنسيج . وكان التحديث بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام جرماً لا يُغتفر . فلا رواية ولا تفسير ، ولا علم ولا دراية . وكان زمام الأمور بيد حكام المدينة ، والولاة وأئمة الجمعة والجماعة الذين كان يعينهم بنفسه . وكان سب أبي تراب ولعنه وشتمه أموراً مألوفة تشجع الحكومة عليها . وتُمضيها السياسة العامة يومئذ ، وسياسة المدينة المنورة بخاصة . وكان مروان بن الحكم ، وأبو هريرة يتسابقان في تنفيذ مآرب معاوية . أما عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن زبير فقد كانا يجهدان بشكل غريب في إخفاء مناقب عليّ وأهل بيته . وأما عائشة فقد بذلت قصارى جهدها في كتمان فضائلهم ودفنها ، وتناسب الأخبار والأحاديث التي كانت قد سمعتها من الرسول الأكرم واستظهرتها ، وهي لاتعد ولا تُحصى ، لقد سكتت عنها ولجت في عدائها لبني هاشم وحقدتها عليهم وحسدها إياهم ، وأصرت على أفكارها الجاهلية الجاهلاء .

كما أن سعد بن أبي وقاص الذي كان أحد الفاتحين ، والذي اعترف بسماعه أحاديث في هذا الشأن على لسان النبي الأكرم ، فقد شيد له قصرًا

عالياً خارج المدينة ، ليستمتع بجواريه الحسان ويلهو ويتنعم و ... .  
 الويل لهذه الأمة الخائبة الضائعة بلا راع إذ غزتها الأفكار الشيطانية  
 من كل جانب ، وأفلت عنانها ، وانقلب دينها ، وصار الشيطان إلهاً ، وإبليس  
 ملكاً ، وعمي بصرها وبصيرتها ، وضُمنَّ سمعها . وما أسرع فقدانها لقابلية  
 السماع والاستماع ! وأصبح الجميع منقادين لحاكم لعوب ممثل ظهر على  
 المسرح ، وتفوق على عليّ بن أبي طالب وابنه الإمام الحسن ، وأرسلهما  
 إلى ديار العدم . وها هو يخطب مستقبلاً قبله رسول الله ، ويقف في محرابه ،  
 وينزو على منبره ، وأخضع الجميع لسيطرته وهيمته !

هنا سبق السيف العَدْل ، وفقد الحديث والرواية رونقهما ، فلم يعده  
 ينتظر من الكتابة والتدوين والتصنيف شيئاً ، فقد دوى صوت معاوية ،  
 وملاً الجبال والسهول والصحارى والأجواء والبحار بنحو كان ينافس فيه  
 الأباطرة الجبارين الهتاكين في العالم على مرّ التاريخ . ولو ظلّ على تلك  
 التويرة ، لاستمرّ ألف سنة أو أكثر . وهنا عادت النصيحة وبيان الموعظة  
 والآداب غير مجدته . أضحت الدعوة الانفرادية وتشكيل جلسات  
 الدرس ، وسرد السنّة والآثار النبوية أمراً غير مُجدِّ بأيّ وجه من الوجوه  
 بعد أخذ البيعة من الناس بولاية العهد ليزيد الزاني الجافي الخمار الهتاك  
 شاعر الشراب وحليف المغنّيات والقردة ، والمستهزئ بالدين والمبدأ  
 والمعاد وحجّ بيت الله الحرام .

وهنا تحتاج الأمة إلى الحسين ليقذف مشرطه من أرض كربلاء إلى  
 قلب الشام ، ويفجّر تلك القرحة وذلك الدُمْل ، ويذر أبا سفيان ، ومعاوية ،  
 ويزيد وأسرته رماداً بشاراة واحدة .

ولقد قام الحسين بذلك وأفلح .

وما أكثر ما قيل وكتب حول شهادته وأسرارها العجيبة ! بيد أنّنا

نكتفي هنا بموجزٍ من كلام العالم الجليل المظفر . فقد قال بعد شرح له في هذا المجال : فما أصدق القائل : إِنَّ الْإِسْلَامَ عَلَوِيٌّ ، وَالتَّشْيِعُ حُسَيْنِيٌّ . فَإِنَّ سيف أمير المؤمنين عليه السلام الذي ضرب به خراطيم الناس حتى قالوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، هو الذي نشرت به رايات النصر ، ورفعت به أعلام الفتح ، وأخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان . وكان عليّ عليه السلام في كلِّ حرب حضرها لرسول الله صلى الله عليه وآله هو الفاتك الفاتح .

كما أنه لولا قيام الحسين بتلك التضحية الكريمة ، لكان الدين كله أمويّاً بسعي ملوك أُمَيَّة . وما هو إذ ذاك إلا فساد في الأرض وارتكاب لكلِّ منكر ، وهتك للحرمات ، وفسق بالأعراض ، وسفك للدماء ، ونهب للأموال ، إلى غير هذا ممّا جاء الدين لاستئصال شأفته ، وقلع جرثومته ، وتطهير جسم المجتمع من أمراضه الفتاكة .

وهذا أبو عثمان الجاحظ يقول : وَتَفَخَّرَ هَاشِمٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ بِأَنَّهَمْ لَمْ يَهْدُمُوا الْكَعْبَةَ ، وَلَمْ يُحَوِّلُوا الْقِبْلَةَ ، وَلَمْ يَجْعَلُوا الرَّسُولَ دُونَ الْخَلِيفَةِ ، وَلَمْ يَخْتُمُوا فِي أَعْنَاقِ الصَّحَابَةِ ، وَلَمْ يُغَيِّرُوا أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ ، وَلَمْ يَنْقُشُوا أَكْفَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَأْكُلُوا الطَّعَامَ ، وَيَشْرَبُوا عَلَى مَنِيرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَمْ يَنْهَبُوا الْحَرَمَ ، وَلَمْ يَطْأُوا الْمُسْلِمَاتِ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ بِالسَّبَاءِ .<sup>١</sup>

وهذا بعض ما ذكره أبو عثمان ، وما يذكره أرباب التاريخ من أعمالهم .

ولو استقامت تلك الأعمال من دون نكر يطهرها من على وجه

١- «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٤٢٩ .



الأرض لأصبحت عرفاً بين الناس . ومتى تعود الناس إلى العمل بالشريعة وقد استقبلوا هذه البدع والموبقات تُرتكب جهراً ، ولا يُخشى الله في اقترافها إعلاناً وسراً ؟!

فنهضة الحسين هي التي أبانت ضلال القوم وجزأتهم على الشريعة ، وانتهاكم لحرمة الدين ، وخرجهم عنه ، بل عليه أقوالاً وأعمالاً . فكان بزوغ بدر آل البيت بعد أن أفل أو كاد من أسرار شهادته التي مازال الكثير منها مجهولاً . وما تجلّى إلا شطر منها حتى كاد أن يلمسها بيده حتى الغربي . وعسى أن يكشف لنا المستقبل شطراً آخرأً محجوباً حتى اليوم عن البصائر والأبصار .

إنّ الذي يرشدك إلى أنّ شجرة التشيع كان نموّها وإفراعها ممّا استتته من تلك الدماء الطاهرة هو أنّ أنصار الأمويين تكاد أن تتقطع قلوبهم غيظاً من هاتيك النهضة الحسينية . وما زالوا ينسجون الحجب بشتى الأساليب فيضعونها على شمس تلك التضيحة ، زعماء منهم أنّ عين الشمس تُحجب بالغربال . وهيهات الذي دبّروه من تمويه وخداع . فإنّ أنوار تلك الشهادة قد استضاء منها الأفق الإسلامي ، ومزقت ظلام تلك الأضاليل الأموية ، ونبتت الحواس إلى الفوائد الملموسة من ذلك القربان ، وخسران أمية فيما جنته ، وإن هزّتهم نشوة الظفر أياماً معدودة . وما زال أنصار أمية مجدّين في كتمان الحقّ ظناً منهم أنّ الباطل يعلو بالأراجيف ، وتستتر عيوبه نسائج الأوهام وأسلاك الهباء ، ولا يفضحه قمر الحقّ الطالع !

وما دعاهم إلى بخس حقّ تلك النهضة الشريفة هو ما شاهدوه ولمسوه من آثارها في انتشار التشيع ونموّه حيناً بعد آخر ، وافتتاح سلفهم بما جنوه على أنفسهم ، واكتسبته أيديهم . وكفى بافتضاحهم اعترافهم بالفضيحة .

فهذا عبيدالله بن زياد طالبَ عمر بن سعد بالكتاب الذي كتبه له في قتل الحسين ، فقال : مَضَيْتُ لِأَمْرِكَ وَضَاعَ الْكِتَابُ ! قال : لَتَجِيئَنَّ بِهِ ! قال عمر : تَرَكْ وَاللَّهِ يُقْرَأُ عَلَيَّ عَجَائِزُ قُرَيْشٍ اعْتِدَاراً بِالْمَدِينَةِ . أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ نَصَحْتُكَ فِي حُسَيْنٍ نَصِيحَةً لَوْ نَصَحْتُهَا أَبِي : سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ كُنْتُ قَدْ أَدَّيْتُ حَقَّهُ !

قال عثمان بن زياد ، أخو عبيدالله : صَدَقَ وَاللَّهِ ؛ وَدِدْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَنِي زِيَادٍ رَجُلٌ إِلَّا وَفِي أَنْفِهِ خِزَامَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّ حُسَيْنًا لَمْ يُقْتَلْ ! قال : فَوَاللَّهِ مَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ عُبَيْدُ اللَّهِ .<sup>١</sup>

وأنى لهم اليوم بستر تلك التضحية وقد ملأت البلاد طولاً وعرضاً ذكراها والإشادة بها على المنابر . وما زالت الصحف والكتب تندب ذلك القربان وتبكي تلك الفاجعة الموحجة ، في كل زمان ومكان .

ولماذا تذهب يميناً وشمالاً وهذه عاصمة أمية - الشام - التي اتخذت يوم قتل الحسين عيداً واستقبلت الرؤوس والسبي بالدفوف والطبول ، وبقيت أياماً وعليها منشورة معالم الزينة والفرح ! أصحبت والمآتم تقام فيها نادبة للحسين باكية عليه ، لاعنة من اجترح منه ذلك الذنب العظيم ! وهذا اسم الحسين مكتوب على مسجدتها الأعظم وقد وضع ثوب السواد شعار الحزن على موضع صلب الرأس من ذلك المسجد . وهاتيك القبور من أهل البيت وما أكثرها في ذلك البلد - دمشق - معمورة بالقباب وبالزائرين ، وقد فرشت بأنفس السجّاد وأضيئت بأجمل المصابيح . وأين قبر معاوية ويزيد من عاصمتهم الشام؟! وأين الزائر لهما من أشياعهم ومن سائر

١- انظر : «تاريخ الطبري» ج ٦ ، ص ٢٦٨ ، في حوادث عام ٦١ ؛ وتاريخ ابن الأثير ،

ج ٤ ، ص ٤٠ ، في حوادث هذا العام .

الناس ١؟

هذا هو شأن الحق وأهله لا تمتيته الأيتام ، ولا يظفر به الباطل وأشياعه .  
ولا ينخدع بهرجة الدنيا وأربابها إلا من نسي الله فأنساه ذكره . فأنتى لأُمّية  
وأنصارها أن تطاول الحق فتلمي شخصه الكريم من الوجود !!  
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللّٰهِ وَعَلَى الْمُسْتَشْهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْكَ  
وَرَحْمَةً اللّٰهِ وَبَرَكَاتَهُ .

## مسار العلوم وتاريخ الشيعة

### في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام

كان دأب أهل بيت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بعد حادثة كربلاء

١- كنت قد سمعتُ حكايات حول خراب قبر معاوية عليه الهاوية وأنه أصبح مزبلة،  
بَيَدَ أُنْيٍ لَمْ أَرَ ذَلِكَ بَعِينِي حَتَّى سَنَةِ ١٣٩٢ هـ حين تَشَرَّفْتُ بِحَجِّ بَيْتِ الْحَرَامِ لِلْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ عَن  
طَرِيقِ دِمَشْقٍ، فَأَقَمْتُ أُسْبُوعاً فِيهَا وَرَغِبْتُ يَوْمًا أَنْ أَشَاهِدَ تِلْكَ الْمَزْبِلَةَ، لِهَذَا تَوَجَّهْتُ مَعَ  
الْمُضَيِّقِينَ الْكَرِيمِينَ أَبِي عَلِيٍّ عَبْدِ الْجَلِيلِ مُحِبِّي وَأَبِي مُوسَى جَعْفَرَ مُحِبِّي طَوَّلَ اللَّهُ عَمْرَهُمَا  
لرؤية قبره والاعتبار به، علماً أنّهما لم يرغباً كثيراً في ذلك إذ قال لي: لعلّ ذهابك لرؤية قبره  
تؤدّي إلى ترويح الباطل . فقلّلتُ لهما: نذهب في وقت لا يرانا فيه أحد . فاخترتُ الفترة  
الواقعة بين الطلوعين وذهابنا معاً إلى ذلك القبر الذي هو مظنة العذاب، وكانت تحرسه امرأة  
تقيم في زاوية من زوايا صحنه القدر الملوّث، ورأيناها مشغولة بغسل الملابس . فطفقت  
تلعن معاوية ويزيد وتسيبهما سباً فاحشاً، وتصلّي على أهل البيت .

قال رفيقاي: هذه المرأة من أنصار الأمويين لكنّها تلعنهم إذا دخل أحد من أجل أن  
تحصل على شيء من المال . فلم نحرهما من عطايانا في مقابل ذلك اللعن! بَيَدَ أَنْ قَبْرَ مَعَاوِيَةَ  
الواقع في جانب ذلك الصحن كان قدراً إلى درجة أنه يدعو إلى الاعتبار والاتّعاظ حقاً .  
وكانت الخفافيش قد عشعشت في ثقب جدرانها وألقت فضلاتها على القبر كثيراً .

٢- «تاريخ الشيعة» للمظفر، ص ٢٧ إلى ٣٠ .

نشر ما حلّ بقلتي الطّف ، وما جرى من فزع ودهشة وسلب وضرب وسبي . فإنّ زين العابدين عليه السلام قضى سني حياته كلّها بالبكاء على أبيه .<sup>١</sup> فإنّه ما قدّم له طعام أو شراب إلا ومزجه بدموع عينيه . وعلى هذا المنوال نسج الأئمّة من أولاده ، بل ما زالوا يعقدون ما تمّ العزاء للبكاء واستماع المراثي والتعازي .

ولربّما ضربوا الأستار وجعلوا خلفها بنات الرسالة ليستمعن شجي المراثي ، فيبكيين على صرعى الطّف وسبي العقائل . بل كان شعارهم حتّ المؤمنين على نصب ما تمّ الحزن للبكاء على ذلك الحدث الجلل ، وعلى زيارته ولو على الخشب (إشارة منهم إلى الصلب الذي ينتظر من يزوره) . وقد لبّى المؤمنون تلك الدعوة ، فما زالت ما تمهم قائمة ، وزيارتهم دائمة . ولقد لاقوا من أجل ذلك فنون الأذى والتنكيل أيام بني أميّة ، وشطراً من دولة بني العبّاس خصوصاً في عهد المتوكّل ، حتّى أدركوا الأمل فصارت المآتم تقام علناً ، والزيارة تفعل جهره ، إلى أن بلغت إلى ما تشاهده اليوم !

وما زال أئمّة أهل البيت يأملون بنشر الدعوة الحسينيّة بكلّ وسائل النشر . وقد سبقهم إلى ذلك جدّهم المصطفى صلّى الله عليه وآله ، فقد بكى ولده الحسين عليه السلام وحضّ على البكاء عليه ، وحثّ على نصرته عند نهوضه وعلى زيارته بعد قتله ، والحسين بعد في الأحياء .

١- أشهر الأقوال أنّه قتل بالسمّ في المحرم من عام ٩٥ هـ ، فتكون حياته بعد أبيه خمساً وثلاثين سنة . كما أنّ المشهور أنّ عمره الشريف يوم قتل أبيه اثنان وعشرون سنة . وُلد عليه السلام في الخامس من شعبان سنة ٣٨ هـ ، واستشهد بالمدينة بسمّ الوليد بن عبد الملك ، ودفن بالبقيع خلف عمّه الإمام المجتبي عليه السلام .

وسمع أنس بن الحارث بن نبيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ :  
 إِنَّ ابْنِي هَذَا - يَعْنِي الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - يُقْتَلُ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا : كَرْبَلَا .  
 فَمَنْ شَهِدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَنْصُرْهُ !

وقال ابن عباس : أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :  
 إِنِّي قَتَلْتُ بِيحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا سَبْعِينَ أَلْفًا ، وَإِنِّي قَاتِلُ بَابِنِ ابْنَتِكَ سَبْعِينَ  
 أَلْفًا !<sup>١</sup> والأحاديث عنه في هذا الشأن كثيرة .<sup>٢</sup>

أراك وقفْتَ على أسرار تلك الأوامر وإقامة هاتيك الشعائر ! فإنهم حاولوا بتلك وهذه لفت الأنظار إلى المصائب التي جرت على قتيل الظلم ، وصریح الجور ، والتوصل بذلك إلى إعلاء كلمة الشهادتين ، وتنفيذ أحكام الشريعة . فإنه عليه السلام ما ضحى عليه السلام بنفسه ونفيسه إلا لأجل ذلك . وأحسبك خبيراً بنجاح تلك التضحية منه وهاتيك الدعوة منهم .

ولو لم يكن إلا انعطاف الناس على ما فذجع به ذلك القتيل ، وبغضهم لمن اجترأ عليه بذلك الفعل الأشنع ، لكان أجراً يستحقه الإشفاق على المظلوم وإن كان من غير أبناء جلدته ودينه ، والشنآن للظالم وإن كان منه قبيلة وديناً . ومن ثم تجد الأمم وإن لم يكن مسلمة تنعطف على تلك التضحية ، وتقدر تلك البساطة والإقدام من سيد الشهداء عليه السلام ، وتعدّ الجراحة على قتله وهو بتلك الحال شناعة وخزياً لا يغسل عارة تطاول السنين والأعوام .

فنجاح هاتيك الشهادة ليس بكثرة الأولياء من المسلمين للحسين عليه السلام وتكثر الشيعة لأهل البيت في كل بلاد خيم عليها الإسلام فحسب ، بل

١- «المستدرک» الحاكم، ج ٣، ص ١٧٦ .

٢- «العقد الفريد» ج ٢، ص ٢١٩ ؛ و«الصواعق المحرقة» ص ١١٥ ؛ و«كنز العمال»

ج ٥، ص ٢٢٣ ، وغيرها الكثير من كتب الحديث والفضائل والتاريخ .

بالتقدير من العالم كله الذي اطلع على تلك الحادثة لذلك الأبيّ الباسل الذي صرعه سيف الظلم والعدوان . فإنّ التاريخ لم يقرئهم ، والعيان لم يرههم حرباً تقابل فيها الحقّ والباطل فتغلب الباطل وانتقم من الحقّ انتقاماً تستنكره الوحوش الكواسر والأمم الجاهليّة التي لم تعرف الدين أو العاطفة أو النظام ، فكيف بأمةٍ تنتسب إلى دين الرحمة والعطف دين العدل والحقّ . وكان الانتقام نفسه ممّن يدعوهم إلى العمل بذلك الدين وأحكامه ، وهم بعد يزعمون أنّهم مستظلّون برواق ذلك الدين ، معترفون بأنّ ذلك القتل داعية الحقّ وابن صاحب الشريعة .

ولمّا دخل عبيدالله بن زياد الكوفة ، وظفر بمسلم بن عقيل - رسول الحسين عليه السلام وداعيته - أخذ يقتل من يظنّ ولاءه لأمير المؤمنين عليه السلام ، ويحبس من يتّهمه به ، حتّى ملأ السجون منهم خشية أن يتسلّوا لنصرة الحسين عليه السلام . ومن ثمّ تجد قلّة في أنصاره مع كثرة الشيعة بالكوفة . ولقد كان في حبسه اثنا عشر ألفاً كما قيل . وما أكثر الوجوه والزعماء فيهم ، أمثال المختار ، وسليمان بن صرد الخزاعيّ ، والمسيّب بن نجبة ، ورفاعة بن شدّاد ، وإبراهيم بن مالك الأشتر .

وبعد أن خرجوا من حبسه نهض منهم أربعة آلاف يرأسهم سليمان ابن صرد ، وجاؤوا لقبر الحسين عليه السلام فنعود وبكوه ، واشتدّوا الحرب الأمويّين حتّى فنى أكثرهم ، ولم يحجزهم عن المقاومة تفاني أكثرهم حتّى ظهر المختار بالكوفة فالتحقوا به .

وصلب ابن زياد جماعة من الشيعة كان في طليعتهم العبد الصالح ميثم التمار<sup>١</sup> . وقد أمر به فقطعت يداه ورجلاه . وبقي وهو بتلك الحال يحدث

---

١- قال الشيخ محمّد حسين المظفر: دوّنت أحواله وعلومه في رسالة أخرجتها مطابع النجف .

الناس بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام كأنه خطيب على أعواد ، فأمر به ، فاستلوا لسانه ، وقطعوه ، ثم بقروا بطنه فمات رحمة الله عليه . وهذا الفعل القاسي الفظيع نزر ممّا ارتكبه ابن زياد في الشيعة . ولو لم يكن له إلا قارعة الطّف و قتل الحسين عليه السلام ورهطه وصحبه ، لكفى به حدثاً تهتز له السماوات والأرضون عظماً وجزعاً .

يقول الباقر عليه السلام كما في «شرح نهج البلاغة» ج ٣ ، ص ١٥ :  
 ثُمَّ لَمْ نَزَلْ أَهْلَ الْبَيْتِ نُسْتَدَلُّ وَنُسْتَضَامُ وَنُقْصَى وَنُمْتَهَنُ وَنُحْرَمُ  
 وَنُخَافُ وَلَا نَأْمَنُ عَلَى دِمَائِنَا وَدِمَاءِ أَوْلِيَانِنَا . إِلَى أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَكَانَ  
 عِظَمُ ذَلِكَ وَكِبْرُهُ زَمَنَ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ مَوْتِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَتَلَتْ شِيعَتُنَا  
 بِكُلِّ بَلَدَةٍ وَقَطَعَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ عَلَى الظَّنَّةِ . وَكَانَ مَنْ يُذَكَّرُ بِحُبِّنَا  
 وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْنَا سُجِنَ أَوْ نُهَبَ مَالُهُ أَوْ هُدِمَتْ دَارُهُ .

ثَدَمَ لَمْ يَزَلِ الْبَلَاءُ يَشْتَدُّ وَيَزْدَادُ إِلَى زَمَانِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ قَاتِلِ  
 الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فهذا الباقر عليه السلام - وهو الصادق الأمين - كيف يحدثنا بشجوي  
 اللحن عمّا جرى عليهم وعلى شيعتهم من المحن وعظيم البلاء أيام ابن زياد  
 ومن قبله ، كما سيحدثنا عمّا جرى عليهم زمن من بعده . والتأريخ أصدق  
 شاهد لحديثه .

لَمَّا عاجل الهلاك يزيد وتضعفت من بعده إمارة الأمويين أيّاماً ،  
 بقيت الشيعة في الكوفة تتطلّب زعمياً يلّم شملها ، ويشفي غيظ صدورها .  
 فما لبثوا أن وثب بهم المختار وثبة الأسد الغضبان بعد الربض الطويل ،  
 فالتقت الشيعة حوله ، وساروا تحت ركابه ، وجعل على الجند إبراهيم بن  
 مالك الأشتر فأوقع بعسكر الشام ومزّقه شرّ ممزّق ، وقتل قائده ابن زياد .  
 وتلك أمنية أهل البيت والشيعة عامّة . وبعث برأسه إلى زين العابدين  
 عليه السلام فسجد لله شكراً . وعند ذاك خلعت الهاشميات ثياب الحزن على

فما لبثوا أن وثب بهم المختار وثبة الأسد الغضبان بعد الربض الطويل ،  
فالتقت الشيعة حوله ، وساروا تحت ركابه ، وجعل على الجند إبراهيم بن  
مالك الأشر فوقع بعسكر الشام ومزقه شرّ ممزق ، وقتل قائده ابن زياد .  
وتلك أمنية أهل البيت والشيعة عامة . وبعث برأسه إلى زين العابدين  
عليه السلام فسجد لله شكراً . وعند ذلك خلعت الهاشميات ثياب الحزن  
على الحسين عليه السلام .<sup>١</sup>

<sup>١</sup> ذكر المرحوم المحدث القمّي في كتاب «تتمّة المنتهى في وقائع أيام الخلفاء»  
(الجزء الثالث من «منتهى الآمال») الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٩٧ هـ ، ص ٨٥ و ٨٦ (ماتعريه) : أن  
شيعة الكوفة تحرّكوا في أوائل حكومة عبد الملك بن مروان سنة ٦٥ هـ . وتلاقوا وتلاوموا على  
خذلانهم الحسين عليه السلام وقعودهم عن نصره . وقالوا : إن خذلانا الحسين عليه السلام  
عار لا يغسله شيء إلا أن نقتل قاتليه أو نُقتل ثأراً له . فاختراروا خمسة من بينهم وأمروهم  
عليهم ، وهم : سليمان بن صرد الخزاعي ، والمسيب بن نجبة الفزاري ، وعبد الله بن سعيد  
ابن نفيل الأزدي ، وعبد الله بن وال التميمي ، ورفاعة بن شداد البجلي . فأخلوا العسكر ،  
ومنعهم المختار من ذلك فلم يرضوا . وساروا حتّى بلغوا «عين الوردة» وهي ولاية كبيرة من  
بلاد الجزيرة . وسار عبيد الله بن زياد من الشام على رأس ثلاثين ألفاً من أهلها ومعه  
الحصين بن نمير ، وشراحيل بن ذي الكلاع الحميري لقتالهم . فالتقوا في «عين الوردة»  
وعسكراهما عظيمان . واستبسل سليمان بن صرد وقتل جماعة كثيرة من جيش ابن زياد . ثم  
رماه الحصين بن نمير بسهم فقتله . فأخذ اللواء بعد المسيب الذي كان من وجوه جيش  
أمير المؤمنين عليه السلام سابقاً ، وحمل عليهم وكان يرتجز حتّى قُتل أيضاً . ولمّا رأى  
الشيعة ذلك أيسوا من الحياة وبدلوا مهجهم وكسروا أغمدة سيوفهم وقاتلوا ، وكان اللواء مع  
عبد الله بن سعيد . والتحق بهم في ذلك الحين خمسمائة من شيعة البصرة والمدائن جاؤوا  
لنصرتهم . فقوى أمرهم واستقاموا مصطبرين على القتال ، وقاتلوا قتالاً شديداً وكانوا يكثر  
من قولهم : **أَقْلَنَا رَبَّنَا تَفْرِطْنَا فَقَدْ تُبْنَا** . وجملة القول : أنهم قاتلوا حتّى استشهد سليمان  
وعبد الله مع عدد من وجوه الشيعة . وحين رأى الباقر أن لا طاقة لهم على قتال أهل الشام  
لأذوبالفرار ولحقوا ببلادهم . وتحرك ابن زياد من «عين الوردة» لمحاربة أهل العراق . ولمّا  
وصل إلى الموصل ، التقى بإبراهيم الأشر الذي كان قد خرج من الكوفة لقتاله بأمر



المختار . فاقتتلوا وكان الظفر لأهل العراق . وقُتِلَ عبيدالله بن زياد، والحصين بن نمير، وشرحبيل بن ذي الكلاع، وابن حوشب ذي الظليم، وعبدالله بن إياس السلميّ مع عدد من أشرف الشام وانتقلوا إلى دَرَكَ الجحيم . وحمل إبراهيم رأس ابن زياد وغيره إلى المختار . وبعث المختار برأسه إلى الحجاز . وكانت هذه الواقعة في سنة ٦٦ هـ . (إلى أن قال في ص ٩١) : ويتبين من هنا كيف سرَّ المختار قلب الإمام السجّاد عليه السلام، بل سرَّ القلوب الكسيرة للمظلومين والمصابين من أرامل آل محمّد عليهم السلام وأيتامهم بعد أن كانوا يقيمون المآتم ومراسم العزاء خمس ستين . وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال ما مضمونه : لم تكحلّ هاشميّة ولم تخضب ولم يطبخ بنو هاشم طعاماً لهم حتّى قتل عبيدالله بن زياد بعد خمس سنين من قتل الحسين عليه السلام . قال السيوطي في «تاريخ الخلفاء» ص ٢١٤ ، الطبعة الرابعة : ... فجَهَّز ابن الزبير لقتاله (قتال المختار) إلى أن ظفر به في سنة سبع وستين، وقتله .

وذكر في «تمّة منتهى الآمال» ص ٩١ إلى ٩٥ ، مطالب نوردها فيما يأتي موجزة : خرج مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ من قبل أخيه عبدالله لصدّ المختار . فوقع قتال شديد بينهما في قرية «حرواء» من الكوفة . وقُتِلَ خلق عظيم في تلك الوقعة . وانهزم المختار واعتمصم في! قصر الإمامة بالكوفة مع جماعة كثيرة، ولكنّه كان يخرج منه كلّ يوم لحرب مصعب . وبينما كان خارجاً منه ذات يوم وهو على بغلة شهباء حمل عليه عبدالرحمن بن أسد الحنفي وقتله وقطع رأسه . وكان ذلك في الرابع عشر من رمضان سنة ٦٧ هـ ثمّ حاصروا دارالإمارة، فوقع أصحاب المختار في محنة ثمّ امنهم أصحاب مصعب . ولمّا قبضوا عليهم قتلوهم . وجملة القول : أنّ مصعباً سيطر على الكوفة . وكان يجمع الجنود ويعبأ الجيش حتّى سار مع عساكره سنة ٧٢ هـ نحو الشام لقتال عبدالملك بن مروان . وتنهى عبدالملك أيضاً لقتاله فخرج على رأس جيش جزّار وجاء حتّى وصل إلى «مسكن» وهي موضع على نهر الدجيل، قريبة من «بلد» التي كانت منزلاً من منازل سامراء . والتقى فيها . ودارت بينهما حرب طاحنة قُتِلَ فيها إبراهيم بن مالك الأشتر الذي كان في جيش مصعب، وقطع رأسه ثابت بن يزيد غلام الحصين بن نمير وحمل جسده إلى عبدالملك . وكان مصعب ذا جمال وهيئة وكمال، وكانت سكينه ابنة الحسين عليهما السلام زوجته . وذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» أنّ قبره وقبر إبراهيم في «مسكن» . ومجمل الكلام أنّ عبدالملك دعا أهل العراق إلى بيعته بعد

مقتل مصعب، فبايعه الناس . ثم توجّه إلى الكوفة وأحكم قبضته عليها ودخل قصر الإمارة، وترجّع على العرش، وكان رأس مصعب قد وضع أمامه، وهو في غاية الابتهاج . وبينما هو كذلك إذ قام إليه أحد الحاضرين ويقال له : عبد الملك بن عمير فقال له وهو يرتعد : أصلح الله الأمير ! رأيت من هذا القصر عجباً . فيوماً كنت مع عبيد الله بن زياد وأتى برأس الحسين عليه السلام ووضع بين يديه . وآخر كنت مع المختار بعد أن استولى على الكوفة فرأيت رأس ابن زياد عنده . ويوماً ثالثاً كنت مع مصعب صاحب هذا الرأس، فرأيت رأس المختار قد وُضع أمامه . وها أني معك في هذا المجلس وأرى رأس مصعب بين يديك . فأعيد الأمير بالله من شرّ هذا المجلس ! ولما سمع عبد الملك ذلك أخذته رعدة وأمر بهدم قصر الإمارة . ونظم بعض الشعراء شعراً في هذا الموضوع . وما أجمل ما قال أحدهم :

يك سره مردی ز عرب هوشمند	گفت به عبد الملك از روی پند
روی همین مسند و این تکیه گاه	زیر همین قبّه و این بارگاه
بودم و دیدم بر ابن زیاد	آه چه دیدم که دو چشم مباد
تازه سری چون سپر آسمان	طلعت خورشید ز رویش نهان
بعد ز چندی سر آن خیره سر	بد بر مختار به روی سپر
بعد که مصعب سر و سردار شد	دستکش او سر مختار شد
این سر مصعب به تقاضای کار	تا چه کند با تو دگر روزگار

يقول : «قال عربيّ نابه ذات يوم لعبد الملك بن مروان واعظاً له :

على هذا العرش وهذا المتكأ وتحت هذه القبّة وفي هذا البلاط .

رأيتُ بيّد ابن زياد شيئاً . آه ماذا رأيتُ ؟ ليت عينيّ لم تريا !

رأيتُ رأساً متلاًئلاً كالشمس بل تحتجب الشمس لشدة نوره .

وبعد مدة رأيتُ رأس ذلك الصلف بيّد المختار .

وبعد أن تأمّر مصعب رأيتُ رأس المختار بيده .

وها أني أرى اليوم رأس مصعب بحكم القصاص، فماذا يتخبّي لك الدهر من بعده؟»  
ولما استولى عبد الملك على الكوفة، وبايعه أهلها، جعل عليها أخاه بشراً ومعه روح بن زباع الجذاميّ وعدد آخر من أصحاب الرأي والمشورة من أهل الشام . وأشخص

ولمّا انخزل جيش الشام ، قويت شوكة المختار والشيعة ، وصار يستأصل قتله الحسين عليه السلام ، وما أبقى أحداً منهم يُعرف إلا أن يكون قد هرب من بين يديه . فمن ثمّ تحامل عليه من ملك قلبه حبّ الأمويين وقتله السبط الشهيد . فصار يدنس غايته النزيهة التي وثب من أجلها ، وهي الطلب بدم سيّد الشهداء عليه السلام . فوصموه تارة بأنه أراد الوقعة بالعروبة فكأنه لم يكن من العرب . فوجد الفرصة للانتقام من الإسلام والعرب . (وهو ابن أبي عبيدة ، من بني ثقيف ، من العرب الأقحاح بالطائف) . وأخرى أنّه تطلّب بتك النهضة الزعامة .

ولا أدري : لماذا استقصى أولئك القتلة ؛ وما اكتفى بقتل شطر منهم وتأميل الباقيين لينضمّوا إلى لوائه ؟! فهذه هي سياسة الملك والإمارة . فإنّ الاستقصاء يملأ قلوب واتريه حقدًا عليه ، فيحملهم على الوثبة عليه عند الفرصة .

إنّ طالب الرئاسة مثل معاوية الذي موّه نهضته في حربه لأmir المؤمنين عليه السلام بالطلب لدم عثمان . ولمّا آل الأمر إليه لم يتعرّض أحداً من قاتليه بسوء ، فأغضى إغضاء متجاهل بهم ، فكأنّما لم تكن تلك

---

الحجاج بن يوسف بن عقيل الثقفي الفتاك المتهوّر إلى مكّة لقتل عبدالله بن زبير، ورجع إلى الشام من بقي من جنده . ووصل الحجاج إلى الحجاز ومعه عسكره، ومكث بالطائف شهراً، ثمّ دخل مكّة، وحاصر - كالحصين بن نمير - ابن الزبير ونصب المنجنيق على جبل أبي قيس . ودام الحصار خمسين يوماً، وعلى قول : أربعة أشهر، حتّى ظفر بعبدالله بن الزبير وقتله بقذف الحجر ثمّ احتزّ رأسه . وبعث به إلى عبدالملك . وصلب جسده منكوساً وقال : أدعه مصلوباً حتّى تشفع أمّه أسماء ابنة أبي بكر . ويُقلّ أنّه ظلّ مصلوباً سنة كاملة حتّى عشعش الطير في صدره . ولمّا مرّت به أسماء وقالت : أمّا أنّ لهذا الراكب أن يُنزل من مركوبه؟! فأنزلوه ودفنوه في مقابر اليهود .

الحرب الضروس من أجل الطلب بدم عثمان ، حتى طالبته ابنة عثمان بالانتقام ، فاعتذر .

ولو كان المختار غير صحيح القصد في وثبته ، لما روى الكثير من المؤرخين نهضته ، وشعارها الطلب بالثأر . فهذا ابن عبد ربّه في «العقد الفريد» (ج ٢ ، ص ٢٣٠) يقول : ثم إنّ المختار لما قتل ابن مرجانة وعمر بن سعد جعل يتبع قتلة الحسين بن عليّ ومَن خذله ، فقتلهم أجمعين . وأمر الحسينيّة وهم الشيعة أن يطوفوا في أزقة المدينة - الكوفة - بالليل ويقولوا :  
يَا لثَأْرَاتِ الْحُسَيْنِ !<sup>١</sup>

وقال أبو الفداء في حوادث عام ٦٦ من الجزء الأوّل ، ص ١٩٤ : وفي هذه السنة خرج المختار بالكوفة طالباً بثأر الحسين واجتمع إليه جمع كثير واستولى على الكوفة وبايعه الناس بها على كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وآله والطلب بدم أهل البيت . وتجرد المختار لقتال قتلة الحسين . وبمثل هذا ذكر الكثير من أرباب التاريخ سبب قيامه . ولعلّ هذه الغاية الشريفة من نهوضه بغضته لكثير من الأوّل ، فدرسوا الأحاديث في قدحه ، ونسبوا له كلّ شناعة في الرأي والمذهب .

وما ذنب المختار إلاّ أنّه طهر الأرض من فئة حاربت الله والرسول والإسلام بحربها للسط الشهيدي وجرأتها على إهراق دمه ، وانتقم لأهل البيت . فكيف يهون عليهم أن ينتقم لأهل البيت؟! سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

١- قال في «أقرب الموارد» مادة ث أ ر : ثَأْرَ الْقَتِيلِ وَالْقَتِيلَ ثَأْرًا : طَلَبَ دَمَهُ وَ قَتَلَ قَاتِلَهُ ، وَعَلَيْهِ قَوْلُ عُبَيْدِ بْنِ الْأَبْرَصِ :

إِذَا قُتِلْتُ فَلَا تَرْكَبْ لِثَأْرِي بِي وَإِنْ مَرَضْتُ فَلَا تَحْسَبْكَ عُوْدِي  
إلى أن قال : يَا ثَأْرَاتِ فُلَانٍ ، أَيْ : قَتَلَهُ فُلَانٌ . يَا لثَأْرَاتِ لَفْظَةٌ تَسْتَعْمَلُ عِنْدَ طَلَبِ الثَّأْرِ وَاللَّامُ فِيهِ لِلِاسْتِغَاثَةِ .

وَعَفْرَانِكَ ! أهذا النصف والعدل من الإنسان !؟

ظهر عبد الله بن الزبير بمكة واستتب له الأمر في الجزيرة تسع سنين . فاشتغل الأمويون بابن الزبير وابن الزبير بالأمويين . وزين العابدين في عزلة عن هذا التطاحن الدنيوي . وانصرف شطر من الناس إلى العلم ، وشرط إلى السياسة ، وأصبح لكل من أمرى السياسة والعلم شأن في البلاد ، وتكاد أن تنفصل كل طائفة عن الأخرى .

وابتداً في هذا العهد ارتكاز العلم على القواعد والأصول . وابتدأت المناظرات والمحاجات ، والمذاهب والطرائق . وكان في هذا العصر الفقهاء السبعة في المدينة ، الذين يرجع الناس إليهم في الفقه . وكانوا يفتون على آراء أهل السنة وأصولهم . فكان في هؤلاء شيعتان هما القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وكان من حوارى زين العابدين عليه السلام ، وسعيد بن المسيب وقد رباه أمير المؤمنين عليه السلام . وكانا في الظاهر على رأي أهل السنة . ومن ثم تعرف أن التقيّة كانت دريئة الشيعة قبل عهد الصادق عليه السلام .

وكانت الشيعة ترجع إلى زين العابدين عليه السلام في ذلك الانعزال والوحدة ونصبه للمأتم الدائم على أبيه عليه السلام . وتلك هي السياسة الإلهية التي اختطها أبو محمد عليه السلام لنفسه خدمةً للشريعة . إذ كان الناس قد أشغلها التضارب على الملك . فوجدها فرصة لإبداء مظلومية سيّد الشهداء عليه السلام . فكان بكاؤه المستمر على شهيد الظلم أكبر ذريعة لإحقاق الحق وإبطال شعائر دول الجور ، وانصرافه عن السياسة وأهلها نهضة لتوارد الناس عليه دون أن يؤخذوا بذلك .

أذ هلت حادثة الطّفّ الناس كلّهم ، وما كانوا يحتسبون أن يبلغ بتلك الفئة الأموية الغاشمة العتوّ إلى ما كان . ولا الناس في الطاعة لهم وما آلوا

إليه مع آل الرسول إلى ما وقع . فندم شطر من أولئك المحاربين ، وطلبوا من زين العابدين عليه السلام النهوض بهم إلى الانتقام من بني أمية . فأبى عليهم أشدّ الإباء .

وأسف من تخلف من الشيعة عن الالتحاق بالحسين ، وعن القتل بين يديه . وما علموا أنّ الناس يبلغون منه ذلك الفعل الأشنع ، وقد خيّم عليهم الحزن بعمق وهم بين نادم وآسف . وهذا أحد العوامل على انتفاض الناس على يزيد ووقوع حادثة الحرّة . حيث لم تُبق كارثة كربلاء هويّاً لأكثر الناس في آل أبي سفيان . هذا فوق ما كان عليه يزيد من المجون والتهتك والطيش .

فالشيعة بالعراقين (البصرة والكوفة) والحرّمين (مكة والمدينة) في هذه الفترة هائدة الأعصاب ، لم يتفرّغ ابن الزبير لمقاومتهم حتّى بعد استيلاء مصعب على الكوفة وقتل المختار . وإن كانت نزعة ابن الزبير شأن أهل البيت ومحاربتهم في خططه وخطبه .

وما مضت تلك الليلات القصيرة التي استقلّ فيها آل الزبير بالجزيرة إلّا وعاد الحكم لآل مروان من بني أمية بعد أن قضوا على آل الزبير . ولمّا بسط عبد الملك نفوذه على البلاد ، وقامت دعائم سلطانه ، التفت إلى أهل البيت وشيعتهم . ولم تطب نفسه لأنّ يراهم على تلك العزلة والوداعة . وكان سيّد آل البيت وإمام الشيعة يومئذٍ زين العابدين عليه السلام ، فحمّله إلى الشام ليغضّ من مقامه ، وينقص من منزلته . ولكن لم يزد الإمام بذلك إلّا عزّاً وكرامة ، لِمَا ظهرت له من الفضائل والمعارف .

وكانت الكوفة مغرس دوحه التشيع ، فحاول عبد الملك أن يجتثّها من على الأرض . وأيّ ساعد أقوى من ساعد الحجاج ، وهو صاحب ذلك القلب القاسي الذي لا يعرف الرقة واللين؟! وأيّ رجل أبيع لدينه بالثمن

الأوكس - لو كان عنده شيء من الدين - من الحجاج؟! وإن فعله بالبيت الحرام ليسلم قصر المملك لعبد الملك أخسر صفقة.

وهنا يخبرنا الباقر عليه السلام عن عيان ومشاهدة عما كان من

الحجاج مع الشيعة، كما يحكيه شارح «نهج البلاغة» ج ٣، ص ١٥:

يقول عليه السلام: **ثُمَّ جَاءَ الْحَجَّاجُ فَفَقَتَلَهُمْ - يَعْنِي الشَّيْعَةَ - كُلَّ قَتْلَةٍ ، وَأَخَذَهُمْ بِكُلِّ ظَنَّةٍ وَتُهْمَةٍ ، حَتَّى أَنْ الرَّجُلَ لَيُقَالَ لَهُ زَنْدِيقٌ أَوْ كَافِرٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُقَالَ لَهُ : شَيْعَةٌ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .**

ويقول المدائني كما في «الشرح» ج ٣، ص ١٥: وولي عبد الملك بن

مروان فاشتد على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرّب الناس إليه يبغض عليّ عليه السلام، وموالاة أعدائه، ومولاة من يدّعي قوم من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه.

**فَأَكْثَرُوا فِي الرِّوَايَةِ فِي فَضْلِهِمْ وَسَوَّابِقِهِمْ وَمَنَاقِبِهِمْ ، وَأَكْثَرُوا مِنْ الغَضِّ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَيْبِهِ وَالطَّعْنِ وَالشَّنَانِ لَهُ .**

وماذا يذكر الكاتب عن الحجاج وأعماله؟! فلقد سوّد صحائف من

التأريخ لأتسى عمر الدهر. ونربأ بأقلامنا عن ذكرها. وكيف ننشر تلك الفضائح على صحائف بيض تريد الفضيلة بما ترويه وتسطره!؟

ولو كانت أعماله القاسية مجهولة ولو لبعض الناس لآثرنا للفضيلة

استطراء شطر منها رجاء أن ينتهجها من له إمرة وسلطان عندما يعرف: **أَنَّ المَرْءَ حَدِيثٌ بَعْدَهُ ، وَأَنَّ التَّأْرِيخَ يَحْفَظُ عَلَيْهِ الجَمِيلَ وَالْقَبِيحَ .** ولكنّ الناس كلّهم يعلمون ما ارتكبه ذلك الفظّ الغليظ من الكعبة، وممن اتخذ الكعبة قبله دون أن يميّز بين شيعيّ، أو سنّيّ، أو حروريّ، وبين حجازيّ،

أو عراقي، أو تهامي<sup>١</sup>.

١- «تاريخ الشيعة» للمظفر، ص ٣١ إلى ٤١ .

من الجدير ذكره أنّ كثيراً من سلاطين الجور وأمرائهم كانوا في درجة الكمال من حيث الزهد والعبادة والعلم بالقرآن والسنة والفصاحة والبلاغة، بيد أنّ عدم وصول روح اليقين إلى سويداء قلوبهم جعلهم أسرى الغرور وشهوة الرئاسة، فتجاهروا بارتكاب المحرمات الشرعية والجرائم والانتهاكات التي لا يمكن حملها إلا على حبّ الجاه والرئاسة وكان السلاطين الأوّل من هذا الضرب . وكذلك كان عبد الله بن الزبير، والمأمون العباسي، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف الثقفي . وكان الحجاج من نوادر عصره في الفصاحة والبلاغة وإلقاء الخطب الصحيحة الخالية من اللحن . كما كان حافظاً للقرآن . وكان يأمر بقتل الأبرياء على أساس الاستدلال بالآيات القرآنية . ووطّد عرش الاستبداد والظلم لعبد الملك بن مروان بالشام مستنداً إلى آية (أولو الأمر) . وكان عبد الملك قبل تقلّده الأمر حليف المسجد النبوي والصوم والصلاة والقرآن والعلم وبيان السنة حتّى عدّه البعض أحد فقهاء المدينة . وبهذه الهيئة الجميلة التي تهواها الأئمة دخل سلك الحكومة الجائرة . وبمظهر يتجلّى فيه أنّ الحقّ معه تعسّف على أئمة الشيعة وظلمهم وعزلهم وسجنهم وقتلهم وهدم دورهم وشرّدّهم . وقد سفك دماء المظلومين سفكاً قلماً شهدته السماء، ورفع كأس الشراب وأغدق العطاء على الشعراء الخمارين المادحين لبني أمية بنحو لم يشهد له الدهر على كرور أيّامه مثيلاً .

ذكر السيوطي في «تاريخ الخلفاء» ص ٢١٤ إلى ٢٢٢، الطبعة الرابعة، تاريخ عبد الملك . ونقل فيما يأتي موجزاً منه كدليل على ما أروده عنه : في عام ٧٣ حيث كان ملكه هدم الحجاج الكعبة وأعادها على ما هي عليه الآن، ودس على ابن عمر من طعنه بحربة مسمومة، فمرض منها ومات، وفي سنة ٧٤ سار الحجاج إلى المدينة، وأخذ يتعنّت على أهلها، ويستخفّ ببقايا من فيها من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وختم في أعناقهم وأيديهم، بذلهم بذلك كأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وسهل بن سعد الساعدي . فإنا لله وإنا إليه راجعون<sup>١</sup> . قال ابن سعد في عبد الملك : كان عابداً زاهداً ناسكاً بالمدينة قبل الخلافة . وقال يحيى الغساني : كان عبد الملك كثيراً ما يجلس إلى أمّ الدرداء، فقالت له مرة : بَلَّغْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّكَ شَرِبْتَ الطَّلَاءَ بَعْدَ النَّسْكِ وَالْعِبَادَةِ؟! قَالَ : إِي وَاللَّهِ ! وَالِدَّمَاءَ قَدْ شَرِبْتُهَا !



وقال نافع : لقد رأيتُ المدينة وما بها شابُّ أشدَّ تشميراً، ولا أفقه، ولا أنسك، ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان . وقال أبو الزناد : فقهاء المدينة : سعيد بن المسيَّب، وعبد الملك بن مروان، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب . وقيل لابن عمر : إنكم معشر أشياخ قريش يوشك أن تنقضوا، فمن نسأل بعدكم ؟ فقال : إن لمروان ابناً فيها فأسألوه ! وكان لعبد الملك صديق، فضرب يوماً على منكبه، وقال : اتق الله في أمة محمد إذا ملكتهم ! فقال : دعني ويحك ما شأنني وشأن ذلك ! فقال : اتق الله في أمرهم ! وجَهز يزيد جيشاً إلى أهل مكة، فقال عبد الملك : **أَعُوذُ بِاللَّهِ ! أُبْعِثُ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ ؟** ! فضرب يوسف - وكان يهودياً فأسلم منكبه، وقال : **جَيْشُكَ إِلَيْهِمْ أَعْظَمُ** . وقال يحيى الغسانى : لما نزل مسلم بن عقبة المدينة، دخلتُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فجلستُ إلى جنب عبد الملك، فقال لي عبد الملك : أمن هذا الجيش أنت ؟ قلتُ : نعم . قال : **تُكَلِّتُكَ أُمَّكَ !** أتدري إلى من تسير ؟ إلى أول مولود ولد في الإسلام، وإلى ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلى ابن ذات النطاقين، وإلى من حنكه رسول الله صلى الله عليه وآله . أما والله إن جئته نهاراً وجدته صائماً ! ولئن جئته ليلاً لتجدته قائماً ! فلو أن أهل الأرض أطبقوا على قتله لأكبهم الله جميعاً في النار . فلما صارت الخلافة إلى عبد الملك وَجَّهَنَا مَ الْحِجَاجِ حَتَّى قَلِنَاهُ . وقال ابن أبي عائشة : أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحف في حجره، فأطبقه وقال : **هَذَا آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ** . وقال مالك : سمعتُ يحيى بن سعيد يقول : أول من صلى في المسجد ما بين الظهر والعصر عبد الملك بن مروان وفتيان معه . كانوا إذا صلى الإمام الظهر قاموا فصلوا إلى العصر . فقيل لسعيد بن المسيَّب : لو قمنا فصلينا كما يصلي هؤلاء : فقال سعيد بن المسيَّب : **لَيْسَتْ الْعِبَادَةُ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ ! وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ التَّفَكُّرُ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالْوَرَعُ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ** . وكان مروان بن الحكم ولَّى العهد عمرو بن سعيد بن العاص بعد

ابنه، فقتله عبد الملك . وكان قتله أول غدر في الإسلام . فقال بعضهم :

يَا قَوْمَ لَا تُغْلِبُوا عَن رَأْيِكُمْ فَلَقَدْ جَرَّيْتُمُ الْغَدْرَ مِنْ أُنْبَاءِ مَرْوَانَ  
 أَمْسُوا وَقَدْ قَتَلُوا عَمْرًا وَمَا رَشَدُوا يَدْعُونَ غَدْرًا بِعَهْدِ اللَّهِ كَيْسَانًا  
 وَيَقْتُلُونَ الرَّجَالَ الْبُزُلَ ضَاحِيَةً لِكَيْ يُؤَلُّوا أُمُورَ النَّاسِ وَلِدَانًا  
 تَلَاعَبُوا بِكِتَابِ اللَّهِ فَاتَّخَذُوا هَوَاهُمْ فِي مَعْاصِي اللَّهِ قُرَانًا

وقال عبد الملك في وصيته لابنه الوليد : يا وليد اتق الله فيما أخلقت فيه : إلى أن قال :

وانظر الحجاج فأكرمه فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر! وهو سيفك يا وليد، ويدك على من ناوأك! فلا تسمعن فيه قول أحد! وأنت إليه أحوج منه إليك، وادع الناس إذا مت إلى البيعة. فمن قال برأسه هكذا (أي: لا أبايع!) فقل بسيفك هكذا (أي: أفضل رأسك عن بدنك!) ولما احتضر عبد الملك، دخل عليه ابنه الوليد، فتمثل بهذا:

كَمْ عَائِدٍ رَجُلًا وَلَيْسَ بَعُودُهُ إِلَّا لِيَعْلَمَ هَلْ يَرَاهُ يَمُوتُ؟

فبكى الوليد. فقال: ما هذا؟ أتحنن الأمة؟! إذا أنا مت، فشمم، وانترز، والبس جلد النمر! وضع سيفك على عاتقك! فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عقه. ومن سكت مات بدائه. قال السيوطي هنا: لو لم يكن من مساوئ عبد الملك إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة رضي الله عنهم يهينهم ويدلهم قتلاً وضرباً وشمماً وحسباً. وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا يُحصى فضلاً عن غيرهم. وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً، يريد بذلك ذلهم، فَلَا رَحْمَةَ لِلَّهِ وَلَا عَفَا عَنْهُ.

ومن شعر عبد الملك:

بُعْمَرِي لَقَدْ عَمِرْتُ فِي الدَّهْرِ بُرْهَةً      وَدَانَتْ لِي الدُّنْيَا بِوَقَعِ البَوَاتِرِ  
فَأَضْحَى الَّذِي قَدْ كَانَ مِمَّا يَسْرُنِي      كَلْمَحٍ مَضَى فِي المَزْمِنَاتِ الغَوَابِرِ  
فَيَالَيْتَنِي لَمْ أَعْنِ بِالمُلْكِ سَاعَةً      وَلَمْ أَلْهُ فِي لَذَاتِ عَيْشٍ نَوَاضِرِ  
وَكَسْنْتُ كَذِي طِمْرَيْنِ عَاشَ بِبُلْغَةٍ      مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى زَارَ ضَنْكَ المَقَابِرِ

وعن الأصمعي قال: أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل: الشعبي، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، وابن القرية. وقال أبو عبيدة: لما أنشد الأخطل كلمته لعبد الملك التي يقول فيها:

شُمْسُ العَدَوَاتِ حَتَّى يُسْتَأْفَدَ لَهُمْ<sup>٢</sup> وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

(أي أن عداوته في حد أن يقدم روحه وكل ما يملك في قبال الثأر) قال: خذ بيده يا غلام فأخرجه ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره. ثم قال: إن لكل قوم شاعراً، وشاعر بني أمية الأخطل. وقال الأصمعي: دخل الأخطل على عبد الملك، فقال: وَيَحْكُ صِفَ لِي السُّكْرَ! قَالَ: أَوَّلُهُ لَذَّةٌ، وَآخِرُهُ صَدَاعٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ حَالَةٌ لَا أَصِفُ لَكَ مَبْلَغَهَا، فَقَالَ: مَا مَبْلَغُهَا؟ فَقَالَ: لِمُلْكِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ [عِنْدَهَا] أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ شِسْعِ نَعْلِي! وَأَنْشَأَ يَقُولُ: إِذَا مَا نَدَيْتَنِي عَلَيَّ ثُمَّ عَلَيَّ ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهْنٌ هَدِيرٌ

خَرَجْتُ أَجْرُ الذَّيْلِ تَيْهًا كَأَنِّي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ

إلى أن قال : وممن مات في أيام عبد الملك من الأعلام أيوب بن القرية الذي يضرب به المثل في الفصاحة .

وقال المحدث القمي في «تتمة المنتهى» ص ٨٣ و ٨٤، الطبعة الثالثة (ما تعريبه) : كان عبد الملك بن مروان قبل جلوسه على العرش ملازماً للمسجد تالياً للقرآن، حتى قيل فيه : «حَمَامَةُ الْمَسْجِدِ»، ولما بلغه خبر تقلده للأمر كان يتلوا القرآن فأطبقه وقال : **سَلَامٌ عَلَيْكَ ! هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ** . قال الراغب في «المحاضرات» بعد نقل هذه القصة ما مضمونه : كان عبد الملك يقول : كنت أخرج من قتل نملة والآن يكتب لي الحجاج أنه قتل فناماً ٣ من الناس ولم يؤثر في . وقال في ص ٩٦ و ٩٧ : كان الحجاج يخبر أن أكثر لذاته في إراقه الدماء . وأحصي من قتلهم الحجاج سوى من قتل في بعوثه وعساكره فوجد مائة وعشرون ألفاً، ووجد في حبسه بعد هلاكه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهم اثنا عشر ألفاً عراة . وكان حبس الرجال والنساء في مكان واحد، ولم يكن في حبسه سقف ولا ظل . وروي أنه خرج يوم الجمعة إلى الصلاة، فسمع ضجة عظيمة، فقال : ما هذا ؟ قالوا : أهل السجن يضجون من الحر . فقال : قولوا لهم : **أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون** ! فلم يمهل الله إذ لم يصل جمعة بعدها حتى صار إلى جهنم . وفي «أخبار الدول» أن علماء السنة كفروه بكلمته هذه، وقالوا أيضاً : وجد في حبسه بعد هلاكه ثلاثة وثلاثون ألفاً كانوا قد سُجنوا بلاداً . وأطلقهم الوليد بن عبد الملك . ونقل عن الشعبي أنه قال : إذا أخرج من كل أمة خبيثها وفاسقها، أخرجنا لهم الحجاج، وأنه ليزيد عليهم جميعاً . ونقل أن عبد الملك لما كتب إلى الحجاج ألا يقتل أحداً من آل أبي طالب، لأن آل حرب ربما أراقوا دماء أولاد أبي طالب فعمهم الموت وزالت دولتهم، فاجتنب الحجاج سفك دمائهم خوفاً من زوال الملك والسلطان خوفاً من الخالق عز وجل . وقتل الحجاج كثيراً من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وخاصته ككميل بن زياد النخعي، وقنبر غلام الإمام عليه السلام . وضرب عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري بالسياط حتى اسودت كنفاه . وأمره بسب أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يسبه بل ذكر مناقبه مكان ذلك . وقطع يد ورجل يحيى بن أم طويل الذي كان من شيعة الإمام السجاد عليه السلام وحوارية حتى استشهد . وآخر من قتل هو سعيد بن جبيرة . وبعد خمس عشرة ليلة مضت على مقتله، ظهرت الأكلة في جوفه فكانت سبباً في هلاكه . وكان قتل سعيد وهلاك

الحجّاج في أيام الوليد بواسط سنة ٩٥ هـ - انتهى موضّع الحاجة من كلام المرخوم المحدث القمي في «تتمّة المنتهى» .

أجل، ذكرنا هذه المطالب ليتبين أنّ جميع الحكام الجور الذين مازالت ترجمتهم تسوّد وجه التاريخ لم يكونوا في بادئ أمرهم من المستهترين القتلة ذوي الشوارب الكثة واللحي المحلوقة، الجهلاء بمسائل الدين وأحكامه، بل كانوا في ظاهرهم من أولي الصلاح وأهل القبا والرداء والحَنَك، وكانوا مواظبين على حضور الجمعة. وكانوا على هذه السجّية يشهدون المشاهد حتى آخر عمرهم . لأنّ هذا المتاع هو المتاع الوحيد الذي له من يشتره في سوق عامّة المسلمين يومئذ . بيد أنّ عفريت الشهوة وكلب الغضب ونيمة العرور وحبّ الجاه والرئاسة والأوهام المزيفة، كلّ ذلك قد استحوذ عليهم حتى عدّوا أنفسهم آلهة على وجه الأرض.

مُعَبَّأً وَمُعَصَّأً وَمُعَمَّمًا      برأى قتل دين غشسته مُصَمَّمًا<sup>٣</sup>  
نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

١- كانوا يسمون العبيد على أيديهم وظاهر أعناقهم إذا اشتروهم لكي يُعرّفوا، ولا يفروا في بعض الأوقات ولكي لا يدعي سيّد آخر تملكهم . ولما ذهب الحجّاج إلى مكّة وأخذ لعبد الملك بن مروان البيعة من هؤلاء الصحابة بوصفها استرقاقاً لهم، فقد وسم ما بدا من أجسامهم بختم الذلّ والعبودية كسائر العبيد ليُعرفوا بهذه المحنة في أنظار العامة . وهنا تألم السيوطي واسترجع .

٢- في «أقرب الموارد» مادة ق و د : (اسْتَقَادَ) لَهُ اسْتِقَادَةٌ : أَعْطَاهُ مَقَادَتَهُ وَ- زَيْدٌ الْأَمِيرُ : سَأَلَهُ أَنْ يُقَيِّدَ الْقَاتِلَ بِالْقَتِيلِ ، وَ- ذَلَّ وَخَضَعَ . (اسْتَقَادَ) فَلَانَ الْأَمِيرَ مِنَ الْقَاتِلِ فَأَقَادَهُ مِنْهُ : أَي : طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَفَعَلَ .

٣- الفنام: جمع قوم، والجماعة من الناس .

٤- كان في أيام طفولتي إلى ريعان شبابي واعظ في طهران يُدعى الميرزا عبد الله الواظ السبوح الطهراني . وكان في غاية التقوى والزهد، والفهم والدراية والعلم . ضليعاً في التفسير والأخبار الواردة، عارفاً بالفلسفة والحكمة . وكان نسيج وحده في الفصاحة والبلاغة . جمهوري الصوت . وكان أعجوبة في فنّ الخطابة، وكيفية الدخول في الموضوع

## مسار العلوم وتأريخ الشيعة

### في عصر الإمام الباقر عليه السلام<sup>١</sup>

قال آية الله الشيخ محمد حسين المظفر أعلى الله درجته السامية في كتاب «تاريخ الشيعة»: ما وجد الشيعة زمن محمد الباقر عليه السلام تضييقاً شديداً من بني أمية كما وجدوه فيما سبق على عصره . فكانوا يشدون الرحال إليه للارتشاف من مناهل معارفه وعلومه . وفي أيامه كثرت الرواة والرواية عنه ، وكانت الرواية عنه أكثر من آبائه السابقين عليهم السلام .  
فانتشر الحديث الباقرى! في كل قطر ، حتى أن جابر الجعفي وهو من ثقات رواة وأعظم نقله الحديث روى سبعين ألف حديث عنه فحسب .  
وكان من حملة علوم أهل البيت ، وَعِلْمُهُمْ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا

والخروج منه، والتعريح على قضبة كربلاء في ختام المنبر . وكان يرتقي المنبر في شهر رمضان في مسجد (سبهسالار) الجديد الواقع في (شبستان جهل ستون)، ويتحدث من هناك عن الاعتقادات، بخاصة المعاد، فيطرح موضوعات بكرة وحيّة ورائعة جداً . وكان غيوراً، محباً للدين، حراً، منفتحاً . وهو رائد الخطابة في زمانه . وكنت أحبّه كثيراً، وأحضر منبره لاستفيد من موضوعات مع أئبي كنت يومئذ طالباً صغيراً في المدرسة . ومازال صوته يدوي في صحن المدرسة ومسجد سبهسالار، وقد كان يقف أيام العزاء على آخر مرقة - ولعلها المرقة السابعة من المنبر - وينزع عمامته، ويلقي عباة، ويشمر كمي قباه حتى عضديه، ومازال صوته يرن في مسمعي . وتحفظ ذكراتي بهذا البيت الذي أوردته، وكنت قد سمعته منه . وقد ألمّ به المرض لسنين، وتوفي عندما كنت في النجف الأشرف، أي : بعد سنة ١٣٧٠ هـ . رحمة الله عليه رحمة واسعة .

وتعريب البيت : «هو معباً ومعصياً ومعتماً ومُصمّم على إطفاء نورالدين» .

١- ولد عليه السلام بالمدينة سنة ٥٧ هـ . وكان بالطف وهو ابن أربع . وقبض بسم هشام بن عبد الملك على يد عامله بالمدينة في السابع من ذي الحجة ١١٤، أو ١١٧ . ودُفن بالقيع مع عمه وأبيه عليهم السلام .

نَبِيٍّ أَوْ مَلِكٍ مُقَرَّبٍ أَوْ مُؤْمِنٍ اِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِإِيْمَانٍ، كما في نصّ الحديث عنهم .

يقول جابر كما في الحديث عنه : عِنْدِي خَمْسُونَ أَلْفَ حَدِيثٍ ، مَا حَدَّثْتُ مِنْهَا شَيْئًا كُلُّهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْبَيْتِ .

وروى أيضاً محمد بن مسلم عن الباقر خاَصِدَ ثلاثين ألف حديث . فما أعظمكم من رجال ! كيف كانت أوعيتكم صالحة لتحمل تلك المقادير العظيمة من علم أهل البيت ذلك العلم الصعب المستصعب . ولا بدع فإنَّ النَّاسَ مَعَادِنٌ<sup>٢</sup> .

ونبع في زمنه من رجال الحديث علماء كان المعول على حديثهم بعدحين . وكانوا المقدمين عند الإمام الصادق عليه السلام . يعطف عليهم ،

١- هذه الأحاديث كثيرة، ووردت بألفاظ مختلفه، وبلغت حدَّ الاستفاضة . وذكرها المجلسي رضوان الله عليه في ج ١ من «بحار الأنوار»، ص ١١٧ إلى ١٢٦ طبعة الكمباني، تحت عنوان «باب إنَّ حديثهم عليهم السلام صعبٌ مستصعبٌ وإنَّ كلامهم ذو وجود كثيرة وفضل التدبّر في أخبارهم والتسليم لهم والنهي عن ردِّ أخبارهم» . والصعب هو الحيوان الشموس الذي لا يُزكَب ولا يحمل عليه في مقابل الذلول وهو الحيوان السهل الانقياد . والمستصعب هو الحيوان الذي إذا رآه أحد يهرب منه خشية أذاه . فمعنى الحديث هو أنَّ حديثنا صعب لا يناله أحد ومستصعب لا يتسنَّى لكلِّ شخص بحيث إنَّه لا يحتمله إلا ملكٌ مقرب أو نبيٌّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه لإيمان . وذكرنا بعض هذه الأخبار في الجزء الخامس من كتابنا هذا «معرفة الإمام» الدرس ٦٥ إلى ٦٧ وأوردنا توضيحاً أكثر في الهامش أيضاً .

٢- جاء هذا الحديث عن الرسول الأكرم رسلاً في «جامع السعادات» ج ١، ص ٢٤، طبعة النجف الأشرف، ولفظه : الناس معادنٌ كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام .

ويرفق بهم . وجاءت عنه فيهم مدائح جلييلة أمثال جابر ، ومحمد بن مسلم ، و زرارة و حمران ابني أعين ، وابن أبي يعفور ، وبُرَيْد العِجَلِيّ ، وسُدَيْر الصيرفيّ ، والأعمش ، وأبي بصير ، ومعروف بن خَزْبُوذ ، وكثير غيرهم . كما نبع فطاحل من الشعراء بقيت آثارهم خالدة حتّى اليوم أمثال الكميت .

### مسار العلوم وتاريخ الشيعة في عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام<sup>١</sup>

مُنِيَ الإمام الصادق عليه السلام بمعاصرة الدولتين المروانية والعباسية وشاهد منهما معاً ضروب الأذى والتضييق . فكم أزعجوه من دار الهجرة (المدينة الطيبة) يُحمل إلى فرعون أيامه من دون جرم ، سوى أنه صاحب الخلافة والإمامة حقاً . فحمل مرّة إلى الشام مع أبيه الباقر عليه السلام أيام بني مروان ، وإلى العراق عدّة مرّات في عهد بني العباس أبناء عمّه : مرّة في عهد السفاح إلى الحيرة ، ومرّات في عهد المنصور إلى الحيرة وإلى الكوفة وإلى بغداد .

وأحسن أيام مرّت على الشيعة في عصره في الفترة التي امتزجت من أخريات دولة بني مروان وأوليات دولة بني العباس ، في اشتغال أولئك بقتل بعضهم لبعض و بانتفاض البلاد عليهم ، وهؤلاء بالحرب مع المروانيين مرّة وبتطهير البلاد منهم واستتباب الأمن أخرى . فانتهز الشيعة هذه

<sup>١</sup> - ولد عليه السلام بالمدينة سنة ٨٠ أو ٨٣ من الهجرة، وقُبض بالمدينة بسمّ المنصور على يد عامله على المدينة في الخامس والعشرين من شوال، وقيل : في رجب من عام ١٤٨ هـ . وقد ساعدني التوفيق فكتبت في أحواله كتاباً أخرجته مطابع النجف بجزئيه . (المظفر) .

الفرصة - والوقت فرص - للارتواء من مناهل علمه وعرفانه ، فشَدَّوا الرحال إليه من كلِّ حذب و صوب لأخذ أحكام الدين والمعارف عنه . فَرُوي الحديث عنه في كلِّ علم وفنٍّ ، كما تشهد به كتب الشيعة . ولم تقتصر الرواية عنه على الشيعة فحسب ، بل روت عنه سائر الفرق ، كما تُفصح بذلك كتب الحديث والرجال من الشيعة ومن غيرهم .

وقد أحصى ابن عقدة ، والشيخ الطوسي طاب ثراه في كتاب رجاله ، والمحقق رحمه الله في «المعتبر» ، وغيرهم مَنْ روى عنه من الشيعة ومن غيرهم ، فكانوا أربعة آلاف . وكان أكثر الأصول الأربعمئة مروية عنه . وهذه الأصول هي الأساس لكتب الحديث الأربعة : «الكافي» لثقة الإسلام الكليني<sup>١</sup> ، و«من لا يحضره الفقيه» للشيخ الصدوق<sup>٢</sup> ، و«التهذيب» ، و«الاستبصار» لشيخ الطائفة الطوسي<sup>٣</sup> ، طيب الله مراقدهم .

وصارت الشيعة في غضون هذه الفترة تنشر الحديث ، وتجهز بولاء أهل البيت عليهم السلام . وربما عددهم في مختلف الجهات على مئات الألوف .

ولمّا قامت دعائم السلطان للمنصور ، وعرف كثرة الشيعة في الآفاق ،

---

١- قُبض محمد بن يعقوب الكليني عام ٣٢٨ أو ٣٢٩ في شعبان عام تناثر النجوم . وهي سنة وفاة علي بن محمد السمرقاني! رضي الله عنه الذي انقطعت السفارة بموته ، ووقعت الغيبة الكبرى . وكتابه «الكافي» من أهم كتب الشيعة .

٢- هو محمد بن علي بن بابويه القمي نزيل الري . ورد بغداد عام ٣٥٥ ، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السنّ ، وله ثلاثمئة مؤلّف . مات بالري رحمه الله عام ٣٨١ .

٣- هو محمد بن الحسن بن علي الطوسي . ولد في شهر رمضان عام ٣٨٥ ، وقدم العراق عام ٤٠٨ ، وانتقل إلى النجف عام ٤٤٨ ، ومات فيها ليلة الاثنين ٢٢ من المحرم عام ٤٦٠ ، ودُفن في داره . وهي اليوم مسجد . وله مؤلّفات كثيرة وكلّها مهمّة جليلة .



وتجاهرهم بالولاء لآل محمّد عليه وعليهم السلام، ضيّق على مصدر معارفهم وإمام عصرهم - الصادق - عليه السلام. حين علم أنّه يعسر عليه استئصال الشيعة لكثرتهم وانتشارهم في البلاد، فأراد أن يقطع الأصل، وبه يكون جفاف الفرع. فكم حمله إلى العراق، وأوقفه بين يديه، يريد بذلك استنقاصه أمام الناس. وكم خاطبه بما يقصر القلم عن سطره.

وما كفاه ما ارتكبه منه من تلك الأذايا والمكاره والمواقف التي يهتزّ لها العرش عظماً، دون أن دس إليه السّم على يد عامله على المدينة. فمات روعي فداه قتيلاً بسم المنصور.<sup>١</sup>

وما اقتصر المنصور في فضيع أعماله على ما اجترحه من سيّد العلويين - الصادق - بل سنّ الشفرة للعلويين كافة، فصبغ أرض الهاشميّة من دمائهم الطاهرة. وأكثر الفجائع في بغداد من إهلاك تلك الفتيّة الفتيّة. فخافته الشيعة، فانكملت في بيوتها، وتسترت بالتقيّة خشية من صارم عقابه. أتراه بكفّ عن علويّ بعد أن اجترأ على سيّدهم، أو يعف عن شيعيّ بعد أن قضى على إمامهم!؟

## مسار العلوم وتاريخ الشيعة في عصر الإمام موسى الكاظم عليه السلام

قضى الإمام موسى الكاظم عليه السلام<sup>٢</sup> أيام إمامته<sup>٣</sup> بين سجينين :

١- اتّفتت الشيعة على ذلك. وذكر ذلك كثير من مؤلّفي السنّة. انظر: «إسعاف الراغبين»، و«نور الأبصار»، و«تذكرة الخواص»، و«الصواعق المحرقة»، وغيرها.

٢- ولد عام ١٢٨، أو ١٢٩. وقُبض لخمس خلون أو بقين من رجب عام ١٨٣، ودفن بمقابر قريش حيث قبره اليوم.

٣- جاءته الإمامة عام وفاة أبيه سنة ١٤٨، فكانت أيام إمامته خمساً وثلاثين سنّة.

سجن داره بعيداً عن الناس خوفاً بني العباس ، وسجن بني العباس الشديد الظلمة والظلم . حتى أن الراوي إذا روى الحديث عنه لا يسنده إليه بصريح اسمه ، بل بكناه مرّة كأبي إبراهيم ، وأبي الحسن ، وبألقابه أخرى كالعبد الصالح ، والعالم ، وأمثالهما . وبالإشارة إليه تارة كقوله : عن الرجل ، إذ قلّمنا تجد اسمه الشريف صريحاً في حديث لشدة التقية في أيامه ، ولكثرة التصيق عليه ممّن عاصره من العباسيين كالمنصور ، والمهدي ، والهادي .

وما ترتب الرشيد على دست الملك إلا وزجه في أطباق السجون . وبقي سلام الله عليه يحمل إلى السجن مرّة ، ويُطلق منه أخرى أربع عشرة سنة ، وهي مدة أيامه مع الرشيد .

وبهذه الأعمال القاسية أربها العلوية وأخافوا الشيعة . وكانت تطمع عيون الجميع إلى إمامهم السجين . ولم يجد عليه السلام منجى للطالبيين ، وخلاصاً للشيعة ، أصوب من استسلامه للحكم العباسي القاسي . وما كفى الرشيد ما ارتكبه من الإمام حتى دس إليه السم ، وهو في حبس السندي بن شاهك ، فمات روجي فداه في السجن قتيل الجور والاعتساف . وذرّ الملح على الجرح أنه لم يسمح لأوليائه بتشيعه ، بل أمر فحمله الحمالون فوضعه على الجسر . ونكأ القرحة بالنداء عليه : هَذَا إِمَامُ الرَّافِضَةِ .

تلك أعمال لا تطفئ من العباسيين لهب الحسد ، ولا تنقص من شأن الإمام ، وإنما تكشف لنا عن قسوتهم ساعة الانتقام ، وذهولهم عن سياسة الأقليات ، وغفلتهم عن شحن القلوب عليهم حقداً وغيظاً ، والنار تقدح بالزناد . وما كانت النار خامدة ، وإنما الجمر تحت الرماد ، على أن الإمام لا ذنب له عندهم سوى أنه صاحب المقام حقاً .

ولمّا شاهد سليمان بن جعفر عمّ الرشيد ما يصنع السنديّ بجنّازة الإمام ، أمر فأخذوها من أيدي الشرطة ، ووضعها في الجانب الغربيّ ، وأمر مناديه فنادى بالناس لحضور الجنّازة وتشيعها . وأكثر الشيعة في بغداد تقيم في الجانب الغربيّ . وكانت محلّة الكرخ على سعتها كلّها شيعة . فهرع الناس فحملوه على الأعناق حتّى أوصلوه إلى ترتبه الطاهرة من مقابر قريش .

وكانت قلوب الشيعة تغلي كالمراجل غيظاً على ما يصنعه الرشيد . ولولا ما كان من سليمان لأوشكت الفتنة أن تقع وأن يأخذوا الجنّازة قهراً إلاّ أن يكون الرشيد أميناً بضغطة وشدّته من وثبة الشيعة ، حتّى وإن كثير الضغط والضرب عليهم .

ولعلّ انتباه سليمان إلى الخطر حمّله على ذلك الصنع حتّى مشى حافياً حاسراً خلف جنّازة الإمام . فإنّ في ذلك إيراداً للغل ، وإطفاءً للهب ، وإخماداً للنائرة لوجار اشتعالها . أو لعلّ الرشيد أو عزّ إليه سرّاً أن يعمل ذلك بعد ما يقضي إربه . وعسى أن يكون فعل سليمان غيراً على ابن عمّه ، واستياءً من ذلك الفعل الأشنع .

إنّ كثرة الشيعة ذلك اليوم في بغداد وسواها من بلاد العراق لجديرة بأن تقف حاجزاً دون إرهاب السلطات لهم وإنزال سوء بهم متوالياً ، ولكن هل كانت تلك الضربات المتتابة على رؤوسهم وشدّة الضغط عليهم أذهبت بقواهم ؟ أو لأنّ التقيّة حملتهم على الاستسلام للقسوة ؟ أو لأنّ عددهم بلا عدّة ؟ أو لأنّ الإمام لا يرضى لهم الثورة لعلمه بأنّها لا تصل بهم إلى الغاية ؟ أو لأنّهم بغير سائس وزعيم ينهض بهم فيقتحم بهم الأهوال ؟ أحسب أنّ خلّوهم من الرئيس الناهض هو الذي أسلمهم إلى ذلك الخضوع . ومن لمّ تجد العراقيين (الكوفة والبصرة) والحرمين (مكّة

والمدينة) واليمن قد تمردت على الحكم العباسي أيام المأمون عندما وجد الناس زعماء من العلويين يثبون بهم في وجوه بني العباس ، ويحلّون عن عواتقهم نير ذلك الاستعباد .

### مسار العلوم وتاريخ الشيعة

#### في عصر الإمام الرضا عليه السلام<sup>١</sup>

إنّ السياسة الإلهية للأئمة الأطهار عليهم السلام مع العباسيين قضت بمسالمتهم ، والتصبر على أحكامهم الجائرة ، لغاية إذاعة الحق . ولا يتسنى ذلك إلا إسراراً دون أن تشعر بذلك السلطات . ولا رحمة لهم عند بني العباس لو شعروا منهم بتلك الدعوة .

ولولا تلك المسألة لفضي عليهم وعلى شيعتهم قبل أن تظهر منزلتهم وكراماتهم من فضائل وعلوم ومعارف . تلك التي نبّهت ذوي البصائر إلى أنّهم خزان علم الرسالة وأهل بيت النبوة .

وبهذه السياسة الإلهية ، وتلك الكرامات الباهرة كثر أولياء أهل البيت . وبذلك المسالمة حُفنت دماؤهم بعض الشيء كما حفظت نفوس شيعتهم قدر الإمكان .

انبسط التشيع على البلاد ، وطمح كثير من الطالبين للنهضة ، بل وثب محمّد بن إبراهيم من أولاد الحسن عليه السلام بالكوفة ، واستفحل أمره حتى دُعي له بالبصرة ومكة . وإبراهيم بن موسى بن جعفر عليهما السلام باليمن ، واستولى على اليمن كلّ . وكان في مكة الحسين بن الحسن

١- ولد عليه السلام بالمدينة عام ١٥٣ ، أو ١٤٨ . وقُبض بطوس في السابع عشر من صفر عام ٢٠٣

قتيلاً بسَم المأمون . ودُفن فيها حيث قبره اليوم يُقصد من كلّ حذب وصوب .

الأفطسى . وبعد موت محمد بن إبراهيم وداعتهم أبي السرايا بالكوفة بايع الحسين محمد بن جعفر الصادق عليه السلام وسمّاه أمير المؤمنين . بل لا تجد قطراً إلا وفيه علويّ يُمّتي نفسه أو يُمّتيه الناس بالوثبة . بل امتدّت جذور التشيع حتى إلى البلاط الملكيّ . فكان الفضل بن سهل ذو الرئاستين وزير المأمون شيعياً ، وطاهر بن الحسين الخزاعيّ قائد المأمون الذي فتح له بغداد وقتل أخاه الأمين شيعياً ، وكثير سواهما . حتى أنّ المأمون خشي عاقبة هذين ، فقتل الفضل ، وولّى طاهراً إمارة هرات . وفعل ذلك مع أولاد طاهر فإنّهم بعد القيادة بوليهم إمارة هرات . وكانت الطاهريّة كلّها تشيع ، كما يقول ابن الأثير في حوادث عام ٢٥٠ ، ج ٧ ، ص ٤٠ .

وقال في حرب سليمان بن عبد الله الطاهريّ مع الحسن بن زيد الناهض بطبرستان : تَأْتَمُّ سُلَيْمَانُ مِنْ قِتَالِهِ لِشِدَّتِهِ فِي التَّشِيْعِ . وبلغ من شأن طاهر أن كان له حرم ببغداد يأمن من دخله . وأن يخاطب دعبل المأمون من أجل ما كان لطاهر من الفتح بقوله :  
 إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سُيُوفُهُمْ قَتَلَتْ أَخَاكَ وَشَرَّفَتْكَ بِمَقْعَدِ

### كيف لا يخاف المأمون من طاهر!؟

إنّ المأمون من رجال الدهاء والسياسة . فلمّا رأى انتشار التشيع في الآفاق . وثبات العلويين في أطراف البلاد ، وسريان التشيع إلى بلاطه ، خشي من عقبى هذه النزعة العلويّة على سلطانه . فرأى أن يكيد لهذه الوثبات التي ظهر بها بعض العلويين ، والكامنة في نفوس الآخرين . إنّ الرضا عليه السلام ذلك اليوم إمام الشيعة وسيّد آل أبي طالب ، فبعث إليه يستقدمه . وأظهر أنّه يريد أن يتنازل له عن العرش ، وجعل

الأمر له في الحَلِّ والترحال واختيار الطريق . فجاء على طريق البصرة ، فالأهواز ، فنيسابور . وجعل طريقه عدّة شهور ، ظهرت له في خلالها الكرامات الدالة على إمامته . وكانت له من الآثار ما بعضها ماثل إلى اليوم . فلما دخل خراسان واجتمع به المأمون ، أظهر المأمون للإمام أنه يريد أن يتنازل له عن الخلافة لأنه وجدّه أحقّ بها لفضله ، فقال له الإمام :  
**إِنْ كَانَتْ الْخِلاَفَةُ حَقًّا لَكَ مِنَ اللَّهِ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَخْلَعَهَا عَنْكَ  
وَتُوَلِّيَهَا غَيْرَكَ ! وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ فَكَيْفَ تَهَبُ مَا لَيْسَ لَكَ !؟**

فقال : **إِذَنْ تَقْبَلُ وِلَايَةَ الْعَهْدِ !**

فأبى عليه الإمام أشدَّ الإباء .

فقال له المأمون : **مَا اسْتَقْدَمْنَاكَ بِاخْتِيَارِكَ ! فَلَا نَعْهَدُ إِلَيْكَ بِاخْتِيَارِكَ !**

**فَوَاللَّهِ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ضَرَبْتُ عُقْنَكَ !**

فلم يجد الإمام بداً من الاستسلام ، غير أنه اشترط على المأمون أن لا يتدخل في شؤون الدولة أبداً . فقبل المأمون منه ذلك ، وأمر فبايع الناس الرضا عليه السلام بولاية العهد . وضرب السكّة باسمه ، وأجرى المراسيم الباهرة . ووفدت الشعراء للتهنئة ، وأجزل لهم العطاء ، وكتب إلى البلاد كلّها بأخذ البيعة بالولاية للرضا عليه السلام .<sup>١</sup>

نحج المأمون بهذا التدبير من العهد للرضا عليه السلام . فهدأت بذلك نفوس الشيعة ، ومنت أنفسها بأن الأمر سيعود لوليّه إمام الأُمّة . وقرّت شقشقة العلويين ، واطمأنت قلوب أوليائهم من القواد والوزراء غير أهل الرأي والسياسة .

١- كان ذلك في عام قدومه من المدينة، وهو عام ٢٠١. وزوّجه بابنته أم حبيبة في عام ٢٠٢،

وقتلّه بالسمّ في الشهر الثاني من عام ٢٠٣.

إنَّ الإمام الرضا عليه السلام أخبر المأمون بما يكيده بهذه البيعة .  
 فاغتاظ لذلك المأمون وقال : مَا زِلْتُ تُقَابِلُنِي بِمَا أَكْرَهُ !  
 إنَّ الفظن من أرباب السياسة لا تخفى عليه المكيدة ذلك اليوم ،  
 فكيف بالرضا ؟! ولكن ذلك التدبير يجهل مغزاه سواد الناس . وإذا هددت  
 فورتهم ، فبمن ينهض الزعيم الثائر ؟!  
 ولَمَّا بلغ الخبر العباسيين ببغداد ساءهم فعل المأمون وجهلوا ما يرمي  
 إليه ، فاجتمعوا على خلعه ، والبيعة لعمته إبراهيم بن المهديّ الشهير بالغناء .  
 وعندما بلغ ما أَرَادَهُ المأمون من الكيد وسمّ الرضا ، كتب إلى بني  
 العباس ببغداد : إِنَّ الَّذِي أَنْكَرْتُمُوهُ مِنْ أَمْرِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى قَدْ زَالَ وَإِنَّ  
 الرَّجُلَ قَدْ مَاتَ .<sup>١</sup>

<sup>١</sup>- ذكر الطبري في «تاريخ الأمم والملوك» ج ٨، ص ٥٦٤ إلى ٥٦٨، طبعة دار المعارف، مصر؛ وابن الأثير في «الكامل في التاريخ» ج ٥، ص ١٩١ إلى ١٩٣، طبعة إدارة الطباعة المنبرية؛ وابن كثير في «البداية والنهاية» ج ١٠، ص ٢٤٨ إلى ٢٥٠، في حوادث سنة ٢٠٢ و ٢٠٣، أنَّ علي بن موسى عليها السلام أخبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل أخوه، وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من الأخبار، وأنَّ أهل بيته والناس قد نقموا عليه أشياء؛ وأنَّهم يقولون : إنَّه مسحور مجنون، وأنَّهم لمَّا رأوا ذلك بايعوا لعمته إبراهيم بن المهديّ بالخلافة . فقال المأمون : إنَّهم لم يبايعوا له بالخلافة؛ وإنَّما صيروه أميراً يقوم بأمرهم على ما أخبره به الفضل . فأعلمه أنَّ الفضل قد كذبه وغشَّه، وأنَّ الحرب قائمة بين إبراهيم والحسن بن سهل، وأنَّ الناس يتقمون عليك مكانه ومكان أخيه ومكاني ومكان بيعتك لي من بعدك ! فقال : ومَن يعلم هذا من أهل عسكري ؟ فقال له : يحيى بن معاذ ، وعبد العزيز بن عمران، وعدة من وجوه أهل العسكر ! فقال له : أدخلهم عليّ حتَّى أسألهم عمَّا ذكرت ! فأدخلهم عليه ؛ وهم يحيى بن معاذ، و عبد العزيز بن عمران، و موسى، و عليّ ابن أبي سعيد هوهو ابن أخت الفضل ووخلف المصري . فسألهم عمَّا أخبره، فأبوا أن يخبروه حتَّى يجعل لهم الأمان من الفضل بن سهل ؛ ألا يعرض لهم . فضمن ذلك لهم، وكتب لكل رجل منهم كتاباً بخطه، ودفعه إليهم . فأخبروه بما فيه الناس من الفتن، وبيَّنوا ذلك له،

وأخبروه بغضب أهل بيته ومواليه وقواده عليه في أشياء كثيرة، وبما مؤه عليه الفضل من أمر هرثمة، وأن هرثمة إنما جاء لينصحه وليبين له ما يعمل عليه، وأنه إن لم يتدارك أمره خرجت الخلافة منه ومن أهل بيته. وأن الفضل دس إلى هرثمة من قتله، وأنه أراد نصحه ...

فلما تحقّق ذلك عند المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد. فلما أمر بذلك علم الفضل بن سهل ببعض ذلك من أمرهم، فتعتّمهم حتّى ضرب بعضهم بالسياط وحبس بعضاً، واتفق لحي بعض ... ثم ارتحل من مرو. فلما أتى سرخس شدّ قوم على الفضل بن سهل وهو في الحمام، فضربوه بالسيوف حتّى مات ... وهم غالب المسعوديّ الأسود، وقسطنطين الروميّ، وفرج الديلميّ، وموفق الصقليّ. وهربوا. فبعث المأمون في طلبهم، وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار. فجاء بهم العباس بن الهيثم بن بزرجمهر الدينوريّ، فقاتلوا للمأمون: أنت أمرتنا بقتله! فأمر بهم فضربت أعناقهم ... ثمّ بعث إلى عبد العزيز بن عمران، وعليّ، وموسى، وخلف فساء لهم فأذكروه أن يكونوا علموا بشيء من ذلك. فلم يقبل ذلك منهم وأمر بهم فقتلوا، وبعث برؤوسهم إلى الحسن بن سهل إلى واسط، وأعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل! وأنه قد سيّره مكانه. ووصل الكتاب بذلك إلى الحسن فهاج واضطرب حتّى شدّ في الحديد وحبس في بيت. ولما شخص المأمون من سرخس، توجه إلى طوس وأقام عند قبر أبيه أياماً. ثمّ إنّ عليّ بن موسى الرضا أكل عنباً فأكثر منه، فمات فجأة؛ وذلك في آخر صفر. فأمر به المأمون فدفن عند قبر الرشيد. (وخيم عند القبر ثلاثة أيام، ولم يطعم غير الماء والخبز والملح الجشب. وسار خلف الجنازة حافياً، وهو يقول: مَنْ لِي بَعْدَكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟! ودفن المأمون الرضا. وكتب في شهر ربيع الأول إلى الحسن بن سهل يعلمه أنّ عليّ بن موسى بن جعفر عليهم السلام مات، ويُعلمه ما دخل عليه من الغمّ والمصيبة بموته. وكتب إلى بني العباس والموالي وأهل بغداد يعلمهم موت عليّ بن موسى، وأنهم إنّما نعموا بيعته له من بعده، ويسألهم الدخول في طاعته. وهنا نقف على غدر المأمون وكيفية قتله للفضل بن سهل في حمام سرخس، وقتل قاتليه الأربعة مع أربعة أرباب غيرهم لإخفاء جريمته، ثمّ أرسل رؤوسهم كقاتلين إلى أخي المقتول: الحسن بن سهل، واستوزره، وأعلمه بحزنه وغمّه لقتل الفضل. ثمّ سمّ الإمام الرضا عليه السلام بالجنب المسموم وسار خلف جنازته قائلاً: مَنْ لِي بَعْدَكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ!



وكان المأمون يُحضر للرضا عليه السلام العلماء لينظروه . وهكذا كان يعمل مع ابنه الجواد عليه السلام . يظهر بذلك أنه يريد أن يُعلم الناس ما لهما من فضل ، وَلَكِنَّهُ يَدُسُّ السَّمَّ فِي الْعَسَلِ . لأنه كان يرجو أن يعثرا ولو مرة في جواب مسألة ليحمله ذريعة للحط من كرامتهما وإنقاصهما أمام الناس والشيعية . وبذلك يرجو أن ينصرفوا عن ولائهما والحب لهما ، إلا أنهما كانا لا يزدادان إلا سناءً ومكانة . وظهر للناس أنهما معدن العلم وأهل الخلافة ، وغصنان من شجرة النبوة الباسقة .

كان المأمون يريد أن ينقص الرضا بتلك المناظرات ، ويحط من قدره بولاية العهد ، ويُري الناس أن الدنيا زاهدة فيه . وأنه لو كان زاهداً فيها لما قبل العهد بالولاية . فصار الأمر على خلاف ما يحتسبه المأمون .

ومن المناسب أن ننقل هنا قصة دخوله على زبيدة أم أخيه الأمين بعد مقتل ولدها الأمين ، وبكائهما معاً . وتظاهره أمامها أنه بريء من قتله . وكانت قد عرفت ذلك ، لأنها علمت جوارى ولدها محمد شعراً يغني عنه بحضور المأمون . قال محمود جار الله الزمخشري في كتاب «ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» ج ٤ ، ص ٢٦٤ : دخل المأمون على زبيدة ١ يعزيها عن الأمين فتباكيا طويلاً وتبرأ من قتله . فأقسمت عليه ليتعدى عنها . فلما فرغ من الغداء أخرجت إليه من جوارى محمد من تغنيه فأوماً إلى وحدة ، فغنت بقول الوليد بن عقبة ٢ :

هُم قَاتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا غَدَرْتُ يَوْماً بِكِسْرَى مَرَارِيَهُ  
فَإِلَّا يَكُونُوا قَاتِلِيهِ فَإِنَّهُ سَوَاءٌ عَلَيْنَا مُمْسِكَاهُ وَضَارِبُهُ

١ - قال الدكتور سليم النعيمي في الهامش : هي زبيدة ابنة جعفر أم محمد الأمين .  
٢ - هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط . وهذا الشعر يقوله في رثاء عثمان . وورد البيت الثاني في «الأغاني» :

بَنِي هَاشِمٍ لَا تَعْجَلُوا بِإِقَادَةِ سَوَاءٍ عَلَيْنَا قَاتِلُوهُ وَسَالِبُهُ  
وفي رواية :

بني هاشم لا تعجلونا فإنه

فإنّ المحاججات رفعت شأو الرضا العلمي . وتطلّع الناس لليوم الذي يستلم فيه مقاليد الأمور .

نجح المأمون في تدبيره السابق ، وفشل في تدبيره اللاحق . وخشي أن يستفحل الأمر ، ويصبح أكثر الناس شيعة للرضا ، فيكون ملكه عرضة للخطر ، فاحتال عليه بالسّم ودسّه إليه في عنب ، فقضى عليه سميماً بطوس ، ودفن بها في قبّة هارون أمام قبره ، فاندرس قبر هارون ، وظهر قبر الرضا ، وصار مقصداً لزوّار الشيعة من أطراف البلاد وشاسع الأمصار . وفي عهد الرضا عليه السلام نشطت الشيعة وجاهروا بالولاء ، وعلت كلمتهم ، لاسيّما أنّ المأمون كان جهيراً به يجمع أرباب الكلام ويناظرهم في خلافة أمير المؤمنين ، ويقطع حججهم بصارم براهينه . ولكنّه بعد أن سمّ الرضا ، وهدأت أجراس العلويّة والشيعة ، أو صد ذلك الباب كأن لم يكن ذلك الحجاج وتلك الحجج .

## مسار العلوم وتاريخ الشيعة

### في عصر الإمام الجواد عليه السلام<sup>١</sup>

مات أبو الحسن الرضا عليه السلام ، وأبو جعفر الجواد عليه السلام ابن سبع سنين . فتهافت الشيعة عليه يستقون من سائغ نميره شأنهم مع آبائه . وما حال صغر السنّ دون ارتشافهم من غامر علمه ، لأنّ الإمامة الإلهيّة لا فرق فيها بين ابن سبع أو سبعين مادامت منابعها تستمدّ من العلام

<sup>١</sup> - كانت ولادته في العاشر من رجب سنة ١٩٥ كما قيل . وقُبض مسموماً في ذي القعدة أو ذي الحجّة من سنة ٢٢٠ ، فيكون عمره يوم وفاته ٢٥ سنة ، ودُفن إلى جنب جدّه الكاظم عليهما السلام .

جلّ شأنه ، كما هو شأن النبوة . فهذا عيسى كَلَّمَ الناس وهو في المهد . وهذا يحيى أخذ الكتاب بقوة وآتاه الله الحكم ، وهو صبي .

إنّ المأمون لا يجعل ذلك الشأن من الإمام ولا رأي الشيعة فيه . فاقترض سياسته أن يرفع مكانة أبي جعفر عليه السلام ويعظّم شأنه ، كما تظاهر قبل هذا مع أبيه أبي الحسن عليه السلام فاستدعاه من المدينة مكرماً إلى بغداد وأظهر له من العناية ما استفزّ بني العباس حتّى خافوا أن يعهد إليه كما عهد إلى أبيه من قبل . ولكنهم جهلوا ما يقصده وراء ذلك الإكرام ، وجعلوا أنّ السياسة ألوان ، وأنّ لكلّ عهدٍ عملاً ولوناً ، فاستمروا في ملامته ، واستمرّ في كيدته حتّى زوّجه بابنته أمّ الفضل ، وهي التي قتلتها بالسّم بإشارة من المعتصم ، فكأنّه ادّخرها للجواد لمثل هذا اليوم .

كثر إلحاح بني العباس على المأمون على أن يصرفوه عن تزويجه بابنته ، وعن رفع مقامه وهو لا يعبأ بهم ، فقالوا : دَعَهُ حَتَّى يَتَأَدَّبَ فَإِنَّهُ صَبِيٌّ ! فأحضر له العلماء والفقهاء ليناظروه ، فيظهر له من الفضل ما يقطع ألسنتهم . فكان من الجواد مع يحيى بن أكثم ما هو مسطور في كتب التاريخ والحديث والفضائل ، وما هو قاطع للحجّة ولذارب الألسنة من بني العباس ، وما بلغ أبو جعفر ذلك اليوم العاشرة .

ولا أدري كيف بلغ الجهل ببني العباس إلى ذلك الحدّ ، فقد سبق من المأمون مع الرضا عليه السلام ومنهم في لومه ما دلّ على نجاحه في سياسته وكيدته ، وخطأهم في تأنيبه . فكيف عادوا إلى تفنيده حين عاد إلى إظهار الإعزاز لأبي جعفر عليه السلام ؟! ولا أدري كيف لم ينتهوا إلى مراميه في أعماله ولها أمثال سابقة ؟! وكيف يأملون أن يكشف لهم عن نواياه في فعله ؟! والسياسة إن ظهرت للعيان استفزّت من يراد به الكيد ، ونهت مشاعره . وإذا أخذ الحيطة لنفسه ، كيف تعمل فيه تلك المكيدة ؟! (هذا على

عكس منهج السياسة تماماً . فقوام السياسة إخفاء المكر والحذيفة) . وإذا ظهر للعلوية والشيعة القصد من مراميه في إجلاله لأبي جعفر عليه السلام لم يحتفلوا بما يصنع ، فلا يثبّطهم عن الوثبة في وجهه .

عاد الجواد عليه السلام إلى المدينة ، وبقي بها مقصداً لأوليائه إلى أن اعتلى المعتصم منصّة الحكم سنة ٢١٨ ، فاستدعى الجواد ومعه زوجته أمّ الفضل ، وقد علم بانحرافها عن أبي جعفر فأرادها ذريعة لنفوذ تدييره في أبي جعفر . ولم يكن المعتصم شقيق المأمون في دهائه ولا رضيع لبانه في سياسته . ومن ثمّ انتفضت عليه كثير من البلاد ، وخلعوا ربقة الطاعة ، واستقلّوا بالأمر . فكان لقرب غوره يضيّق على الجواد مرّة ، ويوسّع عليه أخرى ، ويحبسه مرّة ويطلقه تارة .

وكان يجمع له العلماء ليحاججوه زعماءً منه أن يجد له زلّة يؤاخذه فيها أو يسقط مقامه بها . وزور عليه مرّة كتباً تنضمّن الدعوة لبيعته ، فلا يكون مغتبه ذلك إلاّ إعلاء شأن أبي جعفر وإظهار الكرامة والفضل له . فكان المعتصم لا يزداد لذلك إلاّ حنقاً وغيظاً ، ولا يقوى على كتمان ما يسره من الحسد والحقد ، فحبسه مرّة . وما أخرجه من السجن حتى دبر الأمر في قتله . وذلك أن قدّم لزوجته ابنة المأمون سمّاً ، وحملها على أن تدفعه للإمام فأجابته إلى ما أراد .

فمات قتيلاً بسمّ المعتصم . وعندما شاهدت أثر السمّ قدبان في بدن الإمام ، تركته وحيداً في الدار ، حتى قضى نحبّه ، واحتشدت الشيعة على الدار واستخرجوا جنازته ، والسيوف على عواتقهم . وقد تعاقدوا على الموت ، لأنّ المعتصم حاول أن يمنعهم عن تشييعه .

وتعرف من مثل هذه الحادثة كثرة الشيعة ذلك اليوم في بغداد ، وقوتهم على المراس . ومن كثرة الرواة منهم تعرف كثرة العلم فيهم . ومن

كثرة الحجاج والجدال لاسيما في الإمامة تعرف قوة الحجّة عندهم ، وقوة الكفاح عن المذهب ، واتّضح أمرهم .

### مسار العلوم وتأريخ الشيعة

#### في عصر الإمام عليّ الهاديّ عليه السلام<sup>١</sup>

قضى الجواد نجبه ، والهاديّ ابن ستّ أو ثمان كما جاءت الإمامة أباه وهو ابن سبع . فكان موثّل الشيعة ومرجعهم ومنهل و زاد العلم ومرتع روّاده ، فنهلوا من مشرّعته ، ورتعوا الخصب من ربيعه ، كما كان حالهم مع آباءه العُرّ . وهذا أمر يسترعي الانتباه ، ويستلّف الأنظار .

أيحسن ابن هذه السنّ من الناس القراءة والكتابة دون أن يكون له شيء من معرفة أو علم؟!

فكيف يكون جامعة العلوم لا يُسأل عن شيء إلا والجواب لديه حاضر؟ ولا يبتدىء في البيان عن مسألة إلا وأبهر العقول فيما يبديه! أيجوز هذا في غير من ألهمه الله العلم والعرفان؟! ولو كان على غير تلك الحال من العلم الإلهيّ ، لما انقادت إليه خاضعة شيوخ الفضل والعلم ، وأخذت عنه أخذ مأموم عن إمام ، ورأت فيه أنّه الحجّة من الله والمعصوم عن الرجس ، والعالم بكلّ شيء . ولو لم يكن كما رأوه وشاهدوه لكذبّت الحوادث والامتحانات ذلك الرأي والعقيدة فيه .

بقي الهاديّ عليه السلام في المدينة ، والشيعة نافرة إليه للتفقّه في الدين واغتنام محاسن الأخلاق حتّى سنة ٢٣٦ . وكانت ناصية الحكم يومئذٍ

١- ولد بالمدينة في رجب أو ذي الحجة من سنة ٢١٢ أو ٢١٤ . وقُبض مسموماً بسامراء في رجب أو جمادى الآخرة من سنة ٢٥٤ ، ودُفن في داره حيث قبره اليوم .

بيد المتوكل ، وهو شديد البغض لعليّ ولأهل بيته عليهم السلام . وزاد في الطين بلة أنه أحيط بندماء قد اشتهروا بالنصب والبغض لعليّ . منهم : عليّ ابن الجهم الشاعر الشاميّ من بني شامة ، وعمرو بن فرّخ الرّحبيّ ، وأبو السّمط من ولد مروان بن أبي حفصة من موالى بني أميّة ، وعبد الله بن محمّد بن داود الهاشميّ المعروف بابن أترجة . وكانوا يخوّفونه من العلويّين ، ويشيرون عليه بإبعادهم والإعراض عنهم والإساءة إليهم . ثمّ حسّنوا له الواقعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علوّ منزلتهم في الدين ، ولم يبرحوا به حتى ظهر منه ما هو معروف .

ومما ذكره ابن الأثير في حوادث سنة ٢٣٦ ، في تاريخه ، ج ٧ ، ص ١٨ ؛ وابن جرير في ج ١١ ، ص ٤٤ ؛ وصاحب «فوات الوفيات» ج ١ ، ص ١٣٣ ، فعله بقبر الحسين عليه السلام من الهدم والحرق والبذر والسقي ومنع الناس من زيارته إلى غير ذلك ممّا هو مشهور عنه . وقال صاحب «فوات الوفيات» : وكان معروفاً بالنصب فتألّم المسلمون لذلك . وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان . وهجاه دِعبل الخزاعيّ وغيره . وفي ذلك يقول ابن السكّيت ، وقيل : هي للّبساميّ :

تَاللّهِ إِنْ كَانَتْ أُمِيَّةٌ قَدْ أَتَتْ قَتَلَ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّهَا مَظْلُومًا  
فَلَقَدْ أَتَتْهُ بَنُو أَبِيهِ بِمِثْلِهِ فَعَدَا لَعَمْرُكَ قَبْرَهُ مَهْدُومًا  
أَسْفُوا عَلَى أَنْ لَا يَكُونُوا شَارِكُوا فِي قَتْلِهِ فَتَتَّبِعُوهُ رَمِيمًا

وما اقتصر على ما فعله بقبر الحسين عليه السلام من الإساءة لأهل البيت وأوليائهم بل جدّ في النيل من العلويّة نسباً ومذهباً . واستقدم أبا الحسن الهاديّ عليه السلام من المدينة إلى سامراء في سنة ٢٣٦ ، وأبقاه في سامراء يتعاهده بالأذى والسوء كما يتعاهد المحبّ حبيبه بالتحف والطرف .

وقد وجد أعداء آل محمد انحراف المتوكل عنهم ذريعة للإساءة إلى أبي الحسن عليه السلام، فسعوا به إلى المتوكل، وأخبروه أنّ في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته. فوجه إليه ليلاً من هجم عليه الدار على غرّة، فوجدوه في بيت وحده، وعليه مدرعة من شعر، وعلى رأسه ملحفة من صوف ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى متوجّهاً إلى ربّه يترنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد. فأخذ على ما وُجد وحمل إلى المتوكل.<sup>١</sup>

وما كان ذلك بأوّل سعي ولا أوّل هجوم على داره من المتوكل. وكلمّا أغراه أولئك النواصب خفّ به بغضه إلى الإجابة لسعيهم، وإن وجد كذب ما قالوه.

فكان المتوكل دائماً على ذلك الأذى، وتلك الإساءة لأبي الحسن من دون رحمة ولا هوادة، إلى أن قتله ابنه المنتصر انتقاماً لأمير المؤمنين عليه السلام لما شاهده منه ومن الفتح بن خاقان وجلسائه من المس بكرامة المرتضى عليه السلام والاستخفاف بحرّمته.

وما زال الهاديّ عليه السلام مقيماً في سامراء إلى أن مات مسموماً بها بسمّ المعتزّ العباسي سنة ٢٥٤. فكانت مدّة إقامته فيها ثمان عشرة سنة يتجرّع غصص الآلام من بني العباس، من ملكٍ لآخر. وكان أكثر أيّامه سجين الدار لا يصل إليه شيعته إلا اختلاساً على كثرة الشيعة في هذا العهد، وكثرة احتياجهم إلى رؤية الإمام وأخذ معالم الدين عنه. وكان جلّ استفاداتهم منه بتوسط رجال معدودين من قوّامه يترددون عليه. وربّما قصدوا الشيعة في بلادهم.

١- انظر: «تاريخ أبي الفداء» ٣: ٤٧؛ و«مروج الذهب» ٢: ٢٦٥.

وفي هذا العصر كان صوت التشيع جهوريًّا ، وعلماؤه تناضل وتناظر .  
وكثر التآليف في كلِّ علم ، واتسعت في الأخلاق والكلام خاصَّة .

## مسار العلوم وتاريخ الشيعة في عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام<sup>١</sup>

جاء الحسن العسكري عليه السلام من المدينة مع أبيه الهادي عليه السلام يوم استقدمه المتوكل . ومازال مع أبيه إلى أن التحق أبوه بالرفيق الأعلى . ويبقى هو مدَّة إمامته القصيرة في سامراء . وقضى أيام حياته التي في سامراء في نكد وأذى ، فكان شريك أبيه الهادي فيما أصابه . وانفرد بعد أبيه فيما قصده به العباسيون من سوء . وكان حالهم معه من الإساءة والغضب من مقامه والتضييق عليه والسجن كحالهم مع أبيه ، دون أن يلاقي منهم فسحة أو إرفاقاً .

والشيعة في أيامه كحالها مع أبيه . وأصبحت قم في عهده وعهد أبيه من قبل عاصمة كبرى من عواصم العلم الشيعية . وفيها من رواتهما ما لا عدَّ له ، ومن المؤلفين في الحديث وفنون العلم جمٌّ غفير .

وكان في سامراء وماجاورها من الشيعة عدد لا يستهان به . وفي بغداد خلق كثير . وكانت المدائن يومئذٍ عامرة ، وللتشيع فيها القُدْحُ المُعلَّى<sup>٢</sup> . ومازالت المواصلات بينهم وبين الإمام متواليَّة . ولعلَّ سلمان

١- ولد في ربيع الثاني سنة ٢٣١ ، أو ٢٣٢ ، وقُبِض في سامراء لثمان خلون من ربيع الأول على الأشهر سنة ٢٦٠ ، ودُفِن مع أبيه في دارهما . فكانت أيام إمامته ستَّ سنين ، وعمره ٢٨ أو ٢٩ سنة . فهو أصغر الأئمَّة بعد الجواد عمراً .

٢- القُدْح بكسر القاف وسكون الدال السهم قبل أن يُنصل ويراش . ويقال لسهم الميسر (القمار) قِدْح أيضاً . والمُعلَّى سابع سهام الميسر ومداه أبعد من سائر السهام . وكان



الفارسيّ! أوّل من وضع فيها حجر التشيع . وبنى عليه حذيفة بن اليمان .  
ولا تسلم عن الكوفة في ذلك اليوم ، بل وفيما قبله وما بعده ، فإنّها من  
أكبر مدن الشيعة في الولاء ... وما زال العبّاسيّون على حالهم مع الإمام  
العسكريّ عليه السلام إلى أن اغتاله المعتمد العبّاسيّ بالسمّ . وما زال الشيعة  
على ذلك الشأن إلى أن قبض الإمام عليه السلام .

### مسار العلوم وتأريخ الشيعة

#### في عصر الإمام المهديّ عليه السلام

كان مولد الإمام المهديّ عجلّ الله فرجه يوم الجمعة في النصف من  
شعبان سنة ٢٥٥<sup>١</sup> وكان الإمام العسكريّ عليه السلام يخاف عليه ويحتفظ

ضرب من الميسر في الجاهليّة يقال له : الأزلام . وهو أنّهم كانوا يشترون البعير بثمنه  
ويقامرون عليه، حيث كان يجتمع منهم ثمانية، ويضعون ثماني قداح في خريطه ويكتبون  
على واحد منها «سهم واحد»، وعلى الآخر «سهمان» وهكذا حتّى يكتبوا على السهم السابع  
«سبعة أسهم» . ولكلّ منها اسم خاصّ به، مثلاً اسم السهم السابع المعلّى . ويكتبون على  
السهم الثامن : «بلا سهم» . ثمّ يقسّمون العبير إلى ٢٨ سهماً، أي : إلى سبعة أسهم، وستّة،  
وخمسة، حتّى سهم واحد فيصبح المجموع ٢٨ سهماً . فيأتي المقامرون الثمانية إلى  
الخريطة ، ويستخرجون القداح، فالمكتوب عليها عدد واحد يأخذ سهماً واحداً،  
والمكتوب عليها اثنان يأخذ سهمين . وهكذا فالذي يأخذ العدد (٧) يأخذ سبعة أسهم من  
البعير، وهي الحصّة الأكبر من بين الحصص . أمّا الذي يرفع القدح المكتوب عليها «بلا سهم»  
فيخسر في هذا القمار، وما عليه إلا أن يدفع ثمن البعير كلّهُ . وفي هذا الضرب من القمار يفوز  
سبعة بأسهم متفاوتة، ويخسر واحد منهم . ولما كانت أعلى حصّة للهسم السابع، لهذا يُعبّر  
عنه القُدْحُ المُعلّى . ويستعمل عند العرب لصاحب النصيب الأعظم. ويقول المرحوم المظفر  
في هذه العبارة : القسط الأتمّ والأكمل في التشيع كان من نصيب أهل المدائن تربّوا على يد  
سلمان الفارسيّ وحذيفة بن اليمان .  
١- ذكر ولادته عدّة من أهل السنّة . انظر : ابن خلّكان في ترجمته؛ وابن حجر في

به ، ولا يسمح لكل أحد بمشاهدته . وما رآه أيام أبيه إلا النزر من الشيعة . وكيف لا يهتمه المحافظة عليه وهو آخرهم ، وبه إحياء الشيعة ، وبه يَمَلَأُ اللهُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلًا؟! وكيف لا يخشى عليه وبنو العباس يرتقبون ولادته ليقضوا عليه؟! فكانت غيبته الصغرى من يوم مولده . وهذا لا يختلف فيه اثنان من الشيعة . وأشار إليه بعض أهل السنة أيضاً مثل ابن الصبّاغ المالكي في كتابه «الفصول المهمة» ، في الفصل الحادي عشر في أخباريات ترجمة الإمام العسكري عليه السلام .

قال : «وخلف أبو محمّد الحسن من الولد ابنه الحجّة القائم المنتظر لدولة الحق . وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت ، وخوف السلطان ، وتطلّبه للشيعة وحبسهم والقبض عليهم» .

ولمّا قضى أبو محمّد الحسن عليه السلام ، جدّ المعتمد العباسي في العثور على الإمام المهدي ، حتّى حبس جوارى العسكري ، وجعل عليهنّ الرصد خشية أن يكون عند إحداهنّ حمل من الإمام ، فأخفاه الله عنه وعن أعدائه ليوم يريد به أن يطهر الأرض من الجور والطغيان والشرك ،

«الصواعق» ص ١٠٠ و ١١٤؛ ومحمّد بن طلحة الشافعي في «مطالب السئو» ص ٨٩، طبعة إيران؛ و«ينابيع المودّة»؛ و«الفصول المهمة» لابن الصبّاغ المالكي في الفصل الثاني عشر؛ و«كفاية الطالب» لمحمّد بن يوسف الكنجي الشافعي؛ و«البيان في أخبار صاحب الزمان» لمحمّد المذكور؛ و«تذكرة الخواص» لسبط بن جوزي، ص ٢٠٤؛ و«اليواقيت» لعبد الوهاب الشعرائي، في المبحث الخامس والسّتين، وكتابه بمنزلة الشرح ل «الفتوحات المكيّة» لمحيي الدين بن عربي؛ و«سبائك الذهب» للسويديّ البغداديّ، ص ٧٦؛ و«عمدة الطالب» ص ١٨٦؛ وابن الأثير، ج ٧، ص ٩٠؛ و«تاريخ أبي الفداء» ج ٢، ص ٥٢، إلى كثير سواهم . وقد ذكر العلامة المبرور الشيخ الميرزا حسين النوري في كتابه «كشف الأستار» كثيراً من أهل السنة ممّن ذكر ولادته وحياته ووجوده . ونقل عن بعضهم أنّه اجتمع به وروى عنه .

ويستبدل عنها العدل والأمن والإيمان .

وبعد أبيه العسكريّ عليهما السلام جعل بينه وبين الشيعة سفراء أربعة ، وهم عثمان بن سعيد العمريّ ، وكان من وكلاء جدّه وأبيه ؛ وابنه محمّد بن عثمان ، وكان من وكلاء أبيه أيضاً ؛ والحسين بن روح النوبختيّ ؛ وعليّ بن محمّد السمرّيّ .<sup>١</sup>

وتتنقل السفارة لأحدهم بعد موت الآخر . فكانت لمحمّد بعد أبيه ، ثمّ للحسين بعد محمّد ، ثمّ لعلّيّ السمرّيّ بعد الحسين . وبعد موت السمرّيّ سنة ٣٢٩ انقطعت السفارة . وكان مسكنهم جميعاً ببغداد ، وبها مواضع قبورهم . وهي اليوم معروفة وتُزار .

وكان هؤلاء السفراء وسطاء بين الشيعة والإمام لحمل أسئلتهم إليه وأخذ الجواب منه بتوقيعه إليهم . والسفير هو أستاذ التدريس في وقته ، يحمل إلى وِزاد العلم علوم الإمام الغائب . ومن بعدهم انقطع الوصول إليه والأخذ عنه رأساً ، وانحصر أخذ الأحكام بالاجتهاد .

وكان للإمام عليه السلام في هذه الغيبة الصغرى وكلاء كثيرون في بغداد وغيرها ، غير أنّ السفارة مختصةً بهؤلاء الأربعة المعروفين بالتُّواب .

<sup>١</sup> - كان عثمان بن سعيد من قوام العسكريين ووكلائهما . ويلقب بالسَّمَان كما يلقّب بالعمريّ . وخرج التوقيع من الحجّة بسفارته ولم تطل أيامه . ثمّ خرج التوقيع بسفارة ابنه محمّد ، وكان من قبله وكيلاً لأبي محمّد العسكريّ . وكانت وفاته في آخر جمادى الأولى سنة ٣٠٤ أو ٣٠٥ . ثمّ خرج التوقيع أيام حياة محمّد بسفارة الحسين من بعده ، وهو من بني نوبخت . وكانت وفاته في شعبان سنة ٣٢٦ . وفي أيام الحسين خرج التوقيع بسفارة السمرّيّ من بعده . ولمّا توفّي السمرّيّ سنة ٣٢٩ لم يخرج التوقيع بسفارة أحد . بل ذكر الشيخ في كتاب «الغيبة» ص ٢٥٧ أنّ توقيعاً خرج على يد السمرّيّ يعزّي فيه الشيعة بموته ، ويذكر فيه انقطاع السفارة بسعده ووقوع الغيبة الكبرى .

كما ادعى جماعة الوكالة والنيابة عنه جاء التوقيع منه بتكذيبهم والبراءة منهم . (انظر : «الغيبة» للشيخ الطوسي ، ص ٢٨٥ إلى ٢٧٢) .  
وفي أيام الغيبة الصغرى كان التشيع كنور على علم ، لاسيما في العراق وإيران . وكانت بغداد وقم مهبط طلاب العلم ، وفيهما أساتذة الدراسة ورجال التأليف .

### مسار العلوم وتأريخ الشيعة في الغيبة الكبرى

انتهت الغيبة الصغرى بموت السمرى رضوان الله عليه سنة ٣٢٩ .  
وبعدها وقعت الغيبة الكبرى ، وعنها يخرج عجل الله فرجه وسهل مخرجه . والفارق بين الغيبتين أنّ الصغرى توفّق لمشاهدته والاجتماع به خواصّ مواليه . وفي هذه الكبرى التي نحن فيها لا يتوفّق لذلك إلا خواصّ الخواصّ .

وَفَقْنَا اللَّهَ تَعَالَى لِمُشَاهَدَةِ تِلْكَ الطَّلَعَةِ الرَّشِيدَةِ ، وَالْغُرَّةِ الْحَمِيدَةِ ،  
وَجَعَلْنَا مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ فِي وَعِنْدَ ظُهُورِهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ .<sup>١</sup>

١- «تاريخ الشيعة» لأية الشيخ محمد حسين المظفر، ص ٤٢ إلى ٦٦ .



الَّذِينَ أَحَادِيثُ الزُّبُرِ بَعْدَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَامِسِينَ وَالْحَمْسِينَ بَعْدَ الْاِثْنَيْنِ

مَدْرَسَةُ الْاِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَلِيَّةِ  
مُصَدِّرُ اشْعَابِ رَايِمِ عَلِي الْمَعْمُورَةِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين  
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين  
ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :  
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ  
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ  
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ<sup>١</sup>.

قال سماحة أستاذنا الأعظم آية الله العلامة السيّد محمّد حسين  
الطباطبائيّ تغمّده الله أعلى درجات جنانه في تفسيره المبارك : والذي  
يعطيه التدبّر في الآيات أنّ المراد بالكلمة الطيّبة التي شُبّهت بشجرة طيّبة  
من صفتها كذا وكذا هو الاعتقاد الحقّ الثابت ، فإنّه تعالى يقول بعد وهو  
كالنتيجة المأخوذة من التمثيل :

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ  
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ<sup>٢</sup>. والقول هو الكلمة ولاكل  
كلمة بما هي لفظ ، بل بما هي معتمدة على اعتقاد وعزم يستقيم عليه

١- الآيتان ٢٤ و ٢٥ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٢- الآية ٢٧ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .



الإنسان ولا يزيغ عنه عملاً .

وقد تعرّض تعالى لما يقرب من هذا المعنى في مواضع من كلامه كقوله : إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ<sup>١</sup>.

وقوله : إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ<sup>٢</sup>. وقوله إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ<sup>٣</sup>.

وهذا القول والكلمة الطيبة هو الذي يرتب تعالى عليه تشبته في الدنيا والآخرة أهله ، وهم الذين آمنوا . ثم يقابله بإضلال الظالمين ويقابله بوجه آخر بشأن المشركين . وبهذا يظهر أنّ المراد بالممثل هو كلمة التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله حقّ شهادته .

فالقول بالوحدانية والاستقامة عليه هو حقّ القول الذي له أصل ثابت محفوظ عن كلّ تغيير وزوال وبطلان ، وهو الله عزّ اسمه أو أرض الحقائق . وله فروع نشأت ونمت من غير عائق يعوقه عن ذلك من عقائد حقّه فرعية وأخلاق زاكية وأعمال صالحة يحيى بها المؤمن حياته الطيبة ويعمر بها العالم الإنسانيّ حقّ عمارته . وهي التي تلائم سير النظام الكونيّ الذي أدى إلى ظهور الإنسان بوجوده المفطور على الاعتقاد الحقّ والعمل الصالح .

والكَمَل من المؤمنين وهم الذين قالوا : ربّنا الله ثمّ استقاموا فتحققوا بهذا القول الثابت والكلمة الطيبة مثلهم كمثل قولهم الذي ثبتوا لا يزال

١- الآية ١٣ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

٢- الآية ٣٠ ، من السورة ٤١ : حم السجدة .

٣- الآية ١٠ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

الناس منتفعين بخيرات وجودهم ومنعمين ببركاتهم . وكذلك كل كلمة حقة وكل عمل صالح مثله هذا المثل ، له أصل ثابت وفروع رشيدة وثمرات طيبة مفيدة نافعة .

فالمثل المذكور في الآية يجري في الجميع كما يؤيده التعبير بكلمة طيبة بلفظ النكرة ، غير أن المراد في الآية على ما يعطيه السياق هو أصل التوحيد الذي يتفرع عليه سائر الاعتقادات الحقة ، وينمو عليه الأخلاق الزاكية وتنشأ منه الأعمال الصالحة .

ثم ختم الله سبحانه الآية بقوله : وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، ليتذكّر به المتذكّر أن لا محيص لمريد السعادة عن التحقق بكلمة التوحيد والاستقامة عليها .<sup>١</sup>

وقال سماحة العلامة فيما قاله في البحث الروائي : وفي «الكافي» بإسناده عن عمرو بن حريث قال : سألتُ أبا عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام عن قول الله : كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، قال : فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَصْلُهَا ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَرْعُهَا ، وَالْأئِمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا أَغْصَانُهَا ، وَعِلْمُ الْأئِمَّةِ ثَمَرَتُهَا ، وَشِيعَتُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَرَقَّتُهَا . هَلْ فِي هَذَا فَضْلٌ !؟

قال : قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ! قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُولَدُ فَتَوْرَقُ وَرَقَّةٌ فِيهَا ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَمُوتُ فَتَسْقُطُ وَرَقَّةٌ مِنْهَا .

قال سماحة العلامّة : أقول : والرواية مبنية على كون المراد بالكلمة الطيبة هو النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وقد أُطلقت الكلمة في كلامه على

١- «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٢ ، ص ٤٩ إلى ٥١ .

الإنسان كقوله: بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ<sup>١</sup>.  
ومع ذلك فالرواية من باب التطبيق (لا من باب تعيين مورد خاص).  
ومن الدليل عليه اختلاف الروايات في كيفية التطبيق. ففي بعضها أنّ  
الأصل رسول الله صلى الله عليه وآله والفرع عليّ عليه السلام والأغصان  
الأئمة عليهم السلام، والثمرة علمهم، والورق الشيعة، كما في هذه  
الرواية.

وفي بعضها: إِنَّ الشَّجَرَةَ رَسُولُ اللَّهِ، وَفَرْعَهَا عَلِيٌّ، وَالْغُصْنُ فَاطِمَةٌ،  
وَتَمْرُهَا أَوْلَادُهَا، وَوَرَقُهَا شِيعَتُنَا، كما فيما رواه الصدوق عن جابر، عن أبي  
جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام.

وفي بعضها: إِنَّ النَّبِيَّ وَالْأئِمَّةَ هُمُ الْأَصْلُ الثَّابِتُ، وَالْفَرْعُ الْوَلَايَةُ  
لِمَنْ دَخَلَ فِيهَا، كما في «الكافي» بإسناده عن محمد الحلبي، عن أبي  
عبد الله عليه السلام.

وفي «مجمع البيان» روى أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام إنّ  
هَذَا - يعني قوله: كَشَجَرَةٍ حَبِيبَةٍ... إلى آخره، مثل بني أمية.

وفي «تفسير العياشي» عن عبد الرحمن بن سالم الأشلّ، عن أبيه،  
عن أبي عبد الله عليه السلام: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ -  
الآيتين، قال: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،  
وَلِمَنْ عَادَاهُمْ هُوَ مَثَلٌ كَلِمَةٍ حَبِيبَةٍ كَشَجَرَةٍ حَبِيبَةٍ اجْتُنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ  
مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ.

قال سماحة العلامة هنا: أَقُولُ: قال الألوسيّ في تفسير «روح  
المعاني» ما لفظه: وروى الإمامية - وأنت تعرف حالهم - عن أبي جعفر

١- الآية ٤٥، من السورة ٣: آل عمران.

رضي الله عنه تفسيرها - يعني الشجرة الخبيثة - بني أمية ، وتفسير الشجرة الطيبة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ كرم الله وجهه وفاطمة رضي الله عنها وما تولّد منهما .

وفي بعض روايات أهل السنة ما يعكّر على تفسير الشجرة الخبيثة بني أمية ، فقد أخرج ابن مردويه عن عديّ بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَلَبَ الْعِبَادَ ظَهْرًا وَبَطْنًا ، فَكَانَ خَيْرَ عِبَادِهِ الْعَرَبَ ، وَقَلَبَ الْعَرَبَ ظَهْرًا وَبَطْنًا فَكَانَ خَيْرَ الْعَرَبِ قُرَيْشًا ، وَهِيَ الشَّجَرَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : «مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ» . لِأَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ» - انتهى . موضع الحاجة .

وهو عجيب ، فإنّ كون أمة أو طائفة مباركة بحسب طبعهم لا يوجب كون جميع الشعب المنشعبة منها كذلك . فالرواية على تقدير تسليمها لا تدلّ إلا على أنّ قريشاً شجرة مباركة . وأما أنّ جميع الشعب المنشعبة منها مباركة طيبة كبني عبد الدار مثلاً ، أو كون كلّ فرد منهم كذلك كأبي جهل وأبي لهب فلا قطعاً . فأبي ملازمة بين كون شجرة بحسب أصلها مباركة طيبة ، وبين كون بعض فروعها التي انفصلت منها ونمت نماءً فاسداً ، مباركة طيبة !؟

وقد روى ابن مردويه هذا عن عائشة أنّها قالت لمروان بن الحكم : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ لِأَبِيكَ وَجَدَّكَ : إِنَّكُمْ الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ !

وروى أصحاب التفاسير كالطبري وغيره عن سهل بن سعد ، وعبد الله بن عمر ، ويعلى بن مرّة ، والحسين بن عليّ ، وسعيد بن المسيّب أنّهم الذين نزل فيهم قوله تعالى : وَمَا جَعَلْنَا الرَّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً

لِنَاسٍ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ - الآية ١، ولفظ سعد: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله بنى فلان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكاً حتى مات، وأنزل الله: وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا - الآية .

وستأتي الرواية عن عمرو بن عليّ في تفسير قوله: «الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا»<sup>٢</sup> إِنْهَذَا الْأَفْجَرَانِ مِنْ قُرَيْشٍ: بَنُو الْمُغِيْرَةَ وَبَنُو أُمَيَّةِ .<sup>٤</sup> أجل، يتبين ممّا ذكرناه ما يأتي: أولاً: لا تنحصر كلمات الله تعالى بالكلمات اللفظية، بل إنّ جميع الموجودات الكونية هي كلماته. إذ إنّ الكلمة تعني ما يُعْرَبُ عن الضمير. فكافة المخلوقات في عالم التكوين لمّا كانت مرتبطة بالله سبحانه ومنوطة به - بل هي عين الارتباط والإناطة - فهي تعتبر بوجوداتها عن جماله وجلاله. وكلّها معلّم كاشف عن حقيقة الوجود. ويُعدُّ كلُّ منها بقدر سعته الوجودية آيةً ومرآة وكلمة من كلماته.

ثانياً: تنقسم كلمات الله التكوينية إلى قسمين هما: الكلمات الحسنة الطيبة، والكلمات السيئة الخبيثة. فالموجودات الشريفة في العالم هي كلماته الطيبة. أمّا الموجودات الضارة المفسدة، فهي كلماته الخبيثة. ثالثاً: أنّ أسمى الكلمات اللفظية الطيبة هي الشهادة بحق التوحيد، وحقيقة لا إله إلاّ الله. وأنّ أدنى الكلمات اللفظية الخبيثة وأشدّها هي إظهار الكفر والشرك بالمعبود، وإنكار الحقائق في عالم الوجود. وأنّ أسمى الكلمات التكوينية الطيبة وأرفعها هي حقيقة وجود ولاية الإنسان

١- الآية ٦٠، من السورة ١٧: الإسراء.

٢- الآية ٢٨، من السورة ١٤: إبراهيم.

٣- «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٢، ص ٦٢ إلى ٦٤.

٤- «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٢، ص ٦٢ إلى ٦٤.

وعروجه إلى درجات القرب ، واشتماله على الأسماء والصفات الإلهية ، والاندكاك والفناء في الذات الأحديّة . وذلك أرقى مقام الإمكان . ووصول الممكن إلى هذا المكان هو أحلى ثمار شجرة الوجود وألذّها . وهو عبارة عن مقام الإنسان الكامل ، وحقيقة وسرّ الأنبياء العظام ، والأولياء الكرام ، والذوات المقدّسة للأئمة المعصومين عليهم أفضل التحية والسلام . وأنّ أخبث الكلمات التكوينية الخبيثة هي حقيقة نهج الإنسان الناكب عن صراط الحقّ وسلوكه وأخلاقه وعقائده ، فقد أفسد ثمرة الشجرة ، وأضاع منهجه ، وألقى نفسه في حضيض الهوى ، فأصبح بذلك كائناً نتنأ . والعينة الماثلة لهذا الضرب من البشر هم الملحدون والمعاندون والمنافقون الذين لا يصنعون إلى القول السديد الصائب ، ويمضون أعمارهم في لاجاجة أنفسهم وعُتوّ أفكارهم .

رابعاً : حقّ الكلمة الطيبة وجود الإنسان المون المتّصل بالله ومعناه وسرّه . والعقائد الحسنة والصفات الحميدة والأخلاق والأعمال الرغيبية هي كلمات طيبة أيضاً ، وهي من آثاره الوجوديّة . ومن منظارٍ ما ، يمكن أن نسميها كلّها كلمات طيّبات إجمالاً . وعلى العكس فإنّ حقّ الكلمة الخبيثة وجود الإنسان الكافر الجاحد المنافق العنود ومعناه وسرّه . والعقائد السيّئة والصفات الذميمة والأخلاق والأعمال غير الرغيبية هي أيضاً كلمات خبيثة من آثاره . ومن منظور ما ، جاز لنا أن نطلق عليها جميعاً كلمات خبيثات . هذه رموز وإشارات يتسنّى لنا أن نستنتجها من مدلول الآية المباركة ، ونستفيد منها .

ونلاحظ في نظرةٍ أخرى أنّ هذه الموجودات الذاتية والكلمات الإلهية قد عبّر عنها بالكتاب . وكأنّ العوالم بأسرها هي كتاب الحقّ المتعال الذي كتبه بيد القدرة والعظمة . ونجد هذا التعبير في مواضع عديدة من القرآن

الكريم ، إذ أُطلق عنوان الكتاب على الموجودات التكوينية .  
ومن الطبيعي أن هناك فرقا بين التعبير عن الموجودات الإلهية  
بالكلمة ، والتعبير عنها بالكتاب . وهو أن لكل موجود وجهتين : وجهة  
حقيقية ووجهة خلقية ، وبعبارة أخرى ، وجهة ربّية ووجهة عبدية ، وبعبارة  
مستعاضة ، وجهة أمرية وعالم أمرية ووجهة عالم خلقية ، وبكلمة بديلة ،  
وجهة ملكوتية ووجهة ملكية ، وبعبارة أخرى ، من جهة صدوره وقيامه  
بذات المبدأ المتعال ، ومن جهة قبوله .

فُتطلق الكلمة على الموجودات التكوينية من الجهة الأولى ، ويُطلق  
الكتاب عليها من الجهة الثانية . لأنّ الأوّل من جهة القيام والصدور ، أي :  
مَعْلَم على المبدأ المتعال بواسطة وجوده ، والثاني : القابلية من جهة الفيض ،  
والكثرة الماهوية ، والبروز والظهور في العالم الخارجي .

وشرح المرحوم آية الله الشيخ محمّد حسين الإصفهاني الغروي  
ذلك في منظومته التي أنشدها في الحكمة والمعقول ، فقال :

بَيْنَ الْكَلَامِ مِنْهُ وَالْكِتَابِ	فَرَّقَ لَدَى الْعَارِفِ بِاللُّبَابِ
فَكُلُّ مَوْجُودٍ مِنَ الْكَلَامِ	مِنْ جِهَةِ الصُّدُورِ وَالْقِيَامِ
وَالْكُلُّ مِنْ حَيْثِيَّةِ الْقَبُولِ	كِتَابُهُ عِنْدَ أَوْلَى الْعُقُولِ
وَبِاعْتِبَارِ عَالَمِ الْأَمْرِ فَقَطْ	كَلَامُهُ فَإِنَّهُ بِأَسْوَطِ
وَعَالَمِ الْخَلْقِ كِتَابٌ مَحْضٌ	وَالْجَمْعُ فِي ذِي الْجِهَتَيْنِ فَرَضٌ
وَلِلْكَلامِ بِاعْتِبَارِ الْجَمْعِ	وَالْفَرَقِ أَوْضَافَانِ بَغَيْرِ مَنَعِ
فَبِاعْتِبَارِ الْجَمْعِ بِالْقُرْآنِ	يُدْعَى كَمَا فِي الْفَرَقِ بِالْفُرْقَانِ

١- نظير الملكة والعلوم والصور والمعاني النازلة عن المَلَكَةِ.

وُجُودُهُ الْجَمْعِيُّ فِي أَعْلَى الْقَلَمِ ١ فِيهِ أَنْطَوَى كُلُّ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ ٢  
 وَجُودُهُ الْفَرْقِيُّ وَالتَّفْصِيلِيُّ ٣ فِي غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْعُقُولِ  
 وَإِنَّ فِي دَائِرَةِ الْوُجُودِ ٤ قَوْسَيْنِ لِلنُّزُولِ ٥ وَالصُّعُودِ ٦  
 وَبِالنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَالْآلِ قَدْ خُتِمَتْ دَائِرَةُ الْكَمَالِ  
 وَأَوَّلُ ٧ الْمَرَاتِبِ الْعَقْلِيَّةِ هِيَ ٨ الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ٩  
 فَمَا وَعَاهُ قَلْبُهُ مِمَّا وَعَى يَكُونُ قُرْآنًا وَفُرْقَانًا مَعًا  
 وَغَيْرُهُ لَيْسَ عَلَى هَذَا النَّمَطِ بَلْ كُلُّ مَا أُوتِيَ فُرْقَانٌ فَقَطْ  
 وَإِلْخْتِصَاصِهِ بِهِ كَمَا عَلِمَ يَقُولُ: أُوتِيَتْ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ١٠

تبيّن ممّا قلناه أنّ حقيقة ذات الرسول الأكرم وآله تشتمل على الكلمِ  
 الجَمْعِيِّ والفَرْقِيِّ ، أي : الوجود الجمعيّ في أعلى القلم ، وهناك تنطوي  
 جميع العلوم والحكم ، وليس لسائر الأنبياء والمرسلين هذه المرتبة من

١- الذي خلع على الموجودات لباس الكثرة.

٢- وذلك مختصّ بالعقل الكامل.

٣- النازل من مقام الجمع والانطواء.

٤- من صدور الفيض ونزول الخلق، ومعاد السير والصعود إلى المبدأ الأول.

٥- الذي ينزل من الأعلى إلى الأسفل.

٦- الذي يرفع من الأسفل إلى الأعلى.

٧- ولأنّ قوسي النزول والصعود يجب أن يكملا ليصبحا في هيئة دائرة تامة يتحقّق فيها الكمال دون أن تبقى ذرّة خلال مسار هذه الدائرة، فينبغي حتماً أن...

٨- تكون في قوسي النزول والصعود مسبّبة عن النبي وآله الذي اكتملت لديهم دائرة الكمال.

٩- حقيقة محمّد وآله.

١٠- «تحفة الحكيم» (منظومة في الحكمة والمعقول) ص ٨٣ و ٨٤، طبعة النجف

الأشرف، سنة ١٣٧٨.



الوجود ، ولم يبلغوا هذه الدرجة من الكمال ، بل إن علومهم علوم كليته في عالم الفرق ، حيث أصاب كل منهم حظاً من تلك العلوم تبعاً لاختلاف مراتبهم ودرجاتهم<sup>١</sup>.

وفي ضوء ما قال محيي الدين بن عربي فإن مقام الرسول الأكرم نُقْطَةُ الْوَحْدَةِ بَيْنَ قَوْسِي الْأَحَدِيَّةِ وَالْوَحْدِيَّةِ ، ونلاحظ ذلك في كلامه الآتي :

اللَّهُمَّ أَفْضُ صَلَاةٍ صَلَوَاتِكَ وَسَلَامَةٍ تَسْلِيمَاتِكَ عَلَى أَوَّلِ التَّعَيِّنَاتِ الْمُقَاضِيَةِ مِنَ الْعَمَاءِ الرَّبَّانِيِّ ، وَأَخْرِ التَّنَزُّلَاتِ الْمُضَافَةِ إِلَى النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ ، الْمُهَاجِرِ مِنْ مَكَّةَ - كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ - ثَانِي إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ - .

مُحْيِي عَوَالِمِ الْحَضْرَاتِ الْخَمْسِ فِي وُجُودِهِ ، «وَكُلُّ شَيْءٍ

١- قال محيي الدين بن عربي في كتاب «الفتوحات المكيّة» ج ١ ، ص ١٣٧ : في الحديث المروي عن رسول الله : إن الله يقول : لولاك يا محمداً خلقتُ سماءً ولا أرضاً ولا جنّةً ولا ناراً . وذكر خلق كل ما سوى الله .

وقال في ج ١ ، ص ١٤٤ : فقد علمت هذه الأمة علم من تقدم واختصت بعلوم لم تكن للمتقدمين ، ولهذا أشار صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : «فعلمت علم الأولين» وهم الذين تقدموه . ثم قال : «والآخرين» وهو ما لم يكن عند المتقدمين . وهو ما تعلمه أمته من بعده إلى يوم القيامة . فقد أخبر : أن عندنا علوماً لم تكن قبل . فهذه شهادة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادق بذلك . فقد ثبت له صلى الله عليه وآله وسلم السيادة في العلم في الدنيا وثبتت له أيضاً السيادة في الحكم حيث قال : لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني ، ويبين ذلك عند نزول عيسى عليه السلام وحكمه فينا بالقرآن فصحت له السيادة في الدنيا بكل وجه ومعنى ، ثم أثبت السيادة له على سائر الناس يوم القيامة بفتحته باب الشفاعة ولا يكون ذلك لنبي يوم القيامة إلا له صلى الله عليه وآله - انتهى كلام محيي الدين .

أقول : نقل العلامة الأميني رحمه الله روايات في «الغدير» ج ٧ ، ص ٣٨ و ٣٩ ، في سياق ترجمة الحافظ رجب الرسي . حول مفاد : لولا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لما خلق الله جنّةً ولا ناراً ولا سماءً ولا أرضاً ولا سائر الموجودات .

أَخَصَيْنَهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ<sup>١</sup>.  
رَاحِمٍ سَائِلٍ اسْتَعْدَادَتِهَا بِنْدَى جُودِهِ، «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً  
لِّلْعَالَمِينَ»<sup>٢</sup>.

سِرُّ الْهُوِيَّةِ الَّتِي هِيَ فِي كُلِّ شَيْءٍ سَارِيَّةٌ وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ مُّجَرَّدَةٌ.  
كَلِمَةُ الْإِسْمِ الْأَعْظَمِ الْجَامِعِ بَيْنَ الْعُبُودِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ.  
نُقْطَةُ الْوَحْدَةِ بَيْنَ قَوْسِي الْأَحَدِيَّةِ وَالْوَاحِدِيَّةِ<sup>٣</sup>. الجامعة لمقام التجرد  
من الهويات ، والشاملة لجميع الهويات .

أجل ، يستفاد من مجموع ما أوردناه أنّ رسول الله والأئمة الطاهرين  
عليهم الصلاة والسلام هم أعظم الأسماء الإلهية ، وهم أولو مقام جمع الجمع  
الحائزون على التجرد والانتشاء في الكثرة ، والجهة الأمرية والخلقية . ولما  
كانوا - حسب افرض - أول الاسم المشتق النازل من مرتبة الذات فلا بد أن  
تكون لهم هذه الخصائص ، على عكس سائر الأنبياء والمرسلين  
المستمتمين بجانب التفصيل وعالم الفرق ونشأة التعيين فحسب .

الرسول الأكرم وأهل البيت كلّهم هم الكلمة الإلهية الطيبة وكتاب  
تكوين الحق . وكلماتهم وعلومهم المترشحة منهم هي الكلمات اللفظية  
الطيبة ، ووجودهم وحقيقتهم هما الكلمات الكونية الطيبة .

ومن جهة عنوان القبول ، هم الكتاب الإلهي المبارك . كلامهم هو  
الكتاب اللفظي ، ووجودهم هو الكتاب الكوفي . وهو ذلك الكتاب العظيم

١- الآية ١٢ ، من السورة ٣٦ : يس .

٢- الآية ١٠٧ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٣- في مجموعة من الصلوات الخاصة لمحبي الدين غير الصلوات المشهورة .  
وأقتني أصل المجموعة في كُتَيْبٍ مَخْطُوطٍ بِخَطِّ النَّسْتَعْلِيقِ (وهو أحد أنواع الخطّ الفارسيّ)  
في غاية الحُسْنِ .

الخطير الشامل لجموع الجمع والفرق ، أي : القرآن والفرقان الإلهي .  
إنهم أصحاب قرآن بنحو الجمع أعطوه في لحظة واحدة ولية واحدة ،  
وأصحاب فرقان أيضاً نزل خلال ثلاث وعشرين سنة تدريجياً .

وفي هذا القرآن والفرقان الكتابين العظيمين المشتملين على مجمل  
الحق سبحانه وتفصيله نلحظ عنوان اللفظ ووجود المدخلية . فهم بعلومهم  
حائزون على القرآن العلمي من حيث المَلَكة وبساطة النفس ، وبوجودهم  
حائزون على القرآن التكويني من حيث الصورة الذهنية .

وهم بعلومهم أيضاً حائزون على الفرقان العلمي من حيث المَلَكة  
وبساطة النفس ، وبوجودهم حائزون على الفرقان التكويني من حيث  
الصورة الذهنية والمثال .

أجل ، إن عندهم كل شيء . «أنجه خوبان همه دارند تو تنها داری!»<sup>١</sup>  
ويتبين في هذا الكتاب المبارك ، الذي يتناول علوم الأئمة وعلوم  
شيعتهم ويتعرض لتقدمهم في جميع العلوم وتأسيسهم لها ، مدى كونه  
المكونات العلمية لأؤلئك السادة الكرام والموالي العظام ، وهو فوق فكر  
الإنسان وعقله ودرايته . وقد أفيض عليهم من أعلى نقطة القلم البسيط  
وأرفع ذروة العلم البحت .

وتحدثنا أخيراً بإجمال عن علوم الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم  
أجمعين وتأريخهم . واستعرضنا ذلك بنحو مقتضب اعتباراً من مولى  
المتقين وإمام الموحدين وأمير المؤمنين حتى الإمام السجاد زين العابدين ،  
ومن الإمام محمد الباقر حتى الإمام الحسن العسكري ، والمهدي قائم

١- وتعريبه: «حزت وحدك ما حازه الصالحون بأسرهم».

آل محمّد عليهم السلام .

يَبْدَ أَنَّهُ كَانَ مَنَاسِباً أَنْ نَتَوَسَّعَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ صَادِقِ آلِ مُحَمَّدٍ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جَمِيعاً ، إِذْ إِنَّ بَحْثَنَا يَحُومُ حَوْلَ مَوْضُوعِ الْعِلْمِ ، مَعَ اعْتِرَافِنَا وَإِقْرَارِنَا بِدَعْوَى أَنَّنَا هَيْهَاتَ أَنْ نَقْدِرَ عَلَى تَصْفِيدِ ذَلِكَ الْوُجُودِ الْمَلَكُوتِيِّ فِي قَالِبِ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ الْمَلَكِيَّةِ ! أَوْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَحِيطَ بِوُجُودِهِ الْأَمْرِيِّ وَالْخَلْقِيِّ بِأَفْكَارِنَا ! أَوْ نَدْنُو مِنْ أَقْرَبِ نَقْطَةٍ مِنْ نَقَاطِ تَحْلِيْقَةٍ وَعُرُوجِهِ ، عَلَى جَنَاحِ طَائِرِ الْغَيْرَةِ الْعِلْمِيَّةِ الطَّمُوحِ !

أَمَّا تَلَاخُظُونَ أَنَّنَا وَضَعْنَا لِهَذِهِ الدَّرُوسِ فِي هَذِهِ الْبَحُوثِ الشَّرِيفَةِ الْعِنْوَانَ الْآتِيَّ : « الْمَدْرَسَةُ الْعِلْمِيَّةُ الرَّفِيعَةُ لِلْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَصْدَرُ إِشْعَاعِ دَائِمٍ عَلَى رُبُوعِ الْمَعْوَرَةِ » ؟

وَلَكِنْ هَلْ بِمَقْدُورِ هَذَا الْعِنْوَانِ أَنْ يُعْطِيَ الْإِمَامَ حَقَّهُ كَمَا يَنْبَغِي ؟ !  
وَهَلْ نَسْتَطِيعُ وَحْدَنَا أَنْ نَضطلعَ بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ فِي هَذِهِ الْبَحُوثِ ؟ ! هَيْهَاتَ !  
هَيْهَاتَ !

هَلْ يُمْكِنُنَا أَنْ نَقُولَ : إِنَّ عُلُومَ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ عُلُومِ سَائِرِ الْأَنْمَةِ ؟ ! أَوْ أَبْداً ، وَحَاشَا ، وَكَلَّا . وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ الظُّرُوفُ الزَّمَنِيَّةُ وَالْإِمْكَانَاتُ الْكَثِيرَةُ الْمَتَاحَةَ تَسْتَلْزِمُ أَنْ يُظْهِرَ الْإِمَامُ عُلُومَهُ ، لِهَذَا كَانَتْ عُلُومُهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ .

أَوَّلًا : أَحَدُ الْعَوَامِلِ الْمَهْمَةِ طُولُ عَمْرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذْ كَانَ عَمْرُهُ ثَمَانِيًّا وَسِتِّينَ سَنَةً<sup>١</sup> . فَقَدْ وُلِدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَنَةَ ٨٠ هـ ،<sup>٢</sup> وَتَوَفَّى

١- جاء في بعض الآثار أنَّ عمره كان ٦٣ سنة اعتماداً على ما ذكره البعض أنه ولد سنة

بالمدينة سنة ١٤٨ هـ بسم المنصور الدوانيقي .

وهذا العمر المبارك يتيح الفرصة للإمام عليه السلام أكثر حتى يُدرّس ويُعلّم علومه الباطنيّة . وكانت له مجالس درس وتعليم في المدينة المنوّرة خلال ثلاثين سنة تامّة . ومن الواضح أنّ الفترة التي درّس فيها الإمام عليه السلام وتعلّم خلالها الناس كانت فترة طويلة . وأنت خبير بأنّ

٢- ذكر صاحب كتاب «مغز متفكر جهان شيعه» (= العقل المفكر للعالم الشيعي) ص ٢٠ و ٢١ ، حول ميلاد الإمام جعفر بن محمد بن عليّ الصادق عليهم السلام: أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قال: أحبّ أن أرى حفيدي، ولا أريد أن تخرجه من حجرة أمّه لبرودة الجوّ هذا اليوم وأخشى أن يصيبه البرد. ثمّ سأل زين العابدين عليه السلام القابلة: هل حفيدي جميل؟ فلم تجرو القابلة أن تقول: هو ضعيف نحيف، وقالت: عيناه الزرقاوان في غاية الحُسن. فقال عليه السلام: تُشبهان عينيّ أمّي رحمها الله. كانت عينا شهربانو ابنة يزدجرد الثالث وأمّ زين العابدين عليه السلام زرقاوين، فورث جعفر الصادق زرقه العينين من جدّة أبيه حسب قانون مندل. وثمّة رواية تُشعر بأنّ عينيّ «كيهان بانو» أخت «شهربانو» التي كانت من آل يزدجرد الثالث الذين أتى بهم من المدائن إلى المدينة سبانيا - كانتا زرقاوين أيضاً. ولو صحّت هذه الرواية فإنّ جعفر الصادق ورث زرقه العين من تينك الأميرتين الفارسيّين، إذ إنّ «كيهان بانو» ابنة يزدجرد الثالث كانت جدّة جعفر الصادق أيضاً لكنّها جدّة لأُمّه. وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يحمي أسرى العائلة الفارسيّة المالكة بالمدينة، وزوّج ولده الحسين بشهربانو، وزوّج ربيبه محمّد بن أبي بكر، الذي كان يبغّه كثيراً كأولاده، بكيهان بانو. وعندما تقلّد الخلافة، أعلى شأن محمّد بن أبي بكر حتّى ولّاه على مصر. وقُتل فيها باحتيال معاوية.

١- كان يوهان - غريغور - مندل قسّاً نمساوياً. ولد سنة ١٨٢٢ م ومات سنة ١٨٨٤ م. وهو الذي اكتشف قانون الوراثة، أي: قانون انتقال الصفات من جيل إلى جيل آخر في النباتات والكائنات الحيّة.

٢- تحدّث كورت فريشler الألمانيّ في كتاب «عائشة بعد از بيغمبر» (= عائشة بعد النبي) المطبوع على جدّة، عن قتل محمّد بن أبي بكر وأعضاء أسرته مفصلاً. وقد لاحظته القراء في مجلّة «خواندنيها».

الإمام عليه السلام لو لم يُستشهد في ذلك العمر ، وعمّر ثلاثين سنة أو تسعين أو أكثر . وواصل نهجه في التفسير والحديث والعلوم الغربية والأسرار الكونية والأحكام والسياسات والمعاملات والتأريخ والأخلاق والعرفان وغيرها ، فماذا كان سيحدث في العالم ؟! وكم كُنّا نرفل في علوم جمة قد حُرمنّا منها بسبب احترام عمره الشريف !

إنّ العلوم التي وصلت إلينا من الإمام محمّد الجواد عليه السلام قد انتهت بوفاته وهو في الخامسة والعشرين من العمر . فقد وُلد عليه السلام سنة ١٩٥ هـ ، واستشهد بسمّ المعتصم سنة ٢٢٠ هـ . فهل يتسنى له خلال هذا العمر القصير أن يدرّس الناس العلوم التي درّسها الإمام الصادق عليه السلام في غضون ثلاثين سنة أمضاها في التدريس فحسب ؟!

كما أنّ العلوم التي وصلت إلينا من الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد انتهت بوفاته عليه السلام وهو في الثامنة أو التاسعة والعشرين من العمر . فقد ولد سنة ٢٣١ أو ٢٣٢ ، واستشهد بسمّ المعتمد العباسي سنة ٢٦٠ هـ . فهل كان بمقدوره أن يعلم ويدرس خلال ٢٨ أو ٢٩ سنة عاشها من العمر ماتمّ تعليمه وتدرّسه خلال ٦٨ سنة ؟!

وكذلك فإنّ العلوم التي وصلت إلينا من الإمام عليّ الهادي عليه السلام قد انتهت بوفاته وهو في الأربعين أو الثانية والأربعين من العمر . فقد وُلد عليه السلام سنة ٢١٢ أو ٢١٤ ، واستشهد بسمّ المعتزّ العباسي سنة ٢٥٤ هـ . فهل توفي ٤٠ أو ٤٢ سنة بعمل ٦٨ سنة ؟!

كما أنّ العلوم التي وصلت إلينا من الإمام الرضا عليه السلام قد انتهت بوفاته وهو في الخمسين أو الخامسة والخمسين من العمر . فقد وُلد عليه السلام سنة ١٤٨ أو سنة ١٥٣ ، واستشهد بسمّ المأمون العباسي سنة ٢٠٣ هـ . وكذلك كان عمر الإمام محمّد الباقر عليه السلام ٥٧ سنة ، أو ٦٠ سنة ؛

وعمر الإمام زين العابدين عليه السلام ٥٧ سنة ؛ وعمر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام ٤٨ سنة ؛ وعمر الإمام الحسين عليه السلام ٥٧ سنة . وأطولهم عمراً ماعدا الإمام الصادق عليه السلام - هو النبي الأكرم وأمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام ، إذ عمر كلُّ منهما ٦٣ سنة .

يضاف إلى طول عمر الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، أن في السنين الأخيرة منه خاصية غير موجودة في السنين الأولى أو الواسطة منه . وهي أن السنين الأخيرة من عمر كل عالم محقق متتبع أكثر قيمة من السنين الأولى ، كما أنها أكثر ثماراً من حيث القدرة على العمل وقيمه . ذلك أتها سنون العطاء والمثر ورجوع الناس إليه واستفادتهم منه . وكل عالم خبير بصير قد صنف كتبه في أواخر عمره ، لا في أوائله ولا في أواسطه . وإذا عمّر الكتاب والمتتبعون ، فإن ، فإن دائرة كتاباتهم تتسع ، وحجم تأليفاتهم يزداد ، ونطاق تربيتهم للطلاب يكبر ويتسامى . مثلاً كان المجلسي والسيد هاشم بن سليمان البحراني والسيد ابن طاووس من المعمرين ، لذلك كانت كتاباتهم كثيرة . أما الشريف الرضي فلم يترك آثاراً جمّة تلك العلوم الواسعة ، ولو كان قد عمّر كثيراً لبلغت آثاره آثار أخيه الشريف المرتضى .

وقد تربّع الإمام جعفر الصادق عليه السلام على كرسي التدريس والتعليم ثلاثين سنة . أي : منذ الثامنة والثلاثين حتى الثامنة والستين من عمره . وفي تلك الفترة بالذات كان الناس يأتون من شتى الآفاق البعيدة ، ويحطون رحالهم في المدينة للتزوّد من دروس الإمام عليه السلام ، فذاع صيته . وماهي إلا السنون الأخيرة المباركة من العمر حيث تؤتي الشجرة المثمرة أكلها .

وثانياً : كانت حرّية القلم والتعبير عن الرأي ، وعدم التقية النسبية

من العوامل المهمة التي تركت بصماتها على تعاليم الإمام عليه السلام . أمّا في عصور الأئمّة الذين سبقوه أو جاؤوا بعده فقد كانت الحكومات متشدّدة إلى درجة أنّها صادرت كلّ ضرب من ضروب الحرّيّة . حتّى نلاحظ في عصر الإمام محمّد الباقر عليه السلام وجود ضغوط شديدة أيضاً ، ولم يبلغ الأب مع بسطته ما بلغه الابن في اتّساع نطاق التعليم .

وكان الشيعة في أغلب أوقات إمامة الصادق عليه السلام يتمتعون بحرّيّة أكثر نسبياً في نقل الحديث وسائر العلوم . ويعود هذا إلى سببين : الأوّل : ضعف الحكومات المروانيّة التي أشغلتها التناحر فيما بينها في مناطق شتّى ، فلم تجد فرصة كبيرة للتضييق على القطب الوحيد المناوئ لها ، وهم الشيعة .

الثاني : اشتباكات العباسيّين مع الأمويّين ، والحروب الطويلة التي دارت بينهما ، وانتصارهم عليهم ، ثم انشغالهم بتوطيد دعائم حكومتهم في نقاط مختلفة من العالم الإسلاميّ . لهذا لم يجدوا مجالاً للاشتباك مع العلويّين والشيعة الإماميّة . وهذان السببان هما اللذان ساعدا الإمام الصادق عليه السلام على بثّ العلوم المختلفة غير المنشورة وشرحها وتفسيرها وتأويلها ببالٍ رخيٍّ ، وعلى إتحاق تلاميذه وغيرهم بمطالب بسيطة ومجرّدة ، وإغناء طلاب العلم وأوليّ الفهم والكياسة والدراية بُدْرٍ ثمينة نفيسة يتيّمد لم يظفر بها أحد .

من هنا قال البعض : هذا هو الذي أفضى إلى تمذهب الشيعة بالمذهب الجعفريّ وتسميتهم بهذا الاسم ، إذا استطاع الإمام عليه السلام خلال برهة من الزمن أن يبيّن روايات جمّة ، ولهذا سمّي المذهب بالمذهب الجعفريّ .

ويظهر من التأمل أنّ هذا الوجه لا ينبغي أن يكون صحيحاً ، لأنّ



كثرة الروايات لا تخصّص المذهب . فقد نُقلت عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام روايات كثيرة ، فلم يعرف المذهب الشيعي بالمذهب الباقرّي . وقال بعض آخر : لمّا أُسيت دعائم المذهب الإمامي الاثني عشري في عصر الإمام ، ونبغ المتكلّمون في الولاية وإمامة الأئمّة الاثني عشر المعصومين يومئذٍ ، ووطّد عليه السلام قواعد الولاية وأسسها ، لذا عُرف المذهب بالمذهب الجعفريّ .

وهذا غير سديدٍ أيضاً ، إذ إنّ أصول الولاية حسب الروايات المذكورة في كلّ عصر ، ومفصّلة في الروايات . وتفصيلها الأكثر في أيام الإمام عليه السلام لا يستلزم التسمية بالمذهب الجعفريّ .

وتوضيح ذلك : أنّ مذهب اسم مكان ومعناه محلّ الذهاب . تقول العرب : المذهبُ إلى الماءِ وإلى الكلاءِ . والمذهبُ إلى شريعة الشطّ . ولما كان طريق الوصول إلى الدين الإسلاميّ ذا مسالك مختلفة ، وكان كلّ عالم من علماء العامة قد تلمّس طريقاً معيناً نحو الدين كالمذهب الحنفيّ ، والمذهب المالكيّ ، والمذاهب الحنبليّ ، والمذهب الشافعيّ ، فإنّ الطريق الذي اختاره الإمام الصادق عليه السلام نحو ذلك الدين القويم عُرف بالمذهب الجعفريّ .

ولم يكن الدين ذا مذاهب مختلفة في عصر الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله . فالجميع كانوا ينهجون نهج رسول الله صلّى الله عليه وآله ويتبعونه ويكتفون بظاهر الأحكام . وكانت شريحة خاصّة من المسلمين تعرف بالشيعّة وتتحرّك في طريق مولى الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام عملاً بأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله . وكان هولاء ، واعين لروح الولاية ، واقفين سرّ النبوة ، مطلّعين على حقائق الأحكام الإسلاميّة وأسرارها ورموزها ومعانيها مضافاً إلى اطلاعهم على ظاهرها .

وكانوا عمليين بالسنة النبوية الشريفة ، حيث أوجب رسول الله صلى الله عليه وآله أتباع أمير المؤمنين عليه السلام ، وأخبرهم أنه وصيه وخليفته .

وبعد وفاته صلى الله عليه وآله ، ودوران الخلافة حول محور آخر ، وعزل أمير المؤمنين عليه السلام ، وتريع القوم على أريكة الحكم ، وهم لم يعرفوا إلا ظاهر الأحكام ، ولم يدركوا من الإمامة والخلافة إلا الرئاسة والتقدم الظاهري والإمارة ، اتخذ الدين طابع القوانين والأصول الظاهرية المتسمة بسماتهم ، وسار معظم الناس على ذلك النهج حسب قاعدة الناس على دين ملوكهم . أما الأصول والأسس الظاهرية والباطنية فكانت لأئمة المؤمنين عليه السلام . وأتباعه الذين عرفوا بشيعته كسلمان الفارسي ، وأبي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، والمقداد بن الأسود ، وحذيفة بن اليمان وغيرهم . وقد كانوا شيعته حقاً ، وكانوا يسرون سيرته في الأحكام والتفسير والقرآن والمشورة في مهام الأمور . ومع أن أمير المؤمنين عليه السلام تنازل عن حقه حفاظاً على كيان الإسلام ، إلا أنه كان يُنير الطريق للطرف المخالف ، ويغيثهم في علاج مشاكلهم العلمية والفقهية . وكان يحضر في صلاتهم رغبة منه في عدم شق عصا المسلمين . وخلاصة الأمر أنه كان يماشيهم في أمورهم برمتها .

وكان الحج ، والجهد ، والصلاة ، والزكاة ، وسائر الأمور تُمارس حسب ما يريده الخليفة المتحكم ، وهو الذي يصدر الأوامر وله الفتيا والرأي الأخير . وهو وأمثاله لم يعلموا بجميع المسائل وخصوصياتها . وهم أخطأوا ! كم غيروا وبدلوا في موضوعات مختلفة حسب مشترياتهم . ولم يعدوا خلاف العمل بظاهر القرآن منكراً ، وكانوا يعملون خلاف السنة النبوية ، ويجتهدون في مقابل النص صريحاً على رؤوس الأشهاد .

ويثبتون هذه الضروب من الخلاف ويُيقونها بوصفها رأي الخليفة والإمام . ولهذا لوحظ رأي الخليفة وقد حلّ محلّ القرآن وتعاليم النبيّ ووصيّته وسنته ومنهاجه . وكان جميع الناس يهملون العمل بالقرآن والسنة في مواطن التّرك هذه ، ويعملون وفقاً للأوامر الصادرة المقضيّة من مقام الخلافة (الخلافة الجائرة القاهرة الغاصبة المزيّفة) .

إنّ حروب الخلفاء والغنائم والأموال الطائلة التي كانوا يأتون بها ، وشوكة الحكم ، وأُبْهة الإمارة ، وقعقة السيوف والأسلحة ، ونظائر الرماح والأسنة ، وهمهمة الغزاة ، وحممة الخيول ، وإثارة الغبار باهتزاز أعلام الأمراء ، ورايات القادة ، كلّ ذلك قد أعمى الأبصار ، وأصمّ الأسماع ، وأدهش العقول وسلبها القدرة على التعقّل والإدراك ، وصادر منها التفكير والتدبير .

ومن يأتي فيقياس أمر الخلاف الصادر من السلطان مالك الرقاب ، بالقرآن أو بالسنة النبوية؟! أو - في الأقلّ - يقدّم احتمالاً ضعيفاً في بطلانه ، ويرى ويسمع ويفكر ويشهد الخلاف بعين بصيرته؟ ويَدَع الخلاف ، ويتحرّك حسب الحقّ وقول الحقّ وأمر الحقّ وسنته ومنهاجه ومنهجه؟

ومن يذهب إلى عليّ عليه السلام؟ ومن يبحث عن ذلك الرجل المهيض الجناح ، المعتزل في منزله ، الحامل معوله ومسحاته ، زارع النخل وساقيه؟ ومن يسمع كلامه الذي هو حقّ وعين الحقّ ، بل يدور الحقّ حيثما كانت حقائقه عليّ؟ ومن يسترضيه ويستميله؟ ومن يقدّم رأيه الحصيف السديد على هذه الككبكة والدبدبة؟ ويسمعه يقول: كلّ كلام عدا كلام الله ورسوله باطل ، وكلّ أمر صادر من أيّ جهة باطل مرفوض إذالم يتطابق مع آية من آيات القرآن؟

ولم يكن في المدينة غير الاثني عشر الذين جاؤوا إلى المسجد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وتكلموا وأدانوا بأبكر،<sup>١</sup> وقليل من أتباعهم.

لقد جرى هذا الأمر بهذا النحو. وظهر خلال خمس وعشرين سنة من الحكم الأسود المظلم للخلفاء الثلاثة، أي: خلال ربع قرن. وألّف الناس تلك الأحكام والمناهج ومردوا عليها إلى درجة أنّ مولى الموالي الإمام بالحقّ عندما تقلّد الأمر وأراد أن ينسف تلك البدع الباطلة التي اخترعها عمر عجز عن ذلك، إذ إنّ عمر كان قد أضفى على أعماله صبغة دينية، وكان الناس يقدرّونه كالسامريّ، ويعدون معارضته معارضة للإسلام والنبيّ. ولم يعلم المساكين أنّ هذا المحتال المتلبس بجلد الذئب قد جاء لاقتناص الحمل، وقد اتخذ الدين وسيلة للترتب على أريكة الخلافة والعرش. وأنّ نداءه الذي عليه مسحة الحقّ هو نداء الشيطان ولا تحمل صحيفة دعوته إلاّ عنوان الباطل. ولقد خطب أمير المؤمنين عليه السلام في أوّل خلافته بالكوفة، وقال كما جاء في خطبة الوسيلة:

(لقد عملت الولاية قبلي بأمر عظيم (بدع عمر) خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لذلك؛ ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها التي كانت عليها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لتفرّق عني جندي أبقى وحدى)

وسارت الأمور على هذا المنوال حتى عصر عثمان، ثمّ معاوية ويزيد مروان والمروانيين بالشام، حتى وصل الدور إلى العباسيين.

١- تحدّثنا عن هذا الموضوع مفصلاً في الجزء الثامن من كتابنا هذا، الدرسان ١١٦

والجميع كانوا على هذه الوتيرة . وعمل الناس قاطبة بسنة الخلفاء الأول ، حتى نلاحظ أنّ جماعة كانت ترى عثمان فاسداً لكنّها ترى أنّ الخليفين قبله كانا على الحقّ وأوامرهما واجبه التنفيذ إلى يوم القيامة . وكانت تعتقد بذلك وتعمل به .

وكان بين جند أمير المؤمنين عليه السلام من يقال لهم جميعاً شيعة عليّ ، سواء في الجمل ، أم في صفّين ، أم في النهروان . ويراد من ذلك أنّهم كانوا مخالفيين لعثمان - أي شيعة عليّ في مقابل شيعة عثمان - وكان معظمهم يعتقد بخلافة أبي بكر وعمر . ويسير على سنتهما . ولم يستطع أمير المؤمنين عليه السلام أن يعيد الجميع إلى نصاب الحقّ .

وعلى هذه الشاكلة كان شيعة الإمام الحسن والإمام الحسين بالكوفة ، إذ كانوا يقولون بحقانيّة عليّ وبطلان عثمان ، ويرون عليّاً عليه السلام هو الخليفة الثالث بالحقّ .

وهكذا الأمر في عصر الإمام السجّاد عليه السلام ، حتى أنّ الفقهاء السبعة في المدينة كانوا يفتون على فقه السنة في حين كان اثنان منهم شيعيين ، وهما سعيد بن المسيّب ، والقاسم بن محمّد بن أبي بكر .

ومع أنّ الحقائق كانت تظهر شيئاً فشيئاً في عصر الإمام محمّد الباقر عليه السلام بسبب اتّساع نطاق الرواية والتفسير والحديث والعرفان في مدرسته العلميّة ، بيد أنّ الأمور لم تنكشف فجأة ، فيستبين أنّ حقيقة الإسلام والدين والنبوة والخلافة والإمامة هي شيء آخر لاخلق للناس منه .

وكان الإمام الناطق بالحقّ جعفر بن محمّد الصادق عليه أفضل الصلاة والسلام أوّل من كشف سرّ الولاية وحقيقة النبوة لعامة الناس .

ومُنّي الناس بالشبهة والخطأ في أمرين خطيرين بعد وفاة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم وحادثة سقيفة بني ساعدة . وهما :  
 الأول : أمر الإمامة والولاية والإمارة ، إذ خالوا أن كل من مسك زمام  
 الأمور فهو الوالي الذي تجب طاعته . سواء كان تقلده الأمر بالتسلط  
 والخداع ، أم بالاختيار ، أم بالوصية ، أم بالشورى ، أم بالأوامر التحكّمية  
 التعسّفية . فلهذا كانوا يرون أنّ يزيد بن معاوية هو الخليفة المنصوب من  
 قبل أهل الحلّ والعقد بنصب معاوية والمُغيرة بن شعبة وجلاوزتهما ،  
 وكانوا يعملون حسب هذا المنطق ، ويرتّبون آثاراً شرعيّةً حقيقيةً عليه .  
 الثاني : في أخذ معالم الدين والسنة والعلوم الظاهرية والباطنية  
 والتفسير والعرفان - والخلاصة جميع المدرجات الإنسانية والبشرية - فكانوا  
 يعتقدون أنّ مصدر هذه الأشياء كلّها هم الأمراء الذين تسلّموا مقاليد الأمور  
 حتى لو كان ذلك بالقوّة .

وعلى هذا الأساس كانوا يراجعون حكّام عصورهم لحلّ مسائلهم  
 العلمية وعلاج معضلاتهم ومشكلاتهم . ويأخذون مسائلهم الشرعية  
 وصلواتهم وصيامهم وجهادهم وسائر شؤونهم الدينية والسياسية  
 والاجتماعية من تلك المصادر ، ويتصرّفون حسب آرائهم ونظريّاتهم .  
 أي : كان الحكّام يمتّون الأمة في مجالين هما : الإمارة والحكومة والعلوم  
 والأفكار .

وهذان الأمران كلاهما يعاكس النهج الإسلاميّ المبيّن تماماً . ذلك  
 النهج الذي يدعو إلى الحقّ دائماً على أساس القرآن والسنة ، ويحدّر عامّة  
 الناس من اتّباع الباطل .

أمّا بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله حيث انحرف محور الولادة  
 عن قطبه ، وانقلب كلّ شيء ، لم يجد المسلمون أميراً بالحقّ ، ولم يحظوا  
 بدرس وتعليم مستقيم . وشاع هذا الأمر بين الطبقات والأجيال المختلفة من

الناس في كلِّ زمان ومكان . واستحكم حتى لم يجرؤ أحد على رفيع عقيرته ضدّه .

وبعبارة أُخرى : اتّبعَت الأُمَّة الباطل سنين طويلة وهي تعتقد أنّه هو الحقّ ، وعرفت الباطل على أنّه هو الحقّ . وكانت هاربة من الحقّ باعتقادها الباطل .

مَنْ كان يستطيع أن يرفع صوته في هذه المصيبة الكبرى ، فيعلن بصراحة بطلان جميع الأجهزة والحكومات ؟ إنّهُ الإمام الحسين عليه السلام الذي توكأ على السيف ونهض بذلك الوعي ، وأنذر بقطع دابر الظلم ، وأيقظ العالم ، ودوّى صوته بالعدل والحقّ والصدق في عالم البشريّة من خلال خطبه وكلماته المتكرّرة .

والآخر هو الإمام الصادق عليه السلام الذي تأسى بتلك التضحية العظيمة ، ومارس دوره على امتداد ثلاثين سناً بعناء لا يوصف ، وكشف سرّ تلك التضحية ، وأصحّر بروح الدين وحقيقة الإسلام التي كانت قد دُفنت تحت ركام الجهل وجباله الراسيات .

وتضافرت تضحية سيّد الشهداء عملاً ، وتضحية الإمام الصادق عملاً ، وتعاضدتا حتى وقفنا هذا اليوم - ولله الحمد وله الشكر - على حقائق الدين والنبوّة وسرّ القرآن والنبوّة والولاية . أو بعبارة أصحّ : أنّ تضحية سيّد الشهداء بالسيف ، وتضحية الإمام الصادق باللسان عاملان قويّان قد تكاتفوا ودعم أحدهما الآخر ، حتى أبدى الإسلام وجهه المتألق الزاهر من بين الغمام المظلمة السوداء .

لقد نطق آية الله المظفّر حقّاً إذ قال : فما أصدق القائل : إنّ الإسلامَ علويٌّ والتّشيعَ حُسينيٌّ !<sup>١</sup> أما أنا فأقول : إنّ الإنسانيّة والإسلامَ والتّشيعَ

١- «تاريخ الشيعة» للمحقّق الكبير الشيخ محمّد حسين المظفّر، ص ٢٧.

## حُسَيْنِي السَّيْفِ، وَصَادِقِي الْقَلَمِ وَالْبَيَانِ .

أجل ، إنَّ العمل الذي قام به الإمام الصادق عليه السلام هو أنه عرّف العالم الإسلام الحقيقي من خلال علومه ، وأزاح الصداً عن وجهه المتغيّر . وعرض الشريعة الحقة كما هو حقّها . ويا لصعوبته من عمل ! بعد أن تغيّرت الأصول والفروع ، وتبدّلت ، فألفت ذلك الأُمَّة بأسرها عالمها وجاهلها ، وعاليها ودانيها ، وكبيرها وصغيرها ، وشيخها وحَدَّثها على امتداد قرن من الزمان . وها هو الإمام عليه السلام يقوم بدوره ، ويرشد الجميع بلا استثناء (الإشردمة قليلة) لاعن طريق التبعد - فالتعبّد هنا لا يُغني شيئاً - بل عن طريق المنطق والبرهان ، والقلم والبيان ، والهداية إلى كَيْفِيَّة الاستدلال بآيات القرآن وأخذ الأحكام من الفرقان ، ويأخذ عليه السلام بأيدي الناس إلى ذلك الدين الأصيل ، ويبدّد عَقَدَ الأفكار والمناهج والمذاهب التي كانوا يسلكونها للحصول عليه ، ودلّ على أنّ الطريق الوحيد للوصول إلى الدين القويم هو هذا فحسب .

لهذا فإنَّ الطريق الذي نهجه الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، وأرشد إلى ذلك الدين كالرائد الذي يقود القافلة إلى المكان الخصب والماء والكلاء في الصحراء القاحلة هو الطريق الذي هدى به الأُمَّة إلى دين جدّه المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَشَرِيعَتِهِ الْمُرْسَلَةَ مِنَ اللهِ تَعَالَى .

من هنا ، عُرِفَ مذهبه الذي كان أوّل المذاهب بالمذهب الجعفريّ . ولا يتوهم الواهمون أنه عليه السلام قد أسس ديناً جديداً ، أو أضفى على الإسلام طابعاً خاصاً ، كما ذهب إلى ذلك أحمد أمين بك المصريّ مع شدّه احترامه وتقديره للإمام عليه السلام ، فإنّه يعتقد أنه قد أضفى على الإسلام صبغة خاصّة ، والمذهب الجعفريّ بمعنى الدين الإسلاميّ مصطبغ بهذه



الصبغة<sup>١</sup>. وهذا وَهْمٌ منه ، وقد ذهب مذهباً مغلوطاً في هذا الضرب من

١- قال أحمد أمين بك المصري في كتاب «ضحى الإسلام» ج ٣، ص ٢٦٣: وكثير من أحاديث الإمامية ونظمها تروى عنه (عن الإمام الصادق)؛ من أهمها ما رواه جعفر الصادق عن علي بن أبي طالب في كيفية خلق العالم، وانتقال النور من آدم إلى نبيينا صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قال: ثم انتقل النور إلى غرائزنا، ولَمَعَ في أئمتنا، فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض، فينا النجاة، وفينا مكنون العلم، وإلينا مصير الأمور، وبمهديتنا تنقطع الحج ، خاتمة الأئمة، ومنقذ الأمة، وغاية النور، ومصدر الأمور، فنحن أفضل مخلوقين، وأشرف الموحددين، وحُجَجُ رَبِّ العالمين. فَلْيَهِنَّا بالنعمة مَنْ تَمَسَّكَ بولائتنا، وَقَبَّضَ عُرْوَتَنَا. \*

ومن هذا ونحوه يُظَنُّ أن فكرة المهديّة، وعصمة الأئمة وتقديسهم وإعلاء شأنهم نبتت في ذلك العصر، عصر الإمام جعفر الصادق - انتهى.

وذكر أحمد أمين بك في كتاب «ضحى الإسلام» ج ٣، ص ٢٠٨ إلى ٢٧١ فصلاً حول الإمامية، وأبطل مذهبهم على أساس صحّة مذهب أهل السّنة. ويتبيّن أنّه كان يقتني كتاب «الكافي»، وكتاب «بحار الأنوار». بيّد أنّ الذي يبدو من تضاعيف كلامه أنّه لم يقض بالحقّ. فقد فضّل أبابكر وعمر على أمير المؤمنين، ولم ينسب بنت شفة عن غدير خمّ والوصاية والولاية. وساوى بين الأحاديث المرويّة في عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعمر وأبي بكر. وذهب إلى أنّهم جميعاً أفراد عاديّون يجوز عليهم الخطأ والإثم. وأنكر عصمة الأنبياء، والأئمة. وزعم أنّ المهديّة والرجعة خرافتان، وعدّ المتعة في حكم الزنا. ومع أنّه يمجد الإمام الصادق عليه السلام ويراه من الشخصيات الكبيرة إلا أنّه يعيبه أيضاً إشارةً وتلويحاً. حيث قال بعد حديثه عن أصل المهديّة والرجعة واعتقاده بخرافتها: ظهرت هذه العقيدة في عصر الإمام جعفر الصادق. ونقل الأدعية والزيارات المأثورة عن الإمام، ومرّ عليها مستخفاً بها.

وخلاصة القول: أنّه ذهب إلى أنّ النبوة والشريعة القائمتين على أساس العفران والولاية والارتباط بالله والاطّلاع على عوالم الغيب والشفاعاة والمحبة صبغة جديدة للإسلام، وأنّ المؤسس لها هو الإمام الصادق عليه السلام. وتصور أنّ التشيع مذهب سياسيّ قائم على التقيّة حتّى يستطيع أتباعه أن يهاجموا الحكومات ويقوموا بالسيف متى شاءوا. ورأى أنّ دعوة الأئمة الأوّل والصادق عليهم السلام إلى أنفسهم قائمة على هذا الأساس.

## الكلام .

أجل ، لما كان الإسلام الصحيح عند أحمد أمين هو الإسلام الذي يدين به سلاطين الجور والطغيان المتربّعون على عرش الاعتساف والعدوان ، وأنّه هو المنهاج ، فلا جرم أنّه يعتقد بتلوين الإمام الصادق عليه السلام الدين الأصيل والشرعية المرسلة بصبغة خاصّة ولون مضاف . ويرى

وعلى الرغم من أنّه عدّ أبا حنيفة ومالكاً من تلامذة الإمام في موضعين من كتابه، واعترف بتلمذة جابربن حيان له، وسرد ما قاله الشهرستاني في كتاب «الملل والنحل» حول منزلته الرفيعة، لكنّه اعتبر هذا المذهب مُختلفاً موضوعاً. وقال في ص ٢١٥: وقال الرضا: الناس عبيد لنا في الطاعة موال لنا في الدين . فليبلغ الشاهد الغائب. (من ص ٨٨ «أصول الكافي» طبعة سنة ١٢٨١).

وتحدّث أحمد أمين أيضاً في كتاب «ظهر الإسلام» ج ٤، ص ١٠٩ إلى ١٤٥، عن الشيعة وفرقها كالإسماعيلية والقرامطة والزيدية والإمامية. وقال في ص ١١٥، بعد تبجيل وتكريم الإمام عليه السلام وبعض كلماته: وإنما قلنا إنّهُ لَوْنٌ معني الإيمان لوناً خاصاً لما روي عنه من بعض الأقوال التي تدلّ على أنّ الله جعل لمحمّد نوراً، ثمّ تنقلّ هذا النور إلى أهل بيته، كالذي ذكره المسعودي من حديث نسبه الإمام جعفر إلى الإمام عليّ، جاء فيه: إنّ الله أتاح نوراً من نوره فلمعَ ونزعَ قَبَساً من ضيائه فَسَطَعَ ... ثمّ اجتمع النور في وَسَطِ تلك الصورة الخَفِيَّةِ فوافق ذلك صورة نبيّ محمّد.

فقال الله عزّ وجلّ: أنت المختار المنتخب، وعندك مُستودعُ نوري وكنوز هدايتي، من أجلك أسطَحَ البَطْحَاءُ، وأمَّوجُ الماء وأرفع السماء، وأنصِبَ أهل بيتك للهداية، وأوتيتهم من مكنون علمي ما لا يُشكَلُ به عليهم دقيق، ولا يغيب عنهم خفيّ، وأجعلهم حُجَّتِي على برِّيِّتي والمُنْبَهِيْنَ على قدرتي ووحدانيّتي، ونحو ذلك من الأقوال المنسوبة إليهم: فكلّ هذا جعلنا ننسب إلى الإمام جعفر الصادق صبغته للإمام صبغة جديدة لم نكن نعرفها من قبل .

وقال في ص ١٢٤، بعد نقله عن المجلسي رحمه الله زيارة لأمير المؤمنين عليه السلام مأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام: وهم يروون دعاءً مخصوصاً دعا به أحد الأئمّة. وهذا الحديث يرينا مقدار أثر الإمام جعفر الصادق في تلوين التشيع وأثره.

\* - «مروج الذهب» للمسعودي، ج ١، ص ١٥.

أنّ هذا المذهب غصن مقطوع عن أصل الإسلام بما يحمله من خاصيّة معيّنة .

بيد أنّ الأمر ليس كذلك ، وشتان ما بين كلامنا وكلامه . فعلم الإمام عليه السلام التي مضى عليها ثلاثة عشر قرناً ، وهي مسطورة في الكتب تدلّ على ما نقول . فكلّ ما قاله الإمام ، وكتبه ، ودرّسه هو تفسير وتبيان للكتاب والسنة ، لم يفرض عليهما شيئاً ، ولم ينقص منهما أو يزيد عليهما شيئاً ، وهذا ما تدعّمه الأدلّة الداخليّة والخارجيّة .

هذه هي رسالة الإمام الصادق عليه السلام على امتداد ثلاثين سنة . وإذا كان قد هدّم منهاجاً قديماً ينهجه العامة بما كان يعرضه من تعاليم ، فهذا لا يعني إحباطاً لأمر صحيح وإيداً لأمر باطل وإضفاءً لصبغة جديدة ، بل يعني كسراً لكوز متصدّع متلوّث كان يُسقى الناس ماءً على أنّه ماء لذيذ طيّب ، واستبداله بكوز جديد فيه ماء زلال بارد لذيذ غير آسن وسقي الأُمّة منه .

ومحصّلة عمل الإمام عليه السلام إزالة الطرق الباطلة المنحرفة التي فرّقت بين الناس والدين . ومن الطبيعيّ أنّ يبدو عمل الإمام في المنهاج والأسلوب سواء في تعريف الولاية ومصدر الحكم والإمارة ، أم في تعريف العلوم والأسرار والحقائق والأحكام شيئاً جديداً في أوّل نظرة . وهو الشيء الذي يظنّه أحمد أمين صبغة دينيّة جديدة ، وظنّه خائب . فجِدّة هذا المنهاج تعود إلى اندراس الطريقة التي أخذ بها الإسلام الصحيح لا غير . وهو ما يراه العامة شيئاً جديداً ، بيد أنّه ليس إلّا روح رسول الله ، ونفّس القرآن بلا شائبة ، وقد تجلّيا في سيرة الإمام الصادق عليه السلام وأسلوبه .

وبلّغة العلم ، فقد كان لعمل الإمام عنوان الكشف عن الدين الصحيح ،

لا عنوان نقل الإسلام بشيء مضاف وأثر مخصوص .

وهو يماثل بحث الكشف والنقل الذي يتناوله الفقهاء العظام في باب النكاح الفضوليّ ، أو البيع الفضوليّ : هل تقرّ إجازة طرف النكاح أو البيع ، أو تنقل المال إلى الطرف المعهود ، فيتحقّق حينئذٍ عمل إجازة النقل ؟ أو أنّ إجازة عمله كشف عن تحقّق النكاح ، أو انتقال المال في البيع منذ صدور الصيغة أوّل الأمر ؟ يرى القائلون بالكشف أنّ الشقّ الثاني هو الصحيح .

وإنّما ذكرنا هذا التشبيه هنا لمجرّد التنظير لإنارة الأذهان ، وإلا فإنّ هذا الموضوع يختلف كثيراً عن باب الكشف والنقل في المعاملات الفضوليّة .

أجل ، يستبين ممّا ناقشناه كم كان جهاد الإمام الصادق عليه السلام في هذا المجال عظيماً ! فقد كان مكلفاً أن يُنمّ هذه الرسالة الإلهيّة . وهذا يستلزم وقتاً كبيراً يمتدّ شهوراً بل عشرات السنين ، إذ كان للإمام عليه السلام أن يكشف عن آيات القرآن كلّها ، ويوضّح ويفسّر ويشرح منهج جدّه وسنته ، ويتبيّن مواضع الخلاف جميعها ، وينبّه على كافّة ضروب الإعوجاج والانحراف والانتهاك التي قام بها أولئك الرجال الذين هم كأظار أعطف من أمّهات ، ويُفصح عن صواب عمل أجداده الكرام مع تحمّل الشدائد القاصمة للظهر ، ليستبين حقّ الموضوع . وهذا مطلب لا ينتهي بحديث واحد ولا بمائة حديث ، ولا بمجلس واحد ، ولا بمائة مجلس ، بل يحتاج إلى جلسات ممتدّة على الشهور والسنين . وكان الإمام عليه السلام ملتفتاً إلى هذه المهمّة وعبء هذه المسؤوليّة ، فأعدّ نفسه لهذا الأمر الخطير .

وعلى هذا الأساس لم يقبل عليه السلام الخلافة الظاهريّة التي كانت

عند البيعة من نصيب صاحب القباء الأصغر (المنصور الدوانيقي) بعد أخيه عبد الله السفاح . ومع أنه ثورة الشيعة كانت من أجل إمارة العلويين وإمامتهم بيد أن العباسيين قبضوا على السلطة ، أو بتعبيرنا الصحيح استلبوها أو اختطفوها ، ولم يفسحوا المجال للعلويين . وفي ذلك الميدان كان الإمام الصادق عليه السلام هو الشخصية البارزة الوحيدة المؤهلة للخلافة . وقد اعترف الجميع بهذا . واعتذر عليه السلام عن تقبل هذا المنصب ، ولم يستعد لقبول بيعة الناس بالخلافة . وامتنع بشدة ورفض رفضاً قاطعاً على الرغم من إصرار الأمة وأهل الحل والعقد في المدينة على ذلك . من جهة أخرى ، حذق العباسيون وبايعوا عبد الله السفاح ، فترجع على أريكة الحكم ، وعُدَّ الإمام الصادق عليه السلام من رعاياه .

### سبب امتناع الإمام عليه السلام عن قبول الخلافة مع أنه كان حائزاً على مقامات ودرجات الإمامة وأعلمية الأمة

قد يُشكل البعض هنا فيقولون : لماذا امتنع الإمام الصادق عليه السلام عن قبول البيعة؟! ولماذا ترك الأمة المسكينة فريسة بيد الفراعنة والعفراريت والجبارين؟! ولم تخلى عن الاضطلاع بهذه المسؤولية الإلهية؟!

إذا كان شرط الإمامة هو النص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد أجمعت الأمة على أنه منصوص عليه . وإذا كان شرطها وصية الإمام السابق ، فقد أوصى الإمام محمد الباقر عليه السلام له بالإمامة . وإذا كان شرطها هو الأعملية ، فقد كان عليه السلام أعلم الأمة غير منازع . وحينئذ فالأرضية مُمَهدة ، والأمة مستعدة للقبول . وقام المسلمون في

خراسان بنسف صرح الاستبداد والظلم الأمويّ لمصلحة العلويّين ، وألحقوا الهزائم بالأمويّين من خلال حروبهم المتوالية المستمّرة . أي : أنّهم قضوا على عدوّهم الوحيد السّفاك وخصمهم العنيد المستبَدَّ «بني أميّة» ومَن مَتَّ إليهم بصلة من قرابتهم وأتباعهم وشيعتهم . فهل هناك أفضل من هذه الفرصة ؟ وهل ثمة أنسب من هذا الوضع ؟ وهل هناك إمكانيّات متاحة كهذه الإمكانيّات ؟

ولو كان الإمام عليه السلام قد تقلّد أمر الخلافة ، وأحقّق الحقوق الضائعة ، فهل هناك شيء أفضل من هذا العمل ؟ وهل هناك أحسن من بسط العدل وتحرير الأُمّة الإسلاميّة من نير الطغيان ؟ أليس من الأولى أن يهتّم الإمام بشؤون الضعفاء والمعوزّين الذين ضاعت حقوقهم خلال قرن من الزمان ! أليس من الأمثل أن يُخرج الأُمّة من نير الاستعباد والاسترقاق الذي مارسه سلاطين الجور ، ويمنّ عليها بالحرّيّة ؟ أليس من الأفضل أن يجعل الجهاد مبتنياً على أساس جهاد رسول الله ، ويصنع من العالم كلّهُ عالمًا إسلاميًّا ؟ وهلْمْ جَرَّأ فَاحْصٍ ما شئت أن تحصيه من هذه الأسئلة !

ويبدو الجواب عن هذه الإشكالات والأسئلة يسيراً نوعاً ما .

أولاً : رفض الإمام عليه السلام الخلافة مع ما كان يتمتّع به من فهم ودراية وكياسة وقدرة علميّة وذكاء ، ورفضه ليس سطحيًّا ساذجاً فيندم عليه ، ويقول وهو يرى جرائم المنصور بأُمّ عينيه : وَدِدْتُ لو كُنْتُ قَبَلْتُ الخلافة ، ولم أدعِ الأُمّة تعاني من المشاكل والآلام .

وكان عليه السلام على تلك السجيّة حتّى آخر عمره ، ولم يُر متأسِّفًا على مافات ، مؤثلاً الراحة والرخاء ، مع أنّ المشاكل كانت تتفاقم يوماً بعد آخر في العصر العبّاسيّ ، وجرائم المنصور قد فاقت جرائم غيره من الظالمين .

هذا الدليل مهمّ ، لأنّ كلّ عمل يقوم به الإنسان إذا لم ينطلق فيه من تدبّر في عاقبته وتفكير بالمصلحة ، فإنّه يندم ويأسف إذا واجه آثاره السلبية . بيد أنّ لا ندم على العمل الصحيح على الرغم من ازدياد المشاكل والمشاق على مرّ الأيام .

ثانياً : كان الإمام عليه السلام يعيش في ذلك العصر وما اتّصف به من خصائص وما لابس من أوضاع اجتماعيّة وما كانت فيه من إمكانيات ومتطلّبات ، أمّا الذي نلحظه من ذلك فهو شَبْحٌ لا غير ، فقد كان يرى ، ونحن نسمع . وهو كان في العين والشهود ، ونحن في الأثر والخبر .  
والشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ .

والحال أشبه بواقف خارج الحلبة وهو ينادي : ابطحه على الأرض !  
ثالثاً : كان عليه السلام يدرك جيّداً أنّه لو قبل البيعة فلا يعني ذلك أنّ العالم الإسلاميّ ينخضع له ويسلمّ ويطيع ، وأنّه كان ينتظر أوامره رداً من الزمن ، بل لكان على العكس من ذلك ولخالفه وحاربه أولاً حثالات الأمويّين المنبثّين في أرجاء العالم ، ولضحّوا حتّى بأخر قطرة من دمائهم للحؤول دون اعتلاء حكومته .

ثمّ يأتي بعدهم العبّاسيّون ثانياً ، الذين يرون أنفسهم أولاد عمّ النبيّ ووارثيه ، فقد ظهروا بألف دليل ودليل ، وادّعوا وراثته المحراب والمنبر ، والسلاح والسيف ، والعصا والنصل ، والعلم والراية ، كما رأينا وقرأنا في التواريخ والسير ، وشاهدنا في الآثار والأخبار أنّهم تربّعوا على العرش بهذه العناوين خمسمائة سنة ، وأدانوا العلويّين بأباطيلهم وتُرّهاتهم ، ودعموا بيعتهم وإمارتهم وحكومتهم الغاصبة بأدلة شاعريّة . وكان شعراؤهم ينشدون القصائد على هذا المنوال .

ولمّا اكتفوا بإقامة الدليل والبرهان ، بل لأظهروا طغيانهم بالسيف

والسنان . وحينئذٍ يقف الإمام عليه السلام حياته كلّها على الحروب ، ويُمضي عمره ووقته لقمع المعاندين والمعارضين ، ثم لا يُعَلِّم في أيّ حرب يُسْتَشْهَدُ .

ولا ننسى بعض العلويين المطالبين بالإمامة ثالثاً ، فإنّهم يرفعون لواء المعارضة ضدّه . وما عليه إلا أن يقاتلهم أو يُسكتهم بتوليتهم الأمصار ، أو بتفويض القضاء أو صلاة الجمعة الجماعة إليهم ، أو يجعلهم على بيت المال ، وأمثال ذلك مكافأة لسكوتهم .

ولا يمكن أن نتصوّر الخيار الثاني لوليّ الله الذي كان يمارس أعماله على أساس الحقّ ، أمّا الخيار الأوّل فإنّه يؤديّ إلى القتل الاعتبائيّ وارتكاب المذابح في غير موضعها ، وإتلاف النفوس في غير المسار الحقيقيّ .

ولو تغضينا عن ذلك كلّّه ، فقد كانت للإمام عليه السلام مهمّة إلهيّة خاصّة تمتثل في إحياء الشريعة المندرسّة . وإذا فرضنا أنّه تمكّن من جميع أعدائه ومعارضيه ، وتقلّد الأمر ، فغاية ما يستطيع أن يقوم به هو النظر في الشؤون العامّة ، وفصل الخصومات ورفع المنازعات الشخصيّة ، والإفتاء في الحلال والحرام . أمّا إغاثة الشريعة المندرسّة والدين المنقلب فلا تتحقّق أبداً ، إذ ذكرنا أنّ ذلك يحتاج حاجة ماسّة إلى سنين طويلة من التدريس والتربية والتعليم والبحث والنقد والحلّ وإلّهام . من هنا ، لا بدّ أن يشمّر عليه السلام عن ساعد الجدّ ويستفرغ همّته لهذا الأمر الخطير ، ويبذل وقته كلّّه من أجل ازدهار مدرسة العلم والفهم والبيان والقلم .

ولا يُقاس هذا الأمر من حيث الأهميّة بأمر الخلافة ، فهو في درجة عالية من الأهميّة . وكان الإمام عليه السلام يرى نفسه بين أمرين : إمّا يقبل الخلافة والنظر في شؤون ولاية الناس ، وإمّا يرفض البيعة ويهتّم بإحياء



الإسلام المدمّر المندرس . فاختار الثاني لعظمته ، إذ إنّه بمستوى أصل نبوة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله ، وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، واستشهاد سيّد الشهداء عليه السلام ، وهذا الخيار الثاني يُسرُّ حياة روح النبوة والولاية وسرّ الشهادة وإن استلزم مشاقّ مرهقة وأفضى إلى فقْد الحقوق الظاهرية والإمارة الدنيوية . لكن هل تعلم أنّ تحمّل هذه المشاقّ يصبّ في مجرى المشاقّ التي عانى منها الرسول الأكرم وأمير المؤمنين ، وأنّ فقد الخلافة والإمارة لا يساوي عنده شروى نفيير في مقابل المحافظة على ذلك الأمر العظيم بمنظار الإمام الذي لا يرى إلّا الحقّ والواقع !؟

اختار الإمام عليه السلام الشقّ الثاني ، ورفض الخلافة والإمارة من أجل إقرار هذا الأمر الخطير ، واستنكف عن الاقتراب إلى الجهاز الحاكم أيضاً ، وخرج من نطاق الحكومة والإمارة حتّى كأنّ هاتين المفردتين لم تردا في قاموسه قطّ ، وكأنّ الله لم يمنحه ذلك المقام فيحقّقه عملياً إذا تطلّبت المصلحة . كان له بستان واسع في المدينة لاستقبال الوافدين عليه ، وللتدريس والإجابة عن أسئلة المتقاطرين عليه من شتى الأنحاء . ووقف أيامه ولياليه على المسائل والمناقشات والمناظرات العلمية وجميع فروع الدراسة والبحث العلميّ ليتمكّن من القيام بأعباء المسؤولية العظيمة المتمثّلة بعرض الدين القويم ، وإرواء الناس السادرين من المنهل الفرات اللذيذ للآيات القرآنيّة والسنة النبويّة . وهذا المنهل هو المذهب الجعفريّ ، سلام الله على موجدته والذاهب إليه .

وكان هذا العمل مهمّاً خطيراً ذا جوانب متعدّدة إلى درجة أنّ الإمام عليه السلام قد زاوله على امتداد ثلاثين سنة تامّة إلّا الفترة التي جاء بها إلى العراق . يضاف إلى ذلك أنّ أعماله العلميّة الأخرى التي مارسها في رحلاته خارج المدينة كانت قائمة على هذا الأساس أيضاً .

وقد حَقَّق عليه السلام هدفه عبر تربية أربعة آلاف تلميذ في فنون مختلفة ، وتأليف أربعمئة كتاب لأربعمئة مؤلِّف في أصول متنوّعة ، وتفصيل حقائق القرآن والسنة وتفسيرهما وتأويلهما . وسدَّ طريق الجور والاعتساف ، الذي سلكه البلاط الحاكم وعملاؤه ، من خلاف إراءة الأحكام المستدلَّ عليها والقوانين الصحيحة . وفتح الطريق للناس العُمي الضمَّ المطبوع على قلوبهم نحو ملكوت السماوات عبر الفلسفيّة الإلهيّة والحكمة العالية وعرقان عوالم الغيب والتجرّد . ودلَّ على طريق العبوديّة لربوبيّة الحقِّ عزَّ اسمه . ولحق الناس بعد عصر النبيّ صلّى الله عليه وآله وصحابه يلتقون بعد عصر أمير المؤمنين بأمثال أصحابه الزهّاد العبّاد النساك السالكين العارفين كعثمان بن مظعون ، وابن التّيّهان ونظائرهما .

وهنا ينطلق اللسان بلا اختيار ليُحيّيه عليه السلام من أعماق القلب والفكر مترنماً بقوله تعالى : **وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**<sup>١</sup>.

وأصرَّ عليه السلام على صيانة حياته ، وتموين كلّ طالب بالعلوم حسب استعداده ، وعدم إرباكهم وإحراجهم بإيداعهم الجسن أو إبعادهم أو تعذيبهم أو قتلهم بلا مبرّر ممّا يستبين أنّ ذلك كلّه كان من أجل المحافظة على الحياة وتأمين القوى والعدّة والعدّة ابتغاء الوصول إلى تلك الغاية الرفيعة ، إذ من الواضح أنّه لو كان قد قُتِل ، أو نُهبَت أمواله ، أو اجتِيح مكان درسه ، فلا تعليم عندئذٍ ، ولا إحياءً للدين بعد ذلك . علماً أنّ داره عليه

١- الآية ١٥ ، من السورة ١٩ : مريم .

## السلام قد أُحرق ، وأمواله قد سُلبت ، وختمت حياته شهيداً بالسم<sup>١</sup>.

١- نقرأ في كتاب «مغز متفكر جهان شيعه» (= العقل المفكر في العالم الشيعي) الذي يتناول عجائب وغرائب علوم الإمام جعفر الصادق عليه السلام، التي جمعها خمسة وعشرون من أعلام مركز الدراسات الإسلامية في استراسبورغ أن المترجم المحترم سأل في صدر الكتاب: لماذا يُسمّى المذهب الشيعي المذهب الجعفري؟ ثم أجاب مفصلاً فقال: أنا رجل مسلم اثنا عشري ولكني لم أعلم لحد الآن سبب تسمية المذهب الشيعي بالمذهب الجعفري. ولا أمتلك معلومات عن إمامي السادس جعفر الصادق غير أنني أعرف أنه ابن الإمام محمد الباقر عليه السلام وأبو الإمام الكاظم عليه السلام. وكنت أجهل تاريخ حياته تماماً ولم أعلم إلا مكان ولادته ووفاته. أما أقواله وأعماله فلم أعرف عنها شيئاً. وبطريق أولى: لم أعرف سبب تسمية المذهب الشيعي بالمذهب الجعفري. ألم يكن إمامنا الأول هو علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فلماذا لم يعرف مذهبا بالمذهب العلوي وعُرف بالمذهب الجعفري! وعندما كنت أدون كتاب «إمام حسين وإيران» في حلقات نشرتها مجلة «خواندنيها» ووقفت بإجلال وإكبار أمام عظمة الحسين عليه السلام وخلوص تضحيته، كنت أسأل نفسي: أليس من المناسب أن يعرف المذهب الشيعي بالمذهب الحسيني تكريماً لتضحية الإمام الحسين عليه السلام؟ بعد ذلك وصلت إلي رسالة من إصدار مركز الدراسات الإسلامية في استراسبورغ، وهي تدور حول إمامنا السادس جعفر الصادق عليه السلام. فطالعتها وتبين لي سبب بروز الإمام عليه السلام من بين الأئمة الاثني عشر حتى وُضع اسمه على المذهب وعُرف المذهب به. وقد يقول لي القارئ المحترم: إن جهلك الإمام جعفر الصادق نابغ من تقصيرك. ولو كنت طالعت كتاب «بحار الأنوار» للمجلسي، و«وفيات الأعيان» لابن خلدكان، و«الوافي» للملا محسن الفيض، و«الكافي» للكليني، و«ناسخ التواريخ» للسان الملك سبهر، لعرفت الإمام السادس للشيعه حق معرفته! وأجيب أنني طالعت بعض الكتب في هذا المجال، ولاحظت أنها تحدت عن كرامات الإمام عليه السلام ومناقبه التي شغلت صفحات كثيرة منها، بيد أنها لم تتعرض إلى سبب تسمية المذهب الشيعي بالمذهب الجعفري. أما الرسالة المذكورة فقد أبانت لي الموضوع وفتحت بصيرته له. من هنا عزم على تفصيل ما جاء في الرسالة، وتعريف الشباب الإيراني بالإمام السادس على أساس تاريخي جهد المستطاع. لأننا إذا استثنينا العلماء فلا أتصور أن أحداً من الناس العاديين يعرف كيف أنقذ الإمام الصادق عليه السلام المذهب الشيعي من النفاء،

فهو كسيد الشهداء عليه السلام الذي ما ادخر وسعاً في سبيل تنفيذ ذلك الأمر المهمّ ، وقد أعدّ واستعدّ وتأهّب ، وأرسل أصحابه وأهل بيته إلى ميدان القتال فاستشهدوا بأرفع طريقة ، وبقيء إلى عصر عاشوراء يزود عن حياض الإسلام ، وظلّ حتى آخر رمق من حياته ، ولم يهدر دمه اعتباطاً ، وإلا فإنّ قتله كان حتماً مقضياً . وكان ممكناً أن يقتل في أوّل هجوم صباح عاشوراء أو ليلة عاشوراء ، ويستريح . فالكلام لا يدور حول الخلاص والاستراحة ، بل يدور حول البقاء ، والدفاع عن الحريم حتى آخر قوة وقدرة .

ولولاه لما كان للمذهب الشيعيّ الأثني عشريّ أو المذهب الإسماعيليّ - في الأقلّ - وجود يُذكر . ويستلزم منّا عرفان الجميل لذلك الرجل العالم العظيم أنّ نعرفه لمن يجهله من الوجهة التاريخيّة والعلميّة والفكريّة .

كان هذا الكلام المترجم المحترم في عنوان الكتاب، بيد أنّ وجه التسمية الذي ذكرنا آنفاً للمذهب الجعفريّ! بلطف الله تعالى وتسديده أسمى من وجه التسمية الذي ذكره وأمثلة منه . لقد بيّنا في هذا الكتاب أنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام أعرض عن الخلافة الظاهريّة بعقل راسخ وثقوى وحزم تامّ . ووقف ثلاثين سنة من عمره معانياً مكابداً من أجل تركيز روح النبوّة وأساس الولاية وأصل الحقيقة التي كانت قد ذابت في التشيع الذي يمثّل روح النبوّة وأساس القرآن . إنه - بمدرسته عليه السلام - جدّد روح النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وأحيى بدروسه وتعاليمه جهاد مولى المتّقين ونضاله . ونصّر بدأه وديدنه قطرات الدم التي أريقت من أجداده الطاهرين وجدّه سيّد الشهداء . من هنا كان اسم المذهب الشيعيّ من بدايته إلى نهايته هو «الجعفريّ» . فتأمّل وأفهم يرشدك الله إلى صراطه ومنهاجه . نحن نقدر كتاب «مغز متفكر...» ونشكر المترجم الكريم على جهوده التي بذلها من وحي رغبته وحبّه . وعلى عكس البغض المنتقد للكتاب، فإننا نراه مفيداً ضرورياً . غاية الأمر أنّنا ينبغي ألاّ نتوقّع من علماء مسيحيّين أكثر من هذا . فمرحى بمن أقرّ واعترف بفضائل إمامنا ومناقبه بالمقدار المذكور . وإذا كانوا قد أنكروا علمه الدنيّ فالجرم عليهم لا علينا . ونحن نرى أنّ جميع هذه العلوم لدنيّة ونابعة من الاطلاع على معدن الحكمة والأسرار الإلهيّة .

وحينئذٍ قال : قبول البيعة واجب على الإمام المفترض الطاعة !  
ويتحقق لزوم والوجوب إذا تهيأت جميع الإمكانيات ومحاسن القبول ،  
ولا إشكال عنده في البيعة .

وللإمام شأنية مقام الإمارة وفعليته ، سواء قَبِلَ الناس أم رفضوا ،  
وباعوا أم لم يبيعوا . أمّا قبول البيعة فيتوقف على إقبال الناس وفقدان  
المحذورات ، وهو ما ينبغي أن يكون ثابتاً عند الإمام . ويجب على الناس  
أن يلتفتوا على الإمام ويطوفوا حوله كطوافهم حول الكعبة ، لا أنّ الكعبة  
تأتيهم فيطوفوا حولها .

عندما أخذ أصحاب السقيفة البيعة لأبي بكر بعد وفاة الرسول الأكرم  
صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وجاء العباس وأبو سفيان إلى أمير المؤمنين  
عليه السلام ليبياعاه ، فإنّه قد رفض البيعة .

وحينما قُتل عثمان وأجمع المهاجرون والأنصار على بيعته  
عليه السلام ، وانتثال الناس على بيته من كلّ حدب وصوب ، فإنّه قد رفض  
أيضاً حتى مضت ثلاثة أيام وفي آخر اليوم الثالث إذ سئم الناس ، وعمّت  
الجلبة والضوضاء أجواء المدينة ، وتوسّط عمّار بن ياسر ، ومالك الأشتر ،  
ومحمّد بن أبي بكر ، ونظائرهم بينه وبين الناس ، وامتنع بشدّة ، وكلمه مالك  
الأشتر ، فقال له ما مضمونه : يا عليّ ! جميع أهل الحّلّ والعقد حتى طلحة  
والزبير راغبون في بيعتك ، فإن أمسكت ، والوقت ضيق ، بايع الناس  
أحدهما ، وستتأوّه من فعالهم غداً ، وتأتينا لدفع الظلم ! وها نحن قد جنناك  
الآن ، فاقبل البيعة لئلا تبأس غداً !

قبل عليه السلام البيعة ، فرفع طلحة والزبير لواء المعارضة ، وأوقدا  
نار الجمل بالبصرة . ثمّ انتهت حرب الجمل بحرب صفّين ، وحرب صفّين  
ولدت حرب النهروان . ثمّ قتله خوارج النهروان في محراب العبادة . وكان

عليه السلام منهمكاً في مواجهة الفتن الداخليّة على امتداد أربع سنين وأشهر كان فيها إمام المسلمين وخليفتهم، إذ لم يقتنع الناس بحقّهم، وكانوا يتوقّعون منه أشياء كثيرة. وهو رجل الحقّ وعنوان الحقّ.

وكان الإمام جعفر الصادق عليه السلام ابن عليّ هذا. وهو يعلم أنّه لو رضي بيعة الناس. لتوقع منه الين أصرّوا على بيعته أشياء في غير موضعها. وهو ليس كمعاوية والمنصور لينفق بيت المال خدمة لمآربه الخاصّة، أو يولّي من ليس أهلاً للولاية. لهذا فإنّ أنصار اليوم المتدافعين حوله سيكونون من معارضيّه وخصومه غداً.

ما هو الأفضل؟ أقبول مثل هذه الخلافة أم ما اضطلع به الإمام عليه السلام من مهمّة رساليّة؟

وبعد أن استبانّت هذه الأمور علينا أن نناقش الأحداث الواردة، والعلوم المترشّحة عن الإمام عليه السلام. وهذا ما سنستعرضه في سياق عدد من البحوث بحول الله وقوّته.

### البحث الأوّل: يدور حول اتّصالات المنصور الدوانيقيّ

ومعارضاته، وهو عبد الله بن محمّد عليّ بن عبد الله بن عبّاس، وعبّاس عمّ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

المنصور هو أخو أبي العبّاس السّفّاح، عبد الله بن محمّد. فهما سميّان وأبوهما محمّد. وبويح لأبي العبّاس السّفّاح - على ما نقل الطبريّ - في الثامن عشر من ربيع الثاني سنة ١٣٢ هـ. وكان بالكوفة، وبإيعه أهلها. ونقل الطبريّ هذا القول عن هشام بن محمّد.<sup>١</sup> ولكنّه قال في موضع

---

١- «تاريخ الأمم والملوك» لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ، ج ٧، ص ٤٣١، طبعة دار المعارف بمصر، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، وقائع سنة ١٣٢ هـ.

آخرين من كتابه : « قال الواقدي : بويح لأبي العباس بالمدينة بالخلافة في جمادى الأولى في سنة ثنتين وثلاثين ومائة <sup>١</sup> .

وذكر المحدث القمي رحمه الله أنه لما كانت الحكومة الأموية على وشك الانهيار ، اجتمع جماعة من بني العباس فيهم أبو العباس السفاح ، وأخوه: أبو جعفر المنصور ، وإبراهيم بن محمد ، وعمّه صالح بن علي ، وجماعة من الطالبين منهم عبد الله المحض ، وولده : محمد ، وإبراهيم ، وأخوه لأمه محمد الديباج وغيرهم بالأبواء (المدينة) ، واتفقوا على مبايعة أحد ولدي عبد الله المحض . فبايعوا جميعهم محمدًا . لأنهم كانوا قد سمعوا من بيت الرسالة أن مهدي آل محمد سمي رسول الله . <sup>٢</sup> ثم بعثوا وراء الإمام الصادق عليه السلام ، وعبد الله بن محمد بن عمر بن علي عليه السلام لأخذ البيعة منهما .

فلم يبايع الإمام الصادق ، وقال : المهدي ليس هذا ، وقد عزّ كم اسمه . وقال لعبد الله المحض : إذا كانت هذه البيعة للخروج والأمر بالمعروف ، فلمَ لا تبايعك وأنت شيخ بني هاشم؟! فقال عبد الله : كلامك غير سديد ، وأنت لا تبايع حسداً!

فقام الإمام ووضع يده على ظهر السفاح ، وقال : هذا هو الخليفة ، وإخوته وأولاده هما لخلفاء بعده . ووضع يده على كتف عبد الله المحض ، وقال : الخلافة ليست لك ولا لولديك وسيقتلان . وقال لعبد العزيز : سيقتل

١- «تاريخ الأمم والملوك» ج ٧، ص ٤٢٠، وقائع سنة ١٣٢ هـ.

٢- قال رسول الله: اسمه اسمي . وأما ما جاء في بعض الروايات: اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ! فلعله من وضع أصحاب محمد النفس الزكية هذا، إذ عرفوه على أنه المهدي . وكان اسم أبيه عبد الله سمي والد رسول الله .

صاحبُ الرداء الأصغر (المنصور) عبد الله ، ووَلَدَه مُحَمَّدًا .  
 حجَّ المنصور سنة ١٤٠ هـ ، ثم دخل المدينة وحبس عبد الله وبني  
 الحسن ومحمد الديباج .<sup>١</sup>  
 وذكر الطبري أيضاً<sup>٢</sup> أنّ أبا العباس السّاقح مات في ١٣ ذي الحجة  
 سنة ١٣٦ . وكانت ولايته من لُدُن قُتِل مروان بن محمّد إلى أن توفي أربع  
 سنين . وكان له يوم توفّي ٣٣ سنة ، أو ٣٦ ، أو ٣٨ سنة .  
 وفي هذه السنّة عقد أبو العباس عبد الله بن محمّد بن عليّ لأخيه أبي  
 جعفر المنصور (عبد الله بن محمّد) الخلافة من بعده ، وجعله وليّ عهده ،  
 ومن بعد أبي جعفر عيسى بن موسى بن محمّد بن عليّ . وكتب العهد بذلك ،  
 ودفعه إلى عيسى بن موسى . وفي هذا السنة بويح لأبي جعفر المنصور  
 بالخلافة .

وفي سنة ١٣٧ هـ قتل المنصور القائد الكبير أبا مسلم الخراسانيّ الذي  
 مهّد الأمر لبني العباس . قتله غيلة بعد ما كاتبه متلطفاً وآمنه ودعاه .  
 وما أن دخل أبو مسلم مجلس المنصور ، هجم عليه الغلمان وقطّوه  
 إرباً إرباً . وكان قتله فتكاً . وورد ذلك في «تاريخ الطبري» ، ج ٧ ، ص ٤٨٨ .  
 وقال السيوطي في «تاريخ الخلفاء» : فأول ما فعل (المنصور) أن قتل أبا  
 مسلم الخراسانيّ صاحب دعوتهم وممهّد مملكتهم .<sup>٣</sup>  
 وأعطى المنصور الأمان ليزيد بن عمر بن هبيرة أميرالعراقيين ، ثمّ

١- «متهى الآمال» ج ١ ، ص ١٩٥ ؛ و«تسمّة المنتهى في وقائع أيام الخلفاء» ص ١٨٠ ،  
 الطبعة الثّالثة ، ١٣٩٧ ، ص ١٨٠ .

٢- «تاريخ الطبري» ج ٧ ، ص ٤٦٨ إلى ٤٨٨ .

٣- «تاريخ الخلفاء» ص ٢٦٠ ، الطبعة الرابعة .



قتله . وذكر المحدث القمّي قضية معن بن زائدة الشيباني الذي كان معاشرًا لابن هُبيرة ، وكان من أجواد زمانه وشجاعانه ، حين فرّ بدهاء من بغداد خوفاً من المنصور .<sup>١</sup>

وأعطى الأمان لعمّه عبد الله بن عليّ ، ثم قتلّه .<sup>٢</sup>  
كان الوفاء بالعهد معظماً عند العرب . وإذا أعطوا الأمان لأحدٍ ، فإنّهم يقاومون للمحافظة عليه حتى بذل المهج . وإذا غدر امرؤ بالعهد ونقض أمانه فإنّه يظّل معروفاً بالقبح والشناعة عند قومه وأرحامه إلى الأبد . وكان المنصور يعطي الأمان ييسر . فيأتي الشخص عنده على أساس هذه السنّة السنيّة في حفظ ذمّته وعهده ، وإذا المنصور يضرب عنقه في أوّل ما يراه .  
وعندما كتب رسالة إلى محمّد النفس الزكيّة نجل عبد الله المحض ، وآمنه فيها مفصلاً وذكر أنّ له عليه عهد الله وميثاقه وذمّته وذمّة رسوله ،<sup>٣</sup> أجابه محمّد عنها ، ومن جملة ما قال له في الجواب :

أَنَا أَوْلَى بِالْأَمْرِ مِنْكَ وَأَوْفَى بِالْعَهْدِ ! لِأَنَّكَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَهْدِ

١- «تتمّة المنتهى» ص ٢٠٢ و ٢٠٣ .

٢- قال المستشار عبدالحليم الجنديّ في كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص ٨٢ :  
(المنصور) قد حبس عمّه عبد الله بن عليّ من سنة ١٣٨ في دار لتخرّ عليه فيموت سنة ١٤٧ هـ .  
وعبد الله عمّه وقائده المنتصر على آخر ملوك بني أميّة يوم الزاب . لكنّه خرج عليه ، فأرسل إليه جيشاً بقيادة أبي مسلم الخراسانيّ . ولجأ عبد الله إلى أخويه : سليمان وعيسى فأخذوا له عهداً على المنصور كتبه ابن المقفّع ، وفيه : ومتى غدر أمير المؤمنين بعمّه فנסأوه طوالق ، ودوابّه حبس ، وعبيده أحرار ، والمسلمون في حلّ من بيعته .  
فأمّا أبو مسلم فسيّدعوه أبو جعفر إلى قصره بعد أمان يعطيه إيّاه ثمّ يخرج عليه عبيده فيقتلونه أمامه . وأمّا عبد الله بن المقفّع فسيقتله والي أبي جعفر سنة ١٤٢ فيشفي صدر أبي جعفر .

٣- «تاريخ الطبري» ، ج ٧ ، ص ٥٦٦ ، الطبعة السابقة .

وَالْأَمَانَ مَا أَعْطَيْتَهُ رَجَالًا قَبْلِي ! فَأَيُّ الْأَمَانَاتِ تُعْطِينِي ؟! أَمَانَ ابْنِ هُبَيْرَةَ ؟!  
 أَمْ أَمَانَ عَمِّكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ ؟! أَمْ أَمَانَ أَبِي مُسْلِمٍ ؟!<sup>١</sup>  
 ذكر الطبري أنّ المنصور لما حجّ سنة ١٤٠ هـ أمر رياحاً<sup>٢</sup> بأخذ بني  
 حسن ، ووجه في ذلك أبا الأزهر المهري .

وقد كان حبس عبد الله بن حسن ، فلم يزل محبوساً ثلاث سنين  
 (حتى مات) . فكان حسن بن حسن قد نصل خضابه تسلياً على عبد الله .  
 فكان أبو جعفر المنصور يقول : مَا فَعَلْتَ الْحَادَّةُ ؟!

قال : فأخذ رياح حسناً (المثلث) وإبراهيم (الغمر) ابني حسن بن  
 حسن ، وحسن بن جعفر بن حسن بن حسن ، وسليمان وعبد الله ابني داود  
 بن حسن بن حسن ، ومحمداً وإسماعيل وإسحاق أبناء إبراهيم (الغمر) بن  
 حسن بن حسن ، وعباس بن حسن ، (المثلث) بن حسن بن حسن بن عليّ  
 بن أبي طالب .

أخذه على بابهِ ، فقالت أمّه عائشة ابنة طلحة بن عمر بن عبيدالله بن  
 معمر : دَعُونِي أَشْمُهُ ! قَالُوا : لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتَ حَيَّةً فِي الدُّنْيَا !  
 وعليّ بن حسن (المثلث) بن حسن بن حسن العابد ، وحبس معهم

١- «تاريخ الطبري» ج ٧ ، ص ٥٦٨ .

٢- ولي رياح بن عثمان المرّي المدينة للمنصور. ذكره المستشار عبدالحليم الجندي  
 بالباء الموحدة في كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص ١٢٤ و١٢٥ ، وقال: وفي إمرته اقتحم  
 الجند منازل أهل البيت فأخرجوا منها رجالهم إلى السجون. ومّرت مواكب أهل البيت في  
 شوارع المدينة وهم في الأصفاد، هزلهم العذاب والأيام الشداد، ثم سيقوا إلى الكوفة  
 ليودعوا السجن حيث حبسوا كما يقول المسعودي في «مروج الذهب» - في سرداب تحت  
 الأرض، لا يعرفون الليل من النهار حتى مات أكثرهم، ثم خرّ عليهم، ليموت تحت انقاضه  
 الأحياء منهم، ويدفن الذين سبقوهم إلى الموت دون أن يُعنى بهم أحد.

أبو جعفر الدوانيقيّ عبد الله بن حسن بن حسن أخا عليّ (أي: الابن الآخر للحسن المثلث وكان أخا عليّ).

وحدّثني ابن زباله، قال: سمعتُ بعض علمائنا يقول: مَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا قَتَلَهُ عَنْ رَأْيِهِ.<sup>١</sup>

وحجّ أبو جعفر المنصور في سنة ١٤٤ هـ أيضاً، فتلّقاه رياح بالزبدة. فردّه إلى المدينة، وأمره بإشخاص بني حسن إليه، وبإشخاص محمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عقّان، وهو أخو بني حسن لأُمّهم. أمّهم جميعاً فاطمة ابنة حسين بن عليّ بن أبي طالب.

وبعد حبس بني حسن بالمدينة ثلاث سنين، سير بهم إلى الكوفة. وتوجّه المنصور من الربذة إلى الكوفة، وهو في محمله. وقيّد بني حسن ومحمّداً الديباج<sup>٢</sup> بالأغلال وأجلسهم في المحامل بلا غطاء ولا وطاء

١- «تاريخ الطبري» ج ٧، ص ٥٣٩.

٢- الديباج هو الحرير. وكان جسم محمّد أبيض جميلاً يتلأأ كالحرير. قال المرحوم المحدّث القمّي في «منتهى الآمال» ج ١، ص ١٩٧ (ما تعريبه): كان جسم محمّد كسبيكه الفضة ثمّ اسودّ كجسم الزوج، وجحظت إحدى عينيه من ضرب الشياطين. وقال في ص ١٩٩: بايع المنصور محمّداً النفس الزكيّة مرّتين. إحداهما في المسجد الحرام، والأخرى في الأبواء. وقال أيضاً: وكان محمّد منخفياً في شعاب الجبال. وكان ذات يوم في رضوى مع أمة له أمّ ولد، وطفل رضيع. وحين رأى غلاماً جاء في طلبه من قبل المنصور، هرب، وهربت الجارية فسقط الصبيّ منها فتقطّع. ونقل هذا أبو الفرج الإصفهانّي.

أقول: وذكره الطبري في تاريخه أيضاً، ج ٧، ص ٥٣٥، الطبعة الرابعة، وأضاف أنّه

قال في تلك الحالة:

مَنْ خَرَقَ السَّرْبَالَ يَشْكُو الْوَجَى      تَنْكُبُهُ أَطْرَافُ مَرَوْ جِدَادٍ  
شَرَّرَهُ الْخَوْفُ فَأَزْرَى بِهِ      كَذَلِكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الْجِلَادِ

وأخذهم معه إلى الكوفة ، وحبسهم بالهاشمية قرب القنطرة .  
 وكان السجن مظلماً حتى أنهم لم يعرفوا الليل من النهار ، وورمت  
 أجسامهم بسبب رائحة السجن التنة وماتوا جميعهم في السجن .<sup>١</sup>  
 وكان السجن مظلماً إلى حدّ أنهم كانوا لا يعرفون أوقات الصلاة إلا  
 بأحزاب كان يقرؤها عليّ بن حسن (ابن الحسن المثلث وكان يُسمّى  
 العابد) .

قال عمر : وحدّثني ابن عائشة ، قال : سمعتُ موليّ لبني دارم ، قال :  
 قلتُ لبشير الرّحال : ما يُسرّعك إلى الخروج على هذا الرجل ؟!  
 قال : إنّه أرسل إليّ بعد أخذه عبد الله بن حسن فأتيته ، فأمرني يوماً  
 بدخول بيت فدخلته ، فإذا بعبد الله بن الحسن مقتولاً . فسقطتُ مغشياً عليّ .  
 فلما أفقتُ أعطيتُ الله عهداً ألاّ يختلف في أمره سيفان إلاّ كنتُ مع الذي  
 عليه منهما . وقلت للرسول الذي معي من قبله : لا تخبره بما لقيت ، فإنّه إن  
 علم قتلني .

قال عمر : فحدّثتُ به هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد من أهل  
 همدان ، وهو العبّاسيّ أنّ أبا جعفر أمر بقتله . فخلف بالله ما فعل ذلك ،  
 ولكّنه دسّ إليه من أخبره أنّ محمّداً قد ظهر فقتل ، فانصدع قلبه ، فمات .  
 قال : وحدّثني عيسى بن عبد الله ، قال : قال من بقي منهم (غير  
 الذين قتلوا) : إنهم كانوا يسقون . فماتوا جميعاً إلاّ سليمان وعبد الله ابني  
 داود بن حسن بن حسن ، وإسحاق وإسماعيل ابني إبراهيم بن حسن بن

والموتُ حتمٌ في رقابّ العباد

قد كان في الموت له راحة

- «تاريخ الطبريّ» ج ٧ ، ص ٥٤٠ .

حسن، وجعفر بن حسن. فكان من قتل منهم إنما قتل بعد خروج محمد<sup>١</sup> ولما حُملَ المحبوسون من بني الحسن إلى المنصور في الربذة. بعث إلى محمد الديباج فلما أدخل عليه، قال: أخبرني عن الكذابين ما فعلاً؟ وأين هما؟ (يريد المنصور محمدًا وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن).

قال: والله يا أمير المؤمنين ما لي بهما علم! قال: لتخبرني! قال: قد قلت لك، وإني والله لصادق! ولقد كنت أعلم علمهما قبل اليوم، وأما اليوم فما لي والله بهما علم!

قال: جرّده. فجرد، فضربه مائة سوط، وعليه جامعة حديد في يده إلى عنقه. فلما فرغ من ضربه أخرج فألبس قميصاً له قوهياً<sup>٢</sup> على الضرب، وأتى به إلينا.<sup>٣</sup>

فوالله ما قدروا على نزع المقيص من لصوته بالدم، حتى حلبوا عليه شاة. ثم اتزع القميص، ثم داووه.

فقال أبو جعفر: احذروا بهم إلى العراق! فقدم بهم إلى الهاشمية، فحبسوا بها. فكان أول من مات في الحبس عبد الله بن حسن: فجاء السبحان، فقال: ليخرج أقربكم به فليصل عليه. فخرج أخوه حسن بن حسن بن علي عليهم السلام، فصلّى عليه.

ثم مات محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان. فأخذ رأسه، فبعث به مع جماعة من الشيعة إلى خراسان. فطافوا في كور خراسان. وجعلوا يحلفون بالله أن هـ - ذا رأس محمد بن عبد الله بن فاطمة ابنة رسول الله

١- «تاريخ الطبري» ج ٧، ص ٥٤٩.

٢- القوهي: ثياب بيض تُنسب إلى قوهستان، كورة بين نيسابور وهرارة.

٣- قائل هذا الكلام هو عبد الرحمن بن أبي الموالي.

صلى الله عليه وآله ؛ يوهمون الناس أنه رأس محمد بن عبد الله بن حسن الذي كانوا يجدون خروجه على أبي جعفر في الرواية<sup>١</sup>.

وممن أفتى بالخروج مع محمد على المنصور هو مالك بن أنس . وعندما قيل له : إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر ، قال : **إِنَّمَا بَايَعْتُمْ مُكْرَهِينَ وَلَيْسَ عَلَى كُلِّ مُكْرَةٍ يَمِينٌ!**<sup>٢</sup> فأسرع الناس إلى محمد ، ولزم مالك بيته .

وذكر المحدث القمي رحمه الله أن محمداً النفس الزكية خرج بالمدينة في غرة رجب سنة ١٤٥ هـ وقتل بأحجار الزيت بالمدينة في أواسط شهر رمضان . وكانت المدة منذ ظهوره حتى مقتله شهرين وسبعة عشر يوماً . وكان له من العمر خمس وأربعون سنة .

وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في غرة شوال - وعلى قول - في رمضان سنة ١٤٥ هـ . ثم قدم الكوفة بدعوة من أهلها ، وقتل ببأخمر في أرض الطف على ستة عشر فرسخاً من الكوفة .<sup>٣</sup> وكان قتله في يوم الاثنين من شهر ذي الحجة سنة ١٤٥ هـ ، وهو ابن ٤٨ سنة . وأمر المنصور بأخذ رأسه إلى أبيه عبد الله في سجن الهاشمية ببغداد .<sup>٤</sup>

قال الملا جلال الدين السيوطي : وكان (المنصور) فحل بني العباس ، هيبته وشجاعة وحزماً ورأياً وجبروتاً ، جماعاً للمال ، تاركاً للهو واللعب ،

١- «تاريخ الطبري» ج ٧ ، ص ٥٥١ .

٢- «تاريخ الطبري» ج ٧ ، ص ٥٦٠ .

٣- قال السيوطي في «تاريخ الخلفاء» ص ٢٦١ : وفي سنة خمس وأربعين ومائة كان خروج الأخوين محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . فظفر بهما المنصور وقتلها وجماعة كثيرة من آل البيت ، **فَاتَا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** .

٤- «منتهى الآمال» ج ١ ، ص ١٩٩ و ٢٠٢ ، طبع علمية إسلامية بالقطع الرحلي

(الكبير).

كامل العقل ، جتيد المشاركة في العلم والأدب ، فقيه النفس . قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه . وهو الذي ضرب أبا حنيفة على القضاء ، ثم سجنه ، فمات بعد أيام . وقيل : إنه قتله بالسم لكونه أفتى بالخروج عليه . وكان فصيحاً بليغاً مفوّهاً خليقاً للإمارة . وكان غاية في الحرص والبخل ، فلُقّب «أبا الدوانيق» لمحاسنته العمّال والصنّاع على الدوانيق والحبّات .

أمّه سلامة البربريّة أمّ ولد . وفي سنة ثمان وثلاثين ومائة كان دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأمويّ إلى الأندلس . واستولى عليها وامتدّت أيامه . وبقيت الأندلس في يد أولاده إلى بعد الأربعمائة . وكان عبد الرحمن هذا من أهل العلم والعدل ، وأمّه بربريّة . قال أبو المظفر الأبيوردي : فكانوا يقولون : ملك الدنيا ابنا بربريتين : المنصور وعبد الرحمن بن معاوية .<sup>١</sup>

وكان العلويّون والعباسيّون حتى عصر المنصور متّفقين على رأي واحد ، وكانوا يتعارفون لحلّ المشاكل . ويواصلون طريقتهم جميعاً بوصفهم أرحام رسول الله . وكان عدوّهم الوحيد وخصمهم المعارض هم بني أميّة الذين شكّلوا جبهة مناوئة لبني هاشم مارست ضدّهم الحرب والجدال والأسر والنهب والقتل وسائر الأعمال العدائيّة . أمّا المنصور فقد مزّق أوصال هذا الاتحاد ، ولم يأل جهداً في التفريق بينهما . فانكسر العلويّون وغلبوا على أمرهم بعد ذلك . وصارت القدرة والسلطة والشوكة للعباسيّين . وظلّ الخلاف بينهما متأجّجاً على امتداد خمسمائة سنة من الحكم العبّاسيّ . ويعود هذا إلى ما كان يحمله المنصور من روح استكباريّة فرعونيّة جبروتية فحسب . ويُلحظُ في التأريخ أنّه هو الذي سنّ هذا

١- «تاريخ الخلفاء» ص ٢٥٩ و ٢٦٠ ، الطبعة الرابعة.

الخلافة ووضع قواعده .

قال السيوطي : وكان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين ، وكانوا قبل شيئاً واحداً . وآذى المنصور خلقاً من العلماء ممن خرج مع محمد وإبراهيم أو أمر بالخروج قتلاً وضرباً وغير ذلك . منهم أبو حنيفة ، وعبد الحميد بن جعفر ، وابن عجلان ... .

وفي سنة سبع وأربعين ومائة خلع المنصور عمه عيسى بن موسى من ولاية العهد . وكان السقّاح عهد إليه من بعد المنصور . وكان عيسى هو الذي حارب له الأخوين محمد وإبراهيم فظفر بهما . فكأفأه بأن خلعه مكرهاً ، وعهد إلى ولده المهدي<sup>١</sup> .

وفي سنة ثمان وخمسين ومائة أمر المنصور نائب مكة بحبس سفيان الثوري ، وعباد بن كثير فحبسا . وتخوف الناس أن يقتلها المنصور إذا ورد الحج . فلم يوصله الله مكة سالماً ، بل قدم مريضاً ومات ، وكفاهما الله شره . وكانت وفاته بالبطن في ذي الحجة ، ودُفن بين الحجون وبئر ميمون . وقال سلم الخاسر :

قَفَلَ الْحَجِيجُ وَخَلَفُوا ابْنَ مُحَمَّدٍ رَهْنًا بِمَكَّةَ فِي الضَّرِيحِ الْمُلْحَدِ  
شَهِدُوا الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا وَإِمَامُهُمْ تَحْتَ الصَّفَائِحِ مُحْرِمًا لَمْ يَشْهَدْ<sup>٢</sup>

ومن أخبار المنصور في البخل وخسة النفس ولؤم الطبع ما رواه السيوطي أيضاً عن ابن عساكر بسنده عن أبي جعفر المنصور أنه كان يرحل في طلب العلم قبل الخلافة ، فبينما هو يدخل منزلاً من المنازل ، قبض عليه صاحب الرصد ، فقال : زِنْ دِرْهَمَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ !

١- «تاريخ الخلفاء» ص ٢٦١ .

٢- «تاريخ الخلفاء» ص ٢٦٢ و ٢٦٣ .



قال المنصور : خَلَّ عَنِّي فَإِنِّي ! رجل من بني هاشم .

قال : زِنِ درهمين !

فقال : خَلَّ عَنِّي فَإِنِّي من بني عمّ رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله]

وسلّم !

قال : زِنِ درهمين !

قال : خَلَّ عَنِّي فَإِنِّي رجل قارئ للكتاب الله !

قال : زِنِ درهمين !

قال : خَلَّ عَنِّي فَإِنِّي رجل عالم بالفقه والفرائض !

قال : زِنِ درهمين !

فلمّا أعياه أمره وزن الدرهمين : ، فرجع ولزم جمع المال والتدنّق

فيه حتّى لُقّب بأبي الدوانيق<sup>١</sup> .

وأخرج أيضاً عن ابن عساكر ، عن يونس بن حبيب قال : كتب زياد

بن عبد الله الحارثي إلى المنصور يسأله الزيادة في عطائه وأرزاقه ، وأبلغ

في كتابه ، فوقع المنصور في القصة ، إنّ الغنى والبلاغة إذا اجتمعنا في رجل

أبطرتاه ، وأمير المؤمنين يشفق عليك من ذلك ، فاكثف بالبلاغة !

وأخرج عن محمّد بن سلام ، قال : رأيت جارية المنصور قميصه

مرقوعاً ، فقالت : خليفة وقميصه مرقوع ، فقال : ويحك ! أما سمعت قول

ابن هرمة :

قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَتَى وَرِدَاؤُهُ خَلِيقٌ وَحَبِيْبٌ قَمِيصِهِ مَرْقُوعٌ

وقال العسكري في «الأوائل» : كان المنصور في ولد العباس كعبد

الملك في بني أمية في بُخله . رأى بعضهم عليه قميصاً مرقوعاً ، فقال :

١- «تاريخ الخلفاء» ص ٢٦٣ .

سُبْحَانَ مَنْ ابْتَلَىٰ أَبَا جَعْفَرٍ بِالْفَقْرِ فِي مُلْكِهِ .

وَحَدَا بِهِ سَلَّمَ الْحَادِي .<sup>١</sup> فطرب حتى كاد يسقط من الراحة ، فأجازه بنصف درهم . فقال : لقد حدثُ بهشام ، فأجازني بعشرة آلاف ! فقال : ما كان له أن يعطيك ذلك من بيت المال ! يا ربيع ؟ وَكُلُّ بِهِ مَنْ يَقْبِضُهَا مِنْهُ ! فما زالوا به حتى تركه على أن يحدو به ذهاباً وإياباً بغير شيء .<sup>٢</sup>

وعلى عكس المنصور ولده المهدي . فقد كان جواداً ، حسن الأخلاق ، ممدوحاً ، محبباً إلى الرعية . ونقل الدميري أن المنصور حين هلك كان في خزائنه ستون ألف دينار (ستون مليوناً) ومائة ألف ألف درهم (مائة مليون) . فوزعها المهدي على الناس . ونُقل أنه أجاز شاعراً بمائة ألف درهم .<sup>٣</sup>

ومن البين أن ارتداء المنصور القميص المرقوع ليس من كمال زهده . فقد شدَّ عقَدَ مآزره من أجل جمع أموال الناس وملأ بيت المال والخزانة . وفاق فراعنة الدهر وجابرة التاريخ في إراقة دماء المظلومين والأبرياء . فادّخار ستين مليون دينار ذهب ومائة مليون درهم فضة أمر يحتاج إلى محاسبين حاذقين من أجل توزيعه بين الناس .

وأخرج ابن عساكر أيضاً عن الربيع بن يونس الحاجب قال : سمعت المنصور يقول : الخلفاء أربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ . والملوك

١- قال في «أقرب الموارد» في مادة (حدو): حَدَا يَحْدُو حُدُوًا وَحَدَاءً، يقال: «ما أَمْلَحُ حُدَاءَهُ» و- الإبل و- بها: ساقها وغنى لها فهو (حَادِجٌ حُدَاةً) وَسَلَامٌ الْحَادِي مَثَلٌ فِي طَيْبِ الْحُدَاءِ . قيل: «أظمأوا الإبل شديداً ثم أوردوها الماءً وَوَقَفَ سَلَامٌ مِنْ وَرَائِهَا يَحْدُو لَهَا فَانصرفت عن الماء إليه» .

٢- «تاريخ الخلفاء» ص ٢٦٧ ، الطبعة الرابعة .

٣- «تتمة المنتهى» ص ٢٠٥ ، الطبعة الثالثة .

أربعة : معاوية ، وعبد الملك ، وهشام ، وأنا .  
وأخرج أيضاً عن مالك بن أنس ، قال : دخلتُ على أبي جعفر المنصور ، فقال : مَنْ أفضل الناس بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟ قلتُ : أبو بكر ، وعمر . قال : أصبت . وذلك رأي أمير المؤمنين .  
ولم يكن ابتعاد المنصور عن اللهو واللعب لله وفي الله . بل كانت مجالس شربه وغنائه تقام خلف الستار على مسافة عن ندمائه .

وروى السيوطي بإسناده عن الصولي ، عن إسحاق الموصلي قال : لم يكن المنصور يظهر لندمائه بشرب ولا غناء ، بل يجلس وبينه وبين الندماء ستارة ، وبينهم وبينها عشرون ذراعاً ، وبينهما وبينه كذلك . (أي : أربعون ذراعاً تعادل عشرين متراً تقريباً) . وأول من ظهر للندماء من خلفاء بني العباس المهدي .<sup>١</sup>

وأكد السيوطي مرةً أخرى أنّ المنصور هو سبب التفرقة بين العلويين والعباسيين . وحكى عن محمد بن علي الخراساني أنه قال : المنصور أول خليفة قرّب المنجمين وعمل بأحكام النجوم ، وأول خليفة تُرجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية ، ككتاب كليلة ودمنة ، وأقليدس ، وهو أول من استعمل مواليه على الأعمال وقدمهم على العرب ، وكثر ذلك بعده حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها ، وهو أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد علي ، وكان قبل ذلك أمرهم واحداً .<sup>٢</sup>

قال آية الله الشيخ محمد حسين المظفر : مُني الإمام الصادق عليه السلام بمعاصرة الدولتين المروانية والعباسية ، وشاهد منهما معاً ضروب

١- «تاريخ الخلفاء» ص ٢٦٩ .

٢- «تاريخ الخلفاء» ص ٢٦٩ و ٢٧٠ .

## الأذى والتضييق .

فكم أزعجوه من دار الهجرة يحمل إلى فرعون أيامه من دون جرم سوى أنه صاحب الخلافة والإمامة حق - أ . فحُمِلَ مرّة إلى الشام مع أبيه الباقر عليه السلام أيام بني مروان ، وإلى العراق عدّة مرّات<sup>١</sup> في عهد بني العباس أبناء عمّه ، مرّة في عهد السَّقَاح إلى الحيرة ، ومرّات في عهد

١- في «المناقب» لابن شهر آشوب، ج ١، ص ١٨٣ إلى ١٨٤، الطبعة الحجرية، وج ١، ص ٢٦١، الطبعة الحديثة، في باب ميراث رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، عن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن، ومعتب ومصادف موليا الإمام الصادق عليه السلام في خبر أنه لما دخل هشام بن الوليد المدينة أتاه بنو العباس وشكوا من الصادق عليه السلام أنه أخذ تركات ماهر الخصي دوننا. فخطب أبو عبد الله عليه السلام، فكان ممّا قال: إن الله تعالى لما بعث رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كان أبونا أبو طالب المواسي له بنفسه والناصر له، وأبوكم العباس وأبو لهب يكذبانه ويؤلّبان عليه شياطين الكفر وأبوكم يبغى له الغوائل ويقود إليه القبائل في بدر، وكان في أوّل رعيها وصاحب خيلها ورجلها المَطْعَم يومئذٍ والناصب الحرب له. ثمّ قال: فكان أبوكم طليقتنا وعتيقنا، وأسلم كارهاً تحت سيفنا، لم يهاجر إلى الله ورسوله هجرة قطّ، فقطع الله ولايته منّا بقوله: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» (الآية ٧٢، من السورة ٨: الأنفال) في كلام له؛ ثمّ قال: هذا مولى لنا مات فخرنا ترائه إذ كان مولانا، ولأنّا ولد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وأمّنا فاطمة أحرزت ميراثه.

ونقل العلامة المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٤٧، ص ١٧٦، الطبعة الحديثة، هذا الحديث في ترجمة الإمام الصادق عليه السلام، وقال في بيانه: أَلْبُتُّ الجَيْشِ: جَمَعْتُهُ. والتأليب: التحريض، والرعي، القطعة من الخيل.

وذكر العلامة الشيخ محمّد حسين المظفر هذا الحديث أيضاً في كتاب «الإمام الصادق عليه السلام» ج ٢، ص ٨، ضمن خطب الإمام، وقال في ذيله: إنّ الصادق أرفع من أن يواقف بني العباس من جرّاء المال، ولكنّي أخال أنه يريد أن يكشف حالاً للعباس كانت مجهولة، لأنّ الملك سوف يواني بنيّه، فيعلم الناس شأن من يملك منهم الرقاب. وهذا الكلمات على وجازتها تفيد التاريخ فوائد جمّة، ولا أحسب أنّ التاريخ يذكر للعباس تلك المواقف!

المنصور إلى الحيرة ، وإلى الكوفة ، وإلى بغداد .<sup>١</sup>  
وروى الكليني بسنده عن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام ، قال وهو بالحيرة في زمان أبي العباس السفاح : إنني دخلت عليه وقد شكّ الناس في الصوم ، وهو والله من شهر رمضان ، فسلمت عليه ، فقال : يا أبا عبد الله ! أصمتَ اليوم ؟! فقلتُ : لا ! والمائدة بين يديه ! قال : فادنُ فكل ! قال : فدنوتُ فأكلتُ .

قال : وقلتُ : الصَّوْمُ مَعَكَ وَالْفِطْرُ مَعَكَ .

فقال الرجل لأبي عبد الله عليه السلام : تُفْطِرُ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ؟!

فقال عليه السلام : إِي وَاللَّهِ أَفْطِرُ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُضْرَبَ عُنُقِي .<sup>٢</sup>

وكذلك روى الكليني بسند آخر عن الإمام أنه قال :  
دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بِالْحِيرَةِ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! مَا تَقُولُ فِي الصَّيَامِ الْيَوْمَ ؟! فَقُلْتُ : ذَلِكَ إِلَى الْإِمَامِ . إِنْ صُمْتَ صُمْنَا ، وَإِنْ أَفْطَرْتَ أَفْطَرْنَا !

فَقَالَ : يَا غُلَامُ عَلَيَّ بِالْمَائِدَةِ فَأَكَلْتُ مَعَهُ ، وَأَنَا أَعْلَمُ وَاللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ مِنْ يَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ . فَكَانَ إِفْطَارِي يَوْمًا وَقِضَاؤُهُ أَيْسَرَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يُضْرَبَ عُنُقِي وَلَا يُعْبَدَ اللَّهُ !<sup>٣</sup>

١- «تاريخ الشيعة» ص ٤٣ .

٢- «الكافي» ج ٣ ، ص ٨٣ ؛ ونقله المجلسي عن «الكافي» في «بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ٢١٠ ، الطبعة الحديثة .

٣- «فروع الكافي» ج ٣ ، ص ٨٢ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ٢١٠ .

## استدعاء المنصور الإمام الصادق عليه السلام من المدينة إلى قصر الحمراء قبل قتل محمد وإبراهيم

جاء في كتاب «مهج الدعوات» للسيد ابن طاووس عن كتاب قديم بسنده عن محمد بن الربيع الحاجب قال : قعد المنصور يوماً في قصره في القبة الخضراء ، وكانت قبل قتل محمد وإبراهيم تُدعى الحمراء . وكان له يوم يقعد فيه يسمّى ذلك اليوم يوم الذبح . وقد كان أشخص جعفر بن محمد عليه السلام من المدينة . فلم يزل في الحمراء نهاره كله حتى جاء الليل ومضى أكثره ، قال : ثم دعا أبي الربيع ، فقال : يا ربيع ! إنك تعرفت موضعك منّي ... صبر الساعة إلى جعفر بن محمد بن فاطمة ، فأتني به على الحال الذي تجده عليه ، لا تغتبر شيئاً ممّا عليه ...

إلى أن قال : فأخرجته حافياً حاسراً قميصه ومنديله ... فوقف بين

يديه .

فلما نظر إليه ، قال : وَأَنْتَ يَا جَعْفَرُ مَا تَدْعُ حَسَدَكَ وَبَغْيَكَ وَإِفْسَادَكَ عَلَى أَهْوَالِ هَذَا الْبَيْتِ مِنْ بَنِي عَبَّاسٍ . وَمَا يَزِيدُكَ اللَّهُ بِذَلِكَ إِلَّا شِدَّةَ حَسَدٍ وَنَكَدٍ مَا تَبْلُغُ بِهِ مَا تَقْدِرُهُ !

فقال له : والله يا أمير المؤمنين ما فعلتُ شيئاً من هذا ، ولقد كنتُ في ولاية بني أمية وأنت تعلم أنهم أعداء الخلق لنا ولكم ، وأنهم لاحق لهم في هذا الأمر ... فكيف يا أمير المؤمنين أصنع الآن هذا !؟

ثم رفع ثني الوسادة فأخرج منها إضبارة كتب فرمى بها إليه ، وقال : هذه كتبك إلى أهل خراسان تدعوهم إلى نقض بيعتي وأن يبيعوك دوني !

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما فعلتُ ولا أستحلُّ ذلك ، ولا هو من

مذهبي ، وقد بلغتُ من السنِّ ما قد أضعفني من ذلك !

ثم قال : أما تستحي مع هذه الشبية ، ومع هذا النسب أن تنطق

بالباطل ! وتشق عصا المسلمين ! تريد أن تريق الدماء ، وتطرح الفتنة بين الرعيّة والأولياء !

فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما فعلتُ ! ولا هذه كتبني ولا خطي ، ولا خاتمي !

ثم قال المنصور : يا ربيع ! هات العيبة ، فأتاه بها فقال : أدخل يدك فيها ، فكانت مملوءة غالية . وضعها في لحيته وكانت بيضاء فاسودّت . وقال لي . احمله على فاره من دوابي التي أركبها ، وأعطه عشرة آلاف درهم ، وشيعه إلى منزلة مكرّماً ، وخيره إذا أتيت به إلى المنزل بين المقام عندنا فنكرمه ، والانصراف إلى مدينة جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله .

(تخلّل هذا الحوار استلالُ السيف والعزم على قتل الإمام ثلاث مرّات في فترات مختلفة إلا أنّ الله سبحانه دفع عنه شرّ المنصور بأدعية كان يتوسّل بها) .

ثم قال المنصور للربيع : يا ربيع ! قد كنتُ مصرّاً على قتل جعفر ، وأن لا أسمع له قولاً ! ولا أقبل عذراً . وكان أمره وإن كان ممّن لا يخرج بسيف أغلظ عندي وأهمّ عليّ من أمر عبد الله بن الحسن . فقد كنتُ أعلم هذا منه ومن آبائه على عهد بني أميّة . وهممت بقتله ثلاث مرّات فظهر لي رسول الله فعلمت أنّي إذا قتلته ففي قتله حتفي ، فانصرفتُ عن ذلك . وفضّل المنصور للربيع ما رآه في المرّات الثلاث . ثم قال له : إيّاك أن يسمع هذا منك أحد .<sup>١</sup>

١- «مهج الدعوات» ص ١٩٢؛ و«بحار الأنوار»، ج ٤٧، ص ١٩٥ إلى ٢٠٠، تاريخ الإمام جعفر الصادق عليه السلام، الطبعة الحديثة.

## استدعاء المنصور الإمام من المدينة إلى الكوفة بعد قتل محمد

## وإبراهيم

روى أبو الفرج الإصفهاني بإسناده عن يونس بن أبي يعقوب قال :  
حدثنا جعفر بن محمد صلوات الله عليه من فيه إلى أذني قال : لما قُتِلَ  
إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بباخمرا<sup>١</sup> وحشرنا من المدينة ، فلم يترك فيها  
منا محتلم ، حتى قدمنا الكوفة فمكثنا فيها شهراً نتوقع فيها القتل .

ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال : أين هؤلاء العلوية؟! أدخلوا علي  
أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى .

قال : فدخلنا إليه أنا وحسن بن زيد . فلما صرتُ بين يديه ، قال لي :  
أنت الذي تعلم الغيب؟! قلتُ : لا يعلم الغيب إلا الله ! قال : أنت الذي يُجيبى  
إليك هذا الخراج؟! قلتُ : إليك يُجيبى يا أمير المؤمنين الخراج ! قال :  
أتدرون لِمَ دعوتكم؟! قلتُ : لا !

قال المنصور : أَرَدْتُ أَنْ أَهْدِمَ رِبَاعَكُمْ ، وَأُغَوِّرَ قَلْبَيْكُمْ ، وَأَعْقِرَ  
نَخْلَكُمْ ، وَأُنْزِلَكُمْ بِالشَّرَاةِ<sup>٢</sup> لَا يُقْرَبُكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ ،  
فَإِنَّهُمْ لَكُمْ مَفْسَدَةٌ !

فقلتُ له : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! (إِنْ) سُلَيْمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَإِنَّ أَيُّوبَ

١- باخمرا: بالراء المهملة موضع بين الكوفة وواسط. وهو إلى الكوفة أقرب. به قبر  
إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن قتله بها أصحاب المنصور. وإياها عنى دعبل بن علي  
الخزاعي بقوله:

وقبرٌ بأرض الجوزجان محلّه وقبرٌ بباخمرا لدى الغربات

٢- الشراة: جبل شامخ مرتفع من دون عسفان تأوي إليه القروذ. واسم صقع بالشام  
بين دمشق والمدينة. من بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة التي كان يسكنها ولد علي  
بن عبد الله بن عباس في أيام بني مروان.



ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَإِنَّ يُوسُفَ ظَلِمَ فَغَفَرَ، وَأَنْتَ مِنْ ذَلِكَ النَّسْلِ! ١  
 فتبسّم (المنصور) وقال: أَعِدْ عَلَيَّ! فأعدتُ، فقال: مِثْلَكَ فَلْيَكُنْ  
 زَعِيمَ الْقَوْمِ، وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ وَوَهَبْتُ لَكُمْ جُزْمَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ!  
 حَدَّثَنِي الْحَدِيثُ الَّذِي حَدَّثْتَنِي عَنْ أَبِيكَ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ!

قلتُ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: صَلَّةُ الرَّحِمِ تَعْمُرُ الدِّيَارَ، وَتُطِيلُ الْأَعْمَارَ، وَتُكْثِرُ الْغَمَامَرَ  
 وَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا.

فقال (المنصور): ليس هذا.

فقلتُ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيِّ!، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: الْأَرْحَامُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تُنَادِي: صِلْ مَنْ وَصَلَنِي، وَاقْطَعْ  
 مَنْ قَطَعَنِي!

قال: ليس هذا!

قلتُ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ  
 لَهَا اسْمًا مِنْ إِسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ.

قال: ليس هذا الحديث!

قلتُ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ كَانَ بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ ثَلَاثُ سِنِينَ  
 فَوَصَلَ رَحِمَهُ فَجَعَلَهَا اللَّهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً.

١- ذكر محمد بن طلحة الشافعي في كتاب «مطالب السئول» ص ٨٢، الطبعة

الحجريّة، مضمون هذا الحديث.

فقال : هذا الحديث أردتُ ، أي البلاد أحب إليك . فوالله لأصلنّ  
رحمي إليكم . قلنا : المدينة ! فسرّ هنا إلى المدينة وكفى الله مؤنته <sup>١</sup> .  
ونلاحظ في هذا الحديث أنّ الإمام عليه السلام أخذ بنظر الاعتبار  
جميع أطرافه وجوانبه الوجودية . وقد أفحمه أمام عواطفه حتّى أنّه لم يجد  
مناصاً إلّا التسليم للحقّ .

وكان المنصور يرى نفسه عالماً فقيهاً ، ومن أهل التفسير والحديث .  
ويحسب أنّه من نوادير الدهر في حدّة الذكاء وسرعة الانتقال في الفهم .  
وقد أشعره الإمام بهذه العبارات القصيرة قائلاً له : أنت تدعي بالعلم  
والتقوى والزهد ، وأنك شغلتَ هذا المنصب نيابة عن الرسول الأكرم ،  
وتربعت على هذا العرش كخليفة من خلفاء الله ، قشّب إلى رُشدك لحظة  
وانظر : فقد كان سليمان من أسلافك وبلغت قدرته وعظمته درجة أنّ الجنّ  
والإنس سُخّر له ، وأنّ الرياح تجري بأمره . فلم يجحد تلك النعمة ، ووضع  
كلّ شيء في موضعه ، وهذا هو عين العدالة . أمّا أنت فلم تبلغ ما بلغ سليمان  
من القدرة والعلم ، فإذا كنتَ تتعامل معنا أو مع أهل البصرة هكذا بلا جرم  
ولا ذنب ، فقد أسأت استعمال السلطة ، وأصبحتَ جاحداً مكان أن تكون  
شاكراً ! وعاقبتَ رجالاً أبرياء من غير جريرة !

وانظر فقد ظلّم يوسف ، وألقاه إخوته في غيابت الجُبّ . بيّد أنّه  
حين حَكَمَ وتمكّن ، ورأى إخوته البائسين أذلاً أمامه ، عفا عنهم بقوله

١- «مقاتل الطالبين» ص ٤٥٠ ، و«بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ٢١١ و ٢١٢ الطبعة  
الحديثة؛ وروى العلامة المجلسي هذا المضمون من الرواية في «البحار» ج ٤٧ ، ص ١٨٧  
و ١٨٨ ، بسند آخر عن «غوالي اللثالي» . ونلاحظ في صدرها أنّ الإمام الصادق عليه السلام  
قال : طلب المنصور علماء المدينة . فلما وصلنا إليه خرج إلينا الربيع الحاجب فقال : ليدخل  
على أمير المؤمنين منكم اثنان ! فدخلت أنا وعبدالله بن الحسن .

لَا تَشْرِيْبَ عَلَیْكُمْ اَلْیَوْمَ یَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ اَرْحَمُ الرَّاحِمِیْنَ .<sup>١</sup> وبهذا النداء القرآني خلد نداء مكرمه ومجده وعظمته إلى الأبد، وخطَّ على الأفق عنواناً للشرف والفضيلة .

وانظر فقد ابتلي أيوب بتلك الشدائد التي أخبر عنها القرآن الكريم ، فصبر ولم يجزع أو يجحد .

أما أنت يا منصور ! فحالك لا يعدو ثلاثة أمور : إما أن تكون كسليمان فنجعل العفو شكراً لسلطانك وحكومتك ، أو تكون كأيوب فتصبر ولا تطلق لسانك بالشتم والفحش والبذاءة على المحرومين ، أو تكون كيوسف فقد عفا عن إخوته جميعهم مع ما لاقاه من ظلمهم وإيذائهم إياه . فأنت أمام هذه الخيارات ، فاعمل بأيتها شئت !

مثل هذا التعامل وهذا الكلام الذي نطق به الإمام عليه السلام خفف حدة ذلك العفريت المشؤوم المستكبر المتجبر .

وينبغي أن نعدّ تلك الكلمات من معجزات الإمام عليه السلام . فعن أيّ معجزة تبحث إذن ؟!

وينبغي أن ننظر إلى تلك الأنفاس الملكوتية مناراً على الإمامة والإعلمية والفقاهة ، حتى أنّ المنصور نفسه يعترف بأنّ الحكومة وزعامة الأمة يجب أن تكونا لك .

ولو فرضنا أنّ الإمام عليه السلام لم يتحمّل ذلك التحمّل الولائيّ ، فقد كان من الممكن أن يُغضب المنصور بكلمة واحدة في جوابه ، ويسلّط ذلك الجائر الفتاك الهتاك على نفسه وعلى أرواح الناس ليرتكب كلّ جريمة

١- الآية ٩٢، من السورة ١٢: يوسف. هذا هو كلام يوسف على نبيّنا وآله وعليه الصلاة والسلام، حين عفا عن إخوته بمصر.

يريدها بلا مبرّر .

وقد ذكر المجلسي رضوان الله عليه في «بحار الأنوار» كلام الإمام عليه السلام بثمانية أسناد مختلفة . ويُلاحظ اختلاف في مضامين تلك الروايات نوعاً ما ، ولكن يتبين من القرائن أنّ واقعة واحدة قد حدثت ، وأن الرواة قد نقلوها بعبارات مختلفة لجواز نقل الرواية بالمعنى بأشكال مختلفة . إذ يبدو بعيداً من أدب الإمام الصادق عليه السلام وبلاغته وفصاحته أن يجيب المنصور بذلك الجواب في مرتين أو مرّات عديدة .

السند الآخر سند رواه عن «كشف الغمّة» عن عبد الله بن أبي ليلى ، قال : كنتُ بالربذة مع المنصور ، وكان قد وجّه إلى أبي عبد الله عليه السلام (الإمام الصادق) فأُتِيَ به ، وبعث إليّ المنصور فدعاني . فلما انتهيتُ إلى الباب سمعته يقول : عَجَلُوا ! عَلَيَّ بِهِ ! فَتَلَنِي اللَّهُ إِنَّ لَمْ أَقْتُلْهُ ، سَقَى اللَّهُ الْأَرْضَ مِنْ دَمِي إِنَّ لَمْ أَشَقِ الْأَرْضَ مِنْ دَمِهِ !

فسألتُ الحاجب من يعني . قال : جعفر بن محمّد عليها السلام . فإذا هو قد أُتِيَ به مع عدّة جلاوزة . فلما انتهى إلى الباب قبل أن يرفع الستر رأيتُه قد تملّمت شفتاه عند رفع الستر ، فدخل .

فلما نظر إليه المنصور قال : مرحباً يا بن عمّ ! مرحباً يا ابن رسول الله ! فما زال يرفعه حتّى أجلسه على وسادته ، ثمّ دعا بالطعام . فرفعت رأسي وأقبلتُ أنظر إليه ويلقّمه جدياً بارداً ، وقضى حوائجه ، وأمره بالانصراف . فلما خرج ، قلتُ له : قد عرفت موالاتي لك وما قد ابتليت به في دخولي عليهم ! وقد سمعت كلام الرجل وما كان يقول : فلما صرت إلى الباب رأيتك قد تملّمت شفتاك وما أشك أنّه شيء قلته ، ورأيت ما صنع بك ! فإن رأيت أن تعلّمني ذلك فأقوله إذا دخلتُ عليه .

قال : نعم ! قلتُ : مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَا يَأْتِي بِالْخَيْرِ إِلَّا اللَّهُ ، مَا شَاءَ اللَّهُ ، مَا

شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ، مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا شَاءَ اللَّهُ، كُلُّ نِعْمَةٍ فَمِنَ  
اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ !<sup>١</sup>

وقال الآبي : قال للصادق عليه السلام أبو جعفر المنصور :

إِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أُحَرِّبَ الْمَدِينَةَ، وَلَا أَدَعِ بِهَا نَافِخَ ضَرْمَةٍ !  
فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَا أَجِدُ بُدًّا مِنَ النَّصَاحَةِ لَكَ فَأَقْبَلُهَا إِنْ شِئْتَ  
أَوْ لَا !

قال : قل !

قال : إِنَّهُ قَدْ مَضَى لَكَ ثَلَاثَةُ أَسْلَافٍ : أَيُّوبُ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَسُلَيْمَانُ  
أُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَيُوسُفُ قَدَرَ فَغَفَرَ. فَاقْتَدِ بِأَيِّهِمْ شِئْتَ !

قال : قد عفوت .<sup>٢</sup>

وقال الآبي أيضاً : وقف أهل مكة وأهل المدينة بباب المنصور .  
فأذن الربيع لأهل مكة قبل أهل المدينة . فقال جعفر عليه السلام : أتأذن  
لأهل مكة قبل أهل المدينة ؟ فقال الربيع : مكة العُشُّ .

فقال جعفر عليه السلام : عُشُّ وَاللَّهِ طَارَ خِيَارُهُ وَبَقِيَ شِرَارُهُ .<sup>٣</sup>

وقيل له : إنَّ أبا جعفر المنصور لا يلبس منذ صارت الخلافة إليه إلا  
الخشن ولا يأكل إلا الجشب ، فقال : يَا وَيْحَهُ مَعَ مَا قَدْ مَكَّنَ اللَّهُ لَهُ مِنَ  
السُّلْطَانِ، وَجُبِّي إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ !؟

فقيل : إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بُخْلًا وَجَمْعًا لِلْأَمْوَالِ .

فقال : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَّمَ مِنْ دُنْيَاهُ مَالَهُ تَرَكَ دِينَهُ .<sup>٤</sup>

١- «كشف الغمّة» ج ٢، ص ٤٢٨ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧، ص ١٨٣، الطبعة الحديثة.

٢ و... «كشف الغمّة» ج ٢، ص ٤٣٩.

٤- «كشف الغمّة» ج ٢، ص ٤٤٠.

وقال ابن حمدون: كتب المنصور إلى جعفر بن محمد الصادق عليه

السلام:

لِمَ لَا تَعْشَانَا كَمَا يَعْشَانَا سَائِرُ النَّاسِ؟!  
فأجابه: لَيْسَ لَنَا مَا نَخَافُكَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا عِنْدَكَ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ مَا  
نَرْجُوكَ لَهُ! وَلَا أَنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَتُهَنِّتُكَ، وَلَا تَرَاهَا نِقْمَةً فَتَغْرِيكَ بِهَا، فَمَا  
نَصْنَعُ عِنْدَكَ!؟

قال: فكتب إليه: تَصْحَبْنَا لِتَنْصَحَنَا!

فأجابه: مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا لَا يَنْصَحُكَ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ لَا يَصْحَبُكَ!  
فقال المنصور: وَاللَّهِ لَقَدْ مَيَّرَ عِنْدِي مَنَازِلَ النَّاسِ: مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا  
مِمَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ لَا الدُّنْيَا.<sup>١</sup>

ورواه أيضاً المرحوم المحدث النوري في «المستدرک الوسائل» عن

الإربلي في «كشف الغمّة».<sup>٢</sup>

وذكر المستشار عبد الحليم الجندي الرواية المنقولة عن «مقاتل

الطالبين» حول استدعاء المنصور الإمام بعد قتل محمد وإبراهيم.<sup>٣</sup>

والسند الآخر سند عن «المناقب» لابن شهر آشوب، عن كتاب

«الترغيب والترهيب» عن أبي القاسم الإصفهاني، وعن «العقد الفريد» لابن

عبد ربّه الأندلسي أنّ المنصور قال لما رآه: قتلتني الله إن لم أقتلك!

فقال له: إِنَّ سُلَيْمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَإِنَّ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَإِنَّ

يُوسُفَ ظَلِمَ فَغَفَرَ، وَأَنْتَ عَلَيَّ إِزْثٌ مِنْهُمْ وَأَحَقُّ بِمَنْ تَأْسَى بِهِمْ!

١- «كشف الغمّة» ج ٢، ص ٤٤٨؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧، ص ١٨٥، الطبعة الحديثة.

٢- «مستدرک الوسائل» ج ٢، ص ٣٨٦.

٣- «الإمام جعفر الصادق» ص ٨٢ و٨٣.

فقال: إليّ يا أبا عبد الله! فأنت القريب القربة! وذو الرحم  
الواشجة السليم الناحية، القليل الغائلة. ثم صافحه بيمينه، وعانقه بشماله،  
وأمر له بكسوةٍ وجائزة.

وفي خبر آخر عن الربيع أنه أجلسه إلى جانبه فقال له: ارفع  
حوائجك! فأخرج رقاعاً لأقوام.

فقال المنصور: ارفع حوائجك في نفسك!

فقال: لَا تَدْعُونِي حَتَّى أَجِيَنَّكَ!

فقال (المنصور): مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ!

ورواه المجلسي أيضاً بسند آخر عن الشيخ المفيد أعلى الله تعالى

مقامهما ٢.

ورواه كذلك بسند آخر عن علي بن عيسى الإربلي، عن كتاب  
محمد بن طلحة الشافعي، عن عبد الله بن الفضل بن الربيع، عن أبيه قال:  
حج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة، فقدم المدينة وقال للربيع: ابعث إلي  
جعفر بن محمد من يأتينا به متعباً! قتلني الله إن لم أقتله. فتغافل الربيع عنه  
لينساه. ثم أعاد ذكره للربيع وقال: ابعث من يأتي به متعباً، فتغافل عنه.

١- «مناقب ابن شهر آشوب» ج ٣، ص ٣٥٨؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧، ص ١٧٨ و ١٧٩،  
الطبعة الحديثة. وكلام الإمام: «لا تدعونني حتى أجيئك» ورد المنصور بقوله: «ما إلى ذلك  
سبيل» رواهما المجلسي في رواية أخرى، في «بحار الأنوار» ج ٤٧، ص ١٦٤، عن «الأمال»  
للشيخ الطوسي رحمه الله، بسنده عن ربيع الحاجب. وكذلك روى هذا الكلام وجواب  
المنصور المساعد: لك ذلك وغير ذلك السيد ابن طاووس في «مهج الدعوات» ص ٢٥١،  
عن محمد بن عبيد الله الإسكندردي؛ ورواه المجلسي عنه في «بحار الأنوار» ج ٤٧،  
ص ٢٠٢.

٢- «بحار الأنوار» ج ٤٧، ص ١٧٤ و ١٧٥، عن كتاب «الإرشاد» ص ٢٩٠.

ثم أرسل إلى الربيع رسالة قبيحة أغلظ عليه فيها وأمره أن يبعث من يُحضر جعفرًا ، ففعل . فلما أتاه قال له الربيع : يا أبا عبد الله ! اذكر الله فإنه قد أرسل إليك بما لا دافع له غير الله !

فقال جعفر : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . ثم إن الربيع أعلم المنصور بحضوره . فلما دخل جعفر عليه أوعده وأغلظ وقال :

أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ ! اتَّخَذَكَ أَهْلَ الْعِرَاقِ إِمَامًا ، يَبْعَثُونَ إِلَيْكَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ ، وَتُلْحِدُ فِي سُلْطَانِي وَتَبْغِيهِ الْعَوَائِلَ ! قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ !

فقال له : يا أمير المؤمنين ! إِنَّ سُلَيْمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَإِنَّ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَإِنَّ يُوسُفَ ظَلِمَ فَغَفَرَ ، وأنت من ذلك السنخ .

فلما سمع المنصور ذلك منه قال له : إليّ وعندني أبا عبد الله أنت البريء الساحة ، السليم الناحية ، القليل الغائلة . جزاك الله من ذي رحم أفضل ماجزى ذوي الأرحام عن أرحامهم . ثم تناول فأجلسه معه على فرشه . ثم قال : عليّ بالطيب !

فأتي بالغالية ، فجعل يغلف لحية جعفر عليه السلام بيده ، حتى تركها تقطر .

ثم قال : قم في حفظ الله وكلاءته . ثم قال : يا ربيع ! ألحق أبا عبد الله جائزته ، وكسوته ! انصرف أبا عبد الله في حفظه وكنفه ، فانصرف . قال الربيع : ولحقته فقلت : إنني قد رأيت قبلك ما لم تره ، ورأيت بعدك ما لا رأيته . فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت ؟

قال : قلت :

اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ ، وَاكْتَفِنِي بِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ ، وَاعْفِرْ لِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ ، وَلَا أَهْلِكَ وَأَنْتَ رَجَائِي ! اللَّهُمَّ أَنْتَ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ ! اللَّهُمَّ بِكَ أَدْفَعُ فِي نَحْرِهِ ، وَأَسْتَعِيدُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ ! -



## فَفَعَلَ اللَّهُ بِي مَا رَأَيْتُ<sup>١</sup>.

قال المستشار عبد الحليم الجندي: وفي سنة ١٤٧ عزم المنصور وهو راجع من موسم الحج أن يسيّر الإمام الصادق عليه السلام من المدينة إلى العراق. فاستعفاه الإمام، فلم يعفه وحمله معه. ولكنّ الصادق كان يقبل عليه بمقدار، فليست دنيا أبي جعفر لتجدد بالمقاربة. وفي ذات يوم أرسل إلى الصادق: لِمَ لَا تَغْشَانَا كَمَا تَغْشَانَا سَائِرَ النَّاسِ<sup>٢</sup>.

السند الآخر عن «مهج الدعوات»، عن محمد بن أبي القاسم الطبري بسنده عن الربيع، إلى أن بلغ قوله: فوثب المنصور فأخذ بيده، ورفع علي سريره، ثم قال له: يا أبا عبد الله يعزّ عليّ تعبك، وإتّما أحضرتك لأشكو إليك اهلك. قطعوا رحمي، وطعنوا في ديني، وألبوا الناس عليّ ولو ولي هذا الأمر غيري ممّن هو أبعد رحماً منّي، لسمعوا له وأطاعوا.

فقال له جعفر عليه السلام: يا أمير المؤمنين فأين يُعَدَّلُ بك عن سلفك الصالح؟! إِنَّ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَإِنَّ يُوسُفَ ظُلِمَ فَغَفَرَ، وَإِنَّ سُيْمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ! إلى آخر الرواية التي يسرد فيها الإمام أحاديث الرحم، والمنصور يخضب لحية الإمام بالغالية<sup>٣</sup>.

السند الآخر عن الكليني بسنده عن معاوية بن عمّار، والعلابن سيابة، وظريف بن ناصح قال: لمّا بعث أبو الدوائق إلى أبي عبد الله رفع

١- «كشف الغمّة» ج ٢، ص ٣٧٤، عن كتاب «مطالب السئول» ص ٨٢؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧، ص ١٨٢ و ١٨٣.

٢- كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص ٨٦ و ٨٧، الصادر عن جمهورية مصر العربيّة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة. وهي نفس القضية التي نقلناها عن «كشف الغمّة» عن ابن حمدون، وعن «بحار الأنوار».

٣- «مهج الدعوات» ص ١٩٢؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧، ص ١٩٣ و ١٩٤.

يده إلى السماء ، ثم قال : اللَّهُمَّ إِنَّكَ حَفِظْتَ الْغُلَامِينَ لِصَلَاحِ آبَائِهِمَا  
فَاَحْفَظْنِي لِصَلَاحِ آبَائِي مُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلِيِّ بْنِ  
الْحُسَيْنِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ! اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْرَأُ بِكَ فِي نَحْرِهِ ،  
وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ !

ثم قال للجمال : سر ! فلما استقبله الربيع بباب أبي الدوانيق قال له :  
يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! ما أشدَّ باطنه عليك ! لقد سمعته يقول : والله لا تركت لهم  
نخلًا إلا عقرتَه ، ولا مالًا إلا نهبتَه ، ولا ذرّيّة إلا سببتها .

فهمس بشيء خفيّ وحرّك شفّتيه . فلما دخل سلّم وقعد ، فردّ عليه  
السلام ثم قال : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَتْرُكَ لَكَ نَخْلًا إِلَّا عَقَرْتُهُ ، وَلَا  
مَالًا إِلَّا أَخَذْتُهُ !

فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا أمير المؤمنين ! إنّ الله عزّ وجلّ  
ابتلى أيّوب فصبّر ، وأعطى داود فشكر ، وقدر يوسف فغفر ، وأنت من  
ذلك النسل ، ولا يأتي ذلك النسل إلا بما يشبهه .

فقال : صدقت ! قد عفوتُ عنكم !

فقال له : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنَّهُ لَمْ يَنْلُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَدٌ دَمًا إِلَّا سَلَبَهُ  
اللَّهُ مُلْكَهُ !

فغضب لذلك واستشاط . فقال : على رسلك يا أمير المؤمنين ! إنّ هذا  
الملك كان في آل أبي سفيان . فلما قتل يزيد لعنه الله حسيناً ، سلبه الله  
ملكه ، فورثه آل مروان . فلما قتل هشام زيداً ، سلبه الله ملكه ، فورثه  
مروان بن محمد . فلما قتل مروان إبراهيم ، سلبه الله ملكه فأعطاكموه !

فقال : صدقت ! هات ارفع حوائجك !

فقال : الإذن ! فقال : هو في يدك متى شئت ، فخرج . فقال له الربيع :  
قد أمر لك بعشرة آلاف درهم . قال : لا حاجة لي فيها . قال : إذن تغضبه !

فخذها ثم تصدق بها!

## استدعاء المنصور، واستحلاف الإمام الصادق الرجل الكاذب وهلاكه

نلاحظ في مواطن عديدة أنّ أشخاصاً كانوا يشون بالإمام الصادق إلى الدوانيقيّ، وكان الأخير يستدعيه لذلك. والواشي يحضر أيضاً. فكان الإمام يستحلفه بيمينٍ خاص ليثبت كذبه، ويبرهن على براءته، فيهلك في حينه. ومثل هذا اليمين في ذلك الظرف الخاص الذي تعرّضت فيه إمامته الإمام وولايته وصدقه للتهديد والخطر لافت للنظر وجالب للانتباه جدّاً.

روى الراونديّ في كتابه النفيس «الخرائج والجرائح» عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه عليه السلام قال: جاء رجل إلى جعفر بن محمّد عليهما السلام، فقال له: انج بنفسك! هذا فلان بن فلان قد وشى بك إلى المنصور وذكر أنك تأخذ البيعة لنفسك على الناس، لتخرج عليهم! فتبسّم وقال: يا عبد الله لا تُرَع! فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ فَضِيلَةَ كِتْمَتٍ أَوْ جُحِدَتِ أُنَارٌ عَلَيْهَا حَاسِدًا بَاطِلًا يُحَرِّكُهَا حَتَّى يُبَيِّنَهَا.

اقعد معي حتى يأتيني الطلب، فتمضي معي إلى هناك حتى تشاهد ما يجري من قدرة الله التي لا معزل عنها لمؤمن. فجاؤوا وقالوا: أجب أمير المؤمنين! فخرج الصادق عليه السلام، ودخل، وقد امتلأ المنصور غيظاً وغضباً، فقال له: أنت الذي تأخذ البيعة لنفسك على المسلمين؟! تريد أن تفرّق جماعتهم؟! وتسعى في هلكتهم؟! وتفسد ذات بينهم!؟

فقال الصادق عليه السلام: ما فعلتُ شيئاً من هذا!

١- «الكافي» ج ٢، ص ٥٦٢؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧، ص ٢٠٨ و ٢٠٩.

قال المنصور: فهذا فلان يذكر أنك فعلت! فقال: إنه كاذب.

قال المنصور: إنني أحلفه إن حلف، كفيئت نفسي مؤنتك!

فقال الصادق عليه السلام: إنه إذا حلف كاذباً باء بإثم. قال المنصور

لحاجبه: حلف هذا الرجل على ما حكاه عن هذا - يعني الصادق عليه السلام!

فقال الحاجب: قل: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وجعل يغلط عليه

اليمين.

فقال الصادق عليه السلام: لا تحلفه هكذا! فإني سمعتُ أبي يذكر

عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إن من الناس من يحلف

كاذباً، فيعظم الله في يمينه ويصفه بصفاته الحسنى، فيأتي تعظيمه لله على

إثم كذبه ويمينه، فيؤخر عنه البلاء. ولكنني أحلفه باليمين التي حدّثني أبي

عن جدي رسول الله أنه لا يحلف بها حالف إلا باء بإثمه. فقال المنصور:

فحلفه إذاً يا جعفر.

فقال الصادق للرجل: قل: إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا عَلَيَّكَ فَقَدْ بَرَأْتُ مِنْ حَوْلِ

اللَّهِ وَقَوَّتِهِ، وَلَجَأْتُ إِلَى حَوْلِي وَقَوَّتِي.

فقالها الرجل.

فقال الصادق عليه السلام: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا فَأَمِّتْهُ!

فما استتم حتى سقط الرجل ميتاً، واحتمل، ومضى:

وأقبل المنصور على الصادق عليه السلام، فسأله عن حوائجه، فقال

عليه السلام: ما لي حاجة إلا أن أسرع إلى أهلي، فإن قلوبهم بي متعلقة

(وهم في قلق ليعادي عنهم). فقال: ذلك إليك. فافعل ما بدالك! فخرج

من عنده مكرماً. قد تحيّر منه المنصور. فقال قوم: رجل فأجاه الموت.

وجعل الناس يخوضون في أمر ذلك الميت، وينظرون إليه. فلما استوى

على سريريه ، جعل الناس يخوضون . فمن ذام له ، وحامد .  
 إذا قعد على سريريه ، وكشف عن وجهه ، وقال : يا أيها الناس إني  
 لقيتُ ربِّي فلقاني السخط واللعة ، واشتدَّ غضب زبائتي عليَّ ، على الذي كان  
 مني إلى جعفر بن محمد الصادق ، فاتَّقوا الله ، ولا تهلكوا فيه كما هلكتُ !  
 ثم أعاد كفنه على وجهه ، وعاد في موته ، فأرأوه لا حراك فيه وهو ميت  
 فدفنوه<sup>١</sup> .

وروى الشيخ المفيد نظير هذا المضمون عن نقلة الآثار . وجاء في  
 ذيل الرواية : فقال الربيع للإمام : فبأي شيء كنت تحرَّكهما (شفتيك) ؟!  
 قال : بدعاء جدِّي الحسين بن عليٍّ عليهما السلام . قال : جعلتُ فداك ! وما  
 هذا الدعاء ؟!

قال : يَا عُدَّتِي عِنْدَ شِدَّتِي ، وَيَا عَوْثِي فِي كُرْبَتِي ، احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ  
 الَّتِي لَا تَنَامُ ، وَاكْتَفِنِي بِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ .  
 قال الربيع : فحفظت هذا الدعاء . فما نزلت بي شدة قط إلا دعوتُ  
 به ، ففرَّج . إلى آخر الرواية<sup>٢</sup> .

ويبدو أنَّ هذه القضية وقعت للإمام مرَّةً أُخَى ، واستُدعي إلى الكوفة  
 لهذا القصد .

روى الكليني عن عدَّة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن  
 بعض أصحابه ، عن صفوان الجمال قال : حملتُ أبا عبد الله الحملة الثانية  
 إلى الكوفة ، وأبو جعفر المنصور بها . فلما أشرف على الهاشمية (مدينة

١- «الخرائج والجرائح» ص ٢٤٤ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ١٧٢ و ١٧٣ ، الطبعة  
 الحديثة.

٢- «الإرشاد» للمفيد، ص ٢٩٠ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ١٧٤ و ١٧٥ .

أبي جعفر)، أخرج رجله من غرز الرجل . ثم نزل ودعا ببلغة شهباء .<sup>١</sup>  
ولبس ثياباً بيضاً وتكّة بيضاء . فلما دخل عليه ، قال له أبو جعفر :  
لقد تشبّهت بالأنبياء !

فقال أبو عبد الله : وأنتي تبعديني من أبناء الأنبياء !؟  
قال : لقد همّلتُ أن أبعث إلى المدينة من يعقر نخلها ، ويسبي  
ذريّتها .

فقال : ولمَ ذاك يا أمير المؤمنين !؟  
فقال : رُفِعَ إليَّ أنَّ ملاًّ المعلّى بن خنيس يدعو إليك ويجمع لك  
الأموال .

فقال : والله ما كان !  
فقال : لست أرضى منك إلا بالطلاق ، والعتاق ، والهدّي ، والمشّي .<sup>٢</sup>  
فقال : أبا لأنّاد من دون الله تأمروني أن أحلف !؟ إنّه من لم يرَضْ  
بالله فلنيس من الله في شيء .  
فقال : أتتفقّه عليّ ؟

فقال : وأنتي تبعدني من التفقّه ، وأنا ابن رسول الله صلّى الله عليه  
وآله !؟

---

١- الشهباء مؤنث الأشهب . والشهب بياض يتخلّله سواد .  
٢- القسم بالطلاق يعني إذا كان كلامي كذباً فنسائيّ جمعينيّ مطلقاً . والقسم  
بالعتاق يعني عبدي كلّهم عتقاء . والقسم بالهدّي يعني إبليّ جميعها في مكّد هديّ . والقسم  
بالشمي يعني أذهب إلى حجّ بيت الله ما شيئاً هذا العالم أو في كلّ عام والعامّة يجيزون هذه  
الضروب من القسم بأسرها ويعتقدون أنّ عقد اليمين يرتبط بها . وإذا تبين كذب الموضوع ،  
فعلى المُقسم أن يفِي ويقوم بالأمر . بيد أنّ الخاصّة تُبطل هذه الضروب من القسم برمتها ،  
ولا ترى قسماً نافذاً إلا القسم .

قال : فَإِنِّي أَجْمَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِكَ .

قال : فافعل ! فجاء الرجل الذي سعى به .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا هذا ، قال : فَقَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، لَقَدْ فَعَلْتَ !  
فقال له أبو عبد الله عليه السلام : يَا وَيْلَكَ تُجَلِّلُ اللَّهَ فَيَسْتَحْيِي مَنْ تَعَذِّبُكَ ، وَلَكِنْ قُلْ : بَرِئْتُ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَأَلْبَجَأْتُ إِلَى حَوُولِي وَقُوَّتِي .

فخلف بها الرجل ، فلم يستتمها حتى وقع ميتاً . فقال له أبو جعفر :  
لَا أُصَدِّقُ بَعْدَهَا عَلَيْكَ أَبَدًا ، وَأَحْسَنُ جَائِزَتَهُ وَرَدَّهُ <sup>١</sup> .

وذكر الشيخ الطوسي مثل هذه الرواية بسنده المتصل عن الربيع .  
وفيها أنّ الرجل النمام سعى بالإمام إلى المنصور أنّه يزعم للناس أنّه يعلم الغيب <sup>٢</sup> .

وروى السيّد ابن طاووس في «مهج الدعوات» عن كتبنا قديم ، بسنده المتصل عن صفوان بن مهران الجمال ، رفع رجل من قريش المدينة من بني مخزوم إلى أبي جعفر المنصور ، وذلك بعد قتله وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن ، أنّ جعفر بن محمّد بعث مولاة المعلّى بن خنيس بجباية الأموال من شيعته ، وأنّه كان يمدّ بها محمّد بن عبد الله .

فكاد المنصور أن يأكل كفه على جعفر غيظاً ، وكتب إلى عمّه داود ، وداود إذ ذاك أمير المدينة ، أن يسير إليه جعفر بن محمّد ، ولا يترخص له في التلوّم والمقام . فبعث إليه داود بكتاب المنصور وقال : اعمل في المسير

١- «الكافي» ج ٦ ، ص ٤٥٥ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ٢٠٣ و ٢٠٤ .

٢- «مهج الدعوات» ص ١٩٨ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ٢٠٠ و ٢٠١ .

إلى أمير المؤمنين في غدٍ ولا تتأخّر!  
إلى آخر الرواية التي نقل فيها استحلاف الإمام الرجل القرشيّ  
المخزوميّ بالطريقة التي رأيناها في الروايات الأخيرة!<sup>١</sup>  
وينبغي أن نعرف أنّ الرحلات العديدة التي استدعى فيها الدوانيقيّ  
الإمام الصادق عليه السلام من المدينة إلى الربذة، أو الكوفة، أو الحيرة،  
أو بغداد لا تقتصر على الموارد التي ذكرت آنفاً، بل استدعاه في غير مرّة  
بلا دليل ولا مستمسك.<sup>٢</sup>

ويعود ذلك إلى أنّ المنصور كان يرى نفسه ذا شخصيّة علميّة.  
ويعتقد أنّ له منزلة في الفقه والاجتهاد. ومن الطبيعيّ أنّه بما كان يحمله  
من نفس خبيثة وروح حسودة لم يستطيع أن يتحمّل وجود شخصيّة علميّة

---

١- «مهج الدعوات» ص ١٩٨؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧، ص ٢٠٠ و ٢٠١.  
٢- قال آية الله الشيخ محمّد حسين المظفر في كتاب «الإمام الصادق» ج ١، ص ٩٤،  
الطبعة الرابعة لجماعة المدرّسين بقم: كان بين ولاية المنصور، ووفاء الصادق عليه السلام  
اثنتا عشرة سنة لم يجد الصادق فيها راحة ولا هدوءاً على ما بينهما من البعد الشاسع،  
الصادق في الحجاز والمنصور في العراق، وكان يتعاهده بالأذى كما يتعاهد المحبّ حبيبه  
بالطرف والتحف.

يقول ابن طاووس أبو القاسم عليّ طاب ثراه في كتاب «مهج الدعوات» في باب  
دعوات الصادق عليه السلام أنّ المنصور دعا الصادق سبع مرّات، كان بعضها في المدينة  
والربذة حين حجّ المنصور، وبعضها يرسل إليه إلى الكوفة، وبعضها إلى بغداد. وما كان  
يرسل عليه مرّة إلاّ ويريد قتله. هذا فوق ما يلاقه فيها من الهوان وسوء القول.  
وقال في الهامش: حجّ المنصور أيام الصادق عليه السلام ثلاث مرّات عام ١٤٠ و ١٤٤  
و ١٤٧ هـ. وبعد وفاة الصادق مرّتين عام ١٥٢ و عام ١٥٨، فلم يتمّ الحجّ. انظر: «تاريخ  
اليعقوبي» ج ٣، ص ١٢٢، طبع النجف. والذي يظهر أنّ المنصور في كلّ مرّة من الثلاث يأمر  
بجلب الصادق عليه السلام.



عرفانية متقية تنافسه ، مهما كانت برئية ، ومهما عفت وترفعت عن التطلع إلى المنصور ، وبلاطه ، وراثسته . فنفس وجود الإمام عليه السلام - صرف وجود فقط فقط - منغص لحياة المنصور وأضرابه . ولم يطق المنصور شخصيّة مرموقة كالإمام . فهو ممتعض منه في اليقظة ، فزع منه في المنام حتى يقضي عليه . لهذا رأيناه في رحلاته التي كان يُحضر فيها الإمام عليه السلام ، يقف على الحقيقة بعد أن يثبت له الإمام بمنطقه الرصين وبرهانه القيوم أنه لم يتأمر عليه ، ولم يمهد الأمر لنفسه ، ولم يُقم وزناً للرياسة ، فيرجعه إلى المدينة باحترام بالغ ، لكننا نجده يُحضره أيضاً في كل فترة بلا حجة تُذكر ، ثم يُرجعه بدون أن يرى له ذنباً أو يعثر على مستمسك يُدينه . وقال للربيع عدّة مرّات : إنّ جعفر بن محمد كالشجى يعترض حلقيّ . وكلّما أفكر أراني لا أُطيعه . وكان يسعى لإطفاء نور الإمام وشمع فضيلته بكلّ ما أوتي من قوّة . ومن الواضح أنّ الإمام عليه السلام كان له أن يدع لهم جميع درجات القدرات الاعتباريّة والقيم الوهميّة لمصلحة ، لكن هل كان له أن يُنكر علمه ويدعه لهم أيضاً؟! إنّ إمامة الإمام بعلمه . وميزان الإمامة الأعلميّة في الأئمة . فإذا قال في مسألة : لا أعلم ، فليس بإمام . فالإمام هو من يعلم . فلهذا لمّا كان الجاهل في مسألة مساوياً لسقوط الإمامة ، فما أكثر الأئمة الذين بذلوا مهجهم - ولا بدّ أن يبذلوها - بسبب بيان حكم واقعيّ حقيقيّ أمام جبايرة عصورهم وظالمها ! فلا معنى للتقيّة في مواطن العلم . وبيان حكم حقيقيّ قد أدّى إلى استشهاد كثير من الأئمة .

من أسباب استشهاد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام

تصريحه بحكم حقيقيّ

أتى المؤمن بالإمام الرضا عليه السلام إلى بلاطه ليدعم أحكامه

الباطلة ومسائله الشبهية ، لا أن يبيّن في كلّ مسألة حكماً يخالف رأيه . ولا يمكن تصوّر مصيبة أعظم على سلاطين الجور والجبابة المتفرعنين من أن يبدي أحد علمه في مقابل آرائهم ونظريّاتهم .

قال في «بحار الأنوار» ، في باب أسباب شهادة الإمام الرضا صلوات الله عليه : في «علل الشرائع» ، و«عيون أخبار الرضا» عن المكتّب ، والوراق ، والهمدانيّ جميعاً عن عليّ ، عن أبيه ، عن محمّد بن سنان قال : كنت عند مولاي الرضا عليه السلام بخراسان . وكان المأمون يقعده على يمينه إذا قعد الناس يوم الاثنين ويوم الخميس .

فرجع إلى المأمون أنّ رجلاً من الصوفيّة سرق . فأمر بإحضاره . فلمّا نظر إليه وجده متقشفاً بين عينيه أثر السجود . فقال : سوءة لهذه الآثار الجميلة ، ولهذا الفعل القبيح ، أتنسب إلى السرقة مع ما أرى من جميل آثارك وظاهرِك؟! قال : فعلتُ ذلك اضطراراً لا اختياراً حين منعتني حقّي من الخمس والفيء .

فقال المأمون : وأيّ حقّ لك في الخمس والفيء؟!

قال : إنّ الله عزّ وجلّ قسّم الخمس ستّة أقسام وقال :

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ<sup>١</sup> . وقسّم الفيء على ستّة أقسام ، فقال عزّ وجلّ :

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ

١- الآية ٤١ ، من السورة ٨: الأنفال.

مِنْكُمْ ١.

قال : بما منعتني وأنا ابن السبيل منقطع بي ومسكين لا أرجع إلى شيء ومن حملة القرآن ٢!

فقال له المأمون : أُعْطِلَ حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ وَحَمًّا مِنْ أَحْكَامِهِ فِي السَّارِقِ مِنْ أَسَاطِيرِكَ هَذِهِ ؟! فَقَالَ الصُّوفِيُّ : اِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَطَهَّرْهَا ، ثُمَّ طَهَّرْ غَيْرَكَ ! وَأَقِمْ حَدَّ اللَّهِ عَلَيْهَا ، ثُمَّ عَلَى غَيْرِكَ !

فالتفت المأمون إلى أبي الحسن (الإمام الرضا) عليه السلام ، فقال : ا تقول ؟! فقال : إنه يقول : سرقت فسرق ! فغضب المأمون غضباً شديداً ، ثم قال للصوفي : والله لأقطعنك ! فقال الصوفي : أتقطعني وأنت عبدٌ لي ؟!

فقال المأمون : ويلك ! ومن أين صرتُ عبداً لك ؟! قال : لأنَّ أُمَّكَ اشْتَرَيْتَ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ . فَأَنْتَ عَبْدٌ لِمَنْ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ حَتَّى يَعْتَقُوكَ ، وَأَنَا لَمْ أُعْتَقْ ! ثُمَّ بَلَعْتَ الْخَمْسَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَلَا أُعْطِيَتْ آلَ الرَّسُولِ حَقًّا ، وَلَا أُعْطِيْتَنِي وَنَظْرَائِي حَقًّا !

والأخرى أنَّ الخبيث لا يطهر خبيثاً مثله . إنَّما يطهره طاهر . ومن في جنبه الحد لا يقيم الحدود على غيره حتى يبدأ بنفسه . أما سمعت الله عز وجل يقول : أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ

١- الآية ٧، من السورة ٥٩: الحشر.

٢- المراد باليتامى والمسكين وابن السبيل في آية الخمس والفيء يتامى آل الرسول ومسكينهم وأبناء سبيلهم بقريته الألف واللا حيث إنها في أمثال هذه المواضع عوض من المضاعف إليه . فكأنه قال : لله ولرسوله ولذي قرباه ویتامهم ومسكينهم وابن سبيلهم . فلا حق في الخمس والفيء لعامة المسلمين . وأما هذا الذي ذكره الصوفي فعلى مذاهب فقهاء العلمية حيث يقولون : إنها لفقراء المسلمين وأيتامهم وأبناء سبيلهم دون من كان من آل الرسول صلى الله عليه وآله خصوصاً .

## أَفَلَا تَعْقِلُونَ<sup>١</sup>.

فالتفت المأمون إلى الرضا عليه السلام ، فقال : ما ترى في أمره ؟!  
فقال عليه السلام : إنّ الله جلّ جلاله قال لمحمد صلى الله عليه وآله : فَلِلَّهِ  
الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ<sup>٢</sup>. وهي التي تبلغ الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم  
بعلمه . والدنيا والآخرة قائمتان بالحجة . وقد احتج الرجل .

فأمر المأمون عند ذلك بإطلاق الصوفي واحتجب عن الناس ،  
واشتغل بالرضا عليه السلام حتى سمّه فقتله . وقد كان قتل الفضل بن سهل  
وجماعة من الشيعة .

قال الصدوق رضي الله عنه : رُوي هذا الحديث كما حكيت ، وأنا  
بريء من عهده صحته<sup>٣</sup>.

وكم من المناسب هنا أن ننقل رواية أخرى حول الإمام الرضا عليه  
السلام وإن كانت خارجة عن موضوع بحثنا ، لكنها توائم سرّ الأذى الذي  
تلقاه الإمام الصادق عليه السلام من المنصور تماماً .

جاء في «عيون أخبار الرضا عليه السلام» عن تميم القرشي ، عن  
أبيه ، عن أحمد بن علي الأنصاري قال : سألت أبا الصلت الهروي ، فقلت :  
كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا عليه السلام مع إكرامه ومحبته له ،  
وما جعل له من ولاية العهد بعده ؟!

فقال : إنّ المأمون إنّما كان يكرمه ويحبّه لمعرفته بفضله ، وجعل له

١- الآية ٤٤ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- الآية ١٤٩ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٣- «عيون أخبار الرضا» ج ٢ ، ص ٢٣٧ و ٢٣٨ ؛ و«علل الشرائع» ج ١ ، ص ٢٢٨ ؛  
و«بحار الأنوار» ج ٤٩ ، ص ٢٢٨ إلى ٢٩٠ ، الطبعة الحديثة .

ولاية العهد من بعده ليري الناس أنه راغب في الدنيا فيسقط محلّه من نفوسهم . فلما لم يظهر منه في ذلك للناس إلا ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً من أن يقطعه واحد منهم ، فيسقط محلّه عند العلماء ، وبسببهم يشتهر نقصه عند العامة . فكان لا يكلمه خصهم من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والصابئين ، والبراهمة ، والملحدين ، والدهريّة ، ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين له إلا قطعه وألزمه الحجّة . وكان الناس يقولون : وَاللَّهِ إِنَّهُ أَوْلَى بِالْخِلَافَةِ مِنَ الْمَأْمُونِ . فكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه فيغتاظ من ذلك ويشتدّ حسده .

وَكَانَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يُحَابِي الْمَأْمُونَ مِنْ حَقِّ وَكَانَ يُجِيبُهُ بِمَا يَكْرَهُ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ فَيَغِيظُهُ ذَلِكَ ، وَيَحْقِدُهُ عَلَيْهِ ، وَلَا يُظْهِرُهُ لَهُ .  
فَلَمَّا أَعْيَنَتِ الْحِيلَةَ فِي أَمْرِهِ اغْتَالَهُ فَقَتَلَهُ بِالسُّمِّ .<sup>١</sup>

روى القطب الراوندي عن صفوان الجمال قال : كنت بالحيرة مع أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام إذ أقبل الربيع ، وقال : أجب

١- «عيون أخبار الرضا» ج ٢ ، ص ٢٣٩ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٩ ، ص ٢٩٠ . ومن الغرائب التي يمكن أن نعدّها من كرامات الإمام الرضا عليه السلام هي أنّني أكتب هذه السطور التي نتناول سبب شهادة ذلك الإمام المظلوم لساعة مضت على طلوع الشمس يوم الخميس الثلاثين من صفر سنة أربع عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة . أي : في يوم استشهاد الإمام عليه السلام . وهذه هي المرّة الأولى التي يدور فيها الكلام حول شهادة ذلك الإمام الغريب على امتداد تأليف هذا الكتاب (معرفة الإمام) الذي تمّ منه ستّة عشر جزءاً ، ومع أنّي لم أقصد هذا الموضوع هنا من قبل . وكما تلاحظون فقد جرى هذا الكلام دليلاً على تعامل المنصور الدوانيقي مع الإمام جعفر الصادق عليه السلام . وقد ذكر ابتداءً كدليل على ذلك . بيد أنّ روح الإمام القدسيّة ونفسه الملكوتيّة - وحياته وموته سواء - قد أفاضت على قلبي الحسیر سلام الله وسلام ملائكته المقرّبين عليه وعلى آبائه وأبنائه أجمعين .

أمير المؤمنين ، فلم يلبث أن عاد . قلتُ : أسرعتَ الانصراف ! قال : إنّه سألني عن شيء ، فأسأل الربيع عنه !

فقال صفوان : وكان بيني وبين الربيع لطف . فخرجت إلى الربيع وسألته ، فقال : أخبرك بالعجب : إنّ الأعراب خرجوا يجتنون الكماة ، فأصابوا في البرّ خلقاً مُلقَى ، فأتوني به . فأدخلته على الخليفة ، فلما رآه قال : نحّه وادعُ جعفرأ ! فدعوته .

فقال : يا أبا عبد الله أخبرني عن الهواء ما فيه ؟ قال : في الهواءِ مَوْجٌ مَكْفُوفٌ<sup>١</sup> قال : ففيه سَكّان ؟ قال : نعم ! قال : وما سَكّانه ؟

قال : خَلَقَ أَبْدَانَهُمْ أَبْدَانُ الْحَيْتَانِ ، وَرُؤُوسَهُمْ رُؤُوسُ الطَّيْرِ ، وَلَهُمْ أَعْرَفَةٌ كَأَعْرَفَةِ الدِّيَكَةِ ، وَنَغَانِغٌ<sup>٢</sup> الدِّيَكَةِ ، وَأَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ الطَّيْرِ ، مِنْ أَلْوَانٍ أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ الْفِضَّةِ الْمَجْلُوءَةِ .

فقال الخليفة : هلمّ الطشت ! فجئت بها وفيها ذلك الخلق . وإذا هو والله كما وصفه جعفر . فلما نظر إليه جعفر ، قال : هَذَا هُوَ الْخَلْقُ الَّذِي يَسْكُنُ الْمَوْجَ الْمَكْفُوفَ . فأذن له بالانصراف . فلما خرج ، قال : وَبِئْسَ يَا رَبِيعُ ، هَذَا الشَّجَى الْمُعْتَرِضُ فِي حَلْقِي مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ !<sup>٣</sup>

روى الشيخ الصدوق في أماليه بسنده المتصل عن الربيع صاحب المنصور ونديمه ، قال : بعث المنصور إلى الصادق جعفر بن محمد عليهما

١- في «أقرب الموارد»، مادة نغغ: النَّغْنُغُ: اللحمية في الحلق عند اللهازم. وقيل: موضع بين اللهاة وشوارب الحنجور -الذي يكون فوق عنق البعير إذا احتَرَّ تحرك و- عرف الديك وقيل ما سال تحت منقاره كاللحية. والجمع نَغَانِغُ .

٢- في «مجمع البحرين»: وفي الدعاء: «العنان المكفوف» أي: الممنوع من الاسترسال أن يقع على الأرض، وهي معلقة بلا عمَد .

٣- «الخرائج والجرائح»، ص ٢٣٤؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧، ص ١٧٠ .

السلام يستقدمه لشيءٍ بلغه عنه . فلما وافى بابه خرج إليه الحاجب ، فقال :  
**أَعِيذُكَ بِاللَّهِ مِنْ سَطْوَةِ هَذَا الْجَبَّارِ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ حَرَدَهُ عَلَيْكَ شَدِيداً !**  
 فقال الصادق عليه السلام : **عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ جُنَّةٌ وَاقِيَةٌ ، تُعِينِي عَلَيْهِ إِنْ**  
**شَاءَ اللَّهُ . اسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ ! فَاسْتَأْذِنَ فَأْذَنَ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ سَلَّمَ ، فَرَدَّ**  
**عَلَيْهِ السَّلَامَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا جَعْفَرُ ! قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**  
**وآلِهِ قَالَ لِأَبِيكَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْلَا أَنْ تَقُولَ فِيكَ طَوَائِفُ**  
**مِنْ أُمَّتِي مَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ ، لَقُلْتُ فِيكَ قَوْلًا لَا تَمُرُّ بِمَلاَ إِلَّا**  
**أَخَذُوا مِنْ تَرَابِ قَدَمَيْكَ ، يَسْتَشْفُونَ بِهِ !**

وقال عليّ عليه السلام : **يَهْلِكُ فِيَّ اثْنَانِ وَلَا ذَنْبَ لِي : مُحِبُّ غَالٍ**  
**وَمُبْغِضٌ مُفْرَطٌ .** قال : قال ذلك اعتذاراً منه أنه لا يرضى بما يقول فيه  
 الغالي والمفراط . لعمرى إن عيسى ابن مريم عليهما السلام لو سكت عما  
 قالت فيه النصارى لعذبه الله .

ولقد تعلم ما يقال فيك من الزور والبهتان ، وإمساكك عن ذلك  
 ورضاك به سخط الديان ، زعم أوغاد الحجاز ، ورعاع الناس ، أنك حبر  
 الدهر ، وناموسه وحجة المعبود وترجمانه ، وعيبة علمه ، وميزان قسطه ،  
 ومصباحه الذي يقطع به الطالب عرض الظلمة إلى ضياء النور ، وأن الله  
 لا يقبل من عامل جهل حدك في الدنيا عملاً ، ولا يرفع له يوم القيامة وزناً .  
 فنسبوك إلى غير حدك ، وقالوا فيك ما ليس فيك . فقل فإن أول من قال  
 الحق جدك ، وأول من صدقه عليه أبوك وأنت حريٌّ أن تقتص آثارهما ،  
 وتسلك سبيلهما .

فقال الصادق عليه السلام : **أَنَا فَرْعٌ مِنْ فُرْعِ الزَّيْتُونَةِ ، وَقِنْدِيلٌ مِنْ**  
**قَنَادِيلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ ، وَأَدِيبُ السَّفَرَةِ ، وَرَبِيبُ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَمِصْبَاحٌ مِنْ**  
**مَصَابِيحِ الْمَشْكَاةِ الَّتِي فِيهَا نُورُ التُّورِ ، وَصَفْوَةٌ الْكَمِيبَةِ الْبَاقِيَةِ فِي عَقَبِ**

## المُصْطَفَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ!

فالتفت المنصور إلى جلسائه ، فقال : هَذَا قَدْ أَحَالَني عَلَى بَحْرِ مَوَاجٍ لَا يُدْرِكُ طَرْفُهُ ، وَلَا يُبْلَغُ عُمُقُهُ ، تُحَارُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ ، وَيَغْرُقُ فِيهِ السُّبْحَاءُ ، وَيَضِيقُ بِالسَّايِحِ عَرَضُ الْفَضَاءِ ، هَذَا الشَّجَى الْمُعْتَرِضُ فِي حُلُوقِ الْخُلَفَاءِ ، الَّذِي لَا يَجُوزُ نَفْيُهُ ، وَلَا يَحِلُّ قَتْلُهُ .

وَلَوْلَا مَا يَجْمَعُنِي وَإِيَّاهُ شَجَرَةٌ طَابَ أَصْلُهَا ، وَبَسَقَ فَرْعُهَا ، وَعَذَّبَ ثَمَرُهَا ، وَبُورِكَتْ فِي الذَّرِّ ، وَقُدِّسَتْ فِي الزُّبْرِ ، لَكَانَ مِنِّي إِلَيْهِ مَا لَا يُحْمَدُ فِي الْعَوَاقِبِ ، لِمَا يَبْلُغُنِي عَنْهُ مِنْ شِدَّةِ غَيْبِهِ لَنَا ، وَسُوءِ الْقَوْلِ فِيْنَا .

فقال الصادق عليه السلام : لَا تَقْبَلُ فِي ذِي رَحِمِكَ وَأَهْلِ الرَّعَايَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ قَوْلَ مَنْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، وَجَعَلَ مَأْوَاهُ النَّارَ . فَإِنَّ النَّمَامَ شَاهِدٌ زُورٌ ، وَشَرِيكُ إِبْلِيسَ فِي الْإِعْرَاءِ بَيْنَ النَّاسِ . فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

«يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا (وثبتوا عند العمل بمقتضات) أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ»<sup>١</sup>

وَنَحْنُ لَكَ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانٌ ، وَلِمُلْكِكَ دَعَائِمٌ وَأَرْكَانٌ مَا أَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ ، وَأَمْضَيْتَ فِي الرَّعِيَّةِ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ ، وَأَرْغَمْتَ بِطَاعَتِكَ لِلَّهِ أَنْفَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنْ كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ فِي سَعَةِ فَهْمِكَ وَكَثْرَةِ عِلْمِكَ وَمَعْرِفَتِكَ بِآدَابِ اللَّهِ أَنْ تَصِلَ مِنْ قَطْعِكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ ! فَإِنَّ الْمُكَافِيَّ لَيْسَ بِالْوَاصِلِ . إِنَّمَا الْوَاصِلُ مَنْ إِذَا قَطَعَتْهُ رَحِمُهُ وَصَلَّهَا . فَصِلْ رَحِمَكَ يَزِدِ اللَّهُ فِي عُمْرِكَ ، وَيُخَفِّفْ عَنْكَ الْحِسَابَ يَوْمَ حَشْرِكَ !

فقال المنصور : قد صفحتُ عنك لقدرك ، وتجاوزتُ عنك لصدقتك .

١- الآية ٦ ، من السورة ٤٩ : الحجرات .



فحدّثني عن نفسك بحديثٍ أتّعظُ به ، ويكون لي زاجر صدق عن الموبقات !

فقال الصادق عليه السلام : عَلَيْكَ بِالْحِلْمِ ، فَإِنَّهُ رُكْنُ الْعِلْمِ ، وَامْلِكْ نَفْسَكَ عِنْدَ أَسْبَابِ الْقُدْرَةِ ! فَإِنَّكَ إِنْ تَفَعَّلَ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ كُنْتَ كَمَنْ شَفِيَ غَيْظًا ، أَوْ تَدَاوَى حِقْدًا ، أَوْ يُحِبُّ أَنْ يُذْكَرَ بِالصَّوْلَةِ . وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ عَاقَبْتَ مُسْتَحِقًّا لَمْ تَكُنْ غَايَةً مَا تُوصَفُ بِهِ إِلَّا الْعَدْلُ ، وَالْحَالُ الَّتِي تُوجِبُ الشُّكْرَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَالِ الَّتِي تُوجِبُ الصَّبْرَ . (أي : يشكرك الناس عند العفو والصفح عنهم ، ويصبرون مرغمين عند العقوبة والبطش) .

فقال المنصور : وعظت فأحسنت ، وقلت فأوجزت ! فحدّثني عن فضل جدّك عليّ بن أبي طالب عليه السلام حديثاً لم تأثره العامة .

فقال الصادق عليه السلام : حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ عَهَدَ إِلَيَّ رَبِّي جَلَّ جَلَالُهُ فِي عَلَيٍّ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! فَقُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ !

فَقَالَ : عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ عَلِيًّا إِمَامُ الْمُتَّقِينَ ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّبِينَ ، وَيَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبَشِّرْهُ بِذَلِكَ ! فَبَشَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ . فَخَرَّ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَاجِدًا شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلَغَ مِنْ قَدْرِي حَتَّى أَنِّي أُذْكَرُ هُنَاكَ !؟  
قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ يَعْرِفُكَ وَإِنَّكَ لَتَذْكَرُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى .  
فقال المنصور : ذلرك فضلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .<sup>١</sup>

إذا أنعمنا النظر في هذه الرواية فإن مطالب مهمة تستبين لنا :

١- «الأُمالي» للشيخ الصدوق، ص ٦١١؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧، ص ١٦٧ إلى ١٦٩ .

أولاً: حاول المنصور أن يجبر الإمام على الإقرار بأنه خليٌّ من العلوم الملكوتية والسريّة، وبعامّة أراد أن يجعله في عداد العوام من الناس .  
ثانياً: لم يعترف الإمام عليه السلام بهذا الأمر بأيّ وجه من الوجوه ، بل أصرّ على أنّه من تلك الشجرة الزيتونة المباركة ، وأنّه فرع منها .  
ثالثاً: بأيّ بيانٍ منطقيٍّ مرن نافع يستطيع أن يُقنع المنصور بأنّ الانتقام عمل مذموم ، وأنّ العالم يجب أن يكون حليماً ؟ وإلّا يصبح العلم حرباً بيّدي زنجيٍّ سكير .  
رابعاً: في الوقت نفسه نصح المنصور نصيحة مقبولة ، لا نصيحة تشيره وتزيد حدّته وتشدّده .

ويتّضح هنا جيّداً كيف يجب على الإمام عليه السلام أن يتحمّل هذه المصائب مع المنصور ، ويؤدّي رسالته بالنسبة إلى الأُمّة جميعها ، بل بالنسبة إلى المنصور ذاته ، وينقذ نفسه من قتلٍ لا طائل تحته فيتسنّى له أن يوصل ثقل الإمامة والولاية الحقيقيّة إلى مكانه المنشود .

لم يهدأ المنصور عن إرسال الجواسيس إلى المدينة مع يقينه بعدم خروج الإمام

ما كان أبو مسلم الخراسانيّ ، ولا أبو سلمة من أهل الولاية ومن أنصار الإمام جعفر الصادق عليه السلام . ومع ذلك كانت تصل رسائلها إليه عليه السلام لجسّ نبضه فيما إذا كان من أهل الثورة والخروج بالسلاح أو لا .

عندما اجتمع عبد الله المحض وولده : محمّد وإبراهيم مع عبد الله السقّاح والمنصور وجماعة آخرين من بني هاشم في الأبناء بالمدينة من أجل أخذ البيعة لأحد ولدي عبد الله المحض ، دخل عليهم الإمام الصادق

عليه السلام بغتة على الرغم من عدم رغبتهم في ذلك ، وقال : لا تصح هذه البيعة ، لأنَّ محمّداً ليس مهدي آل محمّد . وإنَّ محمّداً وإبراهيم سيقتلان بيدي صاحب القباء الأصفر (المنصور أبي الدوانيق) ، وهو الذي سيقبض على الخلافة .

وبعد مضي أيام سافر عبد الله السّفاح مع أهل بيته من المدينة إلى الكوفة خفية ، وخطط للخلافة مع أبي سلمة الخلال . وحين بويغ استوزره فاشتهر بوزير آل محمّد . لكنّه قُتل بعد أربعة أشهر ، والذي قتله هو أبو مسلم .

قال المحدث القمّي (ما تعريبه) : استوزر السّفاح أبا سلمة حفص الخلال ، فدعى وزير آل محمّد . وهو أوّل من وزر في الدولة العبّاسيّة . ثمّ همّ أبو مسلم بقتله ، وكان ينتهز الفرصة حتّى خرج ذات ليلة من عند السّفاح قاصداً منزله ، فهجم عليه أصحاب أبي مسلم وسفكوا دمه . وكان قتله بعد أربعة أشهر مرّت على حكومة السّفاح . ولما كانت الدولة العبّاسيّة قد قامت بجهود أبي مسلم ، لذلك يمسه السّفاح بأذى ، بل كان يحترمه . وظلّ أبو مسلم حتّى إذا هلك السّفاح ، وجلس المنصور مجلسه أمر بقتله في رومية المدائن يوم الخامس والعشرين من شعبان سنة ١٣٧ هـ وكان معروفاً بالحزم والبطش والغيرة ، وكان سفاكاً للدماء حتّى أحصى عدد المقتولين بيده صبراً فكانوا ستمائة ألف<sup>١</sup> .

١- «تتمّة المنتهى في وقائع الخلفاء» ص ١٥٦ و ١٥٧ ، الطبعة الثالثة . وقال في الهامش: كان أبو مسلم يقول: مثلي مع العبّاسيين مثل رجل من الصالحين رأى عظام أسد، فدعا الله تعالى فأحياه. ولما حيى، قال له: لك عليّ حقّ عظيم، لكن المصلحة تفتضي أن أقتلك. إذ إنك مستجاب الدعوة! فلعلّك تدعو الله تعالى مرّة أخرى فيؤمّيني، أو يخلق أسداً أقوى منّي فيكون سبباً لضرري، فمصلحتي تستوجب قتلك. وهكذا العبّاسيون فإنهم حين

وعندما أخذ العباسيون البيعة لأنفسهم وتربّعوا على أريكة الحكم ، وصلت رسائل من أبي مسلم وأبي سلمة إلى المدينة استعلما فيها عن خلافة الإمام الصادق عليه السلام ، وعبد الله المحض ، وعمرو الأشرف وهم من أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وسألا فيها عن مدى استعدادهم للخلافة . أما الإمام الصادق عليه السلام فقد رفض تلك الرسائل وقال : العجب أنّ رجالاً أجانب يطالبون بالخلافة لنا !

لقد كان هؤلاء كلّهم جواسيس أرادوا أن يقيسوا قابليّة الإمام عليه السلام للثورة والعمل في مقابل العباسيين ، فيفعلوا به ما فعلوا بعبد الله المحض وإخوته وولديه وعشيرته ، بيد أنّ الإمام كان واعياً ناهياً من أولي الفهم والدراية . فلم يعبأ بتلك المراسلات ، ولم يتخطّ طريقه ، إذ كان يعلم علم اليقين أنّ إبراهيم الإمام وأخويه السقّاح والمنصور ليسوا ممّن يتنازل عن الحكم ويسلمّ الخلافة لأهلها ويجعلها في مكانها الحقيقي . إنهم يفكّرون بمصالحهم الخاصّة فحسب ، ولم يفكّروا إلاّ بتمشية تلك المصالح والمقاصد تحت عنوان دعم أهل البيت والإعلان عن غضب حقّ العلويين .

استقوا بي رأوا من مصلحتهم أن يقتلوني . وجملة القول أنّه قد حدث ما قال . واستشار أبو جعفر المنصور أحد العقلاء في قتله . فقال له : لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِلهَةٌ إِلَّاتَ اللهُ لَفَسَدَتَا (الآية ٢٢ ، من السورة ٢١ : الأنبياء) فصلاحك في قتله . وربما أراد المنصور قتله ، فقال له أبو مسلم : أبقتني لأعدائك ، فقال : أيّ عدوّ لي أكبر منك ؟! ولما قُتل أبو مسلم استقرّ الحكم للعباسيين . وعن «ربيع الأبرار» للزمخشريّ قال : كان أبو مسلم يقول في عرفات : اللهمّ إنّي تائبٌ إليك ممّا لا أظنّك تغفره لي ! فقيل له :

أيعظم على الله غفران ذنبٍ ؟ فقال : إنّي نسجتُ ثوبَ ظلم لا يبلى مادامت الدولة لنبي العباس . فكم من صارخةٍ تعنني عند تفاقم الظلم ! فكيف يُغفر لمن هذا الخلق خصماؤه ؟! (ج ٣ ، ص ٤٩٧ ، تحقيق د . سليم النعيميّ ، دار الذخائر ، قم ، ١٤١٠ هـ)

واتخذوا من هذا العنوان ذريعة لإمارتهم ورئاستهم وحكومتهم . ولو لم يكن ذلك ، فَلِمَ لَمْ يُطْلَعُوا الإمام على هذا الأمر في المدينة ، وذهبوا إلى الكوفة سرّاً لأخذ البيعة من أهلها !؟

وأما عبد الله المحض ، فلم يَخْبُرْ حقيقة الأشياء ، ولم يستضيء بنور الباطن والفراسة العميقة فيدرك كُنه الأمور ، فلهذا خُدِعَ بأوراق مزوّرة ورسائل لا مغزى فيها من شيعة خراسان ، حتى أنّه أساء الظنّ بالإمام الصادق عليه السلام وخال أنّه لا يبايع ولده محمّد النفس الزكية حسداً مع وجود الرسائل التي بعثها شيعة خراسان إليه .

قال المستشار عبد الحليم الجنديّ: كتب أبو مسلم الخراسانيّ أيتامئذٍ إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام :  
 «إِنِّي قَدْ أَظْهَرْتُ الْكَلِمَةَ، وَدَعَوْتُ النَّاسَ عَنْ بَنِي أُمِّيَّةَ إِلَى مَوَالَاةِ  
 «أَهْلِ الْبَيْتِ» فَإِنْ رَغِبْتَ فَلَا مَزِيدَ عَلَيْكَ .

وأجاب جعفر الصادق معلناً فلسفته : مَا أَنْتَ مِنْ رِجَالِي ، وَلَا الزَّمَانَ  
 زَمَانِي<sup>١</sup> .

وفي ذات الوقت بعث أبو سلمة الخلال - الملقّب بوزير آل محمّد ،

١- الدليل على أنّ العباسيين ووزراءهم وعمّالهم كانوا يريدون القضاء على أهل البيت هو أنّ أبا مسلم الخراسانيّ قتل عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب لا لذنّب إلاّ لأنّه علويّ . قال عبد الحليم الجنديّ في الهامش: خرج هذا الرجل على بني مروان سنة ١٢٧ في الري بخراسان ، ثمّ استسلم لأبي مسلم بعد إذ ظفر الأخير بجيوش بني مروان . وكتب إليه يستعطفه بقوله: من الأسير بين يديه بلا ذنّبٍ إليه وَلَا خِلافٍ عليه . فَإِنَّ النَّاسَ مِنْ حَوْضِكَ رِوَاءٍ وَنَحْنُ ظَمَاءٌ ، رَزَقْنَا اللَّهَ مِنْكَ التَّحَنُّنَ ... فَإِنَّكَ أَمِينٌ مُسْتَوْدِعٌ وَرَائِدٌ مُصْطَنَعٌ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ . ولم يُطْلَقْهُ أبو مسلم ، بلا أوّده حتفه . وقيل : سمّه .

والذي سيُصبح وزيراً للسفاح أوّل خلفاء بني العباس - إلى جعفر الصادق ،  
وعبد الله بن الحسن بن «الحسن» ، وعمرو الأشرف ، من أبناء عليّ ، مع  
رجل من موالي أبي سلمة قائلاً له : إن أجاب جعفر فلا تذهب إلى غيره !  
وإن لم يجب فاقصد إلى عبد الله ، فإن أجاب فأبطل كتاب عمرو . (وإن  
لم يجب عبد الله فاقصد عمرو الأشرف) !

وذهب الرسول إلى جعفر ، فقال : مَا لِي وَلَا لِأَبِي سَلَمَةَ وَهُوَ شِيعَةٌ  
لِعَيْرِي ، وَوَضَعَ الْكِتَابَ فِي النَّارِ حَتَّى احْتَرَقَ - وَأَبَى أَنْ يَقْرَأَهُ .  
قَالَ الرَّسُولُ : أَلَا تُجِيبُهُ ؟!  
قَالَ : رَأَيْتُ الْجَوَابَ !

ثم مضى الرسول إلى عبد الله . فقرأ الكتاب ، وقصد إلى جعفر  
الصادق يُنبئه بورود الكتاب إليه من شيعته بخراسان .

قال الصادق له : وَمَتَى كَانَ لَكَ شِيعَةٌ بِخُرَاسَانَ ؟! أَنْتَ وَجَهْتَ أَبَا  
مُسْلِمٍ إِلَيْهِمْ ؟! هَلْ تَعْرِفُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِاسْمِهِ ؟! فَكَيْفَ يَكُونُونَ شِيعَتَكَ وَهُمْ  
لَا يَعْرِفُونَكَ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُمْ ؟!

قال عبد الله : كَانَ هَذَا الْكَلَامَ مِنْكَ لِشَيْءٍ ؟!  
قال الصادق : قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي أُوجِبُ النَّصْحَ عَلَى نَفْسِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ  
فَكَيْفَ أَدْخِرُوهُ عَنْكَ ؟ فَلَا تَمَنَّ نَفْسَكَ فَإِنَّ الدَّوْلَةَ سَتَمُّ لِهَوْلَاءِ !

١- كتاب «الإمام جعفر الصادق» تخريج جمهورية مصر العربية، المجلس الأعلى  
للشؤون الإسلامية، ص ٧٤ و ٧٥.

سرد أحمد أمين بك المصري هذه القصة في كتاب «ضحى الإسلام» ج ٣، ص ٢٦٢،  
بالنحو الآتي : حكى المسعودي أنّ أبا سلمة (داعية العباسيين) حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام  
أضمر الرجوع - عمّا كان عليه من الدعوة العباسية - إلى آل أبي طالب. فبعث بكتابين مع  
رسولٍ إلى المدينة. أحدهما إلى جعفر (الصادق)، والآخر إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن

روى الشيخ محمد بن يعقوب الكليني في «الكافي» عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن جعفر بن محمد بن الأشعث<sup>١</sup> قال: قال لي: أتدري ما كان سبب دخولنا في هذا الأمر ومعرفتنا به وما كان عندنا منه ذِكْرٌ ولا معرفة شيء مما عند الناس؟ قال: قلت له: ماذا! قال: إنَّ أبا جعفر - يعني أبا الدوانيق - قال لأبي، محمد بن الأشعث: يا محمد! ابغ لي رجلاً له عقل يؤذي عتي! فقال له أبي: قد أصبته لك، هذا فلان ابن مهاجر خالي. قال: فأتني به! قال: فأتيته بخالي.

فقال له أبو جعفر: يا ابن مهاجر! خذ هذا المال وأت المدينة وأت عبد الله بن الحسن بن الحسن وعدة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمد فقل لهم: إنني رجل غريب من أهل خراسان وبها شيعة من شيعتكم وجَّهوا

بن علي بن أبي طالب. فلما وصل الرسول إلى جعفر أعلمه أنه رسول أبي سلمة ودفع إليه كتابه ليلاً. فقال جعفر: وأنا وأبو سلمة؟! وأبو سلمة شيعةٌ لغيري؟ قال له: إنني رسول، فتقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت. فدعا جعفر بسراج، ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق، وقال للرسول: عرف صاحبك بما رأيت! ثم تمثَّل بقول الكمي:

ايا مُوقِداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً في غير حبلك تحطبُ  
فخرج الرسول من عنده. («مروج الذهب» ج ٢، ص ١٦٦).

١- هو جعفر بن محمد بن الأشعث بن قيس. جدّه الأشعث صهر أبي بكر على أخته. كان من أعداء أمير المؤمنين عليه السلام وشريك ابن ملجم في دم الإمام. وكان نجله محمد من أمراء جيش ابن زياد في واقعة الطف وممن اشترك في قتل سيد الشهداء عليه السلام. وابنته جعدة زوجة الإمام الحسن عليه السلام، وهي التي سمته وقتلته. ولهذا تعد أسرة الأشعث من النواصب ومن أعداء آل محمد، وما يُستشف من هذه الرواية هنا أن ابن محمد وهو جعفر قد تشيع لأنه سمع خال أبيه ابن مهاجر يتحدث عن علم الغيب عند الإمام الصادق عليه السلام وعن إعجازه.

إيكم بهذا المال! وادفع إلى كل واحد منهم على شرط كذا وكذا. فإذا قبضوا المال، فقل: إني رسول وأحِبُّ أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم! فأخذ المال وأتى المدينة، فرجع إلى أبي الدوانيق ومحمد بن الأشعث عنده. فقال له أبو الدوانيق: ما وراءك؟!

قال: أتيت القوم وهذه خطوطهم بقبضهم المال خلا جعفر بن محمد. فأني أتيتُه وهو يصلي في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فجلست خلفه وقلت حتى ينصرف، فأذكر له ما ذكرت لأصحابه. فعجل وانصرف، ثم التفت إلي فقال:

يَا هَذَا! اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَغْرَأْ أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، فَإِنَّهُمْ قَرِيبُ الْعَهْدِ بِدَوْلَةٍ  
بَنِي مَرْوَانَ وَكُلُّهُمْ مُحْتَاجٌ!  
فقلت: وما ذاك أصلحك الله؟

قال: فأدنى رأسه مني وأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك حتى كأنه كان ثالثنا. قال: فقال له أبو جعفر: يابن مهاجر! اعلم أنه ليس من أهل بيت نبوة إلا وفيه محدث،<sup>١</sup> وأن جعفر بن محمد محدثنا اليوم. قال جعفر بن محمد بن الأشعث: وكانت هذه الدلالة سبب قولنا بهذه  
المقالة ٢.

روى القطب الراوندي عن مهاجر بن عمارة الخزازي قال: بعثني أبو الدوانيق إلى المدينة، وبعث معي بمال كثير، وأمرني أن أتضرع لأهل هذا

١- المحدث بصيغة اسم المفعول يُطْلَقُ على من تُحدِّثه الملائكة من غير أن يراها، فتتكشف له من العوالم الغيبية بهذا المقدار. وهذا ليس وحياً. وروى العامة والخاصة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال ما مضمونه: في أمّتي محدثون. منهم الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليها فقد كانت محدثة. ١  
٢- «أصول الكافي» ج ١، ص ٤٧٥، الرواية ٦، كتاب الحجّة.



البيت ، وأتحفظ مقالتهم .

قال : فلزمتُ الزاوية التي ممّا يلي القبر ، فلم ؟ن أتحنّى منها في وقت الصلاة ، لافي ليل ولا في نهار . قال : وأقبلتُ أطرح إلى السُّؤال الذين حول القبر الدراهم ومن هو فوقهم الشيء بعد الشيء حتى ناولتُ شاباً من بني الحسن ومشيخة حتى ألفوني وألفتهم في السرّ .

قال : وكنتُ كلّما دنوتُ من أبي عبد الله (جعفر بن محمّد الصادق) يُلاطفني ويُكرمني ، حتى إذا كان يوماً من الأيام دنوتُ من أبي عبد الله وهو يُصلي . فلما قضى صلاته ، التفت إليّ وقال : تعال يا مهاجر - ولم أكن أتسمي ولا أتكنّى بكُنيتي - فقال : قل لصاحبك : يقول لك جعفر :

كَانَ أَهْلُ بَيْتِكَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى هَذَا !  
تَجِيءُ إِلَى قَوْمِ شَبَابٍ مُحْتَاجِينَ فَتُدَسُّ إِلَيْهِمْ . فَلَعَلَّ أَحَدَهُمْ يَتَكَلَّمُ  
بِكَلِمَةٍ تَسْتَحِلُّ بِهَا سَفْكَ دَمِهِ . فَلَوْ بَرَزْتَهُمْ وَوَصَلْتَهُمْ وَأَغْنَيْتَهُمْ كَانُوا أَحْوَجَ  
مَا تُرِيدُ مِنْهُمْ !

قال : فلما أتيتُ أبا الدوانيق قلتُ له : جئتُك من عند ساحر كذاب كاهن . من أمره كذا وكذا . قال : صدق والله كانوا إلى غير هذا أحوج . وإياك أن يسمع هذا الكلام منك إنسان !<sup>١</sup>

هؤلاء الجواسيس كانوا يطوّقون الإمام عليه السلام وأصحابه من جهة ، ويحظرون عليه لقاء بالناس من جهة أخرى . وهذه كانت مشكلة سواء للإمام الذي لم يهتمه إلا بثّ العلوم ونشر المعارف ، أم لجميع الناس الذين ينبغي أن يرتووا من منهله العذب الصافي ليخرجوا من عبودية العباد إلى عبودية الله . ومع خطر اللقاء والتدريس والتحدّث إلى الناس فسيظلّ

١- «الخرائج والجرائح» ص ٢٤٤ ؛ «بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ١٧٢ ، عن «الخرائج» .

بحر العلم الهادر هذا مختفياً ، وسيبقى جبل المعرفة الراسخ الشاهق ذاك بلا ثمرة تُذكر .

روى القطب الراوندي عن هارون بن خارجة قال : كان رجل من أصحابنا طلق امرأته ثلاثاً ، فسأل أصحابنا فقالوا : ليس بشيء . فقالت امرأته : لا أرضى حتى تسأل أبا عبد الله ! وكان بالحيرة إذ ذاك أيام أبي العباس . قال : فذهب إلى الحيرة ولم أقدر على كلامه إذ منع الخليفة الناس من الدخول على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أنظر كيف ألتمس لقاءه ، فإذا سوادتي عليه جبة صوف يبيع خياراً ، فقلتُ له : بكم خيارك هذا كله ؟! قال : بدرهم ! فأعطيته درهماً ، وقلتُ له : أعطني جبتك هذه ! فأخذتها ولبستها وناديتُ : من يشتري خياراً ؟ ودنوتُ منه ، فإذا غلام من ناحية ينادي يا صاحب الخيار ! فقال عليه السلام لي لمّا دنوتُ منه : ما أجود ما احتلت ! أي شيء حاجتك ؟!

قلتُ : إنني ابتليتُ فطلقتُ أهلي في دفعةٍ ثلاثاً ، فسألتُ أصحابنا فقالوا : ليس بشيء وإن المرأة قالت : لا أرضى حتى تسأل أبا عبد الله عليه السلام . فقال : **ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ ! فَلَيْسَ عَلَيْكَ شَيْءٌ** <sup>١</sup>!

روى ابن شهر آشوب عن محمد بن سنان ، عن المفضل بن عمر أنّ المنصور قد كان همّ بقتل أبي عبد الله عليه السلام غير مرّة . فكان إذا بعث إليه ودعاه ليقته . فإذا نظر إليه هابه ولم يقتله غير أنّه منع الناس عنه ، ومنعه من القعود للناس ، واستقصى عليه أشد الاستقصاء ، حتى أنه كان يقع لأحدهم مسألة في دينه ، في نكاح أو طلاق أو غير ذلك ، فلا يكون علم ذلك عندهم ، ولا يصلون إليه فيعتزل الرجل وأهله .

١- «الخرائج والجرائح» ص ٢٣٤ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ١٧١ ، عن «الخرائج».

فشق ذلك على شيعته وصعب عليهم ، حتى ألقى الله عزوجل في روع المنصور أن يسأل الصادق عليه السلام ليُتحفه بشيء من عنده ، لا يكون لأحد مثله .

فبعث إليه بمِخْصَرَة<sup>١</sup> للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ طَوْلَهَا ذِرَاعٌ . ففرح بها فرحاً شديداً ، وأمر أن تشق له أربعة أرباع وقسمها في أربعة مواضع .  
ثم قال له : مَا جَزَاؤُكَ عِنْدِي إِلَّا أَنْ أُطْلِقَ لَكَ ، وَتُنْفِسِي عَلِمَكَ لِشِيعَتِكَ وَلَا تَعْرَضُ لَكَ ، وَلَا لَهُمْ ، فَاقْعُدْ غَيْرَ مُخْتَشِمٍ وَأَفْتِ النَّاسَ ، وَلَا تَكُنْ فِي بَلَدٍ أَنَا فِيهِ ! فَفَسَا الْعِلْمُ عَنِ الصَّادِقِ<sup>٢</sup> .

وورد في بعض الآثار أن الإمام عليه السلام لم يُنجز للراوندي مجال التوقف ، لأنه يكون مظنة لتهمة اللقاء والحديث ، مما يستتبع عواقب وخيمة .

وجاء في الرواية التي نقلها سفيان الثوري عن الإمام عليه السلام أن الإمام قال له : غَيْرَ مَطْرُودٍ يَا سُفْيَانَ ! فَفَرَّقَ عَلَيْكَ مِنَ السُّلْطَانِ !  
ولم اعثر على الرواية الآتية التي سأنقلها عن سفيان بهذا الشكل وهذا التفصيل في المجاميع المعروفة ،<sup>٣</sup> بل أنقلها هنا عن خطِّ مبارك للمرحوم

١- قال العلامة المجلسي رضوان الله عليه في بيانه: في «القاموس» المِخْصَرَة كَمِكْنَسَة ما يُتَوَكَّأُ عَلَيْهَا كالعصا ونحوه. وما يأخذه الملك يُشِيرُ بِهِ إِذَا خَاطَبَ، وَالخَطِيبُ إِذَا خَاطَبَ.

٢- «المناقب» ج ٣، ص ٣٦٤؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧، ص ١٨٠.

٣- نَقَبْتُ عَنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ فَوَجَدْتُهَا فِي كِتَابِ «الْاِثْنِي عَشْرِيَّة فِي الْمَوَاعِظِ الْعَدَدِيَّة» ص ٧٢، بَابِ الثَّلَاثِيَّاتِ، الْفَصْلُ التَّاسِعُ. لَكِنْ جَاءَتْ كَلِمَةُ «فَارْدَدُ» بِدَلِ «فَارُودُ»، وَ«فَقَرَّقُ» مَكَانَ «نَفَّرَقُ». كَذَلِكَ ذَكَرَهَا فِي كِتَابِ «رُوضَاتِ الْجَنَّاتِ» ج ٤، ص ٦٥، الطبعة الحديثة، فِي تَرْجُمَةِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ نَقْلًا عَنْ «الْاِثْنِي عَشْرِيَّة».

جدّي آية الله السيّد إبراهيم الطهراني رضوان الله عليه .  
لقد ذكر هذه الرواية في صفحة سابقة عن ثماني مخطوطات لأصول  
قدمائنا ، وكان قد جمعها في مجموعة حبيبيّة بخطّ النستعليق الجميل .  
وفيما يأتي نصّ الرواية :

**رَوِيَ أَنَّ سَفِيَانَ الثَّوْرِيَّ<sup>١</sup> قَالَ: لَمَّا حَجَبْتُ فِي بَعْضِ السَّنِينَ، أَرَدْتُ**

١- قال المحدث القمّي في كتاب «تتمّة المنتهى في أيام الخلفاء» ص ٢١١ و ٢١٢ ،  
الطبعة الثالثة، ما تعريبه: توفّي سفيان بن سعيد الثوري (بفتح المثناة) المنسوب إلى «ثور  
تميم» بالبصرة في أول سنة ١٦١. قال الدميري: كان سفيان من أهل الكوفة. سئل مرّة عن  
عثمان وعليّ، فقال: أهل البصرة يفضّلون عثمان، وأهل الكوفة يفضّلون عليّاً عليه السلام.  
ف قيل له: وأنت؟! قال: أنا من أهل الكوفة. أي: أقول بتفضيل عليّ عليه السلام - انتهى ...  
ووردت أحاديث كثيرة عن الإماميّة في ذمّة.

وفي رواية «الكافي» عندما جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام ووجده قد ركب دابّته،  
قال له: حدّثنا بحديث خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف. فقال: دعني  
حتّى أذهب في حاجي فأني قد ركبت حدّثني. قال: فنزل. فقال له سفيان: مر لي بدواة  
وقرطاس حتّى أكتبه، فدعا به، ثمّ قال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، خطبة رسول الله  
صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف: نَصَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَاعَاهَا وَبَلَّغَهَا إِلَى مَنْ لَمْ  
يَبْلُغْهُ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ لِيَبْلُغَنَّ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ قُرْبَ حَامِلِ فَقْهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ، وَرُبَّ حَامِلِ فَقْهِ إِلَى  
مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ. ثَلَاثٌ لَا يَغْلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِأَنْمَةِ  
المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطّة من ورائهم. المؤمنون إخوة تتكافى  
دماؤهم، وهم يدّ على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم. فكتبه سفيان ثمّ عرضه عليه وركب  
أبو عبدالله في حاجته، ورجع سفيان. فلمّا كان في بعض الطريق فكّر في قوله: النصيحة  
لأنمّة المسلمين فعرف أنّ المراد أمير المؤمنين وأولاده. وخرق الكتاب وقال لرفيقه: لا تخبر  
به أحداً.

وحكى هذا الحديث مفصلاً المحقّق العظيم السيّد علي خان المدني الشيرازي في  
«شرح الصحيفة الكاملة السجّادية». ونحن نذكره هنا عن الجزء الثاني من «تلخيص الرياض»  
ص ١١١ إلى ١١٣: روى الكليني في «الكافي» بسنده عن الحاكم بن مسكين، عن رجلٍ من

زِيَارَةَ الصَّادِقِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَشَدْتُ عَنْهُ فَأَرْشَدْتُ إِلَيْهِ  
فَجِئْتُ، طَرَقْتُ الْبَابَ.

فَقَالَ: مَنْ؟ قُلْتُ: صَاحِبُكَ سُفْيَانُ!

فَفَتَحَ الْبَابَ وَوَقَفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاقٍ وَقَالَ: مَرْحَبًا يَا  
سُفْيَانُ! مِنَ الْجَهَةِ الشَّمَالِيَّةِ؟!

قُلْتُ: نَعْمُو يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ. مَا لِي أَرَاكَ قَدْ اعْتَرَلَتِ النَّاسَ؟!  
قَالَ: يَا سُفْيَانُ! فَسَدَ الزَّمَانُ، وَتَغَيَّرَ الْإِخْوَانُ، وَتَقَلَّبَ الْأَعْيَانُ،  
فَرَأَيْتُ الْإِنْفِرَادَ أَسْكَنَ لِلْفُؤَادِ! أَمَعَكَ شَيْءٌ تَكْتُبُ فِيهِ؟!  
قُلْتُ: نَعَمْ! فَقَالَ: اكْتُبْ:

قريش من أهل مكة قال: قال سفيان الثوري: اذهب بنا إلى جعفر بن محمد. قال: فذهبت  
معه إليه، فوجدناه قد ركب دابته. ثم نقل الرواية كالرواية المروية عن «منتهى الآمال». وزاد  
في آخرها أن ذلك الرجل قال: فلما كنا في بعض الطريق قال لي: كما أنت حتى أنظر في هذا  
الحديث! فقلت له: قد والله ألزم أبو عبد الله عليه السلام رقبتك شيئاً لا يذهب من رقبتك  
أبداً! فقال: وأي شيء ذلك؟! فقلت له: ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم، إخلاص  
العمل لله قد عرفناه، والنصيحة لأئمة المسلمين. من هؤلاء الأئمة الذين تجب علينا  
نصيحتهم؟! معاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وكل من لا تجوز  
شهادته عندنا ولا تجوز الصلاة خلفهم؟! وقوله: واللزوم لجماعتهم، فأبي الجماعة؟ مخرجي  
يقول: من لم يصل، ولم يصم، ولم يغتسل من جنابة، وهدم الكعبة، ونكح أمه فهو على  
إيمان جبرئيل وميكائيل؟ أو قدرتي يقول: لا يكون ما شاء الله عز وجل، ويكون ما شاء  
إبليس؟ أو حروري يتبرأ من علي بن أبي طالب وشهد عليه بالكفر؟ أو جهمي يقول: إنما  
هي معرفة الله وحدو ليس الإيمان شيء غيرها؟ قال: وَيَحْكُ! وأي شيء يقولون؟ فقلت:  
يقولون: إن علي بن أبي طالب عليه السلام والله الإمام الذي يجب علينا نصيحتة، ولزوم  
جماعتهم أهل بيته، قال: فأخذ الكتاب فخرقه، ثم قال: لا تُخبر بها أحداً!

ذَهَبَ الْوَفَاءُ ذَهَابَ أَمُوسِ الذَّاهِبِ  
 وَالنَّاسُ بَيْنَ مُخَائِلٍ وَمَوَارِبِ  
 يَغْشُونَ بَيْنَهُمُ الْمَوَدَّةَ وَالصَّفَا  
 وَقَلُوبُهُمْ مَحْشُوءَةٌ بِعَقَارِبِ  
 قُلْتُ: زِدْنِي يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ! قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اكْتُبْ:  
 لَا تَجْزَعَنَّ لِوَحْدَةٍ وَتَفْرُدْ  
 وَمِنَ التَّفْرُدِ فِي زَمَانِكَ فَازُودِ  
 ذَهَبَ الْإِخَاءَ فَلَيْسَ ثَمَّ أُخُوَّةٌ  
 إِلَّا التَّمَلُّقُ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ  
 فَإِذَا نَظَرْتَ جَمِيعَ مَا بِقُلُوبِهِمْ  
 أَبْصَرْتَ ثَمَّ نَقِيعَ سَمِّ الْأَسْوَدِ  
 ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: غَيْرَ مَطْرُودٍ يَا سُفْيَانَ فَفَرَّقْ عَلَيْكَ مِنَ السُّلْطَانِ!  
 فَقُلْتُ: سَمِعًا، زِدْنِي!  
 قَالَ: إِذَا تَظَاهَرَتْ عَلَيْكَ الْهُمُومُ فَقُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَإِذَا  
 اسْتَبَطَّاتِ الرِّزْقَ عَلَيْكَ فَعَلَيْكَ بِالِاسْتِغْفَارِ، وَعَلَيْكَ بِالتَّقْوَى، وَالرِّزْمِ الصَّبْرِ،  
 وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ فِي أَمْرِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ.<sup>٢</sup>  
 فَقُمْتُ وَأَنْصَرَفْتُ.<sup>٣</sup>

١- جاءت في كتاب «مطالب السئول» ص ٧٢، معلومات حول وصية الإمام لسفيان في العزلة والخمول والصمت.

٢- ذكر هذا المضمون مع استشهاد الإمام بالآيات القرآنية في تحقق هذه الأمور، في أواخر ص ٨١، من كتاب «مطالب السئول».

٣- ذكر المحدث القمي صدر هذه الرواية مرسلًا مع بيئتين من الأبيات المذكورة في «منتهى الآمال» ج ٢، ص ٨٩، طبعة «علمية إسلامية» الرحلية، وج ٢، ص ٢٥٣، الطبعة

أجل ، يستفاد من هذه الرواية أنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان مُحاصراً ، وكان يخشى بطش المنصور به للحظاتٍ من توقّف سفيان عنده . ومن الطبيعيّ أنّ مطالب مهمّة تُستشفّ من الإمعان في تضاعيف الرواية ، ونُحيل ذلك إلى أُولي الألباب والعلوم .

ونقل المحدث القمّي رواية أخرى عن سفيان يحسن بنا أن نذكرها هنا . قال : نُقل عن سفيان أنّه لقي الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، وقال له : يا ابن رسول الله انصحنني ! فقال عليه السلام : يَا سُفْيَانُ ! لَأْمُرُوءَ لِكُدُوبٍ ، وَلَا أَخَ لِمُلُوكٍ ، وَلَا رَاحَةَ لِحَسُودٍ ، وَلَا سُودَدَ لِسَيِّءِ الْخُلُقِ .

فقال : يا ابن رسول الله زدني ! فقال عليه السلام :

يَا سُفْيَانُ ! ثِقُ بِاللَّهِ إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ غَنِيًّا ، وَأَحْسَنَ مُجَاوِرَةً مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلَا تَصْحَبِ الْفَاجِرَ فَيُعَلِّمَكَ مِنْ فُجُورِهِ ، وَشَاوِرَ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ !

إلى أن قال : وممّا أوصاني به أبي أنّه قال : يَا بُنَيَّ مَنْ يَصْحَبِ صَاحِبَ السُّوءِ لَا يَسْلَمْ ، وَمَنْ يَدْخُلْ مَدَاخِلَ السُّوءِ يَبْتَهُمْ ، وَمَنْ لَا يَمْلِكُ لِسَانَهُ يَأْتُمْ .<sup>١</sup>

كانت مصيبة الإمام الكبرى ابتلاءه بولاية الجور بالمدينة في العصرين الأمويّ والعباسيّ

إذا أحصينا السنين التي استغرقتها إمامة الإمام جعفر الصادق عليه

الحديثة لمؤسسة انتشارات هجرت. وأورد في «تتمّة المنتهى» ص ٢١١ ، الطبعة الثالثة. ما أورده في «منتهى الآمال» مع إضافة ذيلها اعتباراً من ثمّ استزاده الثوريّ إلى قوله: فقمت وانصرفت .

١- «تتمّة المنتهى» ص ٢١١ ، الطبعة الثالثة.

السلام منذ وفاة والده سنة ١١٤ حتى وفاته سنة ١٤٨، وجدناها تبلغ أربعاً وثلاثين سنة. وقد عاصر فيها الإمام عليه السلام الحكومتين السفاكتين الهتاكتين: الأموية والعباسية. وفيما يأتي أسماء السلاطين الجائرين الذين عاصروه: هشام بن عبد الملك المتوفى سنة ١٢٥، والوليد بن يزيد بن عبد الملك المتوفى سنة ١٢٦، وإبراهيم بن يزيد بن عبد الملك المتوفى سنة ١٢٧، ومروان بن محمد بن مروان بن الحكم المتوفى سنة ١٣٢، وأبو العباس السفاح المتوفى سنة ١٣٦، وأبو جعفر المنصور الدوانيقي المتوفى سنة ١٥٨. وهو الذي قضى على الإمام بالسم سنة ١٥٨، وعاش بعده عشر سنين. وبلغت المدّة التي عاصر فيها الإمام عليه السلام المنصور اثنتي عشرة سنة. ويتبين هذا الأمر جيّداً من ملاحظة الجدول أدناه.<sup>١</sup>

١- ذكر المستشار عبدالحليم الجندي الذي يعدّ من أركان المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، في هامش ص ٥١ من كتابه الثمين «الإمام جعفر الصادق» سلاطين بني أمية وبني مروان ومدّة حكومتهم بالنحو الآتي: بنو أمية: معاوية (٤١ - ٦٠) يزيد (٦٠ - ٦٤) معاوية بن يزيد (ثلاثة أشهر في سنة ٦٤).

بنو مروان	مدّة الخلافة
مروان بن الحكم	٦٤ - ٦٥
عبد الملك بن مروان	٦٤ - ٨٦
الوليد بن عبد الملك	٨٦ - ٩٦
سليمان بن عبد الملك	٩٦ - ٩٩
عمر بن عبد العزيز بن مروان	٩٩ - ١٠١
يزيد بن عبد الملك	١٠١ - ١٠٥
هشام بن عبد الملك	١٠٥ - ١٢٥
الوليد بن يزيد بن عبد الملك	١٢٥ - ١٢٦
يزيد بن الوليد بن عبد الملك	١٢٦



إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦  
 مروان بن محمد بن مروان ١٢٧ - ١٣٢

وذكر المسعودي في «مروج الذهب» المدة التي حكم فيها الأمويون بدقة.  
 أقول: ونورد فيما يأتي موجزاً لما ذكره المسعودي في «مروج الذهب» ج ٣، ص ٢٤٩،  
 الطبعة الثانية، سنة ١٣٦٧ هـ:

اليوم	الشهر	السنة	اسم الحاكم
.. ..	٢٠	معاوية بن أبي سفيان	
١٤	٨	يزيد بن معاوية	
١١	٠١	معاوية بن يزيد	
٠٥	٠٨	مروان بن الحكم	
٢٠	٠١	عبد الملك بن مروان	
٠٢	٠٨	الوليد بن عبد الملك	
١٥	٠٦	سليمان بن عبد الملك	
٠٥	٠٥	عمر بن عبدالعزيز	
١٣	٠٠	يزيد بن عبد الملك	
٠٩	٠٩	هشام بن عبد الملك	
٠٠	٠٣	الوليد بن يزيد بن عبد الملك	
١٠	٠٢	يزيد بن الوليد بن عبد الملك	
١٠	٠٢	مروان بن محمد بن مروان	
٢٤	٠٨	بنو أمية وأبو العاص (مجموع السنين التي عُصبت فيها الخلافة).	

قال المسعودي: وأسقطنا أيام إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك كما سقاطنا أيام إبراهيم بن المهدي أن يعد في الخلفاء العباسيين، فتكون الجملة تسعين سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة

يتولّى ولاية المدينة المنصوبون من قبل السلطان مقاليد الحكم فيصدرون الأوامر ، ويقتلون ويصلبون وينهبون ، و يقيمون الجمعة ويخطبون فيها ، و يقيمون صلاة العيدين ، وصلاة الجماعة وغير ذلك من الأمور التي تعدّ من مناصب السلطان . فهم بمنزلة مكبّرة الصوت لأفكار السلطان وآرائه وآثاره ونيّاته وعقائده . وهم - في الحقيقة - نوابه ويأتون في الدرجة الثانية بعده .

ومن الواضح أنّ السلطان لا ينصب شخصاً مخالفاً له في العمل والقصد والمنهج والأسلوب ، لأنّ مثل هذا النصب بمنزلة إضعاف حكومته وإمارته . وإضعاف الحكومة يعني ضعف الحدود ، ومن ثمّ ضعف استقلال المركزيّة ووحدة البلاد .

من هنا ، كان السلاطين الأمويّون والعبّاسيّون الذين يعدّون من النواصب أعداء آل محمّد يسعون دائماً في نصب الدّ أعداء أهل البيت وأقساهم على المدينة التي كانت مركز أهل البيت ورثة الرسول الأكرم . وهم ممّن كانوا منقادين لأوامرهم ، ونيقذونها بنحو أكمل وأتمّ .

عشر يوماً . يضاف إلى ذلك الثمانية أشهر التي كان مروان يقاتل فيها بني العبّاس إلى أن قُتل ، فيصير ملكهم إحدى وتسعين سنة وسبعة أشهر وثلاثة عشر يوماً . يُوضَع من ذلك أيام الحسن بن عليّ - وهي خمسة أشهر وعشرة أيام - وتُوضَع أيام عبدالله بن الزبير إلى الوقت الذي قُتل فيه - وهي سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيام - فيصير الباقي بعد ذلك ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر . يكون ذلك ألف شهر سواء . وقد ذكر قوم أنّ تأويل قوله عزّ وجلّ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ما ذكرناه من أيامهم .

\* - قال المجلسيّ في الجزء التاسع من «البحار» ص ٥٩٤ ، في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة» حول مروان بن الحكم: أما إنّ له امرأة كلعقة كلب: والتشبيه لمدة ملكه بلعقه الكلب أنفه ، للتنبيه على قصر أمرها ، وكانت مدة إمرته أربعة أشهر وعشراً ، وروي ستة أشهر .





جدول ترمین سہ ماہیہ اہانت و خلافت حرمیہ (از اعلیٰ علمائے ہند)

حضرت امام رضا علیہ السلام	۲۰۰۱ء	امامت و خلافت حضرت جواد الامتہ: امام محمد
دوران حکومت	۲۰۰۲ء	ماہرین الرشید: عبداللہ
امام علی شہیق	۲۰۰۳ء	صلوات اللہ
دائرہ علم	۲۰۰۴ء	حضرت جعفر متوکل: ابن محمد بن ہارون
تہذیب و ادب	۲۰۰۵ء	امامت و خلافت حضرت بقیۃ اللہ علی
معتاد	۲۰۰۶ء	محمد بن جعفر متوکل
محمد بن الحسن، قائم آل محمد	۲۰۰۷ء	مکتبہ باہر: علی بن مقصد
ترتیب	۲۰۰۸ء	المقتصد
انماہر باہر	۲۰۰۹ء	ترتیب منظرہ
حضرت راضی باہر: محمد بن جعفر	۲۰۱۰ء	مکتبہ باہر: محمد بن جعفر
اللہم ایدہ و ایدہ و اذخروہ	۲۰۱۱ء	مکتبہ باہر: محمد بن جعفر
حضرت مطہر: فضل	۲۰۱۲ء	مقتدر



فانظروا ماذا سيجزي في تلك الفترات المظلمة الطويلة على أهل البيت  
بخاصة على الأئمة الذين كان لهم عنوان الرئاسة والزعامة؟!

وكانت المشاركة في صلاة الجمعة والجماعة واجبة من جهة ، وإذا  
لم يحضر أحد يؤاخذه الوالي ، ومن جهة أخرى كان حاكم المدينة يمجّد  
ويعظّم رؤساءه في كلّ خطبة . ويسبّ عليّاً عليه السلام حتى عصر عمر بن  
عبد العزيز ، ويعدّ مثالب الأعداء فضائل لأهل البيت ، وعلى العكس  
فضائل أهل البيت مثالب الأعداء . **سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَيُّ قَلْبٍ لِلْحَقَائِقِ هَذَا ! وَأَيُّ**  
تحرّيف في القول والعمل !؟

مع هذه الأحوال ، على أئمة الشيعة عليهم السلام أن يجلسوا تحت  
منابر وغاز السلاطين ويستمعوا . فإذا نهضوا للمناقشة ، فإنّ عملهم هذا  
يمسّ أصل الجهاز الحاكم ، ويعدّ مساً للسلطات العليا . وكنا نرى ونلاحظ  
ماذا يستتبع من عواقب وخيمة . وإذا سكتوا ولم يُدافعوا ، فأبى غيور يتحمّل  
قدف فاتح بدر وأحد وخبير وحُنين بحبّ الدنيا والرئاسة ، وعدّ أولئك  
الأوغاد الجبناء محبّين للإسلام مفكّرين بالمصلحة العامة؟!

أناكلّمنا أفكّر ، لا أتصوّر مصيبة أعظم من هذه المصيبة ، ولا أخال  
عناءً وموتاً بطيئاً أمرّ وأشدّ من هذا العناء وهذا الموت البطيء .

كان الإمام جعفر الصادق عليه الصلاة والسلام يواجه هذه  
المشكلات ، ولولا سكوته لما بقي اسم للمذهب الشيعي والحديث  
الإمامي . ولرُمي بيته بالحجارة ، وأُحرق ، وأُسقط سقفه على الأحياء . ولو  
سكت فسكوته يعني تأييد تلك الخطب الباطلة التي تُلقى لتثبت حكم  
السلطان ، وسير الأمور في نقطة مضادة للحقّ ، وسيتماشى مع الباطل .

فلهذا نجد إمامنا وولينا الفاني الناطق الساكت ، ومُظهر المعجزة كان  
يعترض ويدافع في كلماته بين الحين والآخر كي لا يتغلّب الباطل ويشوّه

وجه الحقيقة بصدأ التمويه والخدع والمكر الفاسد . ولم يدع عليه السلام النطق بالحق في مثل هذه المواقف وإن أدى ذلك إلى قتله والقضاء عليه . لأن الحياة شأنها واعتبارها إلى درجة معينة مادامت لا تُفضي إلى التجريد من الشرف الرفيع ، وإلا فالموت خير من الحياة حينئذ .

روى الشيخ الطوسي في أماليه عن الشيخ المفيد بسنده المتصل عن عبد الله بن سليمان التميمي ، قال : لما قُتل محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام ، صار إلى المدينة رجل يقال له شَيْبَةَ بن غفال ، ولآه المنصور على أهلها . فلما قدمها ، وحضرت الجمعة ، صار إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله فرقى المنبر وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : **أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ ، وَحَارَبَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَرَادَ الْأَمْرَ لِنَفْسِهِ ، وَمَنَعَهُ أَهْلُهُ ، فَحَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَمَاتَهُ بِغُصَّتِهِ . وَهَؤُلَاءِ وُلْدُهُ يَتَّبِعُونَ أَثَرَهُ فِي الْفَسَادِ وَطَلَبِ الْأَمْرِ بغيرِ اسْتِحْقَاقٍ لَهُ ، فَهُمْ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مَقْتُولُونَ ، وَبِالدَّمَاءِ مُضَرَّجُونَ .**

فعظم هذا الكلام منه على الناس ، ولم يجسر أحد منهم ينطق بحرفٍ . فقام إليه رجل عليه إزار قوميٍّ سخين ، فقال :

**وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ وَنُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَعَلَى رُسُلِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ أَجْمَعِينَ ! أَمَّا مَا قُلْتَ مِنْ خَيْرٍ فَنَحْنُ أَهْلُهُ ، وَمَا قُلْتَ مِنْ سُوءٍ فَأَنْتَ وَصَاحِبُكَ بِهِ أَوْلَى . فَاخْتَبِرْ يَا مَنْ رَكِبَ غَيْرَ رَاحِلَتِهِ ، وَأَكَلَ غَيْرَ زَادِهِ ! ارْجِعْ مَأْزُورًا !**

ثم أقبل على الناس ، فقال :

**أَلَا أُتْبِكُمْ بِأَخْلِ النَّاسِ مِيزَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَيِّنْهُمْ خُسْرَانًا ؟ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، وَهُوَ هَذَا الْفَاسِقُ !**

فأسكت الناس ، وخرج الوالي من المسجد لم ينطق بحرفٍ . فسألتُ



عن الرجل ، فقيل لي : هَذَا جَعْفَرُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.<sup>١</sup>

وروى في «علل الشرائع» بسنده عن الربيع صاحب المنصور قال : قال المنصور يوماً لأبي عبد الله عليه السلام وقد وقع المنصور ذباب فذبه عنه ، ثم وقع عليه فذبه عنه ، ثم وقع عليه فذبه عنه ، فقال : يا أبا عبد الله ! لأي شيء خَلَقَ اللهُ عزَّ وجل الذباب ؟ قال : لِيُذِلَّ بِهِ الْجَبَّارِينَ.<sup>٢</sup>

روى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال : كنتُ قد زياد بن عبيدالله وجماعة من أهل بيتي ، فقال : يا بني عليٍّ وفاطمة ! ما فضلكم على الناس ؟ فسكتوا ، فقلتُ : إِنَّ مِنْ فَضْلِنَا عَلَى النَّاسِ أَنَّا لَا نُحِبُّ أَنْ نَكُونَ مِنْ أَحَدٍ سَوَانَا ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِنَّا إِلَّا أَشْرَكَ !

ثم قال : ارزؤوا هَذَا الْحَدِيثَ.<sup>٣</sup>

وقال آية الله المظفر بعد نقل هذه القصة في كتابه بدون كلمة إِلَّا أَشْرَكَ : لقد جاءه بالمُسْكِت . وهذه الكلمة على اختصارها جمعت

١- «أمالي الطوسي» ص ٣١ و ٣٢ ، المجلس الثاني ؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ١٦٥ ؛ وكتاب «الإمام جعفر الصادق» للمظفر ، ج ١ ، ص ١٢٠ و ١٢١ .

٢- «علل الشرائع» ص ٤٩٦ ؛ «بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ١٦٦ ؛ ونقله المظفر في كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص ١١٥ ، عن «نور الأبصار» للشبلنجي ، ص ١٤١ ، وذكر في ذيله أنَّ المنصور سكت علماً منه أنه لو ردَّ عليه لوخزه بما هو أمض جرحاً ، وأنفذ طعنًا . ومن الغرائب أنَّ السيوطي نسب هذا الكلام في «تاريخ الخلفاء» ص ٢٦٩ ، الطبعة الرابعة ، إلى مقاتل بن سليمان في قوله : روي أنَّ المنصور ألحَّ عليه ذبابٌ ، فطلب مقاتل بن سليمان فسأله : لِمَ خَلَقَ اللهُ الذبابَ ؟! قال : ليذِلَّ بِهِ الْجَبَّارِينَ .

٣- «علل الشرائع» ص ٥٣٨ ؛ «بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ١٦٦ .

الفضائل ، وأغنت عن الدلائل .<sup>١</sup>

وكان داود بن علي بن عبد الله بن العباس (عم المنصور الدوانيقي) والياً على المدينة من قبل المنصور ، فأرسل خلف المعلى بن خنيس مولى الصادق عليه السلام ، وأراد أن يدلّه على أصحاب الصادق عليه السلام وخواصّه ، فتجاهل عليه المعلى بمعرفتهم ، فألح عليه ، ثم هدّده بالقتل ، فقال له المعلى :

أَبِالْقَتْلِ تُهَدِّدُنِي ؟ وَاللَّهِ لَوْ كَانُوا تَحْتَ قَدَمِي مَا رَفَعْتُ قَدَمِي عَنْهُمْ .  
وَإِنْ أَنْتَ قَتَلْتَنِي يُسْعِدُنِي ، وَأَشَقِّتَنِي !

فلما رأى داود شدّة امتناع المعلى ، قتله ، واستلب أمواله ، وكانت للصادق عليه السلام .

فلما بلغ الصادق ذلك قام مغضباً يجزّ رداءه ودخل على داود ، وقال له : قَتَلْتَ مَوْلَايَ وَأَخَذْتَ مَالِي ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الرَّجُلَ يَنَامُ عَلَى الثَّكْلِ وَلَا يَنَامُ عَلَى الْحَرْبِ !؟

ثم إن الصادق عليه السلام طلب منه القود ، فقدم له قاتله فقتله به ، وهو صاحب شرطته . ولما قدموه ليقتل اقتصاصاً جعل يصيح : يأمروني أن أقتل لهم الناس ، ثم يقتلونني !

ثم إن داود بعد ذلك أرسل خمسة من الحرس خلف الصادق عليه السلام ، وقال لهم : ائتوني به . فإن أبي فائتوني برأسه ! فدخلوا عليه وهو يصلي ، فقالوا : أجب داود ! قال : فإن لم أجب . قالوا : أمرنا ب. م. قال : انصروا فإنه خير لكم في دنياكم وآخرتكم ! فأبوا إلا خروجه . فرفع يديه فوضعهما على منكبيه ، ثم بسطهما ، ثم دعا بسبأته ، فسُمع يقول : السّاعة !

١- كتاب «الإمام الصادق» ج ١، ص ١٢١ ، طبعة جماعة المدرّسين .

السَّاعَةَ ! حَتَّى سُمِعَ صُرَاخُ عَالٍ . فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ صَاحِبَكُمْ قَدْ مَاتَ ،  
فَانصَرَفُوا<sup>١</sup> .

وذكر الكليني ، والحافظ رجب البرسي ، وابن شهر آشوب مضمون  
هذه القصة ومحتواها<sup>٢</sup> .

أجل ، هذه بعض المواقف التي سجّلها الإمام عليه السلام مقاوماً أمام  
أبي الدوانيق ، مؤاخذاً إياه أو مؤاخذاً ولاته المنصوبين على المدينة من  
قبله ، وإن أدّى ذلك إلى مقتله وبذل مهجته وإبداء صفحته للسيف .

كان المعلى بن خنيس من الرواة الموثقين ، ومن أهل الجنة . دعا  
الإمام عليه السلام بالخير له . وعييه الوحيد أنّه كان يكشف أسرار الإمام ،  
ويتحدّث بما عنده من أسرار ملكوتية أمام المناوئين . ومنعه الإمام عليه  
السلام مراراً ، فلم يمتنع ، حتى أفضى ذلك إلى شهرته ، فدعاه والي المدينة  
من بين أصحاب الإمام ليدلّه عليهم ، بيد أنّه صمد ولم يبح بشيء حتى قُتل  
وصُلب وسُلب .

### الإمام جعفر الصادق عليه السلام تحت الإقامة الجبرية في المدينة .

على الرغم من جميع ما ذكرناه ، ومن تلك الرّحلات العديدة ،  
والمحاورات التي كانت للإمام الصادق عليه السلام مع المنصور ، وكلماته  
المنطقية العلمية التي أعيت المنصور عن الجواب ، بيد أنّه لم يكن مختاراً

١- «الإمام الصادق» للمظفر، ج ١، ص ١٢٠ إلى ١٢٢، طبعة جماعة المدرّسين بقم.  
٢- «الكافي» ج ٢، ص ٥٦٢؛ «مشارك أنوار اليقين» ص ١١١؛ «المناقب» ج ٣، ص  
٣٥٧؛ «بحار الأنوار» ج ٤٧، ص ١٧٧ و ١٨١ و ٢٠٩، الطبعة الحديثة.

في كلامه وبيانه وتدريسه ولقائه أولي الإقبال والإيمان . فقد كان خاضعاً لرقابه المنصور وولاته الجائرين وجوايسسه المتنوّعين ، وكان محرّجاً من بعض المترددين عليه حتى جاز لنا أن نقول : إنّه كان تحت الإقامة الجبريّة ، يُسمح له بالخروج من المدينة ولقاء أرباب الولاية .

روى الشيخ الكشيّ بسنده عن عَنبَسَةَ قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : أَشْكُو إِلَى اللَّهِ وَحَدَّثِي ، وَتَقَلُّبِي مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ حَتَّى تَقْدَمُوا ، وَأَرَاكُمْ وَأَسْرَبِكُمْ . فَلَيْتَ هَذِهِ الطَّاعِيَةَ أَدْنَى لِي فَاتَّخَذْتُ قَصْرًا فَسَكَنْتُهُ وَأَسَكَنْتُكُمْ مَعِي ، وَأَضْمَنْ لَهُ أَنْ لَا يَجِيءَ مِنِّي نَاحِيَتَنَا مَكْرُوهٌ أَبَدًا .<sup>١</sup> وروى أيضاً بسنده عن عيص بن القاسم قال : دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام مع خالي سليمان بن خالد ، فقال لخالي : مَنْ هَذَا الْفَتَى ؟ قال : هذا ابن أُختي ! قال : فَيَعْرِفُ أَمْرَكُمْ ؟! فقال له : نعم ! فقال : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْهُ شَيْطَانًا . ثُمَّ قَالَ : يَا لَيْتَنِي وَإِيَّاكُمْ بِالطَّائِفِ ، أَحَدْتُكُمْ وَتَوَنُّسُونِي ، وَأَضْمَنْ لَهُمْ أَنْ لَا نَخْرُجَ عَلَيْهِمْ أَبَدًا .<sup>٢</sup>

أجل ، ها نحن نريد أن نختم البحث الأول المرتبط بموقع الإمام جعفر الصادق عليه السلام وعلاقاته بالمنصور ، ثم ندخل في البحث الثاني الذي يدور حول مدرسة الإمام عليه السلام وعلومه وتلاميذه . فمن المناسب أن نسرد محصّلة لأبحاث الماضي في سياق تشيبتها وتقريرها ، بألفاظٍ للمتسشار عبد الحليم الجنديّ :

من كلام لأفلاطون قال فيه : السُّلْطَانُ كَرَاكِبِ الْأَسَدِ ، يَهَابُهُ النَّاسُ وَهُوَ لِمَرْكُوبِهِ أَهْيَبُ .

١- «اختيار معرفة الرجال» ص ٢٣٣ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ١٨٥ .

٢- «اختيار معرفة الرجال» ص ٢٢١ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ١٨٥ .

آلت الخلافة إلى بني العباس سنة ١٣٢، وكان السقّاح أول خلفائهم .  
 ثم مات ، فخلفه أبو جعفر المنصور ، لبقى في الخلافة اثنين وعشرين عاماً  
 (١٣٦ - ١٥٨) . وطّد فيها أركان الدولة العبّاسيّة ، وأخضع الخارجين عليها  
 في كلّ أرجاء «الإمبراطوريّة» فهي لم تعد دولة دينيّة كما دعوا لها منذ بثّوا  
 دعائهم من فاتحة القرن ، ولم تصر للرضا من آل محمّد ، كما كانوا يدعون .  
 بل غصبوا حقّ أبناء عليّ ، كما كان بنو عليّ عند قيامها عاجزين عن تولّي  
 السلطة . وكان أحقّهم بها - وهو جعفر بن محمّد - عازفاً عنها ، عارفاً أنّ  
 مهمّة حياته هي تعليم المسلمين .

وجرت الأمور مجراها الطبيعيّ للغالبين على السلطة ، يطوون  
 أضالعهم على الخوف والحقد والحذر . ويشرعون أسلحتهم في كلّ مكان  
 للدفاع عن دولتهم . وكان ذوو القربى في طليعة الأعداء . فاستعرت الشحنة  
 بين الأقرباء . ثمّ سالت الدماء . وجعفر الصادق ، بعزوفه واستعلائه ، بعيد  
 عن المذايح . لكن بعده عنها لا يقيه بطش خليفة حذر متنمّر ، تدعوه إلى  
 المواجهة الشرسة ما توسوس له هو اجسه مخافة أهل البيت وشيعتهم .  
 وكان توفيق السماء حليف الإمام في مواجهاته ، وإن بقيت الدولة على  
 حذرهما ، تنزل بأهل البيت العذاب والاسترهاب والحبس والقتل للخلاص  
 منهم - مع التظاهر بالعدل فيهم ، حتّى تقطع دابرهم <sup>١</sup> .

أرسل إليه (إلى الإمام الصادق) أبو جعفر (المنصور) ذات يوم رزام  
 بن قيس يدعوه للقاءه ، ففصلا عن المدينة ، حتّى بلغا النجف . فنزل جعفر  
 عن راحلته ، فأسبغ الوضوء وصلّى ركعتين ، ثمّ رفع يديه وهو يقول : اللّهُمَّ  
 بِكَ اسْتَفْتِحُ ، وَبِكَ اسْتَنْجِحُ ، وَبِمُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ أَتَوَسَّلُ . اللّهُمَّ

١- كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص ٦٥ و ٦٧ .

سَهْلٌ حُزُونَتُهُ، وَذَلَّلٌ لِي صُعُوبَتُهُ، وَأَعْطِنِي مِنَ الْخَيْرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَرْجُو،  
وَاصْبِفْ عَنِّي مِنَ الشَّرِّ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَافُ.

ثم ركب راحلته حتى إذا بلغا قصر المنصور ، أعلّم المنصور بمكانه . فلم يحجبه قليلاً أو كثيراً ، بل تفتحت الأبواب ، ورفعت الستر . فلما قرب من المنصور قام إليه فتلّاه ، وأخذ بيده وماشاه ، حتى انتهى به إلى مجلسه ، ثم أقبل عليه يسأله عن حاله !

وذات يوم عزم المنصور على حاجبه الربيع بن يونس أن يدعوه ، وكانت تبرق في أساريه بوارق الخطر . فلما خرج من اللقاء بسلام ، سأل الربيع الإمام الصادق عن الدعاء الذي دعا به ربّه فأكرمه الله في لقاء المنصور ، فأخبره به . فالصادق يستحضر رضى بارئ السماء في كلّ آونة وتعيّنه السماء .

ومع ذلك السلام الذي نشده الصادق وعلمه ، يروي الطبريّ أنّ المنصور لمّا عزم الحجّ - في آخر أيامه - دعا ريطة ابنة أبي العباس زوج المهديّ ، وكان زوجها بالري ، فأوصاها بما شاء ودفع إليها مفاتيح غرفة بها خزانته ، وأمرها ألاّ تسلّمها إلى المهديّ إلاّ عندما يجيء نباء موت المنصور . فلما مات ، ذهب ريطة والمهديّ ففتحا الغرفة فإذا بقتلى من بني عليّ في آذانهم رقاغ ، فيها أنسابهم وهم بين شيوخ وشباب وأطفال . فلما رأى المهديّ ذلك ارتاع . فحفرت لهم مقبرة دفنوا فيها ، ثمّ بني عليها دكّاناً .

لم يكن المنصور يكتفي بأن يقول مقالة لويس الرابع عشر بعد ثمانية قرون : **أَنَا الدَّوْلَةُ !** ذلك المقال الي نبذه واستهجنه الساسة والمؤرّخون في الشرق والغرب ، بل كان المنصور يدّعي دعوى أبعاد وأشدّ . كان يخطب فيقول : **إِنَّمَا أَنَا سُلْطَانُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ .** فيجمع في يده ما عجز عنه الأباطرة والبابوات جميعاً .

فإنما تقاسم الإمبراطور والكنيسة الأشياء في القرن التاسع للميلاد ،  
فصار لقيصر ملك الأرض والكنيسة مملكة السماء . أما أبو جعفر المنصور  
فادّعى في الأرض سلطان السماء . وأي شيء يُستبعد على صاحب هذه  
الدعوى !؟

وأبو جعفر - مع ذلك - ليس إلا واحد من المستبدين الذين يزخر  
سجل التاريخ بخطاياهم أو ضحاياهم . إليك مثلاً واحداً من تأريخ الدولة  
التي تلقي إليها الديمقراطية الغربية مقاليدها .

لقد أرسل هنري الأول ملك إنجلترا فرسانه يقتلون توماس بيكت  
رئيس أساقفة لندن من أجل خلافه معه في ولاية العهد لابنه في الثلث  
الأخير من القرن الثاني عشر .

وفي الثلث الأول من القرن السادس عشر بعث هنري ملك إنجلترا  
توماس ولزي رئيس أساقفة يورك إلى السجن ريثما يصدر عليه حكم  
الإعدام ، فمات قبل أن يعدم . ثم أرسل إلى المقصلة توماس مور قضاته  
من أجل خلافهما له في زواجه وطلاقه .

ولقد كان فرع المنصور من أجل دولته حريياً أن يخرج عن الاتزان  
فيستحوذ عليه الشيطان لولا إمساك الإمام الصادق بالأعنة كلها لكما لقيه ،  
فكان يضعه في موضع النصفة .

والذين يهابون لقاء الملوك ضعفاء عن إخفاء دخائلهم من البغض أو  
الحسد أو الخوف . والذين ليس في قلوبهم من ذلك شيء يشجعون . أما  
الأئمة عليهم السلام فالله معهم ، وهو حسبهم . وأين من هذا الذي معه مالك  
الأرض والسماء ملوك دولة أو إقليم !؟

من أجل ذلك يشجع الرجال الصدق إذ يستشهدون . ومن أجله نظر  
الصادق إلى أبي جعفر في شجاعة وصدق . فكان يلزمه القصد والنصفة .

ولا عجب إذا كان أبو جعفر في دخيلة نفسه يريد ليحفظ ظاهر الأمر في وقار من لا يسفك الدم إلا بقدر . والصادق حجة له في ثبات حكمه مذ كان لا يرى بيعة غيره .

وأبو جعفر عليم بما يجري في ملكه ، وهو من مطالع حكمه يستعمل العسس في كل اتجاه . فلم يلبث سنين حتى أصبح يعلم بكاء ابنة مالك بن أنس من الجوع في داخل الدار ، وهي وأبوها يكتمانه إلا على الله سبحانه ! وأبو جعفر هو القائل عن أوتاد حكمه : ما أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعفّ منهم . وهم أركان الدولة لا يصلح الملك إلا بهم . أما أحدهم فقاضي لا تأخذه في الله لومة لائم . والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي . والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية . ثم عَضَّ على إصبغه السبابة ثلاث مرّات يقول : آه آه ! قيل : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : صاحب برید يكتب خبر هؤلاء على الصّحة !<sup>١</sup>

وقال في مقام آخر :

شهد الإمام الصادق عليه السلام انحدار الناس بعد عصر الخلفاء الراشدين ، ورأى بعين الصبي المأمول من أهل بيت الرسول ما صنعه عمر بن عبد العزيز في خلافته بين سنتي ٩٨ و ١٠١ ، إذ أعاد الدين غضباً في نحو من ثلاثين شهراً ، وأثبت للدنيا أن المدّة كما سمى الناس خلافته كانت كافية لتعيد الناس إلى الإسلام الصحيح عندما يوجد خليفة صادق العزم يتخذ الخلافة - كما قال - سبيلاً إلى الجنّة .

وكان بعض الصالحين يستعجلون عمر ليصنع كل ما صنع في أول

١- كتاب «الإمام جعفر الصادق» للمستشار عبدالحليم الجنديّ، ص ٩٠ إلى ٩٣.



يوم ولي الخلافة . قال له ابنه عبد الملك : يَا أَبَتِ مَا بَالُكَ لَا تُنْفِذُ الْأُمُورَ ، فَوَاللَّهِ لَا أَبَالِي فِي الْحَقِّ لَوْ غَلَّتْ بِي الْقُدُورُ ! لكن عمر كان يتأني للأمر في رفقٍ وأناةٍ وإصرار . قال : لَا تَعْجَلْ يَا بُنَيَّ ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَمَّ الْخَمْرَ مَرَّتَيْنِ وَحَرَّمَهَا فِي الثَّالِثَةِ ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى الْحَقِّ جُمْلَةً ، فَيَدْفَعُوهُ جُمْلَةً فَتَكُونَ فِتْنَةً .

وبهذا قدر على أن يردّ المظالم وأغنى الله الناس على يديه . فأصبح عمر لا يجد فقراء يوزّع المال عليهم في المدينة أو في القرية . لكن الإمام الصادق علم العزم الصادق في حياة الخليفة (ابن عبد العزيز) لذا لم تثمر إصلاحاته بعد مماته ، دمرها الخلفاء الذين جاؤوا بعده ، وتتابع الباقون يدمرون .

وشهد الإمام الصادق عليه السلام مقدم بني العباس وكيف ناقضوا شعارات دولتهم وحكموا حكم جاهلية . هكذا رأى رأي العيان أنّ صلاح الأمر لا يكون بتولي السلطة ، أو بمجرد إصلاحها مدة قصيرة أو طويلة . وكلّ عمر قصير . وإنما الصلاح في إصلاح الأمة . فَكَيْفَمَا تَكُونُوا يُوَلَّى عَلَيْكُمْ ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ الْحُكُومَةُ الَّتِي تَسْتَحِقُّهَا . واستيقنت نفسه الصواب فيما صنعه أبوه وجدّه ، وهو أن يعلموا الأمة . فإذا تعلّمت صلحت فلم يستضعفها حكّامها . وهي عندئذٍ تأمرهم بالمعروف وتنهّاهم عن المنكر وتشركهم تبعاتهم . فالأمة القويّة لا تظلم حكّامها ولا يظلمونها .

وبشعار الثقة بالله سبحانه . اللَّهُ وَلِيٌّ وَعِصْمَتِي مِنْ خَلْقِهِ ، وبنقش الخاتم الذي يعلن مصدر قوّته ما شاء الله . لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ . قصد إلى مجلس العلم في مسجد النبيّ أو في داره . يستعمل البعد المكاني حيث يجلس للتعليم في مدينة الرسول ؛ والبعد الزماني ، فهو تابعي يعيش في جيل التابعين وتابعي التابعين ، والبعد الثالث وهو ارتفاع نسبة إلى النبيّ

وعليّ . أمّا البعد الرابع فعمق علمه وعلم أبيه وجده .  
 في هذا المجلس المهيب بالمدينة أو بالكوفة يجلس رجل ربعة .  
 ليس بالطويل ولا بالقصير . أزهر له لمعان كالسراج . يسعى نوره بين يديه .  
 رقيق البشرد ، أسود الشعر جعده ، أشم الأنف . أنزع قد انحسر الشعر عن  
 جبينه فبدا مزهراً ، له إشراق ، وعلى خده خال أسود .

المُسْلِمُونَ أَيَّامُنْذِ أَحْوَجُ إِلَيْهِ لِيُعَلِّمَهُمْ ، مِنْهُمْ إِلَيْهِ لِيَحْكُمَهُمْ .

كلّ ما يحيط به يوحى بالرجاء في فضل الله . فلما طعن في السنّ زاد  
 جلالاً وسناءً وإحياءً للأمل . يلبس الملابس التي عناها جده عليه الصلاة  
 والسلام حينما قال : **كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبُسُوا فِي غَيْرِ سَرْفٍ وَلَا مَخِيلَةٍ !**  
 رآه سفيان الثوريّ وعليه جبة خزّ دكناء ، فقال : يابن رسول الله ما  
 هذا لباسك ! فقال : يا ثوري ! لبسنا هذا لكم . ثم كشف عن جبة صوفٍ  
 يلبسها ، وقال : ولبسنا هذا لله .

كان جده عليّ يختار الخشن من الألبسة ويلجّ الجوع عليه فيعلّل  
 معدته بقرص شعير يخيط نعله إن لم يكن مشغولاً ، أو يتركه لم يخيطه  
 بأجر إذا اشغل ، لكن الزمان يتغيّر فيغيّر الصادق ليظهر أثر النعمة . ويقول  
 للناس :

إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ بِنِعْمَةٍ أَحَبَّ أَنْ يَرَاهَا عَلَيْهِ . لِأَنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ  
 يُحِبُّ الْجَمَالَ .

ويقول : **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمَالَ وَالتَّجَمُّلَ ، وَيَكْرَهُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ .**  
 والنظافة من الإيمان . فيها الكرامة والسلامة للنفس وللأسرة  
 وللمدينة . فعلى المرء كما يقول الإمام :

أَنْ يُنَظَّفَ نَوْبَهُ وَيُطَيَّبَ رِيحَهُ ، وَيُجَصِّصَ دَارَهُ ، وَيَكْنِسَ أَفْنِيَّتَهُ .

وذات يوم رآه عبّاد بن كثير البصريّ في الطواف فقال له :

تَلْبَسُ هَذِهِ الثِّيَابَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَأَنْتَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ  
مِنْ عَلِيٍّ!؟

فأجاب كما يروي الإمام نفسه : فقلتُ : فُرْقِبِيَّ نسبة إلى فُرْقَبَ ،  
حيث تصنع ثياب كتان أبيض .

اشْتَرَيْتَهُ بِدِينَارٍ . وَقَدْ كَانَ عَلِيٌّ فِي زَمَنِ يَسْتَقِيمُ لَهُ مَا لَيْسَ فِيهِ . وَلَوْ  
لَيْسَ مِثْلَ ذَلِكَ اللَّبَاسِ فِي زَمَانِنَا لَقَالَ النَّاسُ : هَذَا مَرَائِيٌّ مِثْلَ «عَبَادٍ» .  
قيل له يوماً : كَانَ أَبُوكَ وَكَانَ ... فَمَا لِهَذِهِ الثِّيَابِ الْمَرْوِيَّةِ ! (حرير  
مرو) .

فأجاب : وَيَلِّكَ ! فَمَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ  
الرِّزْقِ ؟

وإنك لترى آثار النعمة على مالك وأبي حنيفة ، وإجابات مشتقة بدقة  
من هذه الإجابات ، في ردود الرجلين بشأن ملابسهما وأنعم الله عليهما ،  
وكان كلاهما لباساً .

فَالْمَذْمُومُ مِنَ الثِّيَابِ مَا فِيهِ حِيَلَاءٌ ، وَالْمَحْمُودُ مَا كَانَ إِظْهَاراً لِلنِّعْمَةِ  
اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ .

حتى أن تلميذه العظيم الثالث سفيان الثوري ، وهو إمام الزهد والورع  
والحديث والفقه ، قد انتفع بدروس الإمام في الملابس فأسمى يقول : الزُّهْدُ  
فِي الدُّنْيَا هُوَ بِقَصْرِ الأَمَلِ ، لَيْسَ بِأَكْلِ الخَسَنِ ، وَلَا بِلِبْسِ العَلِيظِ ، أَزْهَدُ فِي  
الدُّنْيَا تَمَّ نَمَّ ! لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ !

إِنَّ الرَّجُلَ لِيَكُونَ عِنْدَهُ المَالُ وَهُوَ زَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا . وَإِنَّ الرَّجُلَ  
لِيَكُونَ فَقِيْرًا وَهُوَ رَاغِبٌ فِيهَا .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يلبس ما تيسر من الصوف تارةً ،  
ومن القطن تارةً ، ومن الكتان تارةً . وكانت مخدته من آدم حشوها ليف

نخل . ولَمَّا قال له رجل : يا رَسُولَ اللَّهِ ! أنا أَحَبُّ يكون ثوبي حسناً  
ونعلي حسنة ، أفمن الكبر ذاك ؟ قال : لا . إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ .  
الكَبِيرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ .

ولم يعب الصحابة بعضهم على بعض الملابس من أعلى وأدنى .  
لا يعيب صاحب الخَزَّ على صاحب الصوف ولا صاحب الصوف يعيب  
على صاحب الخَزَّ .<sup>١</sup>

### البحث الثاني في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام

#### وعلومه وتلامذته .

يصوّر المستشرق رونلدرسن بعض مجالس الإمام عليه السلام مع  
تلاميذه ، فيقول : ومن الوصف الذي نقرأه عن إكرام جعفر الصادق ضيوفه  
في بستانه الجميل في المدينة ، واستقباله الناس على اختلاف مذاهبهم ،  
يظهر لنا أنه كانت له مدرسة شبه سقراطية . وقد ساهم تلاميذه مساهمة  
عظمية في تقدّم عِلْمِي الفقه والكلام . وصار اثنان من تلامذته ، وهما أبو  
حنيفة ومالك فيما بعد من أصحاب المذاهب الفقهية . وأفتوا بالمدينة أنّ  
اليمين التي أُعطيت في بيعة المنصور لا تعتبر مادامت أُعطيت بالإكراه .  
ويروي أنّ تلميذاً آخر من تلامذته وهو واصل بن عطاء رئيس المعتزلة ،  
جاء بنظريات في الجدل ممّا أدّى إلى إخراجه من حلقة تدريس الإمام  
جعفر . وكان جابر بن حيان الكيمياءيّ الشهير من تلامذته أيضاً .<sup>٢</sup>

١- كتاب «الإمام جعفر الصادق» للمستشار عبدالحليم الجنديّ، ص ١٥٣ إلى ١٥٦ .

٢- الدكتور عبدالحليم الجنديّ في كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص ٢١٩ ، الصادر عن

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في جمهورية مصر .

وقد صَنَّفَ الحافظ أبو العباس بن عقدة كتاباً جمع فيه رجال الصادق ورواة حديثه وأنهاهم إلى أربعة آلاف . وكتب من أجوبته أربعمئة مصنّف . وإنما أمكنه من ذلك انقطاعه المخلص للتعليم عامّة وتعليم السنن والفقه والتفسير خاصّة ، للشيعّة ولغيرهم .<sup>١</sup>

قال المرحوم آية الله السيّد محسن الأمين العامليّ : وبالجملة كان عصره أقلّ عصور أهل بيته خوفاً فكثرت الرواة والمصنّفون في الحديث من الشيعة في زمانه أكثر من زمان أبيه . ولم يرو عن أحد من أهل بيته ما روي عنه حتّى قال الحسن بن عليّ الوشّاء ، من أصحاب الرضا عليه السلام : **أَدْرَكْتُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ (يَعْنِي مَسْجِدَ الْكُوفَةِ) تِسْعَمَائَةَ شَيْخٍ كُلُّ يَقُولُ : حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ .**

هذا ما أدركه راوٍ واحد في عصر متأخر . وروى عنه راوٍ واحد - وهو **أَبَانُ بْنُ تَغْلِبٍ -** ثلاثين ألف حديث .

وأفرد الحافظ أبو العباس أحمد بن عقدة الزيديّ الكوفيّ كتاباً فيمن روى عنه عليه السلام ، جمع فيه أربعة آلاف إنسان وذكر مصنّفاتهم ولم يذكر جميع من روى عنه . ويدلّ كلام المفيد في «الإرشاد» على أنّ هذه أسماء الثقات منهم خاصّة ، حيث قال عند ذكر الصادق عليه السلام : ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر ذكره في البلاد ، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه . فإن أصحاب الحديث نقلوا أسماء الرواة عنه الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل - انتهى .

١- الدكتور عبد الحليم الجنديّ في كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص ٢١٧ ، الصادر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة في جمهورية مصر .

وأحصاهم الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي أربعة آلاف في باب أصحاب الصادق عليه السلام من كتاب رجاله . أي : قال إنهم أربعة آلاف ، لا أنه ذكر أسماء أربعة آلاف رجل منهم في كتابه .  
وقال الطبرسي في «إعلام الوری» : قد تضافر النقل بأن الذين روى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام من مشهوري أهل العلم أربعة آلاف إنسان .

وقال المحقق في «المعتبر» : انتشر عن جعفر بن محمد من العلوم الجمة ما بهر به العقول . وروى عنه ما يقارب أربعة آلاف رجل ، وبرز بتعليمه من الفقهاء الأفاضل جم غفير كزرارة بن أعين وأخويه بكبير ، وحرمان ، وجميل بن صالح ، وجميل بن دُرّاج ، ومحمد بن مسلم ، وبريد بن معاوية ، والهشامين ، وأبي بصير ، وعبيدالله ومحمد وعمران الحلبيين ، وعبد الله بن سنان ، وأبي الصباح الكناني وغيرهم من أعيان الفضلاء - انتهى .

وفي «الذكري» : دُوّن من رجاله المعروفين أربعة آلاف رجل من أهل العراق والحجاز وخراسان والشام - انتهى . والمراد أنها دُوّنت أسماءهم في كتب الرجال .

وقال المحقق في «المعتبر» كما يأتي : كتب من أجوبة مسائله أربعمئة مصنف لأربعمئة مصنف سمّوها أصولاً . وكانت مدرسته في داره بالمدينة ، وفي المسجد ، وأينما وجد .

وكان من يرد المدينة من الآفاق في الموسم وغيره يسأله ويأخذ عنه ويهيئ له المسائل إلى أن يتهيأ له الوصول إليه . وأثر عنه في علم الكلام الشيء الكثير . وروى عنه المفضل بن عمر كتاباً يعرف بتوحيد المفضل

هو أجدود كتاب في ردّ الدهريّة . توفّي سنة ١٤٨ ، وعمره ٦٨ .<sup>١</sup>  
وتلاميذ الصادق عليه السلام المشهورون فيما عدا من سلف ذكرهم  
من كبار أهل السنّة أسيّخ للفقهاء في جميع المذاهب منهم : سفيان بن  
عُيَيْنَة ، وسعيد بن سالم القّداح ، وإبراهيم بن محمّد بن أبي يحيى ،  
وعبد العزيز الدّراورديّ . وقد روى الشافعيّ عن كلّ هؤلاء .  
وجرير بن عبد الحميد ، وإبراهيم بن طهمان ، وعاصم بن عمر ... بن  
عمر بن الخطّاب ، وأبو عاصم النبيل (م ٢١٢) شيخ أحمد بن حنبل . وأبو  
عاصم آخر تلاميذ الصادق وفاةً ، وقد روى عنه كتاباً .  
والكسائيّ عالم اللغة ، وعبد العزيز بن عبد الله الماجشون زميل  
مالك في الفتيا في موسم الحجّ ، وعبد العزيز بن عمران ... بن عبد الرحمن  
بن عوف ، وابن جُريج إمام مكّة ، والفضيل بن عياض ، والقاسم بن معن ،  
وحفص بن غياث ، والثلاثة أصحاب أبي حنيفة ، ومنصور بن المعتمر ،  
ومسلم بن خالد الزنجيّ شيخ الشافعيّ بمكّة ، ويحيى بن سعيد القطّان .  
وإنّما أحدثت السياسة الخلافات بين فقهاء السنّة والشيعة فأنّجت  
وجوهاً لخلافات فقهية وحديثية .<sup>٢</sup>  
أجل ، إنّ السياسة الجائرة الظالمة وحدها هي التي أقصت الفقه  
والكلام الجعفريّين . ويُلاحظ هذا الأمر جيّداً من تضاعيف ما ذكرناه ، إذ إنّ  
بعد أن استبان تفوّق الإمام الصادق عليه السلام على الجميع في العلم  
والدراية ، وبعد أن اشتهر تتلمذ أبو حنيفة ومالك له عليه السلام مباشرة .  
وأثنى عليه هذان بأن لا نظير له ، والشافعيّ كان من تلاميذ مالك ، وأحمد

١- «أعيان الشيعة» ج ١، ص ٣٦٨ إلى ٣٧٠، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٦٣.

٢- «الإمام جعفر الصادق» لعبد الحليم الجنديّ، ص ٢٢٤ و ٢٢٥.

بن حنبل تلميذ الشافعيّ ، ومن ثمّ فهما يعدّان من تلاميذ الإمام بصورة غير مباشرة ، فحينئذٍ بماذا سيجيب أتباع المذاهب الأربعة في الإعراض عن الفقه الجعفريّ ، والتمسك بأذيال فقهم ، وفي أصول العقائد ، التمسك بالعقائد والآراء الأشعريّة !؟

مع أنّنا علمنا مراراً أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوصى بأنّ الأئمة عليهم السلام هم الثقل الذي تركه صلّى الله عليه وآله في الأمة مع القرآن . وهم سفينة النجاة ، وباب حطة ، والأمان من الاختلاف في الدين ، وأعلام الهداية ، وبقية الرسول في الأمة . وقال : **فَلَا تَقَدَّمُوهُمْ فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تُقْصِرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تَعْلَمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ !** لكن لاحظوا أين بلغت تلك السياسات الظلومة الجهولة الغاشمة بالأمر حتّى أصبح مألوفاً اتباع أفكار هؤلاء المنحرفين ، والإعراض عن أفكار الإمام الناطق بالحقّ !؟

قال آية الله الباحث الخبير السيّد عبد الحسين شرف الدين ... على أنّ أهل القرون الثلاثة مطلقاً لم يدينوا بشيء من تلك المذاهب أصلاً . وأين كانت تلك المذاهب عن القرون الثلاثة وهي خير القرون !؟

وقد ولد الأشعريّ سنة ٢٧٠ ، ومات سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة .

وابن حنبل ولد سنة ١٦٤ ، ومات سنة ٢٤١ .

والشافعيّ ولد سنة ١٥٠ ، وتوفيّ سنة ٢٠٤ .

وولد مالك سنة ٩٥<sup>١</sup> ، ومات سنة ١٧٩ . وولد أبو حنيفة سنة ٨٠ ،

١- قال في الهامش: ذكر ابن خلّكان في أحوال مالك من «وفيات الأعيان» أنّ مالكاً بقي جينياً في بطن أمّه ثلاث سنوات. ونصّ على ذلك ابن قُتيبة حيث ذكر مالكاً في أصحاب الرأي من كتابه «المعارف» ص ١٧٠ ، وحيث أورد جماعة زعم أنّهم قد حملت بهم أمّهاتهم



وتوفي سنة ١٥٠ .

والشيعة يدينون بمذهب الأئمة من أهل البيت وأهل البيت أدري بالذي فيه . وغير الشيعة يعملون بمذاهب العلماء من الصحابة والتابعين . فما الذي أوجب على المسلمين كافة بعد القرون الثلاثة ، تلك المذاهب دون غيرها من المذاهب التي كان معمولاً بها من ذي قبل ؟ وما الذي عدل بهم عن أعدل كتاب الله وسفّرتة وثقل رسول الله وعيبتة ، وسفينة نجاة الأمة وقادتها وأمانها وباب حطّتها؟!١

\* \* \*

ويبدو من الضروريّ هنا أن نتوسّع في الحديث عن أعظم تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام الذين يعدّون أئمة أهل السنّة في الأصول والفروع ، وذلك لتستبين شخصيّة الإمام عليه السلام ومنزلته ومكانته العلميّة .

قال المستشار عبد الحلیم الجنديّ تحت عنوان التّلاميذ الأئمّة :  
كان سفيان الثوريّ إمام العصر في الورع والسنن والفقّه للعراق كافة . وكانت له في مجابهة الخليفة مواقف لا يملّ الحديث فيها . وكان كثيرون من رواد المجلس كسفيان مكانة في المسلمين . منهم عمرو بن عبّيد الذي نشأت على يديه فرقة المعتزلة ، وأبو حنيفة ، ومحمّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ترب أبي حنيفة ، وإمام المدينة مالك بن أنس .  
وأبو حنيفة هو الإمام الأعظم لأهل السنّة . ومالك أكبر من تلقى عليه

أكثر من وقت الحمل ، صفحة ١٩٨ من «المعارف» أيضاً .  
١- «المراجعات» ص ٦ و ٧ ، الطبعة الأولى .

الشافعيّ علماً ، وأطولهم في تعليمه زماناً . والشافعيّ شيخ أحمد بن حنبل .  
وكمثلهم كان المحدثون العظماء : يحيى بن سعيد محدث المدينة ،  
وابن جريح ، وابن عيينة محدثا مكة . وابن عيينة هو المعلم الأول للشافعيّ  
في الحديث .

فلندع للأئمة وصف مكانهم من الإمام ، وفيه وصف مجالس علمه :  
يقول مالك بن أنس : كنت أرى جعفر بن محمد ، وكان كثير الدعابة  
والتبسّم ، فإذا ذكر عنده النبيّ اخضرّ واصفرّ . ولقد اختلفتُ إليه زماناً فما  
كنتُ أراه إلا على ثلاث خصال . إما مصلياً ، وإما قائماً ، وإما يقرأ القرآن .  
وما رأيته يحدث عن رسول الله إلا على الطهارة . ولا يتكلّم فيما لا يعنيه .  
وكان من العلماء والعبّاد والزهاد الذين يخشون الله . وما رأيته قطّ إلا  
ويخرج وسادة من تحته ويجعلها تحتي .

وفي مقولة أُخرى يضيف مالك : وكان كثير الحديث ، طيب  
المجالسة ، كثير الفوائد . إذا قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ اخضرّ مرّةً واصفرّ أُخرى  
حتى ينكره من يعرفه . ولدق حججت معه سنة فلما استوت به راحلته عند  
الإحرام ، كلّمها همّ بالتلبيه انقطع الصوت في حلقه ، وكاد أن يختر عن  
راحلته . فقلتُ : يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ ! أَوْلَا بَدَّ لَكَ أَنْ تَقُولَ !؟

قال : كَيْفَ أَجْرُو أَنْ أَقُولَ : لَبَّيْكَ ، وَأَخْشَى أَنْ يَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :  
لَا لَبَّيْكَ وَلَا سَعْدَيْكَ !

وإنّا لنذكر ما كان يصنعه جدّه زين العابدين في هذا المقام .  
وأصبح مالك إذا ذكر النبيّ الصفرّ لونه . فإذا تساءل جلساؤه قال : لو  
رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم عليّ ما ترون . ويذكر لهم حال ابن المنكدر ،<sup>١</sup>

١- قال في الهامش : محمّد بن المنكدر (١٣٠) من معادن الصدق بالمدينة و أشياخ

ثم يعقب بحال جعفر .

إنما كان مالك يجد ريح الرسول في مجلس ابن بنته ، ويُحس ، أو يكاد يلمس شيئاً مادياً يتسلسل من الجدِّ لحفيده ، وأشياء غير مادّية تملك اللبَّ والقلب . فالرؤية متعة والسماع نعمة . والجوار - مجرد الجوار - تأديب وتربيب . وفي كلِّ أولئك طرائق قاصدة إلى الجنة .

وصاحب المجلس طهر كلّه . لا يتحدّث عن جدّه إلا على الطهارة . يقول : الوُضوء شَطْرُ الإيمانِ . ومن أجل ذلك لم يعد الوضوء عنده أو في مذهبه مجرد وسيلة لغيره - أي : للصلاة - بل أمسى مستحبّاً لذاته كالصلاة المستحبّة . يتهيأ به المتوضئ لدخول المساجد ، وقراءة القرآن . بل الزوجان ليلة زفافهما ، والمسافر إلى أهل ، والقاضي ليجلس للقضاء ، والإمام الذي يُفتي أو يُعلّم .

وما هو بدع أن يشغف به مالك - وهو الأمويّ بهواه - فإنّما هو حبّ الرسول وأهل بيته . فحبّهم إيمان . وما كان تعبير مالك إلّا حبّاً ، وهو - بعد - التلميذ النجيب لفقهاء بني تيم (قبيلة أبي بكر) سواء كانوا من مواليهم - كربيعة الرأي - أو من أنفسهم كمحمّد بن المنكدر ، أو أمّهم منهم كالإمام جعفر .

وأبو بكر الصديق يفق في قمتد التاريخ العلميّ لمصادر مالك باتّباعه واجتهاده وأبنائه وبني تيم ... .

مالك، من بني تيم قبيلة أبي بكر، وهم مشهورون بالرقّة والورع. وهم أجداد الإمام جعفر، كان لا يسأل ابن المنكدر أحد عن حديث إلّا بكى. و مالك يقول: كنت إذا وجدت من نفسي قسوةً أتى ابن المنكدر فأنظر إليه نظرة فأبغض نفسي أياماً». وابن المنكدر يقول: «كابدت نفسي في ذلك أربعين عاماً حتّى استقامت.» وكان من بني المنكدر إخوة ثلاثة فقهاء: محمّد ، و أبوبكر، و عمر أبناء المنكدر.

تعلم مالك الكثير من السلوك على الإمام جعفر . فكان إذا حدّث لا يحدث إلا على الطهارة . ويحمي مجلسه ممّن يخرجونه عن قصده . كما يكرم تلامذة . بل صار إماماً ليسر الذي تتمثل فيه خصائص المدينة . وأمسى عنواناً على العلم . فإذا خاصم السلطة خاصهما من أجل النزاهة العلميّة فحسب . وفي منهجه الاحتفال الكامل بالواقع . وفي طريقته العمل للرزق ، حتّى لا يحتاج لأحدٍ ، ممّا يعبر عن اقتداء كامل بالإمام الصادق .

وكهيئة الإمام الصادق عليه السلام ، لم يجار فقهاء العراق في قولهم : **أَرَأَيْتَ أَرَأَيْتَ** . أي : افتراض الفروض واستباق الحوادث وإبداء الرأي فيما لم يحدث حتّى ستمّاهم خصومهم **الأَرَأَيْتَيْنِ** .

ومن رضا الإمام عن التلميذ كان الصادق يشير بإتيان حلقة مالك . روى عنوان البصريّ أنّه كان يختلف إلى الإمام جعفر يتعلّم عليه . فغاب الإمام عن المدينة فاختلف إلى مالك سنتين . ثمّ عاد الصادق فعاد عنوان إلى مجلسه . فنصحه أن يجلس إلى مالك .<sup>١</sup>

١- يبدو أنّ المؤلف المحترم قدسها هنا إذ فهم أنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام أرجع عنوان البصريّ! إلى مالك بن أنس . في حين لم يكن ذلك كذلك . ولمّا لم يرغب الإمام عليه السلام أن يبقى عنوان عنده قال : اذهب إلى مالك كما كنت تذهب إليه من قبل ! ولفظ الحديث... عن عنوان البصريّ - وكان شيخاً كثيراً قد أتى عليه أربع وتسعون سنة . قال : كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين . فلما قدم جعفر الصادق عليه السلام المدينة اختلفت إليه وأحببت أن أخذ عنه كما أخذت عن مالك . فقال لي يوماً : إنّي رجلٌ مطلوبٌ ومع ذلك لي أورد في كلّ ساعةٍ من آناء الليل والنهار فلا تشغلني عن وردٍي وخذ عن مالك واختلف إليه كما كنت تختلف إليه . فاغتممتُ من ذلك وخرجت من عنده وقلتُ في نفسي : لو تفرّس فيّ خيراً لما زجرني عن الاختلاف إليه والأخذ عنه - إلى آخر الرواية . وفيها أنّ عنواناً لم يذهب عند مالك ، وذهب عند الإمام ، وأتحفه الإمام بتعليمات جامعة نافعة في مجلس من مجالسه . فخرج من عند الإمام راضياً مسروراً . وهذه التعليمات في

ولقد يدخل الإمام المسجد ، فيقدم إليه تلميذ من تلاميذه ابن أبي ليلى<sup>١</sup>. (م ١٤٨) قاضي الكوفة . فيقول الإمام : أنت ابن أبي ليلى القاضي؟! ويحيب : نعم . فينبته الإمام على جلال خطر القضاء بقوله : تَأْخُذُ مَالَ هَذَا وَتُعْطِيهِ هَذَا ! وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ! لَا تَخَافُ فِي ذَلِكَ أَحَدًا ...

فَمَا تَقُولُ إِذَا جِيءَ بِأَرْضٍ مِنْ فِضَّةٍ وَسَمَاءٍ مِنْ فِضَّةٍ . ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِكَ ، فَأَوْلَيْتَكَ بَيْنَ يَدَيَّ رَبِّكَ فَقَالَ : يَا رَبِّي هَذَا قَضَى بِغَيْرِ مَا قَضَيْتُ !

واصفر وجه ابن أبي ليلى مثل الزعفران . لكنته خرج من المسجد مزوداً بزاد من خشية الله زوده به ابن رسول الله .

ولما سئل مرة : أكنت تاركاً قولاً أو قضاءً لرأي أحد ! أجاب : لا . إلا رجل واحد . هو جعفر بن محمد الصادق . وابن أبي ليلى قاضي بني أمية وبني العباس . وهم أعداء الإمام .

غاية الأهمية . وكان المرحوم آية الله العظيم الميرزا على القاضي جعلنا الله من تابعه يعلمها تلاميذه السلوكيين . ونقل المجلسي رضوان الله عليه أصل ذلك في «بحار الأنوار» ج ١ ، ص ٢٢٤ إلى ٢٢٦ ، الطبعة الحديثة لمطبعة الحيدري كتاب العلم ، باب آداب طلب العلم وأحكامه ، الحديث ١٧ ، عن الشيخ البهائي ، عن خطِّ الشهيد الأول ، عن الشيخ أحمد الفراهاني مزوداً بحمد الله ومنته ذكرنا ذلك كله في كتاب «الروح المجرد» في ذكرى السيد هاشم الحداد روعي فده ، ص ١٨٧ إلى ١٩١ .

١- قال في الهامش : أول من تعلم عليه أبو يوسف صاحب أبي حنيفة . هو محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى . وفي الخلاف بينه وبين أبي حنيفة وضع أبو يوسف كتابه الشهير «اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى» . وكثيراً ما رجح فيه آراءه . ومن ذلك أخذه برأيه في قضية رفعت على الخليفة الهادي أمامه . وبهذا دفع الخليفة لصاحب الحق حقه (راجع : «أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح» للمؤلف ، ص ١٠٠ ، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية» .

في هذا المجلس بالمدينة ، أو بالكوفة في إحدى قدمات الإمام جعفر إلى العراق ، دخل أئمة الكوفة مجتمعين : أبو حنيفة ، وابن أبي ليلى ، وابن شبرمة (المتوفى سنة ١٤٤) على الإمام جعفر ، فجعل الصادق ينهه أبا حنيفة مكتشف أداة «القياس» على خطرهما في حضور العالمين الآخرين . وفي مواجهة هذين يقول الإمام الصادق لأبي حنيفة :

اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَقْسِ الدِّينَ بِرَأْيِكَ .

ولقد يكون أبو حنيفة في حلقة بالكوفة أو في المدينة فيقف عليها الإمام الصادق ، ولا تقع عليه عين أبي حنيفة . فإذا لمحتة عيناه هبّ أبو حنيفة واقفاً وهو في مجلس الدرس ، فقال : يا بن رسول الله ، لو شعرت بك أوّل ما وقفت ما رأني الله أقعد وأنت قائم» ليشهد الله على دخيلة نفسه أنّها لا تقبل الجلوس والإمام قائم . وأبو حنيفة (٨٠ - ١٥٠) أكبر عمراً من الإمام الصادق عليه السلام لكن الصادق يشدّ أزره بعبارات مشجّعة ، فيقول له :

اجْلِسْ يَا أَبَا حَنِيفَةَ فَعَلَى هَذَا أَدْرَكْتُ آبَائِي !

يريد بذلك إعظام مجالس العلم ، ووقوف الجميع ، وجلوس الأستاذ . انقطع أبو حنيفة إلى مجالس الإمام طوال عامين قضاهما بالمدينة ، وفهما يقول : لَوْلَا الْعَامَانِ لَهَلَكَ النُّعْمَانُ<sup>١</sup> . وكان لا يخاطب صاحب المجلس إلا بقوله : جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ .

١- ذكرها الدكتور السيّد محمّد التيجانيّ التونسيّ في كتابه الثمين: «لأكون مع الصادقين» بلفظ: لولا السّتان لهلك النعمان»، وأضاف قائلاً: يقصد بذلك العامين اللذين قضاهما في التعلّم من الإمام جعفر الصادق عليه السلام. (نقلًا عن كتاب «مناقب آل أبي طالب» في أحوال الإمام الصادق عليه السلام).

ولقد يتحدّى الإمام الصادق في مجلسه أبا حنيفة ليختبر رأي صاحب  
الرأي فيسأل: **مَا تَقُولُ فِي مُحْرَمٍ كَسَرَ رَبَاعِيَةَ الظُّبِيِّ؟!**  
ويجيب أبو حنيفة: يا بن رسول الله؛ لا أعلم ما فيه .  
فيقول له الإمام الصادق عليه السلام: **أَنْتَ تَتَدَاهَى ! أَوْلَا تَعْلَمُ أَنَّ  
الظُّبِيَّ لَا تَكُونُ لَهُ رَبَاعِيَةٌ؟!**

وإنما سكت أبو حنيفة لأنه لم يعلم كما قال ، أو لأنه يمتنع عن أن  
يصحح للإمام السؤال . وما كان أعظم أدب أبي حنيفة بين نظرائه . فما بالك  
به بين يدى الإمام؟!

فإذا جاء ابن شبرمة وحده يسأل عما لم يقع - كدأب تلاميذ أبي  
حنيفة ومدرسة الكوفة - لم يتردد الإمام في دفعه بالحسنى :  
ذهب إليه ذات يوم يسأله عن القسامة في الدم ، فأجابه بما صنع  
النبي . فقال ابن شبرمة : رأيت لو أن النبي لم يصنع هذا ، كيف كان القول  
فيه ؟

فأجابه : **أَمَّا مَا صَنَعَ النَّبِيُّ فَقَدْ أَخْبَرْتُكَ بِهِ . وَأَمَّا مَا لَمْ يَصْنَعْ فَلَاتَ  
عِلْمَ لِي بِهِ .**

والصادق عليم بالاختلاف بين آراء الفقهاء ، أي : بعلم المدينة ،  
وعلم الشام ، وعلم الكوفة . وهو يروي عشرات الآلاف من الأحاديث ، في  
حين كانت قلة ما سلّمه أهل العراق من الحديث آفة علمائه ، حتى صوّبهم  
الشافعي في نهاية القرن ، بالقوة التي لانزاع فيها لخبر الواحد ، وبوضع  
قواعد القياس .

والحسن بن زياد اللؤلؤي يعلن رأي صاحبه في إحاطة الإمام الصادق  
فيقول : سمعتُ أبا حنيفة وقد سُئِلَ من أفقه الناس ممّن رأيتُ ؟ فقال :  
جعفر بن محمّد !

ولمّا استُفتي أبو حنيفة في رجل أوصى للإمام بإطلاق الوصف ، قال : إنّها لجعفر بن محمّد . فهذا إعلان لتفردّه بالإمامة في عصره .

ولم تكن الستتان اللتان حيي بسببهما النعمان بن ثابت (أبو حنيفة) ولم يهلك إلا تكملة لسنين سابقة كان يتدارس فيها فقه الشيعة . ومن ذلك كان يشدّ أزر زيد بن عليّ في خروجه على هشام بن عبد الملك . وقيل : مال إلى محمّد وإبراهيم (ولكّدي عبد الله بن الحسن) في خروجهما على المنصور . وأن قد جاءته امرأة تقول : إنّ ابنها يريد الخروج مع هذا الرجل - في إبان خروج إبراهيم - وأنا أمنعه . فقال لها : لا تمنعيه !

ويروي أبو الفرج الإصفهانيّ عن أبي إسحاق الفزاريّ ، جئتُ إلى أبي حنيفة ، فقلتُ له : أما اتقيتَ الله ؟! أفنتيت أخِي بالخروج مع إبراهيم حتى قُتل !! فقال : قتل أخيك حيث قتل يعدل قتله لو قتل يوم بدر . وشهادته مع إبراهيم خير له من الحياة .

ولئن كان مجدداً لمالك أن يكون أكبر أشياخ الشافعيّ ، أو مجدداً للشافعيّ أن يكون أكبر أساتذة ابن حنبل ، أو مجدداً للتلميذيين أن يتتلمذا لشيخيهما هذين ، إن التلمذة للإمام الصادق قد سربلت بالمجد فقه المذاهب الأربعة لأهل السنّة .

أمّا الإمام الصادق فمجده لا يقبل الزيادة ولا النقصان . فالإمام مبلغ للناس كافة علمَ جدّه عليه الصلاة والسلام . والإمامة مرتبته . وتلمذة أئمّة السنّة له تشوف منهم لمقاربة صاحب المرتبة .

لقد يجيء للمناظرة عمرو بن عبيد (م ١٤٤) زعيم المعتزلة الذي لم يضحك أبو حنيفة طول حياته بعد أن قال له عمرو إذ ضحك مرّة في إبان مناظرته : يافتى تتكلّم في مسألة من مسائل العلم وتضحك ؟! والذي يبلغ من وقاره أن يراه الرائيّ فيحسبه أقبل من دفن والديه . فإذا انتهى الكلام ،



قال عمرو للإمام :

هَلَكَ مَنْ سَلَبَكُمْ تُرَاثِكُمْ، وَنَازَعَكُمْ فِي الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ.

ويجيء إمام خراسان عبد الله بن المبارك، وهو إمام فقه، وبطل معارك. تتلمذ للإمام زماناً، ولأبي حنيفة. فتعلّم ما جعله يُخفي بطولاته في الفتوح، لأنّ من صنعها لأجله - سبحانه - مطّلع عليها.<sup>١</sup>

وفي الإمام جعفر شعره الذي ورد فيه :

أَنْتَ يَا جَعْفَرُ فَوْقَ الْمَدْحِ وَالْمَدْحِ عَنَاءٌ  
إِنَّمَا الْأَشْرَافُ أَرْضٌ وَلَهُمْ أَنْتُمْ سَمَاءٌ  
جَازَ حَدَّ الْمَدْحِ مَنْ قَدَّ وَلَدَتَهُ الْأَنْبِيَاءُ<sup>٢</sup>

ولمّا كان حديثنا يدور حول أئمة العامّة الأربعة الذين يعدّون من تلاميذ الإمام جعفر الصادق عليه السلام بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فمن المناسب أن نستعرض ترجمتهم، ثمّ نناقش منهجهم وآراءهم.

١- قال في الهامش: استعصى على المسلمين حصن من حصون الروم. فتصدى له فارس ملثم فاقتحمه وتتابع وراءه المسلمون واختفى الفارس في الجند. ولمّا سئل ابن المبارك فيما بعد عن إخفاء نفسه، قال: لأنّ من صنعت ذلك لأجله - سبحانه - مطّلع عليه م وخرج إلى الحجّ فمرّ بامرأة رآها تخرج غراباً ميتاً من حيث ألقى به. فسألها، فقالت إنّها وزوجها لا يجدان ما يطعمانه. فقال لوكيله: كم معك من نفقة الحجّ؟ قال: ألف دينار. قال زعدّ منها عشرين تكفي للعودة إلى مرو (عاصمة خراسان) وأعطها الباقي. فهذا أفضل من حجّنا هذا العام. ورجع ولم يحجّ.

وكان الرشيد بالرقّة يوماً وأقبل عليها ابن المبارك. فانبجف الناس خلفه ورأته أمّ ولد الرشيد، فقالت: هذا والله المملك، لا مملك هارون الذي يجمع الناس بشرطه وأعوان. ولمّا مات ابن المبارك، جلس الرشيد فتقبّل العزاء فيه.

٢- «الإمام جعفر الصادق» ص ١٥٨ إلى ١٦٤، الصادر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في جمهورية مصر العربية.

## بحث حول

## مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي المدني

قال المتتبع الخبير السيد محمد باقر الموسوي الخوانساري في كتاب «روضات الجنات»: الإمام الرفيع المقام عند المنتحلين لدين الإسلام: أبو عبدالله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو الحارث بن عثمان الأصبحي المدني. وقيل: القرشي التميمي<sup>١</sup> هو المنتسب إليه لق المالكي، وصاحب كتاب «الموطأ» في الفقه الأحمدية. وأحد الأئمة الأربعة لجماعة أهل السنة والجماعة، وأول المعلمين لبدعة العمل بالرأي في هذه الأمة. زعم صاحب «تاريخ كزیده» (= التاريخ المنتخب) أن أباه هو أنس بن مالك الصحابي وأحد العشرة الذين كانوا من خدمة باب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الرجل نفسه من جملة التابعين الأولين، وأول أئمة السنة ومقدم جنود المحدثين.

وهو غلط بين منه، لما سوف أطلعك عليه من تاريخي ولادته ووفاته المنافيين لذلك عادة؛ مضافاً إلى قضاء العادة بأنه لو كان صحيحاً لبيته كثير من أصحاب كتب الرجال والترجمة صريحاً.

وبالجملة فقد ذكره ابن خلكان المؤرخ المشهور في كتابه الموسوم «وفيات الأعيان»، فقال في صفته بعد التسمية له بنمط ما ذكرناه في صدر العنوان: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأعلام. أخذ القراءة عرضاً عن

١- له ترجمة في «البدية والنهاية» ج ١٠، ص ١٧٤؛ و«تاريخ كزیده» ٦٢٥؛ و«تهذيب التهذيب» ج ١٠، ص ٥؛ و«حلية الأولياء» ج ٦، ص ٣١٦؛ و«الديباج المذهب» ١٧؛ و«سفينة البحار» ج ٢، ص ٥٥٠؛ و«شذرات الذهب» ٤؛ و«العبر» ج ٢، ص ٢٧٢؛ و«اللباب» ج ٣، ص ٨٦؛ و«وفيات الأعيان» ج ٣، ص ٢٨٤.

نافع بن أبي نعيم ، وسمع الزهري ، ونافعاً مولى عبد الله بن عمر ، وروى عن الأوزاعي ويحيى بن سعيد ، وأخذ العلم عن ربيعة الرأي ... ثم أفتى معه عند السلطان . وقال مالك : كل رجل كنت أتعلّم منه مامات حتى يجيئني ويستفتيني . إلى أن قال :

وقال الشافعي : قال لي محمّد بن الحسن : أيهما أعلم ، صاحبنا أم صاحبكم ؟! يعني أبا حنيفة ومالكاً .

قلتُ : على الإنصاف ؟! قال : نعم !

قلتُ : ناشدتك الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم ؟! قال :

اللهم صاحبكم !

قلتُ : فأنشدك الله من أعلم بالستّة صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم

صاحبكم !<sup>١</sup>

فقلتُ : أنشدك الله من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله صلّى الله

عليه وآله المتقدّمين صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم !

قال الشافعي : فلم يبق إلا القياس . والقياس لا يكون إلا على هذه

١- من تغاوى مالك جواز شرب الماء أو اللبن من إناء ولف فيه الكلب، وجواز الوضوء من هذا الماء عند الاضطرار على كراهة. جاء في كتاب «المدوّنة الكبرى» تصنيف مالك بن أنس برواية سحنون بن سعيد التنوخي عن عبدالرحمن بن قاسم العتقي، ج ١، ص ٦، طبعة مطبعة السعادة، سنة ١٣٢٣ هـ: قال: ولا بأس بلعاب الكلب يصيب ثوب الرجل. وقاله ابن ربيعة؛ وقال ابن شهاب: لا بأس إذا اضطررت إلى سؤر الكلب أن تتوضأ به.

وقال في: ج ١، ص ٧: استقبل القبلة للبول والغائط. وقال مالك: إنّما الحديث الذي جاء: لا تستقبل القبلة لبولٍ ولغائطٍ، إنّما يعني بذلك فيا في الأرض، ولم يعن بذلك القرى ولا المدائن... قلتُ: كان مالك يكره استقبال القبلة واستد بارها لبول أو لغائط في فيا في الأرض ؟ قال: نعم ! الاستقبال والاستدبار سواء.

الأشياء ، فعلى أي شيء تقيس !؟

إلى أن قال ابن خلّكان : وكانت ولادته سنة خمس وتسعين للهجرة .  
وحُمِلَ به ثلاث سنين . وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين  
ومائة ، فاش أربعاً وثمانين سنة - انتهى .

وفي «تاريخ كزبده» : إنّه أول أئمة السنّة . وكان في الرحم ثلاث  
سنين ، وعمره ثمانون سنة . ومات في سنة تسع وسبعين ومائة ، ودفن  
بالقيع .<sup>١</sup>

قلتُ : وسوف يأتي في ترجمة أبي حنيفة سبب طول بقائه في الرحم  
عرض هذه المدة الخارجة عن العادة ، فليلاحظ إن شاء الله !<sup>٢</sup>

وقال ابن الجوزي فيما نُقل عن كتابه «شذور العقود» إنّه ضرب في  
سنة سبع وأربعين ومائة سبعين سوطاً لأجل فتوى لم توافق غرض  
السلطين .

وحُكي عن الحافظ أبي عبد الله الحميدي أنّه قال : حكى القعنيّ  
قال : دخلتُ على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه ، فسلمت عليه .

١- «تاريخ كزبده» ص ٦٢٥ و٦٢٦ .

٢- سها صاحب «الروضات» هنا فخلط بين مالك والشافعي في هذه المزيّة . لأنّ ما  
ذكره في ترجمة أبي حنيفة هو تأخر ولادة الشافعي الذي بقي في بطن أمّه خمس سنين حياً  
من عظمة قياسات أبي حنيفة وأرائه، وولد في سنة وفاة أبي حنيفة، وهي سنة خمسون  
ومائة . وأمّا مالك فلم يرد فيه هذا الأمر . ومن المناسب أن نذكر هنا توجيه صاحب  
«الروضات» لبقاء الشافعي طويلاً في بطن أمّه . قال: لو قالوا (العامة) إنّه ولد جار أبيه لكان  
أولى من هذه التكلّفات . وهذا التوجيه بعينه يجري على مالك أيضاً إذ بقي في بطن أمّه  
ثلاث سنين ، لأنّ أقلّ مدّة الحمل ستّة أشهر ، وأكثرها سنة حسب الأدلّة العلميّة والطبيّة  
والروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام . من هنا وإذا تأخر الحمل خمس سنين أو  
ثلاث سنين فيجب سؤال الأمّ فحسب عن سبب ذلك .

ثمّ جلستُ فرأيتُه يبكي . فقلتُ : يا أبا عبد الله ؛ ما الذي يُبكيك ؟! فقال لي : يا بن قعنب ، وما لي لا أبى ؟ ومن أحقّ بالبكاء منّي ؟ والله لوددت أنّي ضُربتُ لكلّ مسألة أفتيتُ فيها برأبي مائة ألف سوط ، وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت إليه ! وليتني لم أفت بالرأي ، أو كما قال :

وكانت وفاته بالمدينة ودفن بالبقيع<sup>١</sup> .

وقد أدرك هذا الرجل من أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام كما نقل صاحب «بحار الأنوار» عن الحافظ أبي نعيم الإصفهانيّ في كتابه «حلية الأولياء» أنّه قال : إنّ جعفر الصادق عليه السلام حدّث عنه من الأئمة والأعلام : مالك بن أنس ، وشعبة بن الحجّاج ، وسفيان الثوريّ . إلى أن قال : وقال غيره : روى عنه مالك ، والشافعيّ ، والحسن بن صالح ، وأبو أيوب السجستانيّ ، وعمر بن دينار ، وأحمد بن حنبل .

وقال مالك بن أنس : مَا رَأْتُ عَيْنٌ ، وَلَا سَمِعْتُ أُذُنٌ ، وَلَا خَطَرَ عَلَيَّ قَلْبٍ بَشَرٍ أَفْضَلَ مِنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ فَضْلاً وَعِلْماً وَعِبَادَةً وَوَرَعاً<sup>٢</sup> .

وكان مالك كثيراً ما يدعي سماعه وربما قال : حدّثني الثقة ، يعنيه عليه السلام . وجاء أبو حنيفة إليه ليسمع منه ، وخرج أبو عبد الله عليه السلام يتوكأ على عصاه ، فقال له أبو حنيفة : يا بن رسول الله ! ما بلغت من السنّ ما تحتاج معه إلى العصا ! قال : هو كذلك ، ولكنّها عصا رسول الله أردتُ التبرّك بها . فوثب أبو حنيفة إليه ، وقال له : اقبلها يا بن رسول الله !؟

١- «وفيات الأعيان» ج ٣ ، ص ٢٨٦ ؛ و«جذوة المقتبس» ص ٣٢٧ .

٢- نقلاً عن الدكتور السيّد محمّد التيجانيّ التونسيّ زاده الله شرفاً في كتابه «الأكون مع الصادقين» ص ١٤٨ ، عن كتاب «مناقب آل أبي طالب في أحوال الإمام الصادق عليه السلام» .

فحسر أبو عبد الله عليه السلام عن ذراعه ، وقال : والله لقد علمت أن هذا بَشْر رسول الله ، وأن هذا من شعره ، فما قبّلتَه فتقبّل عَصا ! وذكر أبو عبد الله المحدّث في «رامش» أن أبا حنيفة من تلامذته . ولأجل ذلك كانت بنو العباس لم تحترمهما - انتهى .

ثم نقل صاحب «الروضات» كلام مالك في أدب الإمام الصادق عليه السلام واحترامه ، ونقل عنه أن الإمام كان يقدّم له مخدة ، ويقول : يَا مَالِكُ ! إِنِّي أَحِبُّكَ ، فَكُنْتُ أُسْرُ بِذَلِكَ وَأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيْهِ . وذكر كلامه في كَيْفِيَّة إِحْرَام الإمام عليه السلام وانقطاع صوته بالتلبية ، وبعض حالاته الأخرى . وقال بعد ذلك كلّه :

وروى محمّد بن الحسن الصقّار في «بصائر الدرجات» بإسناده المعنعن عن محمّد بن فلان الواقفيّ ، قال : كان لي ابن عمّ يقال له : الحسن بن عبد الله ، وكان زاهداً ، وكان من أعبد أهل زمانه ، وكان يلقاه السلطان ، وربّما استقبل السلطان بالكلام الصعب يعظه ويأمر بالمعروف . وكان السلطان يحتمل له ذلك لصلاحه . فلم يزل هذه حاله حتّى كان يوماً دخل أبو الحسن موسى عليه السلام المسجد فراه ، فدنا إليه ، ثمّ قال له : يا أبا عليّ ! ما أحبّ إليّ ما أنت فيه وأسرنّي بك إلاّ أنّه ليست بك معرفة ، فاذهب فاطلب المعرفة !

قال : قلتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ؛ وما المعرفة ؟!

قال له : اذهب وتفقه ، واطلب الحديث ! قلتُ : عمّن ؟!

قال : عن مالك بن أنس ، وعن فقهاء أهل المدينة ، ثمّ اعرض

الحديث عليّ !

قال : فذهب وتكلّم معهم ؛ ثمّ جاءه فقراه عليه ، فأسقطه كلّه . ثمّ

قال : اذهب واطلب المعرفة !

وكان الرجل معنياً بدينه ، فلم يزل يترصد أبا الحسن عليه السلام حتى خرج إلى ضيعة له فتبعه ، ولحقه في الطريق ، فقال له : جعلت فداك ! إنني أحتج عليك بين يدي الله ! فدلّني على المعرفة ! فأخبره بأمر المؤمنين عليه السلام ، وقال له : كان أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله . وأخبره بأمر أبي بكر وعمر ، فقبل منه . ثم قال : فمن كان بعد أمير المؤمنين ؟! قال : الحسنُ ثمَّ الحسينُ ، حتى انتهى إلى نفسه . ثم سكت .

قال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، فمن هو اليوم ؟!

قال : إن أخبرتك تقبل ؟! قال : بلى جعلت فداك .

قال : أَنَا هُوَ !

قال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، فشيء استدّل به !

قال : اذهب إلى تلك الشجرة ، وأشار إلى أمّ غيلان ، فقل لها : يقول لك موسى بن جعفر : أقبلي ! فأتيتها . قال : فرأيتها والله تجبّ الأرض جبوباً حتى وقفت بين يديه . ثم أشار إليها فرجعت .

قال : فأقرّ به . ثم لزم السكوت ، فكان لا يراه أحد يتكلم بعد ذلك . وكان من قبل ذلك يرى الرؤيا الحسنة ، وتُرى له . ثم انقطعت عنه الرؤيا . فرأى ليلة أبا عبد الله الصادق عليه السلام فيما يرى النائم ، فشكا إليه انقطاع الرؤيا ، فقال : لا تَعْتَمَّ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا رَسَخَ فِي الْإِيمَانِ رُفِعَ عَنْهُ الرُّؤْيَا !

١- ورد هذا بنفس اللفظ في «بصائر الدرجات» ص ٢٥٤ و ٢٥٥ ، المطبوع طبعة حديثة بتصحيح واهتمام الميرزا محسن بن ميرزا عباس علي كوجه باغي ، إلا أنه ذكر فلان الرافعي بدل فلان الواقفي . ولعل هذا هو الصحيح ، لأن الواقفية ظهرت بعد استشهاد الإمام موسى بن

هذا وأقول : من جملة مناسبات هذا الحديث الشريف الذي أوردناه هنا بالمناسبة هو حديث دخول عنوان البصريّ على مولانا الصادق عليه السلام ، واقتباسه نور الحق من بركات مجلسه الشريف ، بعد ما يئس من الانتفاع بطول مرآودته مع مالك بن أنس . وهو بطوله المذكور في المجلّد الأوّل من «بحار الأنوار» نقلًا عن خطّ شيخنا البهائيّ ، عن محمّد بن مكّي الشهيد رحمه الله . ووجدته أيضاً في المجلّد الثالث من كتاب «الكشكول» ، فيلاحظ . وليشكر الله سبحانه وتعالى على الاهتداء بمتابعة الرسول وآل الرسول<sup>١</sup> .

ثم إنّ في بعض كتب أهل السنّة نقلًا عن حسيبهم الداوديّ أنّه قال : لم يرو مالك عن جعفر حتّى ظهر أمر بني العباس . وعن مصعبهم الكوفيّ أنّه قال : كان لا يروي عن جعفر حتّى يضمّه إلى أحد .

وعن الواقديّ المشهور أنّه قال : كان مالك المذكور يأتي المسجد ، ويشهد صلاة الجمعة والجنائز ، ويعود المرضى ، ويقضي الحقوق ، ويجلس بالمسجد ، ويجتمع عليه أصحابه . ثمّ ترك الجلوس بالمسجد ، وكان يصلّي وينصرف . ترك ذلك كلّهُ . فلم يكن يشهد للصلاة في المسجد ولا الجمعة ، ولا يأتي أحداً يعرفه ، ولا يقضي له . فاحتمل الناس ذلك حتّى مات عليه . وربّما قيل له في ذلك ، فيقول : ليس كلّ أحد يقدر أن

---

جعفر عليهما السلام . والراوي هنا يروي عن الإمام الكاظم عليه السلام نفسه . وكان أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فروخ الصفّار من أصحاب الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام . وتوفّي سنة ٢٩٠ .

١- أشرنا سابقاً في هذه المجموعة إلى خصوصيّات هذا الحديث المبارك . وذكرنا أنّا نقلناه مفصلاً في كتابنا «الروح المجرد» في ذكرى السيّد هاشم الحدّاد روجي فداه ، ص ١٨٧ إلى ١٩١ ، الطبعة الأولى .



يتكلم بعذره<sup>١</sup>.

## بحث حول أبي حنيفة: النعمان بن ثابت بن زوطي التميميّ إمام آخر من أئمة العامة الأربعة

قال السيّد محمّد باقر الخوانساريّ الإصفهانيّ في كتاب «روضات

الجنّات»: :

أَوَّلُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ لِهَذَا النَّاسِ، وَإِمَامُ أَرْبَابِ الْوَسْوَاسَةِ  
وَالرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ، أَبُو حَنِيفَةَ الْكُوفِيِّ الْعِرَاقِيِّ الْبَغْدَادِيِّ: نَعْمَانُ بْنُ  
ثَابِتِ زُوَطِيٍّ، أَوْ مَرْزَبَانَ، أَوْ طَاوُسَ بْنِ هَرْمَزِ مَلِكِ بَنِي شَيْبَانَ، مَوْلَى  
تَمِيمِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَكَايَةَ.

ذكره شيخ الطائفة عليه الرحمة في عداد رجال مولانا الصادق عليه  
السلام بعد التسمية له بعوان النعمان بن ثابت أبو حنيفة التميمي الكوفي  
مولاهم<sup>٢</sup>، بدون زيادة غير ذلك من الكلام. وذلك كذلك باعتراف جميع  
أهل المسالك والممالك، لأنّه بلغ بما بلغ من الفضل الموهوم، والاطّلاع  
على فنون العلوم، من بركات مجالس ذلك الإمام المعصوم عليه السلام،  
وإن كافأ بعد ذلك حقوقه السابغة بالجفاء والتكفير، وقابل إحسانه الكثير  
بالإساءة والحسد والخيانة والتعزير. وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمٌ

١- «روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات» ج ٤، ص ١٤٤ و ١٤٥، الطبعة  
الحجريّة الرحليّة، و: ج ٧، ص ٢٢٣ إلى ٢٢٧، تحت الرقم ٦٢٧، الطبعة الحديثة في مطبعة  
«مهر استوار» بقم.

٢- إذا نُسِبَ المولى إلى أحد فمعناه العبد مثل مولى رسول الله. وإذا نُسِبَ إلى طائفة  
أو قبيلة فمعناه الحليف أو الداخل عليها مثل مولى بني شيبان، ومولى تميم بن ثعلبة.

وَبَيْسَ الْمَصِيرِ<sup>١</sup>.

ونقل عن همر بن حمّاد بن أبي حنيفة أنّه قال : كان جدّه زوطيّ من أهل كابول طخارستان . وُلد أبوه ثابت على فطرة الإسلام ومعرفة الرحمن . وعن إسماعيل بن حمّاد المذكور أنّه قال : كان جدّي أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن مرزبان من أبناء فارس ، وما كان أحد من آبائي مملوكاً .

وفي «تاريخ كزیده»<sup>٢</sup> (=التأريخ المنتخب) لحمد الله المستوفيّ القزوينيّ في ترجمة هذا الرجل : أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن طاوس بن هُرْمُزْد ملك بني شيبان . توفّي ببغداد في عهد المنصور .

قلتُ : وقيل في حبسه في رجب سنة إحدى وخمسين ومائة ، ودُفن في الخيزرانيّة المعروفة هناك . وعَمَرَ مزاره شرف الملوك أبو سعد المستوفيّ في دولة ملكشاه السلجوقيّ . وأدرك سبعة من الصحابة منهم : عبد الله بن أوفى ، وجابر بن عبد الله الأنصاريّ ، وأنس بن مالك ، إلى آخر ما ذكره في «صحيفة الصفاء» أنّ أدرك عبد الله بن أوفى ، وسمع من عكرمة ونافع وعطاء ، وأخذ الفقه عن حمّاد بن أبي سليمان . قلتُ : وأصوله عن الشيطان والهوى الطاغية الدعية إلى النيران .

ثمّ إنّ نقل عن الأمدّيّ المشهور أنّه قال في كتاب «أبكار الأفكار» في مقام ترجمة المرجئة ، وأصحاب المقالات قد عدّوا أبا حنيفة وأصحابه من مرجئة السنّة . وقال : وأمّا المرجئة فإنّهم يرون تأخير العمل عن النية والقصد ، ويقولون : لا يضرّ مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفران طاعة .

١- الآية ٦ ، من السورة ٦٧ : الملك .

٢- «تاريخ كزیده» لحمد الله المستوفيّ القزوينيّ .

وبالنظر إلى هذين القولين سُمّوا مرجئة ، لأن الإرجاء في اللغة قد يطلق ويراد به التأخير . قلتُ : ومنه قوله تعالى : **وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرٍ** **اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ** .<sup>١</sup>

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : **لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** :<sup>٢</sup>  
 إن أبا حنيفة كان يُفتي سراً بوجود نصرة زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه ، وحمل المال إليه . إلى أن قال : حتى قالت له امرأة : أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ، وقد قُتل . فقال لها : يا ليتين مكان ابنك !  
 أقول : ويظهر من ذلك أنه كان زيدي الأصول . وكأنه من هنا أشبهت الزيديّة الحنفيّة في الفروع إلا في مسائل قليلة - كما صرح الشريف الجرجاني في «شرح المواقف» - وقال : وأكثرهم مقلدون يرجعون في الأصول إلى الاعتزال ، وفي الفروع إلى مذهب أبي حنيفة ، إلا في مسائل قليلة .

ثم قال صاحب «الصحيفة» : ودخل - هو يعني أبا حنيفة - على أبي عبد الله الصادق غير مرّة فنهاه عن القياس وحاجّه وأفحمه . والاحتجاج مذكور في كتابي «الاحتجاج» و«العلل» .

كان من قوله : قال عليّ وأقول . وكان من قوله : وما يعلم جعفر بن محمد وأنا أعلم منه . لقيتُ الرجال وسمعت من أفواهم ، وجعفر بن محمد صحفيّ (أي : أن علومه أخوذة من الكتب فحسب) .<sup>٣</sup>

١- الآية ١٠٦ ، من السورة ٩ : التوبة .

٢- الآية ١٢٤ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣- قال الزمخشري في «ربيع الأبرار» في كتاب العلم ، ج ٤ ، ص ٩٤ : كان أبو حنيفة يقول : ما أتانا عن الله ورسوله فعلى الرأس والعين ، وما أتانا عن الصحابة اخترنا أحسنه ولم نخرج عن أقوالهم . وما أتانا عن التابعين فنحن رجال وهم رجال - انتهى . من هنا ،

فلما بلغ عليه السلام كلامه هذا ضحك ، ثم قال : لَعَنَهُ اللَّهُ . أمّا في قوله : أنا رجل صحفّي فقد صدق قرأتُ صحف آبائي وإبراهيم وموسى - الحديث ١ .

لما كان الصادق عليه السلام من التابعين، ففي ضوء هذا الكلام يرى أبو حنيفة نفسه في مستوى الإمام.

١- ذكرت لأبي حنيفة مناقب وفضائل يابها العقل. قال ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ج ٥، ص ٤١٣، طبعة بيروت: صلى أبو حنيفة فيما حُفِظَ عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة، وكان عامّةً ليله يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة. وكان يُسمع بكأوه في الليل حتّى يرحمه جيرانه، وحُفِظَ عليه أنّه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرّة. وقال إسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة عن أبيه: لما مات أبي سألنا الحسن بن عمارة أن يتولّى غسله ففعل. فلما غسله، قال: رحمك الله وغفر لك ! لم تظفر منذ ثلاثين سنةً، ولم تتوسّد يمينك في الليل منذ أربعين سنة، وقد أتعت مَن بعدك ! وفضحت القراء !

وجاء في ديباجة كتاب «الدرّ المختار» في شرح «تنوير الأبصار» في الفقه الحنفي ومؤلفه محمّد علاء الدين الحسكفي (وأصل «تنوير الأبصار» من تأليف الشيخ محمّد تمر تاشي الحنفي) ص ٥ إلى ٨، الطبعة الأولى بالهند، سنة ١٢٧٢ هـ - ١٨٥٦ م، ما نشير إلى بعضه فيما يأتي: قال إسماعيل بن أبي رجاء: رأيت محمّداً (محمّد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة المعروف) في المنام فقلتُ له: ما فعل الله بك؟! فقال: غفر لي. ثم قال: لو أردتُ أن أعدّبك ما جعلتُ هذا العلم فيك! فقلتُ له: فأين أبو يوسف؟ (تلميذ ممتاز آخر لأبي حنيفة) قال: فوقنا بدرجتين. قلتُ: فأبو حنيفة؟! قال: هيهات، ذاك في أعلى عليّين - انتهى.

كيف وقد صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، وحجّ خمساً وخمسين حجّة، ورأى ربّه في المنام مائة مرّة. ولها قصّة مشهورة. وفي حجّته الأخيرة استأذن حَجَبَةَ الكعبة بالدخول ليلاً، فقام بين العمودين على رجله اليمنى ووضع اليسر على ظهرها حتّى ختم نصف القرآن ثم ركع وسجد، ثم قام على رجله اليسرى ووضع المينى على ظهرها حتّى ختم القرآن. فلما سلّم بكى وناجى ربّه وقال: إلهي ما عبدك هذا العبد الضعيف حقّ عبادتك، لكن عرّفك حقّ معرفتك! فهب نقصان خدمته لكمال معرفته! فهتف هاتف من جانب

ونسب الفاضل الميبيدي إليه في شرح الديوان قوله :

حُبُّ الْيَهُودِ لِآلِ مُوسَى ظَاهِرٌ      وَوِلَاؤُهُمْ لِبَنِي أَخِيهِ بَادِي  
وَأِمَامُهُمْ مِنْ نَسْلِ هَارُونَ الْأُولَى      بِهِمْ اقْتَدَوْا وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِي  
وَكَذَا النَّصَارَى يُكْرِمُونَ مَحَبَّةً      لِمَسِيحِهِمْ نَجْرًا مِنَ الْأَعْوَادِ  
وَمَتَى تَوَالَى آلَ أَحْمَدَ مُسْلِمٌ      قَتَلُوهُ أَوْ شَتَمُوهُ بِالْإِلْحَادِ  
هَذَا هُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ لِمِثْلِهِ      ضَلَّتْ حُلُومٌ حَوَاضِرٍ وَبَوَادِي  
لَمْ يَحْفَظُوا حَقَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ      فِي آلِهِ وَاللَّهُ بِالْمِرْصَادِ  
وروى الزمخشري في «ربيع الأبرار» أنه سمع إسماعيل بن حماد بن

البيت: يا أبا حنيفة! قَدْ عَرَفْتَنَا حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، وَخَدِمْتَنَا فَأَحْسَنْتَ الْخِدْمَةَ، وَقَدْ غَفَرْنَا لَكَ  
وَلِمَنْ أَتَبَعَكَ مَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ! \* إلى أن قال: وعنه عليه الصلاة  
والسلام: إِنَّ آدَمَ افْتَخَرَ بِي، وَأَنَا افْتَخَرْتُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي اسْمُهُ نُعْمَانُ وَكُنِيئَتُهُ أَبُو حَنِيْفَةَ، وَهُوَ  
سِرَاجُ أُمَّتِي. إلى أن قال: مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي. كذا في التقدمة  
شرح مقدّمة أبي الليث. قال في «الضياء المعنوي»: وقول ابن الجوزي: إنّه موضوع،  
تعصّب، لأنّه روي بطرق مختلفة.

وروى الجرجاني في مناقبه بسنده لسهل بن عبدالله التستري أنّه قال: لو كان في أمة  
موسى وعيسى مثل أبي حنيفة لما تهودوا ولما تنصّروا... إلى أن قال: والحاصل أنّ  
أبا حنيفة النعمان من أعظم معجزات المصطفى صلى الله عليه وآله بعد القرآن. وحسبك من  
مناقبه اشتهاه مذهبه. ما قال قولاً إلا أخذ به إمام من الأئمة الأعلام. وقد جعل الله الحكم  
لأصحابه وأتباعه من زمنه إلى هذه الأيام، إلى أن يحكم بمذهبه عيسى عليه السلام... إلى  
أن قال: قيل: ويوم توفى ولد الإمام الشافعي فعّد من مناقبه. إلى آخر مقدّمته الطويلة.  
أجل، إنّ قصدنا من هذا الشرح أن نقول: لا يخفى على القراء وأولي الدراية أنّ هذه المناقب  
جميعها موضوعة، وقد تلوث العامة من أتباعه بهذه التموهيات من أجل تضخيمه.

\* - ذكر الخطيب بعض هذه الأخبار في «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٣٥٤، ثمّ أورد

روايات مستفيضة في ذمّ أبي حنيفة.

أبي حنيفة يحيى بن أكرم القاضي في دولة المأمون العباسي يغمص من جده . فقال : هذا جزاؤه منك ؟ قال : كيف ؟ قال : حين أباح النبيذ ، ودرأ الحدّ عن اللوطي .

وروى أيضاً في باب العلم منه قال : قال يوسف بن أسباط : ردّ أبو حنيفة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أربعمئة حديث أو أكثر .

قيل : مثل ماذا ؟! قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لِفَرَسٍ سَهْمَانٍ وَلِلرَّجُلِ سَهْمٌ وَاحِدٌ . قال أبو حنيفة : لا أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن . وأشعر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وأصحابه البدن ، قال أبو حنيفة : الإِشْعَارُ مِثْلُهُ<sup>١</sup> . وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : البَيْعَانُ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَفْتَرِقَا . قال أبو حنيفة : إِذَا وَجَبَ الْبَيْعُ فَلَا خِيَارَ .

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً ؛ وأقرع أصحابه ، وقال أبو حنيفة : القرعة قمار .<sup>٢</sup>

---

١- إشعار البدن: سمة يوسم بها البعير، أو يُشَقَّ جلده، أو يضرب بالسكين فيجري منه الدم فيعلم أن ذلك هَدْيٌ، أي: أضحية الحاج المحرم يأخذها معه من الميقات إلى مكة.  
٢- جاءت هذه الرواية نصاً في «ربيع الأبرار» للزمخشري، ج ٤، ص ٩٣ و ٩٤، مرسلّة. ورواها الخطيب في «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٠٧، مسنداً بسند صحيح عند العامة، عن القاضي أبي القاسم عبد الواحد بن محمّد بن عثمان الجليّ عن عمر بن محمّد بن عمر بن فياض، عن أبي طلحة أحمد بن محمّد بن عبد الكريم الوسوسي، عن عبد الله بن خبيق، عن أبي صالح الفراء، عن يوسف بن أسباط. وهي قويّة إلى درجة أن صاحب كتاب «السهم المصيب في كبد الخطيب» الذي ألفه ردّاً على الخطيب لم يستطع أن يقدح فيها. ومن الجدير ذكره أن لهذه الرواية تنمّة في تاريخ الخطيب لم يوردها الزمخشري. وهي: وقال أبو حنيفة: لو أدركني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم وأدركته لأخذ بكثير من قولي، وهل الدين إلا الرأي الحسن !؟

وروى المرتضى في «الفصول» المتلقاة من «العيون والمحاسن» عن الشيخ المفيد أنه قال<sup>١</sup>: بمحضر من الأكابر العباسية، وشيوخ الحنفية: وهذا أبو حنيفة يقول: لو أن رجلاً عقد على أمه وهو يعلم أنها أمه يسقط عنه الحد ولحق به الولد، وكذا في أخته وبنته. وكذا لو استأجر غسالة أو جنازة أو أشباههما، ثم وطأها وحملت منه. وإذا لفت على إحليله حريرة، ثم أولجه في قبّل امرأة لم يكن زانياً ولا يجب عليه الحد، ولكن يُردع بالكلام الغليظ. ويقول: إن الرجل إذا تلوّط بغيّام فأوقبه لم يجب عليه الحد، ولكن يُردع. ويقول: إن شرب النبيذ المسكر حلال طلق، وهو سنة وتحريمه بدعة - انتهى.

وعن يوسف بن أسباط قال: قال أبو حنيفة: لو أدركني رسول الله لأخذ بكثير من قولي<sup>٢</sup>. وقال ابن مهدي في مجالسه: كان أبو حنيفة يشرب مع مساور فغاب مساوراً فكتب إليه:

إِنْ كَانَ فَتَقَهُكَ لَا يَتَمَّ بِغَيْرِ شَتْمِي وَأَنْتَ فَاصِي  
فَأَقْعُدْ وَقَمَّ بِي حَيْثُ شَتَّ مِنْ الْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي

١- أصل هذا الكتاب للشيخ المفيد محمد بن النعمان وقد جمعه الشريف المرتضى تحت عنوان «الفصول المختارة». وطبع بالنجف الأشرف باسم «الفهرست». قال الشيخ محمد جواد مغنية في كتاب «الشيعة والتشيع» هامش ص ١٧، طبع مدرسة ودار الكتب اللبنانية، بيروت: هذا الكتاب جمعه الشريف المرتضى من أقوال أستاذه الشيخ المفيد، وطبع في النجف. سنة ١٩٣٧ م باسم «الفهرست» خشية أن تمنعه السلطة يومذاك لو طبع باسمه الحقيقي.

٢- ذكر الخطيب هذه الرواية في «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٠١، عن يوسف بن أسباط بسند واحد بلفظ: لو أدركني رسول الله صلى الله عليه وآله وأدركته لأخذ بكثير من قولي؛ وفي ص ٤٠٧ بسند آخر وذيل: وهل الدين إلا الرأي الحسن؟!

فَلَطًا لَمَّا زَكَّيْتَنِي وَنَا الْمُقِيمُ عَلَى الْمَعَاصِي  
 أَيَّامَ تُعْطِينِي مَدَامِي فِي أَبَارِيقِ الرَّصَاصِ  
 فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ بِمَالٍ فَكَفَّ عَنْهُ .

وروى ابن خلكان في «الوفيات» أنّ إمام الحرمين ذكر في كتابه «مغيث الخلق» أنّ السلطان محمود بن سبكتكين<sup>١</sup> كان على مذهب أبي حنيفة ، وكان مولعاً بعلم الحديث ، فوجد أكثرها موافقاً لمذهب الشافعي . فجمع فقهاء الفئتين وأمرهم بترجيح أحد المذهبين .

وصلّى القفال المروزي<sup>٢</sup> على ما يجوز عند أبي حنيفة بلبس جلد كلب مدبوغ ، ولطح رأسه<sup>٣</sup> بالنجاسة ، وتوضأً بنييد التمر . وكان في الصيف واجتمع عليه البعوض والذباب . ثمّ أحرم بالصلاد بالفارسيّة ، وقرأ : «دُو بَرْگ سَبَز» وهي ترجمة مُدْهَامَتَانِ . ثمّ نقر نقرتين كنقر الديك من غير فصل ، ولا ركوع ، ولا تشهد . وضرط في آخره ، وقال : هذه صلاة أبي حنيفة .

١- قال في «روضات الأعيان» ج ٥ ، ص ١٨٢ ، طبعة دار صادر ، بيروت : وسُبُكْتَكِين بضم السين المهملة والباء الموحدة وسكون الكاف وكسر التاء والكاف الثانية .

٢- ذكره في «الوفيات» ج ٣ ، ص ٤٦ ، رقم ٣٣١ ، طبعة دار صادر ، بيروت ، فقال : أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله الفقيه الشافعي المعروف بالقفال المروزي . كان وحيد زمانه فقهاً وحفظاً وورعاً وزهداً . وله في مذهب الإمام الشافعي من الآثار ما ليس لغيره من أبناء عصره . وتخارجه كلها جيدة والزماته لازمة . (إلى أن قال) : وكان ابتداء اشتغاله بالعلم على كبر السن بعد ما أفنى شبابه في عمل الأفعال ، ولذلك قيل له : القفال . وكان ماهراً في عملها ، ويقال : إنّه لما شرع في التفقه كان عمره ثلاثين سنة ... إلى أن قال : وكانت وفاة القفال في بعض شهور سنة ٤١٧ وهو ابن تسعين سنة . ودُفِن بسجستان ، وقبره بها معروف يزار .

٣- جاء في «الوفيات» : ربعة ، لأرأسه .



فأمر السلطان بصيراً منّا بقراءة كتب أبي حنيفة، فوجدت الصلاة على ما حكاها القفال. فتمسك بمذهب الشافعي<sup>٢</sup>.  
ثم قال: يروي عنه عبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، وسابق

١- قال في الهامش: وأمر السلطان نصرانياً كاتباً يقرأ المذهبين جميعاً.  
٢- هذه القصة بتمامها وردت في «الوفيات» ج ٥، ص ١٨٠ و ١٨١، رقم ٧١٣، الطبعة المذكورة، ترجمة محمود بن سبكتكين، بنحو أكثر تفصيلاً مما نقله عنه مصنفنا صاحب «الروضات». ويبدو أنه ذكرها ملخصة. ففي «الوفيات»: وذكر إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني في كتابه «مغيث الخلق في اختيار الأحق» أن السلطان محمود كان على مذهب أبي حنيفة... وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه، وهو يسمع، فوقع في خلدته حكمة، فوقع الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الشافعي، وعلى مذهب أبي حنيفة، لينظر فيه السلطان، ويتفكر ويختار ما هو أحسنهما. فصلّى القفال المروزي بطهارة مسبعة وشرائط معتبرة من الطهارة والستر واستقبال القبلة. وأتى بالأركان والهيئات والسنن والآداب والفرائض على وجه الكمال والتمام، وقال: هذه صلاة لا يجوز الإمام الشافعي دونها. ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة، فلبس جلد كلب مدبوغاً، ولطخ ربهه بالنجاسة، وتوضأ بنبذ التمر. وكان في صميم الصيف في المغازة، واجتمع عليه الذباب والبعوض، وكان وضوءه منكساً منعكساً (أي: يغسل وجهه من الذقن إلى الجبهة، ويده من الكف إلى المرفق). وأحرم بالصلاة من غير نية في الوضوء... إلى آخر ما نقله صاحب «الروضات». فقال القفال: أيها السلطان! هذه صلاة أبي حنيفة! فقال السلطان: لو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة لقتلتك! لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين. فأنكرت الحنيفة أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة. فأمر القفال بإحضار كتب أبي حنيفة، وأمر السلطان نصرانياً كاتباً يقرأ المذهبين جميعاً. فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاها القفال. فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة، وتمسك بمذهب الشافعي - انتهى كلام إمام الحرمين: الجويني. وأنا أقول: انتهى كلام صاحب «الوفيات» ابن خلكان. أجل، إن ما ذكرناه هنا عن ابن خلكان، عن إمام الحرمين الجويني هو عين لفظه بلا أدنى تغيير في كتاب «مغيث الخلق في ترجيح القول الحق» في طبعه الأولى، المطبوع المصرية، ص ٥٧ إلى ٥٩.

ابن عبد الله ، وأبو يوسف ، وأبو نعيم المقرئ ، ومحمد بن الحسن الشيباني . له كتب منها مسندة - انتهى <sup>١</sup> .  
 ومراده بأبي يوسف المذكور هو القاضي أبو يوسف الفقيه المشهور المدفون في شرقيّ الصحن المطهر الكاظميّ من أرض بغداد . واسمه يعقوب بن إبراهيم بن حبيب ، وكان من علماء دولة الرشيد ، وله مكالمات مع مولانا الكاظم عليه السلام في مجلس الخليفة .  
 ومن طرائف أخباره بالنقل عن صاحب كتاب «المستطرف» أنه قال :  
 اختلف الرشيد وأمّ جعفر في الفالودج واللوزينج أيهما أطيب ؟ فحضر أبو يوسف القاضي ، فسأله الرشيد عن ذلك . فقال : يا أمير المؤمنين ! لا أقضي على غائب . فأحضرهما له ، فأكل حتى اكتفى . فقال له الرشيد : احكم بينهما ! فقال : اصطاح الخصمان (فلا نزاع بينهما) ، فضحك الرشيد ، وأمر له بألف دينار . فبلغ ذلك زبيدة أمّ ولده الأمين ، فأمرت له بألف دينار إلا ديناراً <sup>٢</sup> . وتوفي في سنة اثنتين وثمانين ومائة عن خمس وثمانين

١- ذكر ابن خلّكان هذا الكلام في «الوفيات» ج ٥ ، ص ٤٠٦ ، بلا اسم سابق بن عبد الله ، وأبي نعيم المقرئ .

٢- ذكر جار الله محمود الزمخشري في كتاب «ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» تحقيق سليم النعيمي ، ج ٤ ، ص ٩٨ و ٩٩ : بقي أبو يوسف على باب الرشيد حولاً ! لا يصل إليه حتى وقعت واقعة ، وهي أنّ الرشيد كان يهوى جارية لزبيدة ،\* وحلفت أن لا تتبعها إياه ولا تهبها . فأعضلت على الفقهاء الفتيا . فسأل الربيع \* أن يعلمه بمكانه ، ففعل . فقال : يا أمير المؤمنين ، أفتيك وحدك أم بحضرة الفقهاء ، ليكون الشكّ أبعد ، واليقين أقعد !! فأحضرها ، فقال : المخرج منها أن تهب لك نصفها وتبيعك نصفها . فصدّقه . ثم قال : أريد أن أطأها اليوم !\*\* فقال : اعتقها ، ثم تزوّجها ! فسري عنه ، وعظم أمره عنده .\*\*\*

\* - هي زبيدة ابنة جعفر زوجة هارون .

\*\* - هو الربيع بن يونس حاجب المنصور وهارون

سنة .

وأما محمّد بن الحسن الشيبانيّ البريء ، فهو أيضاً بمنزلة البيضة اليسرى للإمام الأعظم . وكان في الأصل دمشقياً . انتقل أبوه إلى العراق ، وسكن واسط ، فولده فيها . ثم نشأ في الكوفة إلى غاية أمره وتصدّر بقضاوة القضاة في عصره . وكان ابن خاله الفراء النحويّ ، وتوفي مع الكسائيّ المشهور في يوم واحد ، ودفنا في مكان واحد يدعى بقرية «رنبويه» من قرى مدينة الري . رجعنا إلى تنمّة أحوال صاحب الترجمة : أبي حنيفة ، فنقول :

وقال مولانا العلامة أعلى الله مقامه في كتاب «نهج الحقّ وكشف الصدق» : ذهبت الإماميّة إلى أنّ الخروج من صلاة يحصل إمّا بإكمال الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله أو التسليم لاغير . وقال أبو حنيفة : يخرج بالتسليم ، أو بالكلام ، أو بخروج الريح . وما أقبح المذهب الذي يؤدّي إلى أن الخروج من الصلاة بالريح ! لكن مثل الصلاة التي شرعها يصلح للخروج بمثل ما قاله . فإنّه ذهب إلى جواز أن يصلّي الإنسان في الدار المغصوبة على جلد كلب لا بساً جلد كلب ، وييده قطع من لحم كلب ، لأنّه يقبل الزكاة عنده . ثمّ يتوضأ بنبيد التمر المغصوب فيغسل رجليه أولاً ، ثمّ ينتهي إلى الوجه عكس ما ورد به القرآن . ثمّ يقوم وعليه نجاسة ظاهرة ، ثمّ يكبّر بالفارسيّة ، ثمّ يقرأ بالفارسيّة مُدْهَامَتَانِ لاغير ، ثمّ يطأ طئ رأسه

\*\*\* - إذا اشترى أحد أمةً فليصبر قرءاً للإستبراء والاطمئنان إلى عدم حملها، ولكن

هذا الشرط غير موجود في الحرّة.

\*\*\* - هذا الخير في «تاريخ بغداد» ج ١٤ ، ص ٢٥٠ و ٢٥١ ، في ترجمة أبي يوسف

يعقوب بن إبراهيم بتفصيل أكثر.

يسيراً جداً غير ذاك ولا مطمئن، ثم يهوي إلى السجود من غير رفع، ثم يحضر بئراً لينزل جبهته أو أنفه فيها من غير ذكر ولا طمأنينة، ولا رفع بينهما<sup>١</sup>.

ثم ينتهز إلى الثانية فيفعل مثل ذلك. ثم يقعد من غير تشهد بقدره، ثم يخرج ريحاً. فهل يحلّ لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر قبول هذه الصلاة، وكونه مأموراً بها؟! انتهى كلام العلامة الحلبي<sup>٢</sup>.

وقال صاحب «إلزام النواصب» فيما نقل عن كتابه المذكور عند ذكره لمذاهب أهل السنة وأنها أحدثوا أربعة مذاهب في زمن المنصور، وعملوا فيها بالرأي والقياس والاستحسان والاجتهاد: والسبب في إحداث هذه المذاهب أن الصادق عليه السلام اجتمع عليه أربعة آلاف راوٍ يأخذون عنه العلم. فخاف المنصور ميل الناس إليه، وأخذ الملك منه. فأمر أبا حنيفة ومالكاً بانعزال الصادق عليه السلام، وإحداث مذاهب غير مذهبه، وعملاً فيه بالرأي والاستحسان، والقياس، والاجتهاد.

١- لفظ العلامة في «نهج الحق وكشف الصدق» ص ٤٢٧، طبع دار الهجرة: وفي رواية: لا يجب الرفع مطلقاً بل لو حفر تحت جبهته حفرة حفظ جبهته إليها أجزاء عن السجود الثاني وإن لم يرفع رأسه.

٢- ما نقلناه هنا مذكور نصاً في كتاب «نهج الحق وكشف الصدق» ص ٤٢٩ و ٤٣٠، طبعة دار الهجرة، قم. ونقل في الهامش قصة إشكال إمام الحرمين أبي المعالي الجويني في كتاب «مغيث الخلق في اختيار الحق» على صلاة أبي حنيفة وقضية السلطان محمود سبكتكين والفقهاء المروزي مفضلاً كما نقلناها عن كتاب «وفيات الأعيان»، وأضاف: صحح كتاب «وفيات الأعيان» وحققه محمد محيي الدين عبد الحميد مقيّم العلوم الدينية والعربية بالجامع الأزهر، والمعاهد الدينية من غير تكبير في الطبعة الأولى المطبوع، طبعة السعادة، سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م. وذكرته بالألفاظ نفسها من طبعة أخرى بتحقيق الدكتور إحسان عباس.

ثم تابعهما الشافعي، وأحمد بن حنبل. واستقرت مذاهب السنة في الفروع على هذه الأربعة مذاهب. وبقيت الشيعة الإمامية على المذهب الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والتابعون - انتهى كلام «إلزام النواصب».

وقال إمامهم الغزالي: أجاز أبو حنيفة وضع الحديث على وفق مذهبه. قال يوسف بن أسباط: قال أبو حنيفة: لَوْ أَدْرَكَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَأَخَذَ بِكَثِيرٍ مِنْ قَوْلِي.<sup>١</sup> وفي «تاريخ بغداد»: قال شعبة: كَفَّ مِنْ تُرَابِ خَيْرٍ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ.<sup>٢</sup> قال الشافعي: نظرت في كتب أصحاب أبي حنيفة فإذا فيها مائة وثلاثون ورقة خلاف الكتاب والسنة.<sup>٣</sup>

١- ذكره في «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٠١، بهذا اللفظ: لَوْ أَدْرَكَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَدْرَكْتُهُ لَأَخَذَ بِكَثِيرٍ مِنْ قَوْلِي. هذا بسند، وبسند آخر: لَوْ أَدْرَكَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَدْرَكْتُهُ لَأَخَذَ بِكَثِيرٍ مِنْ قَوْلِي. وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الرَّأْيُ الْحَسَنُ؟! (في ص ٤٠٧). وذكرنا الحديثين معاً في هامش متقدم عن «ربيع الأبرار» وعن «تاريخ بغداد».

٢- «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٤٦، بسنده عن يحيى بن سعيد.

٣- هذا عين كلام صاحب «الروضات». إذ قال: قَالَ الشَّافِعِيُّ: نظرت في كتب أصحاب أبي حنيفة فإذا فيها مائة وثلاثون ورقة خلاف الكتاب والسنة («روضات الجنات» ج ٨، ص ١٧٢، الطبعة الحديثة، مطبعة مهر استوار، قم. أمّا في «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٣٧، فقد جاء بهذا اللفظ: أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: قال لي محمد بن إدريس منها ثمانين ورقة خلاف الكتاب والسنة. قال أبو محمد: لأن الأصل كان خطأ فصارت الفروع ماضية على الخطأ. ويلاحظ بون شاسع بين اللفظين. أجل، ومثل هذا القول عن الشافعي قول أبي بكر بن أبي داود: جميع ما روى أبو حنيفة من الحديث مائة وخمسون حديثاً أخطأ - أو قال: غلط - في نصفها. («تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٤٦).

قال سفيان ، ومالك ، وحماد ، والأوزاعي ، والشافعي : مَا وُلِدَ فِي

الإسلام أشأم من أبي حنيفة<sup>١</sup>.

قال مالك : كَانَتْ فِتْنَةٌ أَبِي حَنِيفَةَ أَضْرَّ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ فِتْنَةِ إِبْلِيسَ<sup>٢</sup>.

١- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٣٩٩ ، بسنده عن الفزاري ، عن سفيان والأوزاعي قالوا: ما ولد في الإسلام مولود أشأم على هذه الأمة من أبي حنيفة. وكان أبو حنيفة مُرجساً يرى السيف.

وفي ص ٤١٨ ، عن الفزاري قال: كُنَّا - وفي حديث ابن مهدي: كُنْتُ - عند سفيان الثوري إذ جاءه نعي أبي حنيفة. فقال: الحمد لله الذي أراح المسلمين منه. لقد كان ينقض عرى الإسلام عروة عروة. ما ولد في الإسلام مولود أشأم على أهل الإسلام منه. وفي ص ٤١٩ ، بسند آخر عن الفزاري قال: ما ولد في الإسلام مولود أشأم عليهم من أبي حنيفة. وفي قول الشافعي: ما ولد في الإسلام مولود شرُّ عليهم من أبي حنيفة. وأيضاً في ص ٤١٨ و ٤١٩ ، بسند آخر عن ثعلبة، عن سفيان قال: ما ولد في الإسلام مولود أشأم على أهل الإسلام منه.

وفي ص ٤٢٠ ، بسندين عن ابن عون، الأول عن عمر بن إسحاق عن ابن عون قال: ما ولد في الإسلام مولود أشأم من أبي حنيفة. الثاني عن عمرو بن قيس - شريك الربيع - عن ابن عون قال: ما ولد في الإسلام مولود أشأم من أبي حنيفة.

وفي ص ٤٢٢ ، بسنده عن مالك قال: ما ولد في الإسلام مولود أشأم من أبي حنيفة. ٢- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤١٥ ، بسنده عن إسحاق بن إبراهيم الحنيني قال: قال مالك: ما ولد في الإسلام مولود أضْرَّ على أهل الإسلام من أبي حنيفة، وكان يعيب الرأي ويقول: قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وقد تمّ هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن تتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وأصحابه ولا تتبع الرأي. وإنه متى أتبع الرأي جاء رجل آخر أقوى منك فاتبعته! فأنت كلما جاء رجل غلبك اتبعته، أرى هذا الأمر لا يتم.

وروى بسند آخر في ص ٤١٦ ، عن حبيب كاتب مالك بن أنس، عن مالك بن أنس قال: كانت فتنة أبي حنيفة أضْرَّ على هذه الأمة من فتنة إبليس من وجهين جميعاً: في الإرجاء وما وضع من نقض السنن.

وقال ابن مهدي : مَا فِتْنَةٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ الدَّجَالِ أَعْظَمَ مِنْ رَأْيِ أَبِي حَنِيفَةَ<sup>١</sup>.

وقال سيّدنا المحدث الشوشتريّ (السيد نعمة الله الجزائريّ) قدّس الله تعالى سرّه في كتاب مقاماته ، وهو في مقام تعديده لمناكير أهل السنّة والجماعة ، وتفريده يوجب فيهم القباحة والشناعة ، بعد ما شرح جملة من أقاويلهم الفاسدة وأباطيلهم الخارجة عن ترتيب القاعدة :

وأما الكرامات التي ظهرت من قبور أئمتهم الأربعة فهي أكثر من أن تُحصى . أعظمها الكرامات التي شاهدها الناس من قبر أبي حنيفة . وذلك أنّ السلطان الأعظم شاه عباس الأوّل لما فتح بغداد أمر بأن يجعل قبر أبي حنيفة كنيفاً ، وقد أوقف وقفاً شرعيّاً بغلتين ، وقد أمر بربطهما على رأس السوق حتّى أنّ كلّ من يريده موضعاً لقضاء الحاجة يركبهما ويمضي إلى قبر أبي حنيفة . وقد طلب خادم قبره يوماً ، فقال له : ما تخدم في هذا القبر وأبو حنيفة الآن في أسفل درك من الجحيم؟! فقال : إنّ في هذا القبر كلباً أسود دفنه جدك المرحوم شاه إسماعيل رحمه الله لما فتح بغداد قبلك . فأخرج عظام أبي حنيفة وجعل موضعها كلباً أسود . فأنا أخدم ذلك الكلب .

١- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤١٦ ، بسنده عن إسماعيل بن بشر قال: سمعتُ عبدالرحمن بن مهدي يقول: ما أعلم في الإسلام فتنة بعد فتنة الدجال أعظم من رأي أبي حنيفة . وفي ص ٤٢٢ أيضاً ، بسنده عن مالك بن أنس - وذكر أبا حنيفة - فقال: كاد الدّين كاد الدّين .

وروى أيضاً بسند آخر عن منصور بن أبي مزاحم قال: سمعتُ مالكا يقول: إنّ أبا حنيفة كاد الدّين ومن كاد الدّين فليس له دين .

ونقل بسند آخر عن مطرف قال: سمعتُ مالكا يقول: الداء العضال الهلاك في الدين وأبو حنيفة من الداء العضال .

وقد كان صادقاً في مقالته ، لأنّ المرحوم المرقوم فعل مثل هذا .  
ومن كراماته أنّ حاكم بغداد طلب علماء أهل السنّة وعبّادهم ، وقال لهم : كيف أنّ الرجل الأعمى إذا بات تحت قبة موسى بن جعفر عليهما السلام يرتدّ إليه بصره ، وأبو حنيفة مع أنّ الإمام الأعظم لم نسمع له بمثل هذه الكرامة؟! فأجابوه بأنّ هذا يصدر أيضاً من بركات أبي حنيفة ، فقال لهم : إنّي أحبّ أن أرى مثل هذا لأكون على بصيرةٍ من ديني . فأتوا رجلاً فقيراً وقالوا له : إنّنا نعطيك كذا وكذا من الدراهم والدنانير ، وقل : إنّي أعمى وامس متكئاً على العصا يومين أو ثلاثة ، ثمّ تبات ليلة الجمعة عند قبر الإمام ، فإذا أصبحت فقل : الحمد لله الذي ردّ عليّ بصري ببركات صاحب هذا القبر ، فقبل كلامهم .

ثمّ لمّا بات تلك الليلة تحت قبته أصبح بحمدالله وهو أعمى لا يبصر ، فصاح وقال : أيّها الناس حكايتي كذا وكذا وأنا رجل صاحب عيال وحرفة . فاتصل خبره بحاكم البلد ، فأرسل إليه ، فقصّ عليه قصّته واحتياهم عليه ، فالزمهم بما يحتاج إليه من المعاش مدّة حياته .

أجل ، لمّا كان الكلام يدور حول كرامات أبي حنيفة ، فمن المناسب - قبل ختام كلام صاحب «الروضات» (استطراداً) - أن نسرد أيضاً كرامة لأبي حنيفة . وهذه القصّة ثابتة . ويبدو أنّها من المسلّمات على ما نقله صديقنا الكريم الحاجّ أبو علي موسى محيي سلّمه الله الذي كان من سكنة الكاظميّة سابقاً ، وأخرج من العراق مع من أخرجتهم الحكومة العراقيّة من الشيعة قبل عدّة سنين .

نقل أنّ قروياً قصد الكاظميّة لزيارة الإمامين موسى بن جعفر ومحمّد الجواد عليهما السلام . وحين دخل بغداد سأل عن الطريق إلى



الكاظمية، فدلّوه. ولما كان مجيئه من جانب الرصافة،<sup>١</sup> فلا بدّ أن يمرّ على قبر أبي حنيفة.

ولما كان حديث عهد بالزيارة، ووصل إلى الأعظمية، ظنّ أنّ قبر أبي حنيفة هو قبر الكاظمين عليهما السلام، وأنّ ذلك المزار هو مزار الجوادين.

دخل القرويّ وبدأ بالزيارة، وقال في نفسه: أبأت هذه الليلة هنا عند الإمامين ساهراً حتى الصباح. ولما عسعس الليل، ووحان وقت غلق الأبواب كان المسؤول عن غلقها أعمى، فقام وصاح: هل بقي أحد؟ أريد أن أغلق الأبواب! قوموا واخرجوا! وعندما كان يصيح: اذهبوا! كان يدير عصاه يميناً وشمالاً لئلا يبقى أحد. وكان القرويّ عازماً على المبيت تلك الليلة، ففرّ من بين يديه بهدوء لئلا يفهم.

وحينما أيقن الأعمى من خلّو المكان أغلق الأبواب، ولقّ رأسه وذهب لينام.

وكان ذلك الرجل الأعمى يُجري في كلّ ليلة تمثيلية وحده. لهذا قام من فراشه في منتصف الليل، وذهب نحو الباب فدقّه، وهو نفسه قال: مَنْ؟! وأجاب أبو بكر.

قال الأعمى: تفضّل! فتح الباب وقال: سيّدنا أبو بكر، أهلاً وسهلاً بالصديق! أهلاً بصاحب رسول الله في الغار! أهلاً بوالد زوج النبي! أهلاً

١- المسافة بين بغداد والكاظمية المقدّسة تزيد على فرسخ. وطريقها المعروف المشهور يبدأ من غرب بغداد ويمرّ على مسجد براتنا ويصل إلى القبرين الشريفين. أمّا من جهة الرصافة الواقعة في الجانب الشرقيّ من بغداد فهناك طريق إلى الكاظمية أيضاً يعبر من دجلة ماراً من جانب قبر أبي حنيفة. وتسمّى تلك المنطقة بالأعظمية.

بالخليفة الأوّل! تفضّل استرح! ثمّ أغلق الباب.

وبعد هنيئة دقّ الباب ثانيةً، وقال نفسه: مَنْ؟! وأجاب: أنا عمر! ففتح له الباب، وقال: تفضّل. سيّدنا عمر، أهلاً وسهلاً بالفاروق! أهلاً بوالد زوج النبيّ! أهلاً بالخليفة الثاني! تفضّل استرح! سيّدنا أبو بكر هنا الآن.

وبعد هنيئة أيضاً دقّ الباب للمرّة الثالثة، وقال: مَنْ؟! وأجاب: أنا عثمان! ففتح له الباب، وقال: تفضّل! سيّدنا عثمان، أهلاً وسهلاً بذِي النوريين! أهلاً بصهر رسول الله! أهلاً بالخليفة الثالث! تفضّل استرح. هنا سيّدنا أبو بكر وسيّدنا عمر!

وبعد برهة قام ودقّ الباب، وقال: مَنْ؟! فأجاب بصوت ضعيف مرتعش: أنا عليّ! فقال الأعمى: اذهب! لا أحد هنا!

فعرّف القرويّ أنّ مجيئه إلى هذا المكان كان خطأً. فقام من ساعة ورفع عصاه الثقيلة، التي كان يتوكأ عليها وتحفظه من الكلاب، على ذلك الأعمى فضربه ضرباً مبرحاً حتّى شارف على الموت، وهو يقول له: ويلك! أذنت لتلك الكلاب الثلاثة بالدخول ولم تأذني لي.

ولمّا رأى القرويّ أنّ الأعمى قد أغمي عليه وسال الدم من جسمه، تركه وانصرف. فرأى منائر الجواذين عليهما السلام من بعيد. فعبّر الجسر متوجّهاً لزيارتها.

وفي اليوم الثاني قال في نفسه: أذهب لأرى خادم قبر أبي حنيفة! وأتحمّس من خبره! فرآه مضمّداً وعظامه مجبّرة، والناس تناثل عليه أفواجاً لتسمع معجزة الإمام عليّ عليه السلام من لسانه.

وكان يقسم لهم أيماناً مغلظة ويقول: والله العظيم سيّدنا عليّ كرم الله وجهه جاءني وضربني هذا الضرب الشديد. وإنّي لمستحقّ لهذا

الضرب . أنا إنسان سوء (وكان يكرّر هذه الكلمات) أيها الناس اعلموا أنني  
توسّلتُ به كثيراً والتمسته ملحاً حتّى تركني !

انتهت هذه القصّة الثابتة المشهورة المنقولة عن صديقنا الكريم .  
ونعود الآن إلى أصل الموضوع . قال صاحب «الروضات» : وذكره (السيد  
نعمة الله الجزائريّ ذكر أبا حنيفة) أيضاً في مواضع أُخر منه ومن سائر  
مصنّفاته باعتبارات مختلفة ، منها في كتاب «مقاماته» وهو في مقام بيان  
حسن التورية في التقيّة ، ووجوده التخلّص من مكائد أهل السنّة حيث قال :  
وما أحسن ما تخلّص صاحب لي من شرّهم . وذلك أنّه كان يتوضّأ ، فلمّا  
مسح رجليه نظر فإذا واحد من طعاتهم فوق رأسه ، فبادر إلى غسل رجليه ،  
فقال له : كيف مسحتَ أولاً وغسلتَ ثانياً ؟ فقال : نعم يا مولانا ! هذه  
المسألة من مسائل الخلاف بين الله سبحانه وبين مولانا أبي حنيفة . قال الله  
تعالى : **وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** <sup>١</sup> . وقال أبو حنيفة :  
**يَجِبُ غَسْلُ الرَّجْلَيْنِ** . فمسحتُ خوفاً من الله ، وغسلتُ خوفاً من السلطان .  
فضحك الرجل وخلّى عنه .

قلتُ : وليس ضحك هذا الرجل من مناقضة حكم إمامه حكم الله  
تعالى بعجيب . بل كلّ من تأمّل في كيفيّة اتّباعه الهوى ، والتخمين في  
أحكامه وفتاويه ، واختراعه الأحكام من قبل نفسه ، وعلى حسب ما  
تقتضيه مصلحة وقته وتستدعيه . يضحك مدّة حياته وإن كان حزيناً ،  
ويبكي على خطر هذا المحنة الكبرى والبلية العظمى .

ومنها أنّه قال في ذيل مسألة الجبر والتفويض من كتابه «المقامات» :  
ومّا يناسب المقام أنّي سألتُ يوماً عن مذهب الشيطان لأنّه أعلم من أئمة

١- الآية ٦ ، من السورة ٥ : المائدة .

الجمهور ، فكيف لا يكون له مذهب ؟! فقلتُ : الذي اطلعتُ عليه من تفسير القرآن أنه أشعريّ الأصول ، حنفيّ الفروع .

أما الأوّل ، فلقوله : **فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمِ** ،<sup>١</sup> فنسب الغواية وحملها على حبه ، كما فعلته الأشاعرة .

وأما الثاني ، فمن جهة عمله بالقياس لما أبى عن السجود وقوله : **خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** ،<sup>٢</sup> حيث قايِس بين العنصرين ، وزعم أنّ عنصره الأشرف ، فكيف يسجد لمن هو تحته في الفضل .

ولهذا قال عليه السلام : **لَا تَقَيْسُوا ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسُ !** لکنه فضّل على القوم بأنّه استدلّ بقياس الأولويّة ، وهم يستدلّون بالمساواة وما في معناه .

ومنها ما ذكره في بيان ما تعلق بأمر الحمل والولادة من كتابه «الأنوار» فقال : **وذهب مخالفونا إلى أنّ مدّة الحمل قد تكون أربع سنين ، وذلك محمّد بن إدريس الشافعيّ قد سافر أبوه عن أمّه وبقي مدّة كثيرة . فولدت الشافعيّ وأتت به بعد خمس سنين من سفر أبيه . فلما بلغ الشافعيّ وفهم الحكاية ذهب إلى مدّة الحمل قد تكون خمس سنين سترأ على ما صنعه أمّه في غيبة أبيه .**

وقد نقل هذا جمهور المخالفين . ولما كان من الأمور الغربية والكرامات العجيبة وباعثاً لاتّهام الروافض ، ذكروا لها علّة حاصلها أنّ محمّد بن إدريس الشافعيّ إنّما بقي في بطن أمّه هذه المدّة الكثيرة لأنّ أبا حنيفة كان حيّاً في الدنيا ، وكان الناس يستضيئون بأنوار قياساته ،

١- الآية ١٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢- الآية ٧٦ ، من السورة ٣٨ : ص .

فاستحى الإمام الشافعي أن يخرج إلى الدنيا وفيها الإمام المعظم أبو حنيفة .  
فلما مات أبو حنيفة ، وأعلم الله الشافعي بموته خرج من بطن أمه .  
فانظر إلى سرّ هذه القبائح ، وإلى الإمام الشافعي كيف انفراد بهذه  
الفضيلة دون سائر مخلوقات الله سبحانه وتعالى؟! ولعمرك إنهم لو قالوا:  
ولد جار أبيه ، لكان أولى من هذه التكاليفات ، كما ذكروه في النسب  
الشريف للخليفة الثاني - انتهى كلام صاحب «الأنوار» .

وقال صاحب «منتهى المقال» بعد نقله لعبارة رجل شيخنا الطوسي  
المتقدمة في حق الرجل . أقول : هذا أحد أئمة القوم ، بل هو إمامهم الأعم ،  
وشيخهم الأقدم . قال أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي في كتابه  
الموسوم «بالمخول في علم الأصول» ما لفظه :

فَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ فَقَدْ قَلَّبَ الشَّرِيعَةَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، وَشَوَّشَ مَسَلَكَهَا ،  
وَعَبَّرَ نِظَامَهَا ، وَأَرْدَفَ جَمِيعَ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ بِأَصْلِ هَدَمٍ بِهِ شَرَعَ مُحَمَّدٌ  
الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَمَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ هَذَا مُسْتَحِلًّا كَفَرَ ، وَمَنْ  
فَعَلَهُ غَيْرَ مُسْتَحِلًّا فَسَقَ - ثُمَّ أَطَالَ الْكَلَامَ فِي طَعْنِهِ وَتَفْسِيحِهِ .

وأما ابن الجوزي الحنبلي ، فنسب إليه في تاريخه المسمى بـ  
«المُنتَظَم» ما هو أفضع من ذلك وأعظم . قال في جملة كلامه : وبعد هذا  
فاتفق الكل على الطعن فيه ، ثم انقسموا إلى ثلاثة أقسام . فقوم طعنوا فيه  
بما يرجع إلى العقائد وكلام في الأصول . وقوم طعنوا في روايته وقلة حفظه  
وضبطه . وقوم طعنوا فيه لقوله بالرأي فيما يخالف الأحاديث الصحاح . ثم  
قال بعد كلام طويل :

أخبرنا عبد الرحمن الفرّار عن أبي إسحاق الفزاري قال : سألت  
أبا حنيفة عن مسألة ، فأجاب فيها . فقلتُ : إنّه يُروى عن النبيّ صَلَّى اللهُ

عليه وآله وكذا . فقال : **حُكُّ هَذَا بِذَنْبِ الْخَنْزِيرِ** <sup>١</sup> .  
وعن عبد الرحمن بن محمد ، عن أبي بكر بن الأسود قال : قلت لأبي  
حنيفة : روى نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال :  
**الْبَيْعَانُ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَفْتَرِقَا . قَالَ : هَذَا رَجَزٌ** <sup>٢</sup> .  
وذُكِرَ حديثاً آخر عنه صلى الله عليه وآله فقال : **هَذَا هَدْيَانٌ** <sup>٣</sup> .  
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد عن عبد الصمد ، عن أبي قال : ذِكِرَ  
لأبي حنيفة قول النبي صلى الله عليه وآله : **أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ ،**  
**فَقَالَ : هَذَا سَجْعٌ** <sup>٤</sup> .

ثم ذكر من هذا القبيل قريب نصف كراسة . قال صاحب «منتهى  
المقال» ففتح الله أقواماً يتركون أهل بيت أذن الله أن يُرْفَعَ ويُذَكَرَ فيه  
اسمه ، ويعتقدون بهذا وأشباهه - انتهى .  
ومن جملة ما ينسب إليه من الأشعار ، وهو صادق فيما أخبر به فيه  
من مثل نفسه الغدّارة :

**أُخْرِبُ دِينِي كُلَّ يَوْمٍ وَأَزْتَجِي**  
**عِمَارَةَ دُنْيَائِي وَدُنْيَايَ أُخْرِبُ**  
**فَهَا أَنَا ذَا بَيْنَ الْحِمَارَيْنِ رَاجِلٌ**  
**فَلَاتِ الدِّينُ مَغْمُورٌ وَلَا الْعَيْشُ أَطْيَبُ** <sup>٥</sup>

١- نقل الخطيب هذه الرواية في «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٠١ ، مع كلام لأبي حنيفة  
يُشْبِهُ هذا الكلام .

٢- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٠٣ . وذكره أيضاً بسند آخر في ص ٤٠٥ .

٣- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٠٣ .

٤- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٠٤ .

٥- «روضات الجنّات» ج ٤ ، ص ٢٢٤ إلى ٢٢٨ ، الطبعة الحجرية الرحلية ، وفي ج ٨ ،

وتحدّث الحافظ أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغدادي المتوفّي سنة ٤٦٣ هـ عن أبي حنيفة بالتفصيل في الجزء الثالث عشر من كتابه المعروف «تاريخ بغداد» في مائة وإحدى وثلاثين صفحة ، ص ٣٢٣ إلى ٤٥٤ . وذكر جميع ما نُقل عنه من مناقب وفضائل أو مساوئ وسيئات ومثالب بأسناده المتسلسلة المسندة ، وقال :

قال الخطيب : وقد سقنا عن أيّوب السخيتانيّ ، وسفيان الثوريّ ، وسفيان بن عيينة ، وأبي بكر بن عتيّاش ، وغيرهم من الأئمة أخباراً كثيرة تتضمّن تقرّيب أبي حنيفة والمدح له ، والثناء عليه . والمحفوظ عند نقله الحديث عن الأئمة المتقدّمين وهؤلاء المذكورين منهم في أبي حنيفة خلاف ذلك ، وكلامهم فيه كثير لأُمور شنيعة حفظت عليه ، متعلّق بعضها بأصول الديانات ، وبعضها بالفروع . نحن ذاكروها بمشيئة الله ، ومعتذرون على من وقف عليها وكره سماعها ، بأنّ أبا حنيفة عندنا مع جلالته قدره أسوة غيره من العلماء الذين دوّننا ذكرهم في هذا الكتاب ، وأوردنا أخبارهم ، وحكيّا أقوال الناس فيهم على تباينها ، وَاللّهُ الْمُؤَفِّقُ لِلصَّوَابِ . ثمّ ذكر الخطيب (٦٦) مورداً حول انحراف أبي حنيفة في العقيدة والفتوى ، ص ٣٧٠ إلى ٣٩٥ ، و(١٣٧) مورداً في أفعاله وأقواله الشنيعة ، ص ٣٩٩ إلى ٤٤٨ .

ونورد هنا من مجموع (٢٠٣) مورد أحصاها أربعين<sup>١</sup> مورداً فحسب غير مكرّرة مع المطالب السابقة ، وهي على درجة كبيرة من الأهميّة بحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

ص ١٦٧ ، إلى ١٧٦ من الطبعة الحديثة لدار المعرفة .

١- بلغ عدد الموارد المذكورة واحداً وأربعين مورداً .

روى الخطيب أولاً بسنده عن يزيد بن هارون أنه ذكر أبا حنيفة فقال: أبو حنيفة رجل من الناس خطأ كخطأ الناس، وصوابه كصواب الناس.

وبسند آخر عن محمد بن سلم الخثلي قال: أملى علينا أبو العباس أحمد بن علي بن مسلم الأبار في شهر جمادى الآخرة من سنة ٢٨٨، قال: ذكر القوم الذين ردوا على أبي حنيفة: أيوب السختياني، وجريز بن حازم، همام بن يحيى، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وأبو عوانة، وعبد الوارث، وسوار العنبري القاضي، ويزيد بن زريع، وعلي بن عاصم، ومالك بن أنس، و«جعفر بن محمد»، وعمر بن قيس، وأبو عبد الرحمن المقرئ، وسعيد بن عبد العزيز، والأوزاعي، وعبد الله بن المبارك، وأبو إسحاق الفزاري، ويوسف بن أسباط، ومحمد بن جابر، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وحماد بن أبي سليمان، وابن أبي ليلى، وحفص بن غياث، وأبو بكر بن عياش، وشرك بن عبد الله، ووكيع بن الجراح، ورقبة بن مصقلة، والفضل بن موسى، وعيسى بن يونس، والحجاج بن أرطاة، ومالك بن مغول، والقاسم بن حبيب، وابن شبرمة<sup>١</sup>.  
أما الموارد التي اخترناها من تاريخ الخطيب، فهي كما يأتي:

**الأول:** قال الحارث بن عمير: وسمعت (أبا حنيفة) يقول: لو أن شاهدين شهدا عند قاضٍ أن فلان بن فلان طلق امرأته. وعلمنا جميعاً أنّهما شهدا بالزور، ففرّق القاضي بينهما. ثمّ لقيها أحد الشاهدين، فله أن يتزوج بها؟! قال: نعم! ثمّ علم القاضي بعد، ألّه أن يفرّق بينهما؟! قال:

١- «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٣٧٠ و ٣٧١.



١. لا

الثاني: بسنده عن إسماعيل بن عيسى بن عليّ قال: قال لي شريك: كفر أبو حنيفة بآيتين من كتاب الله تعالى.

قال الله تعالى: وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ.<sup>٢</sup> وقال الله تعالى: لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ.<sup>٣</sup>

وزعم أبو حنيفة أنّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وزعم أنّ الصلاة ليست من دين الله.<sup>٤</sup>

الثالث: بسنده عن عبد الرحمن بن الحكم بن شتر بن سلمان بن أبيه - أو غيره وأكبر ظنّي أنه غير أبيه - قال: كنت عند حمّاد بن أبي سليمان إذا أقبل أبو حنيفة. فلما رآه حمّاد، قال: لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا، إن سلّم فلا تردّوا عليه! وإن جلس فلا توسّعوا له! فجاء أبو حنيفة فجلس. فتكلّم حمّاد بشيء، فردّه عليه أبو حنيفة. فأخذ حمّاداً من حصي فرى به.<sup>٥</sup>

الرابع: بسنده عن شريك بن عبد الله قاضي الكوفة أنّ أبا حنيفة استتيب من الزندقة مرّتين<sup>٦</sup>. وقيل لشريك: ممّا استتبتم أبا حنيفة؟! قال: من الكفر.<sup>٧</sup> وكان سفيان الثوريّ يقول: استتيب أبو حنيفة من الكفر مرّتين.<sup>٨</sup> وقال يعقوب: مراراً.<sup>٩</sup> وقال سفيان الثوريّ: مراراً.<sup>١٠</sup> وقال

١- «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٣٧٣.

٢- الآية ٥، من السورة ٩٨: البينة.

٣- الآية ٤، من السورة ٤٨: الفتح.

٤- «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٣٧٦.

٥- «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٣٨٨.

٦ إلى... «تاريخ بغداد» ص ٣٩١ إلى ٣٩٣.

سفيان بن عيينة : ثلاث مرّات .<sup>١</sup> وقال محمد بن عبد الله الشافعي : سمعتُ جعفر بن شاعر يقول : إنّ ابن السنديّ روى عن عبد الله بن إدريس أنّه كان يقول : استتيب أبو حنيفة مرّتين . ويقول : كَذَّابٌ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِيْمَانَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ .<sup>٢</sup>

**الخامس :** بسنده عن أبي بكر بن أبي داود السجستانيّ أنّه قال يوماً لأصحابه : ما تقولون في مسألة اتّفق عليها مالك وأصحابه ، والشافعيّ وأصحابه ، والأوزاعيّ وأصحابه ، والحسن بن صالح وأصحابه ، وسفيان الثوريّ وأصحابه ، وأحمد بن حنبل وأصحابه ؟! فقالوا له : يا أبا بكر لا تكون مسألة أصحّ من هذه ! فقال : هؤلاء كلّهم اتّفقوا على تضليل أبي حنيفة .<sup>٣</sup>

**السادس :** بسنده عن أبي مطيع قال : سمعت أبا حنيفة يقول : إنّ كانت الجنة والنار خلقتا فإتھما تفنيان . قال أبو مطيع : وكذب والله . قال السراج وكذب والله . قال النجاد : وكذب والله ، قال الله تعالى : **أَكُلْهَا دَائِمٌ** .<sup>٤</sup> قال ابن الفضل : وكذب والله .<sup>٥</sup>

**السابع :** بسنده عن أبي إسحاق الفزاريّ قال : كنتُ آتي أبا حنيفة أسأله عن الشيء من أمر الغزو . فسألته عن مسألة فأجاب فيها . فقلتُ له : إنّهُ يُروى فيها عن النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كذا وكذا . قال : **دَعْنَا مِنْ هَذَا** .<sup>٦</sup>

٢- «تاريخ بغداد» ص ٣٩١ إلى ٣٩٣ .

٣- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٩٤ و ٤٩٥ .

٤- الآية ٣٥ ، من السورة ١٣ : الرعد .

٥- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٣٩٩ و ٤٠٠ .

٦- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٠١ .

وبسنده عن علي بن عاصم قال : حدّثنا أبا حنيفة بحديث عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم ، فقال : لَا أَخْذُ بِهِ . فقلتُ : عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم ! قال : لَا أَخْذُ بِهِ <sup>١</sup> .

الثامن : بسنده عن يحيى بن آدم قال : ذُكر لأبي حنيفة هذا الحديث أنّ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم قال : الوُضوءُ نِصْفُ الإِيْمَانِ . قال : لتتوضأ مرتين حتى تستكمل الإيمان .

قال إسحاق : فقال يحيى بن آدم : الوضوء نصف الإيمان ، يعني نصف الصلاة ، لأنّ الله تعالى سمى الصلاة إيماناً ، فقال : وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ <sup>٢</sup> ، يعني صلاتكم .

قال النبي : لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ إِلَّا بِطَهُورٍ . فالطهور نصف الإيمان على هذا المعنى ، إذ كانت الصلاة لاتتمّ إلّا به .

قال أبو عبد الله : قال إسحاق : قال يحيى بن آدم : ذُكر لأبي حنيفة قول من قال : لَا أَدْرِي نِصْفُ الْعِلْمِ . قال : فليقل مرتين : لا أدري ، حتى يستكمل العلم .

قال يحيى : وتفسير قوله : لَا أَدْرِي نِصْفُ الْعِلْمِ ، لأنّ العلم إنّما هو أَدْرِي وَلَا أَدْرِي . فأحدهما نصف الآخر <sup>٣</sup> .

التاسع : بسنده عن وكيع قال : سأل ابن المبارك أبا حنيفة عن رفع اليدين في الركوع . فقال أبو حنيفة : يريد أن يطير فيرفعه يديه ؟! قال

١- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٠٢ .

٢- الآية ١٤٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣- هذه الرواية من الروايات الصحيحة عند جميع العامة ، فلهذا أجزم المعلق في

الهامش عن ذكر وجه الضعف . وجاءت في «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٠٤ .

وكيع : وكان ابن المبارك رجلاً عاقلاً ، فقال ابن المبارك : **إِنْ كَانَ طَارَ فِي الْأُولَى فَإِنَّهُ يَطِيرُ فِي الثَّانِيَةِ** . فسكت أبو حنيفة ولم يقل شيئاً<sup>١</sup> .

**العاشر** : نقل بسنده عن مؤمل قال : سمعتُ حمّاد بن سَلِمَةَ يقول

- وذكر أبا حنيفة - : **إِنَّ أبا حنيفة استقبل الآثار والسنن فردّها برأيه**<sup>٢</sup> .

**الحادي عشر** : روى بسنده عن بشر بن السريّ قال : أتيت أبا عوانة

فقلتُ له : بلغني أنّ عندك كتاباً لأبي حنيفة أخرجه ! فقال : يا بُنَيَّ ! ذكّرني

! فقام إلى صندوق له فاستخرج كتاباً . فقطّعه قطعةً قطعةً فرمى به . فقلتُ : ما

حملك على ما صنعت ؟

قال : كنتُ عند أبي حنيفة جالساً فأتاه رسول بعجلة من قبل السلطان

كأنّما قد حموا الحديد وأرادوا أن يقلّدوه الأمر . فقال : يقول الأمير : **رَجُلٌ**

**سَرَقَ وَدِيّاً فَمَا تَرَى ؟**<sup>٣</sup>

١- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٠٦ .

٢- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٠٨ .

٣- جاء في لفظ «تاريخ بغداد» المطبوع: **وَدِيّاً** بسكون الدال . ولا جرم أنّ هذا خطأ ، لأنّ **الْوَدِيّ** في اللغة هو الماء الأبيض الذي يخرج من الرجل بعد البول . وأمّا **الْوَدِيّ** فهو فسيل النخل الذي ينقل من مكان إلى آخر لغرسه . ففي «تاج العروس» ج ١٠ ، ص ٣٨٧ ، و«لسان العرب» ج ١٥ ، ص ٣٨٦ ، و«صحاح اللغة» ج ٢ ، ص ٥٦١ بالترتيب: **الْوَدِيّ (كغنيّ صِغَارُ الفَسِيلِ ، الواحِدَةُ كَغَنِيَّةٍ) . وَالْوَدِيّ عَلَى فَعِيلٍ : فَسِيلُ النَّخْلِ وَصِغَارُهُ ، وَاحِدَتُهَا وَدِيَّةٌ .** وذكره ابن الأثير في «النهاية» ج ٥ ، ص ١٧٠ ، بهذا المعنى وقال : ومنه حديث أبي هريرة **«لم يشغلني عن النبيّ صلّى الله عليه [وأله] وسلّم غرسُ الوديّ . وقد تكرّر في الحديث .**

وروى أبو داود في سننه (تصحيح محمّد محيي الدين عبدالحميد، ج ٤ ، ص ١٣٦

و١٣٧) عن عبدالله بن مسلمة ، عن مالك بن أنس ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمّد بن يحيى بن حبان أنّ عبداً سرق وديّاً من حائط رجل فغرسه في حائط سيّده ، فخرج صاحب الوديّ

فقال - غير متتع - إن كانت قيمته عشرة دراهم فاقطعوه ! فذهب الرجل . قلتُ : يا أبا حنيفة أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ !

حدّثني يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن رافع بن خديج أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال : لَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثْرٍ . أَدْرِكِ الرَّجُلَ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ .

فقال - غير متتع - ذَاكَ حُكْمٌ قَدْ مَضَى فَانْتَهَى ! وقد قُطِعَ الرَّجُلُ . فهذا ما يكون له عندي كتاب <sup>١</sup> .

**الثاني عشر:** روى بسنده عن أبي عاصم ، عن أبي عوانة قال : كنتُ عند أبي حنيفة ، فسأله رجل عن رجل سرق ودياً . فقال : عليه القُطْع . قال : فقلتُ له : حدّثني يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن رافع ابن خديج قال : قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : لَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثْرٍ <sup>٢</sup> .

يلتمس وديّه، فوجده، فاستعدى على العبد مروان بن الحكم وهو أمير المدينة يومئذٍ، فسجن مروان العبد، وأراد قطع يده، فانطلق سيّد العبد إلى رافع بن خديج، فسأله عن ذلك، فأخبره أنّه سمع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: لَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثْرٍ . فقال الرجل: إنّ مروان أخذ غلامي وهو يريد قطع يده وأنا أحب أن تمشي معي إليه فتخبره بالذي سمعت من رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ! فمشى معه رافع بن خديج حتّى أتى مروان بن الحكم فقال له رافع: سمعت ... يقول: لَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثْرٍ . فأمر مروان بالعبد، فأرسل . قال أبو داود: الكَثْرُ: الجُمَارُ . والجُمَارُ والجامور كما جاء في «أقرب الموارد» هو شَحْم النخل (مادّة بيضاء في أسفل جذع النخلة يؤكل كالشحم . وهو غير الجُمَارِي والجُمَارِي وهو مادّة بيضاء ليّنة لذيدة الطعم كالحليب المتجمّد تكون في رأس النخلة، ويؤكل أيضاً). وقال في «مجمع البحرين» في الحديث: لَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثْرٍ بفتحتين وسكون الناء: جَمَار النخل . وقيل: طلعه .

١- «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٠٨ .

٢- قال آية الله الشيخ محمد حسن صاحب «الجواهر» في ج ٤١، ص ٤٩٨، من هذا

قال: أَيُّشُ تَقُولُ:

قلتُ: نعم! قال: ما بلغني هذا!

قلتُ: الرجل الذي أفتيته فردّه! قال: دَعُهُ! فَقَدْ جَرَتْ بِهِ الْبِغَالُ

الشُّهُبُ. ١

قال أبو عاصم: أَخَافُ أَنْ تَكُونَ جُرْتِ بِلِحْمِهِ وَدَمِهِ! ٢

الثالث عشر: نقل بسنده عن علي بن صالح البغوي قال: أنشدني أبو

عبد الله محمد بن زيد الواسطي لأحمد بن المعدل:

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةَ الَّذِي حَدَّثْتَنِي

فَعَلَيْكَ إِثْمُ أَبِي حَنِيفَةَ أَوْ زُفَرُ

الْمَائِلِينَ إِلَى الْقِيَّاسِ تَعَمُّدًا

وَالرَّاغِبِينَ عَنِ التَّمَسُّكِ بِالْخَبَرِ ٣

الرابع عشر: قال الخطيب: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا محمد بن

الكتاب المطبوع طبعة حديثة، وزيري: نعم في الطير وحجارة الرخام رواية من طرقنا بسقوط الحدّ، لكنّها ضعيفة لا عامل بها، وهي رواية السكوني \* عن الصادق عليه السلام أنّه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: لَا قَطْعَ عَلَى مَنْ سَرَقَ الْحِجَارَةَ. يعني الرُّخَامَ وأشباه ذلك. وقال صلى الله عليه وآله: \* لَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثْرٍ. والكثْرُ شحم النخل. أقول: القول القويّ الثقة برواية السكوني والعمل بها.

\* و \* \* - «وسائل الشيعة» الباب ٢٣، من أبواب حدّ السرقة - الحديث.

١- الأشهب ومؤنّته شهباء بياض يتخلّله سواد. وهو مرغوب في الفرس والبغل. لهذا قال أبو حنيفة: جرت به البغال الشهب. يبدو أنّ الذي كان يقيم عليه الحدّ يومذاك، يؤخذ إلى محلّ الحدّ راكباً البغل الأشهب.

٢- «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٠٩.

٣- «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤١١ و ٤١٢.

أحمد بن الحسن الصوّاف ، حدّثنا بشر بن موسى ، حدّثنا الحميديّ ، حدّثنا سفيان عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لَمْ يَزَلْ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعْتَدِلًا حَتَّى ظَهَرَ فِيهِمُ الْمُؤَلَّدُونَ ، أَبْنَاءُ سَبَايَا الْأُمَمِ ، فَقَالُوا فِيهِمْ بِالرَّأْيِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا .

قال سفيان : ولم يزل أمر الناس معتدلاً حتى غيّر ذلك أبو حنيفة بالكوفة ، و [عثمان] البتّي بالبصرة ، وربيعة [بن أبي عبد الرحمن] بالمدينة ، فنظرنا فوجدناهم من أبناء سبايا الأمم .<sup>١</sup>

الخامس عشر: روى بسنده عن حمّدويه قال : قلت لمحمّد بن مسّلمة : ما لرأي النعمان دخل البلدان كلّها إلا المدينة ؟

قال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال : لا يدخُلها الدجّال ولا الطّاعون . وهو جال من الدجاجة .<sup>٢</sup>

السادس عشر: روى بسنده عن أبي صالح الأسديّ قال : سمعتُ شريكاً يقول : لأنّ يكون في كلّ حيٍّ من الأحياء خمارٌ خيرٌ من أن يكون فيه رجلٌ من أصحاب أبي حنيفة .<sup>٣</sup>

وروى بسند آخر عن منصور بن أبي مزاحم قال : سمعتُ شريكاً بن عبد الله يقول : لو أنّ في كلّ ربعٍ من أرباع الكوفة خمارٌ يبيع الخمر كان

١- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤١٣ و ٤١٤ . نقل الخطيب البغداديّ هذا الخبر عن أبي نعيم الحافظ الإصفهانيّ بلا واسطة ، لأنّهما متعاصران . مات الخطيب سنة ٤٤٩ ، ومات أبو نعيم سنة ٤٣٠ . كان أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهانيّ من أعظم الرواة ومن مشايخ العامة وموثقيهم . وكتابه «حلية الأولياء» مصدر لجميع المحقّقين من أجل نقل المطالب الموثوق بها والمعتمدة عند أهل الخبرة والدراية . قال الحافظ الذهبيّ فيه : أخذ كتاب «الحلية» إلى نيسابور في عصر المصنّف نفسه وبيع بأربعمائة دينار .

٢ و... «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤١٥ .

خَيْرًا مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَنْ يَقُولُ بِقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ<sup>١</sup>.

السابع عشر: روى بسنده عن الأسود بن عامر، عن شريك قال: إنَّما كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ جَرَبًا<sup>٢</sup>.

الثامن عشر: روى بسنده عن ابن أبي سريج قال: سمعتُ الشافعي يقول: سمعتُ مالك بن أنس - وقيل له: تعرف أبا حنيفة - فقال: نعم! ما ظنَّكم برجلٍ لو قال: هذه السارية من ذهب لقام دونها حتَّى يجعلها من ذهب، وهي من خشب أو حجارة!؟  
قال أبو محمّد: يعني أنّه كان يثبت على الخطأ ويحتجّ دونه، ولا يرجع إلى الصواب إذا بان له<sup>٣</sup>.  
وذكر الخطيب صدر هذه الرواية عن الشافعي، عن مالك بسند آخر في بيان فقه أبي حنيفة<sup>٤</sup>.

التاسع عشر: روى بسنده الصحيح عن أبي بلال الأشعريّ قال: سمعتُ أبا يوسف القاضي يقول: كُنَّا عند هارون أنا، وشريك، وإبراهيم بن أبي يحيى، وحفص بن غياث. قال: فسأل هارون عن مسألة.  
فقال إبراهيم بن أبي يحيى: حدّثنا صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم.  
قال: وقال شريك: حدّثنا أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون قال: قال عمر بن الخطّاب. وقال حفص: حدّثنا الأعمش عن إبراهيم، عن علقمة قال: قال عبد الله.

١- «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤١٧.

٢- «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤١٧.

٣- «تاريخ بغداد» ص ٤٢١.

٤- «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٣٣٧ و ٣٣٨.



قال : وقال (هارون) لي أنا : ما تقول أنت ؟  
 قال : قلتُ قال أبو حنيفة . قال :  
 فقال (هارون) خَاكَ بِسْرَ .  
 قال الخطيب : قُلْتُ : تَفْسِيرُهُ تُرَابٌ عَلَي رَأْسِكَ ١ .  
 والملفت للنظر هنا أنّ هارون قال : «خاكِ بِسْرَ» بالفارسيّة ، وفسرها  
 الخطيب بالعربيّة .

العشرون : روى بسنده عن عبد الله بن المبارك قال :  
 مَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ الْحَيْلِ لِأَبِي حَنِيفَةَ أَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَحَرَّمَ مَا أَحَلَّ  
 اللَّهُ ٢ .

ومن هنا يتبين أنّ أبا حنيفة الذي أراد في هذا الكتاب أن يستعمل  
 الحيل الشرعيّة حسب اعتقاده قد ابتعد عن الحقيقة بنحو تتغير فيه أحكام  
 الله .

كما روى الخطيب بسنده عن أحمد بن سعيد الدارمي أنّه قال :  
 سمعتُ النضر بن شُمَيْل يقول : فِي كِتَابِ الْحَيْلِ كَذَا كَذَا مَسْأَلَةٌ كُلُّهَا كُفْرٌ ٣ .  
 وروى بسنده عن أبي إسحاق الطالقاني قال : سمعتُ عبد الله بن  
 المبارك يقول : مَنْ كَانَ عِنْدَهُ كِتَابُ حَيْلِ أَبِي حَنِيفَةَ يَسْتَعْمِلُهُ - أَوْ يُفْنِي بِهِ -  
 فَقَدْ بَطَلَ حُجَّه ، وَبَانَتْ مِنْهُ امْرَأَتُهُ .

فقال مولى ابن المبارك : يا أبا عبد الرحمن ! ما أدري وضع كتاب  
 الحيل إلاّ شيطان ! فقال ابن المبارك : الذي وضع كتاب الحيل أشرّ من

١- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٢٢ و ٤٢٣ .

٢- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٢٦ .

٣ و... «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٢٧ .

الشيطان .<sup>١</sup>

وروى بسنده أيضاً عن زكريّا بن سهل المروزيّ قال : سمعتُ أبا إسحاق الطالقانيّ يقول : سمعتُ المبارك يقول :

مَنْ كَانَ كِتَابَ الْحَيْلِ فِي بَيْتِهِ يُقْتَبَى بِهِ أَوْ يَعْمَلُ بِمَا فِيهِ فَهُوَ كَافِرٌ بَانَتِ امْرَأَتُهُ وَبَطَلَ حُجُّهُ .

قال : فقيل له : إنّ في هذا الكتاب إذا أرادت المرأة أن تختلع من زوجها ارتدت عن الإسلام حتى تبين ، ثم تراجع الإسلام .

فقال عبد الله : من وضع هذا فهو كافر ، بانت منه امرأته ، وبطل حجّه . فقال له خاقان المؤذن : ما وضعه إلا إبليس .

قال : الذي وضعه أبلّس من إبليس .<sup>٢</sup>

ولهذا نجد أنّ عبد الله بن المبارك قد رجع عن أبي حنيفة ، وكان ينحاز إليه في بادئ الأمر . ولما اطلع على آرائه وحيله وفتاواه الشيطانية ، عدل عن جميع الروايات التي رواها عنه واستغفر الله .

قال الخطيب : أخبرني زكريّا قال : أخبرنا الحسين بن عبد الله النسابوريّ قال : أشهد على عبد الله - يعني ابن المبارك - شهادةً يسألني الله عنها أنّه قال لي : يَا حُسَيْنُ قَدْ تَرَكْتُ كُلَّ شَيْءٍ رَوَيْتُهُ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ ، فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَيُّوبُ إِلَيْهِ .<sup>٣</sup>

الحادي والعشرون : روى بسنده عن محمّد بن يوسف الفريابيّ قال : كان سفيان الثوريّ ينهى عن النظر في رأي أبي حنيفة . قال : وسمعتُ محمّد بن يوسف وسئل : هل روى سفيان الثوريّ عن أبي حنيفة شيئاً ؟

٢- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٢٧ .

٣- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٢٨ .

قال : مَعَاذَ اللَّهِ ! سمعتُ سفيانَ الثوريَّ يقول : ربّما استقبلني أبو حنيفة يسألني عن مسألة فأجيبه وأنا كاره . وما سألته عن شيء قط .<sup>١</sup>

**الثاني والعشرون :** روى بسنده عن محمد بن عبّيد الطنافسيّ قال : سمعتُ سفيان - وذكر عنده أبو حنيفة - فقال : **يَتَعَسَّفُ الْأُمُورَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا سُنَّةٍ**.<sup>٢</sup>

**الثالث والعشرون :** روى بسنده عن سفاين بن وكيع بن الجراح قال : سمعتُ أبي يقول : ذكروا أبا حنيفة في مجلس سفيان ، فقال : **كَانَ يُقَالُ : عَوِّدُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ النَّبْطِيِّ إِذَا اسْتَعْرَبَ**!<sup>٣</sup>

**الرابع والعشرون :** روى بسنده عن عبد الله بن عبد الرحمن قال : سئل قيس بن الربيع عن أبي حنفة ، فقال : **مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِمَا كَانَ ، وَأَعْلَمِهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ**.<sup>٤</sup>

**الخامس والعشرون :** روى بسنده عن زكريّا قال : سمعتُ محمد بن الوليد البصريّ قال : كنتُ قد تحفظتُ قول أبي حنيفة ، فبينما أنا يوماً عند أبي عاصم ، فدرست عليه شيئاً من مسائل أبي حنيفة ، فقال : **مَا أَحْسَنَ حِفْظَكَ ، وَلَكِنْ مَا دَعَاكَ أَنْ تَحْفَظَ شَيْئاً تَحْتَاجُ أَنْ تُتُوبَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ**.<sup>٥</sup>

**السادس والعشرون :** روى بسنده عن يحيى بن آدم قال : حدّثنا سفيان بن سعيد ، وشريك بن عبد الله ، والحسن بن صالح ، قالوا : **أَدْرَكْنَا أَبَا حَنِيفَةَ وَمَا يَعْرِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْفِقْهِ ، مَا نَعْرِفُهُ إِلَّا بِالْخُصُومَاتِ**.<sup>٦</sup>

١- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٢٩ .

٢- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٢٩ .

٣ و.... «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٣٠ .

٥- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٣١ .

٦ إلى.... «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٣١ .

**السابع والعشرون:** روى بسنده عن المزيّني قال: سمعتُ الشافعيّ يقول: ناظر أبو حنيفة رجلاً، فكان يرفع صوته في مناظرته إيّاه. فوقف عليه رجل فقال الرجل لأبي حنيفة: أخطأت! فقال أبو حنيفة للرجل: تعرف المسألة ما هي؟! قال: لا! قال: فكيف تعرف أنّي أخطأت؟! قال: أعرفك إذا كان لك الحجّة ترفق بصاحبك، وإذا كانت عليك تشغب وتجلب. ١

**الثامن والعشرون:** روى بسنده عن أبي ربيعة محمّد بن عوف قال: سمعتُ حمّاد بن سلمة يُكنّي أبا حنيفة أبا جيّفة. ٢

**التاسع والعشرون:** روى بسنده عن حنبل بن إسحاق قال: سمعتُ الحميديّ يقول لأبي حنيفة - إذا كثاه - أبو جيّفة، لا يكنّي عن ذلك، ويظهره في المسجد الحرام في حلقتة والناس حوله. ٣

**الثلاثون:** روى بسنده عن محمّد بن بشار العبديّ بنداراً يقول: فلما كان عبد الرحمن بن مهديّ يذكر أبا حنيفة إلّا قال: كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَقِّ حِجَابٌ. ٤

**الحادي والثلاثون:** روى بسنده عن عمر بن قيس قال: مَنْ أَرَادَ الْحَقَّ فَلْيَأْتِ الْكُوفَةَ فَلْيَنْظُرْ مَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ فَلْيُخَالِفْهُمْ. ٥

وعلى هذا الأساس روى الخطيب بسنده عن عمّار بن زريق قال: خَالَفَ أَبَا حَنِيفَةَ فَإِنَّكَ تُصِيبُ. ٦

وقال بشري: فَإِنَّكَ إِذَا خَالَفْتَهُ أَصَبْتَ. ٧

١ و٢ - «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٣١ .  
 ٣ إلى ٦ - «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٢٣ .  
 ٥ و... - «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٣٢ .  
 ٧ - «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٣٤ . وقال في كتاب «مغيث الخلق» ص ٧٥ و٧٦،

**الثاني والثلاثون:** روى بسنده عن يحيى بن أيوب ، عن صاحب له ثقة قال : كنتُ جالساً عند أبي بكر بن عيَّاش ، فجاء إسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة ، فسلمّ وجلس . فقال أبو بكر : من هذا ؟  
 فقال : أنا إسماعيل يا أبا بكر ! فضرب أبو بكر يده على ركلة إسماعيل ، ثم قال : كَمْ مِنْ فَرْجٍ حَرَامٍ أَبَا حَهُ جُدُّكَ !<sup>١</sup>

**الثالث والثلاثون:** روى بسنده عن أبي معمر قال : قال أبو بكر بن عيَّاش : يَقُولُونَ : إِنَّ أَبَا حَنِيفَةَ ضُرِبَ عَلَى الْقَضَاءِ . إِنَّمَا ضُرِبَ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ عَرِيفاً عَلَيَّ طَرْزُ حَاكَةِ الْخَزَّازِينَ .<sup>٢</sup>

**الرابع والثلاثون:** روى بسنده عن محمد بن عبد الوهّاب قال : قلتُ لعليّ بن عثمان : أبو حنيفة حُجَّةٌ ؟ فقال : لَا لِلدِّينِ وَلَا لِلدُّنْيَا .<sup>٣</sup>

بعد سرد مطالب مفصلة عن أبي بكر الباقلاني في فوائد الإسلام والجهاد والعمل : وأبو حنيفة قلب القضية وفتح باب ما يفضي فساده إلى الترغيب في الكفر، فقال: مَنْ عَمَرَ أُمَّدًا مديداً وعهداً بعدياً، وشاخ وهرم؛ وصار لحمًا على وضمّ، ولم يُصَلِّ ولم يصم فظهره بأوزاره مثقل فيلغ إلى آخر الأمر كادت المنية تدركه؛ والأمنية تهلكه فارتد لحظة؛ ثم عاد إلى الإسلام، قال يوم القيامة يلقي الله عزّ وجلّ مخفّف الظهر عن الأوزار، وهذا ضدّ ما يقتضي، وعكس ما يجب. فإذاً دقيقة أبي حنيفة حائدة عن الأصل، ودقيقة الشافعي متمسكة بالأصل فكان أولى.

١- «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٣٤.

٢- «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٣٥.

٣- «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٣٥؛ وقال في كتاب «الدرّ المختار» وهو في فقه أبي حنيفة، ومؤلفه محمد علاء الدين الحسكفي في شرح كتاب «تنوير الأبصار» للشيخ محمد تمر تاشي الحنفي، ص ٣٨٩: والكافر بسبّ نبيّ من الأنبياء فإنه يُقتل حدًّا ولا تُقبل توبته مطلقاً، ولو سبّ الله تعالى قبلت، لأنّه حقّ الله تعالى، والأول حقّ العبد لا يزول بالتوبة. ومن شكّ في عذابه وكفره كفره. ويقول في ص ٣٩٠: أو الكافر بسبّ الشيخين أو بسبّ أحدهما، في (كتاب) البحر عن «الجوهرة» معزيّاً للشهيد: مَنْ سَبَّ الشَّيْخِينَ أَوْ طَعَنَ

**الخامس والثلاثون:** روى بسنده عن محمد بن جعفر الأسامي قال :  
كان أبو حنيفة يتهم شيطان الطاق بالرجعة ، وكان شيطان الطاق يتهم  
أباحنيفة بالتناسخ . قال : فخرج أبو حنيفة يوماً إلى السوق ، فاستقبله شيطان  
الطاق ومعه ثوب يريد بيعه . فقال له أبو حنيفة : **أَتَبِيعُ هَذَا الثُّوبَ إِلَيَّ  
رُجُوعَ عَلَيَّ؟!**

فقال : **إِنْ أَعْطَيْتَنِي كَفَيْلًا أَنْ لَا تُمَسِّحَ قِرْدًا بِعُنْكَ ! فَبُهِتَ أَبُو حَنِيفَةَ .**  
قال : ولما مات جعفر بن محمد [عليه السلام] التقى هو وأبو حنيفة ، فقال له  
أبو حنيفة **أَمَّا إِمَامُكَ فَقَدْ مَاتَ !**

فقال له شيطان الطاق : **أَمَّا إِمَامُكَ فَمِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ  
الْمَعْلُومِ .<sup>١</sup>**

**السادس والثلاثون:** روى بسنده عن عصام بن يزيد الإصفهاني قال :  
سمعتُ سفيان الثوري يقول : **أَبُو حَنِيفَةَ ضَالٌّ مُضِلٌّ .<sup>٢</sup>**

وروى بسنده عن رجاء السندي قال : قال عبد الله بن إدريس : **أَمَّا  
أَبُو حَنِيفَةَ فَضَالٌّ مُضِلٌّ ، وَأَمَّا أَبُو يُوسُفَ ففَاسِقٌ مِنَ الْفُسَاقِ .<sup>٣</sup>**

**السابع والثلاثون:** روى بسنده عن يزيد بن هارون قال : **مَا رَأَيْتُ  
قَوْمًا أَشْبَهَ بِالنَّصَارَى مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ .<sup>٤</sup>**

فيهما كفر ولا تُقبل توبته . وبه (بهذا القول) أخذوا الدبوسيّ وأبو الليث وهو المختار للفتوى .

١- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٣٦ .

٢- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٣٧ .

٣- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٣٦ .

٤- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٣٦ ؛ وذكر محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة  
١٨٩ في كتاب «الأصل» - وكان هو وأبو يوسف القاضي من أخصّ تلاميذ أبي حنيفة  
الزوطي: النعمان بن ثابت - في ج ١ ، ص ١٧٩ ، باب الإمام يحدث ولا يقدم أحداً ، فقال:  
قلتُ : رأيتُ إماماً صلى بقرعة أو ركعتين ثم أحدث فلم يقدم أحداً حتى خرج من

الثامن الثلاثون: روى بسنده عن هارون بن سعيد الايلي قال :  
سمعتُ الشافعي يقول : ما أعلم أحداً وَضَعَ الكِتَابَ أدلَّ عَلَيَّ عِوَارِ قَوْلِهِ  
مِن أَبِي حَنِيفَةَ ١

التاسع والثلاثون: روى بسنده عن أحمد بن سنان بن أسد القَطَّان  
قال : سمعتُ الشافعي يقول : ما شَبَّهْتُ رَأْيَ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَّا بِخَيْطِ السَّحَّارَةِ  
يَمُدُّ كَذَا فَيُجِيءُ أَخْضَرَ ، وَيَمُدُّ كَذَا فَيُجِيءُ أَصْغَرَ . ١

الأربعون: روى بسنده عن محمد بن يوسف البيكندي قال : قيل  
لأحمد بن حنبل : قول أبي حنيفة : الطلاق قبل النكاح ؟ فقال : مِسْكِينُ أَبُو  
حَنِيفَةَ ! كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعِرَاقِ ! كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعِلْمِ بِشَيْءٍ . قد جاء فيه  
عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ ، وعن الصحابة ، وعن نيف وعشرين  
من التابعين مثل سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، وطاووس ،  
وعكرمة . كيف يجترئ أن يقول : تطلق ؟ ٢ ولهذا كان أحمد بن حنبل  
يقول : ما قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَالْبَعْرُ عِنْدِي إِلَّا سَوَاءٌ . ٣

الحادي والأربعون: روى بسنده عن علي بن جرير الأبيوردي قال :  
قدمتُ على ابن المبارك فقال له رجل : إنَّ رجلين تماريا عندنا في مسألة ،

---

المسجد ؟ قال: صلاة القوم فاسدة وعليهم أن يستقبلوا الصلاة. قلتُ : لِمَ ؟ قال: أستحسنُ  
ذلك وأرى به قبيحاً أن يكون قوم في الصلاة في المسجد وإمامهم في أهله .

وقال في ج ١ ، ص ١٧١ : وكذلك لو أن الإمام أحدث متعمداً بعد ما قعد قدر التَّشْهَدِ ؟  
قال: نعم، عليه الوضوء لصلاة أخرى، ولا وضوء على القوم .

١- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٣٧ .

٢- «تاريخ بغداد» ج ١٣ ، ص ٤٤٢ و ٤٤٣ .

٣- .....

فقال أحدهما: قال أبو حنيفة، وقال الآخر: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم. قال: كان أبو حنيفة أعلم بالقضاء. فقال ابن المبارك: أَعِدُّ عَلَيَّ! فأعاد عليه، فقال: كُفِّرْ كُفْرًا.

قلتُ: بِكَ كَفَرُوا، وَبِكَ اتَّخَذُوا الْكَافِرَ إِمَامًا! قال: وَلِمَ؟! قلتُ: بروايتك عن أبي حنيفة! قال: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ رَوَايَاتِي عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ<sup>١</sup>.  
من هنا قال عيسى بن عبد الله الطيالسي: سمعتُ ابن المبارك يقول: كَتَبْتُ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَرْبَعِمِائَةَ حَدِيثٍ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى الْعِرَاقِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَحْوُوتَهَا<sup>٢</sup>.

وكان إبراهيم بن شماس يقول: سمعتُ ابن المبارك يقول: اضْرِبُوا عَلَيَّ حَدِيثَ أَبِي حَنِيفَةَ<sup>٣</sup>.

وقال الحسن بن الربيع: ضَرَبَ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَلَيَّ حَدِيثَ أَبِي حَنِيفَةَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِأَيَّامِ يَسِيرَةٍ<sup>٤</sup>.

من الجدير بالذكر أن ما أورده الخطيب في «تاريخ بغداد» حول أبي حنيفة كله كان بسنده الصحيح المتصل المستند، فلهذا إن ثبتت شناعة على أبي حنيفة، فهي على ذمة التأريخ، لا على ذمة الخطيب.

لقد ذكرت سيئات أبي حنيفة وقبائحه في العقيدة، والأفعال، والأقوال في مواطن أنافت على المائتين، والخطيب أحصاها، ونقل أسماء الرواة واحداً واحداً. وهؤلاء الرواة هم من مصادر كتب الحديث عند العامة وأركانها. وإذا أسقطناهم، فإن جميع رواياتهم تسقط ولا يبقى لهم شيء. إن مصحح الكتاب والمعلق عليه هو محمد حامد الفقي، وهو من علماء الأزهر، وعرف نفسه في آخر الكتاب على أنه خادم السنة النبوية.

١ و.... «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٤٢.

٣ و.... «تاريخ بغداد» ج ١٣، ص ٤٤٣.



ولقد بذل قصارى جهده في هوامش الكتاب ، لتضعيف تلك الروايات من منظار العامة لسبب معيّن ، فتسقط من حيث السند .

وكم أخطأ! إذ إنّه عجز عن القدح في كثير منها ، لذا ينبغي أن نسمّيها حسب عُرف العامة : روايات صحيحة . ثانياً : إنّ مواطن الضعف التي أحصاها مرفوضة ، مضافاً إلى أنّ شخصاً مثل الخطيب الذي يعدّ كتابه مصدراً لمراجعة الخاصّ والعامّ ، وهو مقبول عند جميع المؤرّخين وأرباب التصنيف قد تلقى تلك الروايات بالقبول ، واستشهد بها في كتابه بوصفها روايات معتبرة ومعتمد عليها . ثالثاً : ذكر الخطيب في مسنده روايات نقلها عن رجال مثل أبي نعيم الحافظ الإصفهانيّ ، وأبي عوانة . فإذا طعنا في شخصيّة مثل صاحب «حلية الأولياء» ، أو اعترضنا على رجل كأبي عوانة في هذه الرواية . فأبّي مصدر أفضل منهما أو في منزلتهما يمكن أن نراجعه بعد ؟!

إنّ ما عَزَّ المعلق والمصحح المذكور هو كتاب «السهم المُصِيب في كِبْدِ الخَطِيب»<sup>١</sup> الذي ألفه الملك المعظم على حدّ تعبيره ، وهاجم فيه

١- يقع هذا الكتاب في تسعين صفحة. وقد طبعه محمّد محمّد عبداللطيف في المطبعة المصرية لأوّل مرّة سنة ١٣٥٢ هـ. وقال في آخره: (وقد قمنا بترجمة النّص الفارسي، لعدم حصولنا على الكتاب بنسخته العربيّة لننقل عين عبارته): ينصفون الناس حين يقولون عنّي: شافعي المذهب، ولا ينصفون حين القول: بأنّي أقوم بنشر هذا الكتاب تعصّباً لأبي حنيفة ، فتأخذهم العزة بالاثم، و يظنّون بأنّي أعمل في تفرقة كلمة المسلمين أكثر من وحدتها .

و على أية حال، فليس لى من نشر هذا الكتاب أىّ غرض سوى حرصى على ما حرص عليه مؤلّفه الامام الكبير أبوالمعالى عبدالملك الجوينيّ امام الحرمين الذى يقول عنه السمعانى، صاحب كتاب « الأنساب » : أنّه كان فقيهاً زاهداً، و ظاهر الورع والصلاح . و يكفينى هذا للمبادرة الى نشر هذا الكتاب، و سيعلم القرا بسرعة أنّ المؤلّف هو ذلك الرجل

الخطيب .

أنتى لإشكالاته أن تدحض إشكالات الخطيب؟! فما قيل في أبي حنيفة لا يقتصر على خطيب بغداد . بل ذكره الجميع الجميع ، والخطيب أحدهم .

ألم يصنف أبو المعالي عبد الملك الجويني إمام الحرمين كتابه «مغيث الخلق في ترجيح القول الحق» في الرد على أبي حنيفة وفتاواه الشنيعة؟!

وعنه<sup>١</sup> نقلنا تلك الصلاة المعلومة المروية عن القفال المروزي بحضور السلطان محمود سبكتكين على مذهب أبي حنيفة . وذكرها نقلاً عنه صاحب «وفيات الأعيان» ، وصاحب «الروضات» عن صاحب «الوفيات» . وذكرت جميع هذه الخصوصيات بأساندها ومصادرها قريباً . أجل ، من الضروري ، وقد بلغنا ببحثنا هذه النقطة ، أن نذكر شيئاً من فتاوى أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ليستبين للقراء الكرام أن انتقادنا للمذاهب الأربعة لا ينطلق من التعصب والنعرة المذهبية ، فهذه آراؤهم ونظرياتهم مدونة في الكتب ، وهم يعملون بها ، ويتمسك بها علماءهم ، ويحكم بها قضاتهم في محاكمهم ودوائرهم . أخذت المطالب الآتية المتمثلة بآراء الفقهاء الأربعة من كتب وثائقية أصيلة من الطراز الأول ، ولا شك ولا ريب في صحتها . وهذه الكتب هي :

المصنف بحق المستحق للشكر والتقدير .

- ١- ذكر الجميع أن عنوان الكتاب هو «مغيث الخلق في ترجيح القول الحق» ، بيد أن صاحب «وفيات الأعيان» ذكره «في اختيار الأحق» . (أقدم طبعة للوفيات هي طبعة بولاق، ج ٢، ص ٥١٨، وج ٥، ص ١٨٠، طبعة دار صادر، تصحيح الدكتور إحسان عباس).

- ١- كتاب «الأمّ» ، تصنيف محمّد بن إدريس الشافعيّ في ثمانية أجزاء كبيرة .
- ٢- كتاب «الدرّ المختار» في الفقه الحنفيّ ، تصنيف محمّد علاء الدين الحسكفيّ في شرح كتاب «تنوير الأبصار» تصنيف محمّد تمر تاشي الحنفيّ في جزء واحد .
- ٣- كتاب «الأصل» تصنيف أبي عبد الله محمّد بن الحسن الشيبانيّ ، وهو من أعلام تلامذة أبي حنيفة الزوطيّ ، في ستّة أجزاء .
- ٤- كتاب «المدوّنة الكبرى» تصنيف مالك بن أنس في ستّة أجزاء .
- ٥- كتاب «المقدمات» تصنيف أبي الوليد محمّد بن أحمد بن رشد في جزءين
- ٧- كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» تصنيف أبي الوليد : محمّد بن أحمد بن رُشد القرطبيّ المالكيّ حفيد ابن رشد الأتف الذكر ، في جزءين .
- ٧- كتاب «الخلاف» تصنيف شيخ الطائفة الحقّة : أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ قدّس الله تربته الشريفة في جزءين .
- ٨- كتاب «تذكرة الفقهاء» تصنيف .بي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر : العلامة الحلّيّ تغمّده الله في بُجوحه رضوانه في جزءين ، طبعة حجرية رحليّة .
- ٩- كتاب «ربيع الأبرار» تصنيف جار الله : محمود بن عمّار الزمخشريّ في خمسة أجزاء .
- ١٠- كتاب «الفصول المختارة» بقلم الشريف المرتضى علم الهدى ، وإنشاء شيخنا المتكلّم الأقدم الشيخ المفيد أعلى الله مقامهما ، وقد طبع بعنوان «الفهرست» دفعاً لمضايقة السلطان السنّيّ في بغداد ، في جزء واحد .

- ١١- كتاب «نهج الحق وكشف الصدق» تصنيف العلامة الحليّ المذكور رحمه الله ، طبعة دار الهجرة بقم ، في جزء واحد .
- ١٢- كتاب «الفقه على المذاهب الخمسة» تصنيف العالم الكبير الشيخ محمّد جواد مغنية ، في جزءين .
- ١٣- كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة» تصنيف عبد الرحمن الجزيريّ ، في خمسة أجزاء .
- ولمّا كان المحدّث النبيل السيّد نعمّة الله الجزائريّ قد جمع هذه الفتاوى في كتاب «الأنوار النعمانية في بيان معرفة النشأة الإنسانيّة» في سياق بيان كتاب يوحنا اليهوديّ ، لهذا نذكر فيما يأتي تلك الحكاية من الكتاب لتستبين خصائص هذا الكتاب اللطيف وتفصيلاته ، وتتضح بعض الفتاوى على حدّ سواء . يقول :
- ويعجبني نقل نبذة من كتاب يوحنا اليهوديّ ، قال بعد أن ذكر الاختلافات في المذاهب والأديان ، وأول الشبهة أنّ واضعها الشيطان ، وآخر الشبهة أنّ واضعها عمر بن الخطّاب وأضرابه ما هذا لفظه :
- قال يوحنا : فلمّا رأيت هذه الاحتمفات من كبار الصحابة الذين يذكرون مع رسول الله فوق المنابر عظم عليّ الأمر وعمّ عليّ الحال ، وكدتُ أن أفتن في ديني (كنتُ حديث عهد بالإسلام) . فقصدتُ بغداد وهي إذًا قبة الإسلام لأخاوض فيها علماء الإسلام لأنظر الحقّ وأتبعه . فلمّا اجتمعتُ بعلماء المذاهب الأربعة ، قلتُ لهم : أنا رجل ذمّي وقد هداني الله تبارك وتعالى للإسلام فأسلمتُ ، وقد أتيتكم لأتقبل عنكم معالم الدين وشرائع الإسلام ! فقال كبيرهم وهو الحنفيّ : يا يوحنا مذاهب الإسلام أربعة فاختر لنفسك واحداً منها ، ثمّ اشرع في قول ما تريد . فقلتُ لهم : إنّي رأيتُ تخالف المذاهب وعلمت أن الحقّ منها واحد فاخترت والي ما تعلمون

أنه الحق الذي كان عليه نبيكم . ثم قال الحنفي : إنّا لا نعلم الحق الذي كان عليه نبينا ، بل نعلم أنّ طريقته غير خارجة عن الفرق الإسلامية . وكلّ من أربعتنا يقول : إنّه محقّ لكن يمكن أن يكون مبطلاً ويقول : إنّ غيره مبطل لكن يمكن أن يكون غيره محقاً . وبالجملة أنّ مذهب أبي حنيفة أنسب المذاهب كلّها ، وأقيسها للحقّ ، وأطبقها للسنة وأرفعها عزّاً عند الناس ، إذ مذهبه مختار أكثر الأمة وسلاطينها ، فعليك به تنجّ !

قال يوحنا : فصاح به إمام الشافعية وأظنّ أنّه كان بين الشافعي والحنفي منازعات . فقال له : اسكت ! لا نطقت والله لقد كذبت وتقولت ! ومن أين والتمييز بين المذاهب وترجيح المجتهدين .

وَيْلَكَ نَكَلْتِكَ أُمَّكَ ! ألك وقوف على ما قاله أبو حنيفة وما قاس برأيه ، فإنّه المسمّى بصاحب الرأي يجتهد في مقابلة النصّ ، ويستحسن في دين الله تعالى ، ويعمل به حتى أوقعه رأيه في الوهن في أن قال :

١ - لو عقد رجل في أقصى الهند على امرأة بكر وهي في الروم عقداً شرعياً ، ثمّ أتاها بعد سنين متعدّدة فوجدها حامله وبين يديها أولاد يمشون فيقول لها : ما هولاء ؟! فيقول له : أولادك . فيرافعها في ذلك إلى القاضي الحنفي ، فيحكم أنّ الأولاد لصلبه ، يلحقون به ظاهراً وباطناً ، يرثهم ويرثونه ، فيقول ذلك المحارف : وكيف ذلك ولم أقربها قطّ ؟! فيقول القاضي : يحتمل أن يكون قد احتملت وأطارت الريح منيك في قطنة ، فوعدت في فرج هذه المرأة فحملت ، ف هل يا حنفي هذا مطابق للكتاب والسنة ؟! <sup>١</sup>

١- ذكر الشريف المرتضى هذا الإشكال موجزاً في « الفصول المختارة » ج ١ ،

قال: نعم! إنما يلحق بها، لأنّها فراشه. وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: **الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْفِرَاشِ الْحَجَرُ**. والفراش يتحقق بالعقد، ولا يشترط فيه الوطي. فمَنع الشافعيّ أنّه لا يصير فراشاً بدون الوطي، فغلب الشافعيّ بالحجّة، ثمّ قال الشافعيّ:

٢- قال أبو حنيفة: لو أنّ امرأةً تزوّت إلى بيت زوجها فعشقتها رجل فادّعى عند قاضي الحنيفة أنّ عقد عليها قبل الرجل الذي زوّت إليه، وأرشى المدعى فاسقّين حتّى شهدا له كذباً بدعواه. فحكم القاضي بزوجيّة تلك المرأة، فإنّها تحلّ عليه ظاهراً وباطناً عند أبي حنيفة، وتحرم على الرجل الأوّل ظاهراً وباطناً، وتحلّ على الشهود الذي تعمّدوا الكذب في شهاداتهم. (إذ عقد أحد ذينك الشاهدين عليها أحياناً، فإنّها تحلّ له ظاهراً وباطناً). فانظروا أيّها الناس! هل هذا يصدر ممّن عرف قواعد الإسلام؟! قال الحنفيّ: لا اعتراض لك عندنا! إنّ حكم القاضي ينفذ ظاهراً وباطناً. وهذا متفرّع عليه.

وخصمه الشافعيّ، ومنع من أين يقنذ حكم القاضي ظاهراً وباطناً بقوله تعالى: **وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ**.<sup>١</sup> ولم ينزل الله تعالى ذلك.

١- الآية ٤٩، من السورة ٥: المائدة. وعدّ أبو المعالي الجوينيّ في كتاب «مُغِيث الخلق» ص ٧٥، هذا من وجود الردّ على أبي حنيفة، وقال: فيجعل قضاء القاضي نكاحاً مقدّراً منشأ من تلقاء القاضي. وهذا ممّا لا وجه له، لأنّه لم يكن ثمّ نكاح، فكيف يقدر النكاح!؟

وقال صاحب كتاب «الدرّ المختار» ص ٢٠٠: (يحلّ) له وطؤ امرأةٍ (ادّعت عليه) عند قاضٍ (أنّه تزوّجها) بنكاح صحيح (وهي) أي والحال أنّها (محلّ للإنشاء) أي: لإنشاء النكاح عليه خالية عن الموانع (وقضى) القاضي (بنكاحها بيّنة) أقامتها ولم يكن في نفس الأمر (تزوّجها).

ثم قال الشافعي :

٣- قال أبو حنيفة : لو أنّ امرأةً غاب عنها زوجها وانقطع خبره ، فجاء رجل وقال : زوجك قد مات . فاعتدّت وبعد العدة عقد عليها رجل آخر ودخل بها وجاءت منه بأولاد . ثمّ غاب الرجل الثاني عنها وظهر حياة الأول ، وحضر عندها ، فإنّ جميع أولاد الرجل الثاني يكونون أولاد الرجل الأول ، يرثهم ويرثونه .

فيا أولي العقول الباهرة ، هل يذهب إلى هذا القول من له دراية أو نظر؟! فقال الحنفيّ ، إنّما أخذ أبو حنيفة هذا من قول : **الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ** . فاحتجّ عليه الشافعيّ بكون الفرّاش مشروطاً بالدخول ، وغلبه . ثمّ قال الشافعيّ :

٤- وإمامك أبو حنيفة قال : لو عشق رجل امرأةً مسلم ، وادّعى عند القاضي كذباً أنّ زوجها طلقها ، وجاء بشاهدين فشهدا له كذباً ، فحكم القاضي بطلاقها ، حرمت على زوجها الأول . وجاز للمدّعي نكاحها وللشهود أيضاً . وزعم أنّ حكم القاضي ينفذ باطناً وظاهراً . وقد عرفت ما

---

ونقل ابن رشد هذا المضمون عن أبي حنيفة في «بداية المجتهد» ج ٢ ، ص ٤٣٢ . أجل ، إجماع الشيعة على أنّ حكم القاضي نافذ ما لم يثبت خلافه . وإذا ثبت خلافه ، فإنه يُلغى . ويمكن أن نستشفّ هذا الموضوع من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشرّ في «نهج البلاغة» عندما ذكر له موضع القضاء وشروط القضاة ، فقال فيه : **وَلَا يَتِمَادَى فِي الرِّزْلِ وَلَا يَحْصُرُ مِنَ الْفِيءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ ...** إلى أن قال : **ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدِ قَضَائِهِ . أَي :** أنّ الحاكم الكبير يباشر التدقيق في صحّة قضائه وبطالانه .

ومن ذلك يتبيّن أنّ مراحل القضاء الثلاث : البداية ، والاستئناف ، والتمييز المتداولة اليوم في المحاكم مأخوذة من كلام الإمام عليه السلام . ونحن تحدّثنا عن هذا الموضوع بصورة وافية في كتابنا «ولاية الفقيه في حكومة الإسلام» .

فيه . فقال الشافعي :

- ٥ - وإمامك أبو حنيفة قال : إذا شهد أربعة رجال على رجل بالزنا .  
فإن صدقهم سقط الحدّ ، وإن كذبهم لزم .<sup>١</sup> فَأَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ .<sup>٢</sup>
- ٦ - وقال أبو حنيفة : لو لاط رجل بصيب ويوقبه (لم يمني) فلا حدّ  
عليه ،<sup>٣</sup> يُعَزَّر ، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُول : مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمٍ  
لُوِّطِ اقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ .
- ٧ - وقال أبو حنيفة : إِنَّ مَنْ لَفَّ عَلَى ذَكَرِهِ خِرْقَةً وَزَنَى بِأُمَّه وَبَنْتِهِ ،  
جَاز .<sup>٤</sup>

- ٨ - وقال أبو حنيفة : لو غضب أحد حنطةً من مسلم ، فطحنها ملكها .  
فلو أراد صاحب الحنطة أن يأخذ حنطته ويعطي الغاصب الأجرة لم يجب  
على الغاصب إجابته وله منعه . فلو قاتله فقتل صاحب الحنطة ، كان دمه  
هدراً . ولو قتل الغاصب قُتِلَ صاحب الحنطة به .<sup>٥</sup>

- ١- «الفصول المختارة» ج ١ ، ص ١٣٦ . وأيضاً فيمن يشرب الخمر ويقرّ على نفسه .
- ٢- الآية ٢ ، من السورة ٥٩: الحشر .
- ٣- ذكره الزمخشري أيضاً في «ربيع الأبرار» كما نقل صاحب «روضات الجنّات» ج ٤ ،  
ص ٢٢٥ ، الطبعة الحجرية . وأورده الشريف المرتضى أيضاً في «الفصول المختارة» ج ١ ،  
ص ١١٩ .
- ٤- «الفصول المختارة» ج ١ ، ص ١٣٦ .
- ٥- من فتاوى أبي حنيفة: لا تعجيل في وجوب أداء الزكاة وتسقط بعد الموت. بين  
الجويني هذا الحكم عنه وردّه في كتاب «مغيث الخلق» ص ٦٠ . قال :
- قال الشافعي رضي الله عنه: المقصود الزكاة إنّما هو سدّ الخلات ودفع الجوعات ،  
ورد الفاقات والإحسان إلى الفقراء وإغاثة الملهوفين ، وإحياء المهجج وتدارك الحشاشة  
والجنث ، فقال اللائق بهذا الغرض أن تكون الزكاة على الفور وأن لا تسقط بالموت ، لأنّ لو  
قلنا إنّهُ يكون على التراخي ، ولا يكون على الفور ، وانّها تسقط بالموت لأدى ذلك الى  
ابطال هذا الحكمة المطلوبة ، لأنّه إذا علم أنّه على التراخي-ي وليس على الفور لا يزال



- ٩- وقال أبو حنيفة: لو سرق سارق ألف دينار، وسرق ألفاً أخرى من آخر ومزجهما، ملك الجميع ولزمه البدل.
- ١٠- وقال أبو حنيفة: لو قتل المسلم التقى العالم كافراً جاهلاً، قُتل المسلم به، والله تعالى يقول في محكم كتابه: **وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**<sup>١</sup>.
- ١١- وقال أبو حنيفة: لو قتل حُرٌّ عبداً قيمته عشرة دراهم، قُتل الحرّ به، والله تعالى يقول: **الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى**<sup>٢</sup>.
- ١٢- وقال أبو حنيفة: لو اشترى أحد أمةً وأختها، ونكحهما لم يكن عليه حدّ، وإن علم وتعمّد، وقد قال الله تبارك وتعالى: **وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ**<sup>٣</sup>.
- ١٣- وقال أبو حنيفة: لو عقد على أمة أو أخته عالماً بأنها أمة وأخته وادخل بها، لم يكن عليه حدّ، لأنّ العقد شبهة<sup>٤</sup>.
- ١٤- وقال: لو نام رجل على طرف حوضٍ من نبيذ، فانقلب في نومه ووقع في الحوض، ارتفعت جنابته وطهر<sup>٥</sup>.

يؤخّر ويميل إلى الهوينا والبطالة ويجنح إلى الكسالة، حتّى يصير ديناً في الذمة، وأنّه إذا مات يسقط، وذلك يؤدّي إلى إبطال الزكاة وتعطيل مقصود الشرع وغرضه، وهو باطل قطعاً، وقال المغلب في الزكاة معنى المواساة، فلا جرم يجب في مال الصبيان كصدقة الفطر والعشر.

١- الآية ١٤١، من السورة ٤: النساء.

٢- الآية ١٧٨، من السورة ٢: البقرة.

٣- الآية ٢٣، من السورة ٤: النساء.

٤- «الفصول المختارة» ج ١، ص ١٣٦.

٥- «مغيث الخلق» ص ٥٣.

- ١٥- وقال أبو حنيفة: لا تجب النية في الوضوء ولا في الغسل. وفي الصحيح: **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**<sup>١</sup>.
- ١٦- وقال: لا تجب البسمة في الفاتحة وأخرجها عنها، مع أن الخلفاء كتبوها في المصاحف بعد تجويد القرآن.
- ١٧- وقال: لو سُلخ جلد الكلب الميت، ودُبغ، وطهر، وحلّ له شرب الماء فيه، ولبسه في الصلاة. وهذا مخالف لنصّ تنجيسه المقتضي لتحريم الانتفاع به<sup>٢</sup>. بل يا حنفي!
- ١٨- في مذهبك أنه يجوز للمسلم إذا أراد الصلاة أن يتوضأ بنبيد، ويلبس جلد كلب مدبوغ، ويفرش تحته مثل ذلك، ويسجد على عذرة يابسة، ويكبر بالهنديّة، ويقرأ بالعبرانيّة أو الفارسيّة، ويقول بعد الفاتحة (دو برگ سبر) يعني: **مُدْهَامَتَانِ**، ثم يركع ولا يرفع رأسه، ثم يسجد ويفصل بين السجدين بمثل حدّ السيف، وقبل التسليم يتعمّد خروج الريح، فإنّ صلاته صحيحة. وإن أخرج الريح ناسياً بطلت صلاته<sup>٣</sup>.
- فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ، أَيَجُوزُ لِبَنِيٍّ أَنْ يَأْمُرَ أُمَّتَهُ بِمِثْلِ هَذِهِ الصَّلَاةِ؟!**<sup>٤</sup>

١- «مغيث الخلق» ص ٥٤.

٢- «مغيث الخلق» ص ٥٣ و ٥٤.

٣- «مغيث الخلق» ص ٥٥، ٥٦. وفي آخره بهذا اللفظ: ولو انقلت منه بأن سَبَقَهُ الحَدَثُ يُعِيدُ الوضوءَ في أثناء صلاته ويحدث بعده. فإن لم يكن قاصداً في حدثه الأوّل تحلّل عن صلاته على الصّحّة.

٤- من جملة الإشكالات التي عدّها الشريف المرتضى على أبي حنيفة في «الفصول المختارة» ج ١، ص ١٣٦ إبطال مهر المرأة. فإذا مات زوجها ومضى على موته فترة وجُهل مهرها فلا مهر لها (إنه المرأة إذا كان لها مهر فمات زوجها وتقادم موته وجُهل مهر

فأفحم الحنفي وامتلاً غيظاً . وقال : يا شافعي ! أقصر فضّ الله فاك !  
وأين أنت والأخذ على أبي حنيفة؟! أين مذهبك من مذهبه؟! فإنما مذهبك  
بمذهب المجوس أليق ، لأنّ في مذهبك أنّه يجوز .

١ - للرجل أن ينكح ابنته من الزنا ، بل يجمع بين أختيه من الزنا ،  
وكذا عمته وخالته من الزنا ، والله تعالى يقول : حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ  
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ  
وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّيِّئِ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ  
وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّيِّئِ فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّيِّئِ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا  
دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن

المرأة فإنه لا مهر لها) - انتهى. وهذا حكم باطل، إذ لا يضيع حقّ مالٍ أو حكم وإن مرّ  
عليه زمن مديد ونُسي، مع ذلك هو ثابت في الشرع، وينفدّ ويعاد إلى صاحبه بمجرد  
الرجوع إلى محمة إسلاميّة. ولعل بعض محاكم الكفر والجور أخذت هذا الحكم من أبي  
حنيفة، واختلقوا قانوناً باسم قانون مرور الزمان. وحاصله: إذا كان لأحد طلب على آخر  
ولم يطالب به، فبعد مرور مدّة مديدة عليه يضيع طلبه. قيل: كان مثل هذا الحكم جارياً في  
محاكم إيران أيام رضاخان وابنه. والإسلام لا يُمضي هذا الحكم أبداً ولا تقبل الحقوق الثابتة  
زوالاً ماكرّ الجديدان.

ومثل إبطال مهر المرأة عند أبي حنيفة بمرور الزمان، إبطال حدّ شرب الخمر. قال: إنّ  
المقرّ على نفسه بشرب الخمر بعد ما تقادم لا حدّ عليه. («الفصول المختارة» ج ١، ص  
١٣٨). ومن الأحكام الفاسدة لأبي حنيفة ما حكاه تلميذه محمّد بن الحسن الشيباني في  
كتاب «الأصل» ج ١، ص ٤٠٨. قال:

قلت: رأيت أهل الحرب يغيرون على القرية من قرى الإسلام فيقتلون الرجال والنساء  
والولدان، هل يُغسل أحد منهم؟ قال: أما الرجال والنساء فلا يُغسلون ويُصنع لهم ما يصنع  
بالشهيد، لأنّ القتل كفارة، وأما الولدان الذين ليست لهم ذنوب بكفرها القتل فإنهم يُغسلون -  
وهذا قول أبي حنيفة. وقال أبو يوسف ومحمّد: أما أنا فأرى أن يُصنع بالولدان ما يُصنع  
بالشهداء فلا يُغسلون، لأنّه إذا لم يكن لهم ذنوب فذلك أظهر لهم وأحرى أن يكونوا شهداء.

تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ<sup>١</sup>.

وهذه صافت حقيقية لا تتغير بتغير الشرائع والأديان ، ولا تظنن يا شافعي يا أحمق أن منعهم من التوريث يخرجهم من الصفات الذاتية ، ولذلك يضاف فيقال : بنته وأخته من الزنا .

قال يوحنا : فَانظُرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ! هل هذا إلا مذهب المجوس !؟  
ويا شافعي ! أما إمامك .

٢- فأباح للناس لعب الشطرنج مع أن النبي صلى الله عليه وآله قال :  
لَأَعِبُ النَّزْدَ وَالشُّطْرَنْجَ كَعَابِدِ وَثَنٍ .

٣- وإمامك الشافعي أباح الرقص والدق والقصب !

قال يوحنا : فطال بينهما الجدل . فاحتمى الحنبلي للشافعي ، واحتمى المالكي للحنفي ، ووقع المالكي والحنبلي . وكان ممّا وقع بينهم أن قال الحنبلي للمالكي :

١- إن مالكا أبدع في الدين بدعاً أهلك الله تعالى عليها أمماً ، وهو أباحها وأباح وطى المملوك . وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله : مَنْ لَاطَ بِغُلَامٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ .

٢- ومالك يقول في المنظومة :

وَجَائِزٌ نَيْكُ<sup>٢</sup> الْغُلَامِ الْأَمْرَدِ

وَجَوْزٌ لِلرَّجُلِ الْمُجْرَدِ

١- الآية ٢٣ ، من السورة ٤ : النساء .

٢- النَّيْكَ من الألفاظ الصريحة في مجامعة الرجل للمرأة . قال في «فرهنگ آندراج» (= قاموس آندراج) : النَّيْكَ بالفتح ع.... والنائك نعت منه . وقال في «المصباح المنير» : نَاكَهَا (نَيْكاً) من الألفاظ الصريحة في الجماع فهو (نائك) و(نَيْك) والمرأة (مَنْيَكَة) و(مَنْيُوكَة) على النقص والتمام . وقال في «صحاح اللغة» : (نَيْك) رجل نائك من النَّيْكَ ، ونَيْكٌ شُدُّد

هَذَا إِذَا كَانَ وَحِيداً فِي السَّفَرِ  
وَلَمْ يَجِدْ أَنْشَى تَفِي إِلا الذَّكْرُ

٣- وأنا رأيتُ مالكيّاً ادّعى عند القاضي على آخر أنّه باعه مملوكاً ،  
والمملوك لا يمكنه من وطيه ، فأثبت القاضي أنّه عيب في المملوك يجوز  
له ردّه به .

٤- وأيضاً إمامك أباح لحم الكلب . فرجع المالكيّ عليه وصاح به ،  
وقال : اسكت ! يا مجسّم ! يا حلوليّ ! مذهبك أولى بالقبح . لأنّ إمامك  
أحمد بن حنبل :

١- إنّ الله تبارك وتعالى جسم يجلس على العرش ويفضل عن  
العرش بأربع أصابع .

٢- وإنّه ينزل كلّ ليلة جمعة من سماء الدنيا سطوح المساجد في  
صورة أمرد ققط الشعر ، له نعلان شراكهما من اللؤلؤ الرطب على حمار له  
ذوائب .

٣- وعلماء الحنابلة يبنون على سطوح المساجد معالف ويضعون فيها  
تبناً وشعيراً ليأكله منه حمار الله تعالى .

٤- ومن المشهور أنّه في ليلة جمعة صعد أحد زهاد الحنبلية سطح  
مسجد الجامع يرتجي أن ينزل الله تعالى إليه . واتفق أنّه كان على سطح  
الجامع غلا نفاط وكان ققط الشعر . فلما وقع بصر الشيخ الحنبليّ عليه ظنّه  
ربّه ، فوقع على قدميه يقبلهما ، ويقول : سيّدي ارحمني ولا تُعذّبني ،  
ويشتكي ويتضرّع . فبُهِت الغلام وظنّ أنّه يريد منه فعلاً قبيحاً . فصاح  
بالناس وقال : هذا الرجل يريد أن يفسق بي في سطح المسجد ! وأتى إليه  
جماعة النفاطين فأوجعوه ضرباً ومضوا به إلى الحاكم ، فحبسه إلى الغد  
لينظر في حاله . فسمع في ذلك علماء الحنابلة فأتوا إلى الحاكم وأقسموا بالله  
أنّ هذا الرجل ممّا لا يُظنّ فيه هذا الأمر . وإنّما ظنّ أنّه ربّه فأراد أن يقبل

لكثيرة . وفي المثل : مَنْ يَنْكُ العَيْرِيْنَكَ نَبَاكاً .

قدميه .

فَقَبَّحَ اللَّهُ مَذْهَبَكَ يَا حَنْبَلِيٌّ. فرجع الحنبلِيّ ، والحنفيّ ، والمالكيّ ، والشافعيّ رؤوسهم ، وعلت أصواتهم ، وأظهروا قبائحهم حتى سئم كلّ من حضر من كلامهم فعاب العامة عليهم .

قال يوحنا : فقلتُ لهم : على رسلكم ! والله إنّي نفرتُ من اعتقادكم . فإن كان الإسلام هذا فَيَا وَيْلَاهُ وَوَأَسْوَأَتَاهُ ! لكنني أقسم عليكم بالله الذي لا إله إلا هو أن تقطعوا هذا البحث وتذهبوا ، فإنّ القوم قد أنكروا عليكم .<sup>١</sup> وقاموا وتفرّقوا وبقوا أسبوعاً لا يخرجون من بيوتهم ، وإذا خرجوا أنكر الناس عليهم . ثمّ اصطلحوا واجتمعوا في «المستنصرية» فجلستُ إليهم وخواضتهم . وقلت لهم : كنت أريد عالماً من علماء الرافضة لتُناظروه في

١- إنّ أحد إشكالات الشيعة على العامة مسألة المسح على الخفّين، إذ يمسحون على أحذيتهم وجزماتهم في آخر الوضوء، بدل أن يمسحوا على أرجلهم. وهذا خلاف العمل بالقرآن، إذ يقول: **وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**. قال الحافظ أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبيّ في «بداية المجتهد» ج ١، ص ١٦: فأما الجواز إجواز المسح على الخفّين [فيه ثلاثة أقوال: القول المشهور إنّه جائز على الإطلاق، وبه قال جمهور فقهاء الأماص، والقول الثاني جوازه في السفر دون الحضر، والقول الثالث منع جوازه بإطلاق، وهو أشدّها. والأقويل الثلاثة مروية عن الصدر الأوّل وعن مالك بن أنس - إلى آخر كلامه. وقال الشريف المرتضى في «الفصول المختارة» وهو تقريرات درس الشيخ المفيد: ... لكن الشناعة في قولهم بالمسح على الخفّين اللذين ليسا من بعض الإنسان ولا من جوارحه، ولا نسبة بينهما وبين أبعاضه إلا كغيرهما من الملابس. والقرآن ينطق بضدّ قولهم في ذلك، إذ صريحه يفيد إيقاع الطهارة بنفس الجارحة دون ما عداها. وقد قال الصادق عليه السلام: **إِذَا رَدَّ اللَّهُ كُلَّ إِهَابٍ إِلَى مَوْضِعِهِ ذَهَبَتْ طَهَارَةٌ هَوْلَاءَ**. يعني الناصبة في جلود الإبل والبقر والغنم. وهم أنفسهم أعني الناصبة يروون عن عائشة أنّها قالت: لئن تقطع رجلاي بالمواسي أحبّ إليّ من أن أمسح على الخفّين. ويروون عن أبي هريرة أنّه كان يقول: ما بأبي أمسحتُ على خفيّ أم مسحتُ على ظهر غير بالفلاة.

مذهبه! فهل يمكنكم أن تأتونني أحداً منهم!؟

فقال العلماء: يا يوحنا؛ الرافضة شردمة قليلة ولا يستطيعون المناظرة بين المسلمين لقلتهم وكثرة مخالفيهم، ولا يتظاهرون فضلاً عن أن يستطيعوا المحاجة على مذهبهم، فهم الأقلون عدداً، الأرذلون قدراً.

قال يوحنا: أما قولكم: إنهم الأقلون ومخالفهم الأكثرون فهذا مدح لهم، لأن الله تبارك وتعالى مدح القليل وذم الكثير بقوله: وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ<sup>١</sup> وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ<sup>٢</sup>.

وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ<sup>٣</sup>.

وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ<sup>٤</sup>.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ<sup>٥</sup>.

قال العلماء: يا يوحنا؛ حالهم أعظم من أن يوصف لأننا لو علمنا بأحدٍ منهم فلا نزال نترتبص بهم الدوائر حتى نقتلهم، لأنهم عندنا كفره يحل علينا دماؤهم وأموالهم. فقال يوحنا: الله أكبر هذا أمر عظيم! أفتراهم بما استحقوا هذا؟! أهم ينكرون الشهادتين؟! قالوا: لا! قال: أهم لا يتوجهون إلى قبلة الإسلام؟! قالوا: لا! قال: أهم ينكرون شيئاً من الأحكام؟! قالوا: لا!

١- الآية ٢٤، من السورة ٣٨: ص.

٢- الآية ١٣، من السورة ٣٤: سبأ.

٣- الآية ٤٠، من السورة ١١: هود.

٤- الآية ١٧، من السورة ٧: الأعراف.

٥- الآية ٢١، من السورة ٧: الأعراف؛ والآية ٣٤، من السورة ٨: الأنفال؛ والآية ٥٥، من السورة ١٠: يونس؛ والآيتان ١٣ و ٥٧، من السورة ٢٨: القصص؛ والآية ٤٩، من السورة ٣٩: الزمر.

قال يوحنا: يَا لِلْعَجَبِ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ الشَّاهِدَاتِينَ وَيَقْرُونَ بِالْأَحْكَامِ ،  
كَيْفَ تَحَلَّ دِمَاءُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ ، وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : أُمِرْتُ أَنْ  
أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِذَا قَالُوا  
عَصَمُوا بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، إِلَّا بِحَقِّ وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ !؟

قال العلماء : يا يوحنا ؛ إنهم أبدعوا في الدين . فمنها أنهم يدعون أن  
أفضل الناس بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ،  
ويفضلونه على الخلفاء الثلاثة ، والصدر الأول من الأمة اجتمعوا على أن  
فضل الخلفاء كترتيبهم .

قال يوحنا : أفتراكم إذا قال أحد : علي بن أبي طالب خير من أبي  
بكر ، تكفرونه ؟! قالوا : نعم ، لأنه خلاف الإجماع .

قال يوحنا : فما تقولون في محدثكم الحافظ أبي نعيم ؟ قال العلماء :  
إنه مقبول الرواية صحيح النقل . قال يوحنا : هذا كتابه المسمى بكتاب  
«الثاقب» روى فيه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : عَلِيُّ خَيْرُ الْبَشَرِ ،  
فَمَنْ أَبِي فَقَدْ كَفَرَ .

وقال أيضاً : عَلِيُّ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ، وَلَا يَشُكُّ فِي ذَلِكَ إِلَّا  
مُنَافِقٌ .

وفي ذلك الكتاب أيضاً أنه قال : عَلِيُّ خَيْرٌ مِنْ أُخْلَفَهُ بَعْدِي .  
وروى أحمد بن حنبل في مسنده أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ  
لفاطمة عليها السلام :

أَوْ مَا تَرْضَيْنِ أَنِّي زَوْجَتُكِ أَقْدَمُ أُمَّتِي سِلْمًا وَأَكْثَرُهُمْ عِلْمًا وَأَعْظَمُهُمْ  
حِلْمًا ؟!

وفيه أيضاً أنه قال : اللَّهُمَّ ائْتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ يَا كُلَّ مَعِيَ مِنْ  
هَذَا الطَّائِرِ ! فَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .



قال يوحنا: **فَيَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ!** لا تقولوا هذا إذ من الجائز أن يكون هذا المدح لهم في زمنه ، وبعده حصل لبعضهم الارتداد . فإن إمامكم ومحدثكم الحميدي روى في «الجمع بين الصحيحين» في المتفق عليه أنه صلى الله عليه وآله قال :

سَيُوتَى بِرَجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ . فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي! فَيُقَالُ لِي: أَنْتَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ!  
فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ [عَلَى نَبِينَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ]: «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ \* إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»<sup>١</sup>.

قال: فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَيَّ أَعْقَابَهُمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ . قال العلماء : يا يوحنا ؛ هذا الذي ذكرته يدل على ارتداد بعض الصحابة ، لا أنه يدل على أن ذلك البعض هو أبو بكر ، وعمر ، وأتباعهم . وما ندري ما الذي جرّأهم على ذلك ؟ ومن أين جاز لهم ذلك !؟

قال يوحنا: جرّأهم على ذلك أئمتكم وعلماؤكم كالبخاري ، ومسلم فإنهم رووا أنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله ، أرسلت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها من فذك وما بقي من خمس خيبر . فأبى أبو بكر أن يردّ عليها شيئا . فَوَجَدَتْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا

١- الآيتان ١١٧ و ١١٨ ، من السورة ٥: المائدة . ومن الجدير ذكره أن النسخة الرحلية الحجرية التي طبعها الحاج موسى - وأقتنيها - ختمت الآية هكذا: فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ . وهذا خطأ من حيث المعنى والمفاد وعدم مناسبة المقام ، ومن حيث ضبط المصاحف . لهذا يلزم على القراء الكرام تصحيح نسخته المطبوعة .

السَّلَامُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَجَدًّا شَدِيدًا وَهَجْرَتُهُ، وَلَمْ تُكَلِّمُهُ حَتَّى مَاتَتْ وَهِيَ غَضْبَانَةٌ عَلَيْهِ.

وروى أئمتكم أيضاً في! «الجمع بين الصحيحين» أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُؤْذِنِي مَنْ آذَاهَا! وأخذ الرافضة هذين الحديثين وركبوا منه مقدمتين، وهما: أَبُو بَكْرٍ آذَى فَاطِمَةَ، وَمَنْ آذَى فَاطِمَةَ آذَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. وقال الله تعالى في كتابه: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.<sup>١</sup>

فالذين يؤذون فاطمة يؤذون رسول الله ويلعنهم الله. قال يوحنا: ولو احتج أحد عليكم بهذه الجملة، لم يسعكم منع مقدمة من مقدماته!<sup>٢</sup>

ثم أطال الكلام معهم وألزمهم بالزمامات كثيرة. فظهر من هذا كله فساد هذه المذاهب العاطلة والأديان الباردة الباطلة.<sup>٣</sup>

١- الآية ٥٧، من السورة ٣٣: الأحزاب: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا.

٢- ونحن بحمد الله ومنه تحدثنا بصورة وافية في الجزء التاسع من هذا الكتاب، الدرس ١٢٨ - ١٣٠ عن هذه الكيفية من الاستدلال بترتيب قياسين برهانيين، وهو الاستدلال الذي يثبت اللعنة على أبي بكر وعمر وجماعتهما حسب الآية القرآنية والحديث الصحيح المقطوع به. وبيننا أن هذا هو منطق الشيعة ولسانهم المعبر يدور حول محور الحق والصدق والثبات حتى يوم القيامة، وينفر من الشعر والخطابة والمغالطة، حتى الجدال.

٣- كتاب «الأنوار النعمانية» الطبعة الحجرية الرحلية، للحاج موسى الطهراني، سنة ١٢٨٠. صفحات هذا الكتاب غير مرقمة. والمطلب الذي نقلناه عنه موجود في وسطه وقد استوعب ثلاث صفحات تقريباً. كتب في أعلى الصفحة الأولى: فيه حكايات مضحكة غريبة، لعن الله من يحكيها وينشئها. وفي أعلى الصفحة الثانية: فيه حكايات مضحكة

أجل ، إنّ من الإشكالات التي سجّلها الجوينيّ إمام الحرمين على مالك - غير ما ذكرناه - هي كالآتي :

٥ - وكذلك قال رحمه الله : بأنّ من كاتب الكفّار وأطلعهم على عوراتنا بما يتضمّن قتل كافتنا ، واستئصال شأفتنا أنّه يقطع يده ، لأنّ المصلحة التي تقدّر في هذه الحادثة فوق المصلحة التي تفرض في السرقة .

٦ - وجوّز سياسات وإيلات تضاهي أفعال الأكاسرة ، والقياصرة والجبايرة من الضرب بآلتهم والقتل بها والمصادرات والجنایات .<sup>١</sup>

٧ - أفرط في ملاحظة الكتاب ، وقطع الذرائع ، حتّى أفضى به الأمر إلى أن قتل ثلث الأمة في إصلاح ثلثيها ، وتعليق العقوبات بالتهم وغير ذلك .

٨ - حتّى روى عنه أنّ سارقاً لو حضر مجلس القاضي وأدّعي عليه السرقة ، فظهر عليه القلق والوجل ، واحمرّت وجنتاه ، واصفرت خداه ، قال : تقطع يده من غير الشهود ، لأنّ القرائن والمخائل تقوم مقام الشهود ، والدلائل . وكذا في سائر العقوبات ، فلا شك أنّ كلّ من ادّعي عليه السرقة بتغيير وجهه سيّما في حقّ العدول والثقات ، وذوى المروءات ، وأصحاب الفتوّات . فإنّ من يرجع إلى نفس أبيّة - أعني كبيرة - وأنفة وحميّة ومروءة وعصبية إذا ادّعي عليه الزنا والسرقة ، يخاف من ذهاب ما ، وجهه ويتغيّر وجهه .

يضحك لشناعتها الثكلى . وفي أعلى الصفحة الثالثة: فيه حكايات مضحكة لبعض أهل المذاهب الباطلة . وقد نقلنا الألفاظ نفسها بدون أدنى تغيير . وما أضفنا إلا ترقيم الإشكالات على أصحاب المذاهب من أجل تشخيصها وتعيينها .

١ - «مغيث الخلق» ص ٧٨ .

٩- وطء غلمانهم وجواريتهم في الدُّبُر .

من الجدير ذكره أنّ فتوى جواز وطء الغلام مشهورة ومعروفة عن مالك بن أنس . بيدَ أنّي بحثتُ عنها لعلّي أجدها في أحد المصادر والكتب الوثائقية ، فلم أفلح لحدّ الآن .

ولم أعثر عليها في كتاب «المدوّنة الكبرى» الذي هو من إنشاء مالك نفسه ، برواية سَحْنُون بن سعيد التَّنُوخيّ ، عن عبد الرحمن بن قاسم بن خالد بن جنادة العتقيّ ، والمطبوع في ستّة أجزاء . كما أنّي لم أجدها في سائر الكتب والرسائل التي تناولت موارد الخلاف بين المذاهب ، كـ «الخلاف» ، و«التذكرة» وما شابههما . ولا أدري - والله أعلم - لعلّ السرّ في ذلك يعود إلى شناعة هذا الرأي وقبحه إلى درجة أنّهم يخجلون من نقله في كتبهم . وهو رأي قد تناقلته الألسن على كروار الأيام . والدليل على ذلك أنّه مثلاً لم يُنقل للمالكيين القاطنين في العراق ، لكنّه نُقل للمالكيين القاطنين في المغرب والأندلس . لهذا يُلاحظ أنّ المالكيين يختلون في جواز وطء الغلام وعدم جوازه حسب المناطق الجغرافيّة المتباينة .

قال الشيخ موسى التبريريّ في حاشية «أوثق الوسائل في شرح الوسائل» للشيخ الأعظم الأنصاريّ قدّس الله سرّهما في كتاب «حجّية الظن» عندما يقول الشيخ : الَّذِينَ هُمُ الْأَصْلُ لَهُ : لأنّهم السابقون فيه على الشيعة كما حُكي عن المرتضى من أنّهم لمّا ذكروا الإجماع ، فعرضوه علينا ، فوجدناه حقّاً فقبلناه . وأمّا كونه أصلاً لهم فلكونه مبنى دينهم ، لأنّ عمدة أدلّتهم على خلافة ابن أبي قحانة إجماع الأمة عليها على زعمهم .

١- طبعة مطبعة السعادة، جنب محافظة مصر، سنة ١٣٢٣.

وقال الموالى الفاضل البارع الآغا محمد على بن الوحيد البهبهاني في كتابه المسمّى بـ «سُنّة الهداية»: أذكر ما نصّ عليه في «شرح المواقف» أو «المقاصد» أنّ الكثرة غير معتبرة في الإجماع. بل الحقّ هو أنّ الإجماع يتحقّق بموافقة شخص واحد، كما ثبتت خلافة أبي ببيعة عمر وحدها - انتهى .

يا طالب الحقّ ، افتح عين بصيرتك وانظر إلى هذه الهذيانات ، ولاحظ على أية خرافات أرسوا دعائم مذهبهم؟! وستعوا على الطائفة الناجية المحقّقة ، فقد اعترف أولهم بقصوره على المنبر على رؤوس الأشهاد ، وقال : أَقِيلُونِي وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ وَعَلَيَّ فِيكُمْ .

وأقرّ ثانيهم بجهله بالآيات القرآنية والسنة النبوية في الملاء العام واجتماع الناس حين ردّته امرأة من المسلمين ، فاخترق عذراً غير شرعيّ سوّغ به جهله عندما قال : كُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنِّي حَتَّى الْمُخَدَّرَاتِ .

وقال ثالثهم بسلق كلام الله في المصاحف في ماء مغليّ ، واخترع أتباعه الذين هم في الحقيقة أولاد إبليس الملائى بالتبليس كلاماً لا يُعقل في رفع قبح هذا العفل الشنيع والعمل القبيح ، وبهذا الجهل والقصور أغووا العامة كَالهَمَجِ الرَّعَاعِ ، وأطفأوا مشكاة الهداية ، ومقباس الولاية ، وعزلوا كلام الله الناطق في زاوية الخمول عدد سنين ، ورفعوا راية الضلال ، وأوقدوا نار الحسرة في قلوب المؤمنين .

حكايتي كتتم بشنو و شناسا شو

كه اين حديث ز پير شريعتم ياد است<sup>١</sup>

١- يقول: «أحدّثك فاسمع واعلم أنّ هذا الحديث تعلّمته من شيخ شريعتي .

مَجُو طَهَارَتِ مَوْلِدِ زِ دَشْمَنَانِ عَلِيٍّ

که حمل مادر این قوم از دو داماد است

یکی پدر دگر ابلیس کرده است دخول

ز اختلاطِ دو آبِ اینِ عَدُوِّ حَقِّ زَادِ اسْتِ<sup>١</sup>

فعند ما تُبْنَى أُصُولُ الدِّينِ عَلَيَّ هَذِهِ الْأُسُسُ الْفَاسِدَةُ ، فَكَيْفَ بِالْفُرُوعِ

الْعِلْمِيَّةِ ؟ وَإِذَا أَبَاحَ مَالِكٌ وَطَاءَ الْغَلَامُ ، وَالْحَنْبَلِيُّ تَعَاطَى الْبَنْجَ ، فَلَا يَسْتَبْعَدُ

هَذَا أَبَدًا . وَمَا أَجْمَلَ هَذَا الرَّبَاعِيُّ<sup>٢</sup> الطَّرِيفَ الَّذِي أَنْشَدَهُ الشَّاعِرُ الشَّيْعِيُّ

الظَّرِيفَ بَدَاهَةً فَقَالَ :

شَافِعِيٌّ كَفَّتْ كِهْ شَطْرَنْجِ مَبَاحِ اسْتِ مَادَامِ<sup>٣</sup>

راست گفته است چنین است که فرموده امام

١- يقول: لا تبحث عن طهارة المولد عند أعداء عليٍّ فأَمْ كُلِّ مِنْهُمْ حَمَلَتْ مِنْ اثْنَيْنِ .

أَحَدُهُمَا الْأَبُ وَالْآخِرُ إِبْلِيسُ وَمِنْ نَطْفَتَيْهِمَا وُلِدَ عَدُوُّ الْحَقِّ .

٢- ليس رباعياً .

٣- قال الشيخ الطائفة الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه في كتاب «الخلافة» ج ٢ ،

ص ٦٢٥ ، طبعة كوشانپور: فِي أَنَّ اللَّاعِبَ بِالشُّطْرَنْجِ فَاسِقٌ ، الْمَسْأَلَةُ ٥١: اللَّعِبُ بِالشُّطْرَنْجِ

حَرَامٌ عَلَيَّ أَيُّ وَجْهِ كَانَ ، وَيَفْسُقُ فَاعْلَمْ بِهِ وَلَا تَقْبَلْ شَهَادَتَهُ . وَقَالَ مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ: مَكْرُوهٌ ،

إِلَّا أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ قَالَ: هُوَ يَلْحَقُ بِالْحَرَامِ . وَقَالَ جَمِيعًا: تَرَدَّدَ شَهَادَتُهُ . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: هُوَ مَكْرُوهٌ

وَلَيْسَ بِمَحْظُورٍ وَلَا تَرَدَّدَ شَهَادَةُ اللَّاعِبِ بِهِ إِلَّا مَا كَانَفَ بِهِ قِمَارًا وَتَرَكَ الصَّلَاةَ حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتَهَا

مَتَعَمِّدًا ، وَيَتَكَرَّرُ ذَلِكَ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَتَعَمَّدْ تَرَكَ الصَّلَاةَ حَتَّى يَذْهَبَ وَقْتَهَا . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ

الْمَسْبُوبِ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ مَبَاحٌ . دَلِيلُنَا إِجْمَاعُ الْفِرْقَةِ وَأَخْبَارُهُمْ . وَأَيْضًا رَوَى الْحَسَنُ

الْبَصْرِيُّ عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ نَهَى عَنِ

اللَّعِبِ بِالشُّطْرَنْجِ . وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ يَلْعَبُونَ بِالشُّطْرَنْجِ فَقَالَ:

مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ \* فَشَبَّهَهَا بِالْأَصْنَامِ الْمَعْبُودَةِ . وَرَوَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: اللَّاعِبُ بِالشُّطْرَنْجِ مِنْ أَكْذَبِ خَلْقِ اللَّهِ يَقُولُ: مَاتَ وَمَا مَاتَ يَعْنِي:

خواجه مالك سخنی گفت ازین باریکتر  
که به نزدیک خردمند مباح است غلام  
بو حنیفة به ازین گوید در باب شراب  
که ز جوشیده بخور کان نبود هیچ حرام  
حنبلی گفت که گز زانکه ز غم درمانی  
بسته بنگ تناول کن و خوش باش مدام  
بنگ و می می خور و کون میدر و میباز قمار  
که مسلمانی ازین چار امام است تمام<sup>۱</sup>  
ووردت أخبار كثيرة من طریق أهل السنّة في منع وطء المرأة من  
دبرها .

وistفاد من شرح عقائد النسفیّ - وهو من أعظم علمائهم - أنّه يقول  
بکفر فاعله . لكن المشهور أنّ مالکاً كان يراه حالاً ، كما أشار الملا

قولهم: شاء مات .

يقول: في البيت مذکور: «قال الشافعي: الشطنج مباح دائماً، قال حقاً، هكذا قال  
الإمام .

\* - الآيتان ٥١ و ٥٢ ، من السورة ٢١: الأنبياء وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ  
عَلِيمِينَ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ .

١- يقول: «وقال مالك كلاماً أدق من هذا، قال: نكاح الغلام مباح عند العقلاء .

وقال أبو حنیفة أفضل منه في باب الشراب، قال: الشراب المغلي ليس حراماً» .

إذا أصابك غم فتناول شراب النبیج وكن سعيداً على الدوام

تعاط النبیج والخمر، ومزق دُبر الصبي، وقامر. فقد كمل الإسلام بفتاوى هؤلاء الأئمة

الأربعة!»

عبد الرحمن الجامي إلى هذا المعنى في «بهارستان» فقال :

كفت مملوكه اى به مالك خویش      كز قفايش گرفت راه فساد  
ترك اين فعل كن كه جايز نيست      نزد دين پروران شرع نهاد  
گفت: خامش كه شيخ دين مالك      به چنين عيش رخصت ما داد  
گفت مسكين ز زيراو كه: خدات      در زد و گير مالك اندازاد<sup>١</sup>  
والكلام المنسوج على هذا المنوال نظماً ونثراً كثير في كتب القوم .  
وقد نُقل منه ما لا يُحصى ، لكتي اقتطفُ باقة ورد من بستان محبة أنوار  
الولاية ليشمها طلاب الحق والولاية فتطرفهم<sup>٢</sup> .  
اللهم اجعلنا من المتمسكين بولايتهم ، والراسخين في محبتهم ،  
والأمين من الفرع الأكبر بشفاعتهم بحقهم يا الله<sup>٣</sup> .  
أقول : تُبيح المالكية وطء الغلام . وقد نُقلت في التواريخ والسير  
حكايات وقضايا مُخجلة لا تُنكر في أحوال مشايخ المالكية من علمائهم  
وقضاتهم وأرباب فتاواهم وأئمة جماعتهم .  
والآن أيضاً لا يُنكر المالكية هذا العمل . ويدافعون عن فتوى رئيسهم  
مالك بن أنس عند النقاش ، ويعدون حلّة مطابقة للمطلقات .

١- يقول: «قالت المملوكة لمالكها الذي كان يواقعها من دبرها مُفسداً.

اترك هذا فإنه لا يجوز عند أولى الدين المتشرعين.

قال: اسكتي فإن شيخ ديننا مالكا رخصه لنا.

قالت المسكينة وهي تحته: ابتلاك الله بمالك ليفعل بك كما تفعل معي».

٢- إلى هنا المطالب الواردة في كتاب «سنة الهداية» للأغا محمد علي البهبهاني نجل

الوحيد البهبهاني الأغا محمد باقر، على ما نقل المرحوم صاحب الحاشية.

٣- يمكن أن يكون الدعاء تتمّة لمطالب صاحب كتاب «سنة الهداية» والأظر أنه من

إنشاء صاحب الحاشية.



كان سماحة صديقي الكريم العالم الجليل آية الله السيد موسى الشُّبَيْرِيّ الزنجانيّ دامت بركاته يقول : عندما تحدّثت مع أحد مشايخ المالكيّة في المدينة حول هذا الموضوع . أي جواز وطء الغلام .

قال : الآية القرآنيّة وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ \* إِلَّا عَلَىٰ أَوْجَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ<sup>١</sup> تدلّ على الجواز ، لأنّ قوله مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ عامّ يشمل الغلام والجارية .

قلتُ : الغلام خارج عن مدلول هذه الآية بالإجماع .

قال : هذا إجماعكم ، وليس إجماعنا - انتهى .

أقول : لا إطلاق في الآية حتّى يدور الكلام حول التخصيص وعدم التخصيص . لأنّ قرينة ذكر الأزواج ، وما هو مألوف من الواقعة في القُبُل يفيدان أنّ المراد من تخصيصِ إِلَّا عَلَىٰ أَوْجَاحِهِمْ المضاجعة والمباشرة المعروفة ، فلا ينعقد لها الإطلاق حتّى تشمل الوطء المستهجن وغير المألوف في الدُّبُر . وبهذا البيان في قوله أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وبقريّة العطف على الأزواج ينبغي أن نقول : هو وطء الإماماء في قُبُلِهِنَّ ، لا في دُبُرِهِنَّ . ولا وطء الغلمان ، إذ إنّ انصراف الوطء إلى الوطء المعروف المألوف قرينة مقامية لصرف لفظ أَوْجَاحِهِمْ في خصوص الموضوع المتعارف ، وصرف مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ في خصوص الإماماء ، وفي الموضوع المتعارف فحسب .

هذا إذا خصّصنا قوله قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ بالرجال كما هو الظاهرُ مِنَ اللَّفْظِ . أمّا إذا عمّمناه على المؤمنين والمؤمنات بتفقيح الملاك ، وكان لفظ الأزواج جمعاً للزوج ، وكان شاملاً للزوج والزوجة معاً ، وفرضنا صحّة

١- الأيّتان ٥ و ٦ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون.

الأخذ بالإطلاق حسب استدلال العالم المالكيّ ، فلا بدّ أن نبيح وطء الغلمان للنساء اللاتي الغلمان ملك أيمانهنّ . ومن الثابت أنّ هذه المسألة خلاف الإجماع والضرورة عند المالكيّة أنفسهم .

أمّا الردّ على المالكيّة فينبغي أن نقول : أولاً : بمناسبة الحكم وموضوع أحكام المضاجعة والمباشرة ، يكون المراد من قوله : مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ بخاصة أنّه عطف على الأزواج اللاتي هنّ النساء ، ملك اليمين من النساء ، أي : الإماء .

إنّ الوطاء في الدُّبُر ليس وطئاً في السبيل ، بل هو قطع السبيل . والمتبادر من حلّيّة الوطاء حلّيّته في الموضوع المعروف حسب الغريزة والرغبة ، لا الوطاء في المواضع القبيحة المضرة غير الملائمة ، ويمكن بادعاء التبادر وصحّة السلب وتناسب الحكم والموضوع أن نصرف مورد الآية أو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ من الغلمان ، ونحصره في الإماء . كانصراف الآيات الدالّة على حلّيّة لحوم البهائم من الكلب ، لأنّ لحم الكلب لا يرغب فيه الناس ، حتّى الذين يجمعون الكلاب في بيوتهم ويرون طهارتها كالنصارى والملحدين ، فلم يُلْحَظْ قَطُّ أنّهم يستحلّون أكلها .

لهذا فإنّ السبب في عدم بيان حرمة لحم الكلب في القرآن الكريم كونه غير متعارف بحيث لو ذكرت حرمة فإنّه يعدّ ذكراً لحرمة أمر بديهيّ وزائد ولا يليق .

ثانياً : كان السبب في عذاب قوم لوط هو هذا العمل الشنيع . وتحدّث القرآن الكريم عن شناعته بألفاظٍ تشير إلى هذا الفعل القبيح مع الرجال بنحو مطلق وعمّ سواء كان غلام شخصٍ أم لم يكن . قال تعالى :

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأُنْتَهُونَ الْفَحْرَشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ \* إِنَّكُمْ لَأُنْتَهُونَ الرَّجَالَ وَتَقَطُّونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ

الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ<sup>١</sup>.

يُلاحظ في هاتين الآيتين أنهما أدانتا هذا العمل بتعبير شديد قارِع ، فلفظ **الْفُحْشَةِ** ، وخصوصية ما سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ، وعبارة **إتيان الرجال** ، وعبارة **تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ** ، وقوله : **تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ** ، كل ذلك يدل على أن هذا الفعل الشنيع قد بلغ من القبيح مبلغاً بحيث إن كل عقل وضمير يحكمان بتحريمه على الإطلاق .

في ضوء هذه الآية ، نلاحظ في قوله : **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ... وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ** ، **إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**<sup>٢</sup> أن الغلام وملك اليمين من جنس الرجال - على فرض الإطلاق - يدخلان في عمومات المستثنى منه بوضوح . والمفلاح هو المؤمن الذي يصون فرجه عن ذلك .

**أَفْ لِمَالِكٍ وَلِمَنَآبِعِهِ كَيْفَ غَيَّرُوا حُكْمَ اللَّهِ ظَهَرَ الْمَجَنِّ وَأَتَوْا بِالشَّنَاعَةِ وَالْقَبَاحَةِ مَكَانَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ !** واستدلوا بالقرآن نفسه على خلاف مراده .

وليت شعري لو كانوا عملوا بالقياس في الملاكات الظنّية والوهميّة بل الاستحسانيّة ، فهلّا يخرج حكمهم في هذا المورد عن التحريم ؟! أجل ، إنّ من قطع جبل الولاء لأهل البيت ولم يعتصم بهم ، فلا مصير له إلا النار . **وَمَنْ لَزِمَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**<sup>٣</sup>.

١- الآيتان ٢٨ و ٢٩ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

٢- الآيتان ٥ و ٦ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

٣- الآية ٤٠ ، من السورة ٢٤ : النور .

## القضية التاريخية المخزية لعائشة

التمثّلة في عدم اشتراطها الطفولية في الرضاع و كانت تأمر الرجال بالارتضاع من ثدي أختها أمّ كلثوم خمس مرّات تامّة لكي يكونوا من محارمها حتّى تتحقّق شروط الرضاع المحرّم فيستطيع الرجال أن يختلوا بها بسبب المحرمية

إنّ من عجائب التاريخ التي تدلّ على افتضاح عائشة وصلافتها بنحو كامل تامّ موضوع الرضاع . فقد كانت ترى أنّ صغر سنّ المرتضع ليس شرطاً . وكانت تعتقد أنّ الرضا يتحقّق بين الكبار أيضاً . لذلك كانت تأمرهم بالارتضاع من ثدي أختها أمّ كلثوم خمس مرّات لتحقّق الرضاع ومحرمية الأجانب معها إذ تُعدّ خالّتهم من الرضاعة ، فتستطيع بذلك أن تلتقي بهم بعيداً عن الأنظار .

لا جرّم أنّ هذه القضية من مختلقاتها نفسها ، وهي لا تنسجم مع ناموس الرسالة وعصمة زوجة النبوة . أولاً : تصوّروا كيف يجلس رجل أجنبيّ بلحيته وشاربه في حجر أمّ كلثوم ابنة أبي بكر ويرضع من ثديها خمس مرّات ؟ ولذا رفضت سائر أزواج النبيّ رأي عائشة ولم يوافقنها في ذلك .

قال ابن رشد في كتاب «بداية المجتهد» المصنّف في فقه العامة :  
واتفقوا على أنّ الرضاع يحرم في الحولين ، واختلفوا في رضاع الكبير . فقال مالك ، وأبو حنيفة ، والشافعيّ ، وكافة الفقهاء : لا يحرم رضاع الكبير . وذهب داود وأهل الظاهر إلى أنّه يحرم . وهو مذهب عائشة . ومذهب الجمهور هو مذهب ابن مسعود ، وابن عمر وأبي هريرة ، وابن عبّاس ، وسائر أزواج النبيّ صلّى الله عليه وآله .

وسبب اختلافهم تعارض الآثار في ذلك . وذلك أنّه ورد في ذلك

حديثان . أحدهما حديث سالم ، وقد تقدّم . والثاني حديث عائشة . خرّجه البخاري ، ومسلم ، قالت : دخل رسول الله صَلَّى الله عليه [ وآله ] وسلّم ، وعندني رجل . فاشتدّ ذلك عليه ، ورأيتُ الغضب في وجهه . فقلت : يا رسول الله ! إنّه أخي من الرضاعة . فقال : **أَنْظُرَنَّ مَنْ إِخْوَانُكَ مِنْ الرِّضَاعَةِ ؟! فَإِنَّ الرِّضَاعَةَ مِنَ الْمَجَاعَةِ !**

فمن ذهب إلى ترجيح هذا الحديث قال : لا يحرم اللبن الذي لا يقوم للمرضع مقام الغذاء . إلا أنّ حديث سالم نازل في عين ، وكان سائر أزواج النبي صَلَّى الله عليه وآله يرون ذلك رخصة لسالم . ومن رجّح حديث سالم وعلّل حديث عائشة بأنّها لم تعمل به ، قال : يحرم رضاع الكبير .<sup>١</sup>  
ثانياً : الرضاع الموجب للمحرمة هو بسبب اللبن الذي يمثل غذاء الطفل ، الذي يجعل خلايا جسمه تشبه صاحب اللبن ومُرْضِعُهُ . ويتحقّق عنوان الأمومة والأخوة وأمثالها بسبب وحدة الدم . وهذا يجب أن يكون في زمن حضانة الطفل ، أي : بين الحولين .

ويتفق على هذا عامّة الشيعة ، وجمهور فقهاء العامّة . ولمّا كان ارتضاع بعد حولين غير مؤثّر في اتّحاد خلايا الدم وأنسجه الجسم ، لهذا لا يوجب المحرمة ووحدة الرحم .

وأما أصل القصة التي نقّحت عائشة ملاكها وعيّنت مناطها خطأً ، فقد كانت في مورد خاص يرتبط بسالم . فقد أراد رسول الله صَلَّى الله عليه

١- «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» ج ٢ ، ص ٣٤ ، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي في مر ، سنة ١٣٣٩ هـ ؛ وورد هذا الحديث في صحيح مسلم ، طبعة بولاق ، مصر ، سنة ١٢٩٠ هـ ، ج ١ ، ص ٤١٦ ؛ ومن طبعة بيروت بتحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي ، ج ٢ ، ص ١٠٧٨ ، في باب إنّما الرضاعة من المجاعة .

وآله بأمره الولائي أن يرفع الحرج والعسر عن سهلة زوجة أبي حذيفة ، لهذا فتح طريقاً لها بذلك . وهذه القصّة تخصّ سهلة ، ولا يمكن أن تسري إلى مورد آخر .

جاء في موطأ مالك ما نصّه : حدّثني يحيى عن مالك ، عن ابن شهاب أنّه سُئل عن رضاعة الكبير فقال : أخبرني عروة بن الزبير أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وكان من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، وكان قد شهد بدرًا ، وكان تبّنى سالمًا الذي يقال له : سالم مولى أبي حذيفة ، كما تبّنى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم زيد بن حارثة . وأنكح أبو حذيفة سالمًا ، وهو يرى أنّه ابنه ، أنكحه ابنة أخيه فاطمة ابنة الوليد بن عتبة بن ربيعة . وهي يومئذٍ من المهاجرات الأوّل ، وهي من أفضل أيامى قريش .

فلما أنزل الله تعالى في كتابه في زيد بن حارثة ما أنزل ، فقال :  
**أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ**<sup>١</sup> .

رَدُّكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلِيَّكَ إِلَى أَبِيهِ ، فَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ أَبُوهُ رُدُّهُ إِلَى مَوْلَاهُ .

فجاءت سهلة ابنة سهيل ، وهي امرأة أبي حذيفة ، وهي من بني عامر ابن لؤي إلى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، فقالت : يا رسول الله !

١- الآية ٥ ، من السورة ٣٣: الأحزاب . وقبلها قوله تعالى : وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ .

وقال سبحانه في زيد بن حارثة ، في الآية ٣٧ ، من هذه السورة : وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا .

كتنا نرى سالماً ولداً وكان يدخل عليّ وأنا فُضِّل ،<sup>١</sup> وليس لنا! لا بيت واحد ،  
فماذا ترى في شأنه !؟

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم : أَرْضِعِيهِ خَمْسَ  
رَضَعَاتٍ فَيَحْرُمُ بِلَبَنِهَا ! وكانت تراه ابناً من الرضاعة . فأخذت بذلك عائشة  
أم المؤمنين فيمن كانت تحب أن يدخل عليها من الرجال . فكانت تأمر  
أختها أم كلثوم ابنة أبي بكر وبنات أخيها أن يرضعن من أحببت أن يدخل  
عليها من الرجال .

وأبى سائر أزواج النبي صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم أن يدخل عليهنّ  
بتلك الرضاعة أحد من الناس ، وقُلن : لَا وَاللَّهِ ! ما نرى الذي أمر به  
رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم سهلة ابنة سهيل إلا رخصة من  
رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم في رضاعة سالم وحده . لَا وَاللَّهِ !  
لا يدخل علينا بهذه الرضاعة أحد .

فعلى هذا كان أزواج النبي صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم في رضاعة

## الكبير . ٢

روى مسلم بن الحجاج في هذا الباب ستة أحاديث عن عائشة ، نكتفي

منها بذكر حديثين :

١- في «أقرب الموارد»: (الْفُضِّل) الثوب يتفَضَّل فيه الرجل . والمرأة «خرجت في  
فضل» ثوب واحد (رجل وامرأة فُضِّل) أي : متفَضَّل في ثوب واحد . وقال محمد فؤاد  
عبد الباقي في الهامش: (فُضِّل) أي : مكشوفة الرأس والصدر . وقيل : على ثوب واحد  
لا إزار تحته . وقيل : متوشَّحة بثوب على عاتقها خالفت بين طرفيه . قال ابن عبد البر:  
أصحها الثاني ، لأن كشف الحرة الصدر لا يخفى عند محرم ولا غيره .

٢- «الموطأ» ج ٢ ، ص ٦٠٥ و ٦٠٦ ، طبعة بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، تحقيق  
محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب الرضاع ، باب ما جاء في الرضاعة بعد الكبير .

**الأول:** روى بسنده عن أبي مليكة أن القاسم بن محمد بن أبي بكر أخبره أن عائشة أخبرته أن سهلة ابنة سهل بن عمرو جاءت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ، فقالت : يا رسول الله ! إنَّ سالمًا (لسالم مولى أبي حذيفة) معنا في بيتنا . وقد بلغ ما يبلغ الرجال ، وعلم ما يعلم الرجال .

قال : أرضعيه تحرمي عليه !

قال أبو مليكة : فمكثتُ سنةً أو قريباً منها لا أحدثُ به ، وهبته . ثم لقيتُ القاسم ، فقلتُ له : لقد حدثتني حديثاً ما حدثته بعد . قال : فما هو ؟ فأخبرته . قال : فحدثته عني أنَّ عائشة أخبرتني<sup>١</sup> .

**الثاني:** روى بسنده عن أبي عبيدة بن عبد الله بن زَمعة أن أمه زينب ابنة أبي سلمة أخبرته أن أمها أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم كانت تقول : أبى سائر أزواج النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أن يُدخلن عليهنَّ أحداً بتلك الرضاعة . وقلن لعائشة : والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لسالم خاصة . فما هو بداخل علينا أخذ بهذه الرضاعد . ولا رائينا<sup>٢</sup> .

أجل ، إنَّ موضوع الارتضاع من ثدي أم كلثوم ، وبنات أخت عائشة بلغ من الوقاحة مبلغاً أنَّ بعض علماء السُّنة أرادوا أن يُخفوه ، ويغسلوا هذا العار إلى حدٍّ ما ، ولهذا برّروه بقولهم : إنَّ رضاع الكبير ليس بمصّ الثدي ، بل بشرب اللبن المحلوب من الثدي في إناء .

١- «صحيح مسلم» ج ١، ص ٤١٥، طبعة بولاق، سنة ١٢٩٠ هـ، باب رضاعد الكبير؛ وطبعة بيروت بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج ٢، ص ١٠٧٦، تحت الرقم ٢٨ من هذا الباب.

٢- «صحيح مسلم» ج ١، ص ٤١٦، طبعة بولاق، سنة ١٢٩٠ هـ؛ وفي طبعة بيروت بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج ٢، ص ١٠٧٨، رقم ٣١.





عليه وآله وسلّم : وَكَيْفَ أَرَوْضِعُهُ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ؟<sup>١</sup> فأَيُّهُمَا يَشِيرُ عَجَب

سهلة : الإرضاع من الثدي ، أو حَلْبُ اللَّبَنِ فِي إِنَاءٍ وَسَقِيهِ إِتَاهُ ؟!

الثاني : جاء في الحديث الثالث لمسلم أَنَّ أَبَا مَلِيكَةَ قَالَ : فَمَكَّثْتُ سَنَةً أَوْ قَرِيباً مِنْهَا لَا أُحَدِّثُ بِهِ ، وَهَيْئُهُ .<sup>٢</sup>

فهل ذكر إرضاع الكبير من الثدي أخافَ أبا مَلِيكَةَ وجعله يمكث ، أو

حلب اللبن في إناء وسقيه إياه ؟!

الثالث : جاء في حديث مسلم الآخر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَالَ : أَرْضِعِيهِ ! قَالَتْ : إِنَّهُ ذُو لِحْيَةٍ .<sup>٣</sup>

فهل الإرضاع بالثدي أثار دهشة سهلة وسؤالها بالنسبة إلى رجل ذي

لحيةٍ أو حلب اللبن من الثدي وسقيه سالماً من إناء !! ألا يشرب الرجل ذول

اللحية اللبن من إناء ؟ هل كان أبو عمر ، والقاضي عتاض ، والنوويّ الذين

تحملوا وزراً بتريدهم الحديث بهذا الشكل يحلقون لحاهم عندما يريدون

شرب اللبن ؟!

أجل ، لا يمكن تبرئة أمّ المؤمنين عائشة واستصواب حكمها بهذه

التأويلات الباردة .

أما حلّ المسألة عندي فأقول : كان سالم ابن سهلة وأبي حذيفة

بالتبنيّ! ، ونشأ في بيتهما منذ طفولته ، وبلغ سنّ الرشد والكمال فيه . وكان

العرب في الجاهليّة ككثير من الشعوب غير المسلمة ، بل المسلمة حالياً

غير عارفين بالأحكام ، فكانوا يتعاملون مع الابن بالتبنيّ معاملة الابن

١- «صحيح مسلم» ج ١، ص ٤١٥، طبعة بولاق، وفي طبعة بيروت بتحقيق محمّد

فؤاد عبد الباقي: ج ٢، ص ١٠٧٦.

٢- «صحيح مسلم» ج ١، ص ٤١٥، طبعة بولاق، وفي طبعة بيروت: ج ٢، ص

١٠٧٦.

٣- «صحيح مسلم» ج ١، ص ٤١٦، طبعة بولاق، ج ٢، ص ١٠٧٨، طبعة بيروت.

الحقيقي . أي : أنهم ينظرون إليه كأحد محارمهم . فيذهبون عنده غير متستريين ، ويقبلونه ، ويحتضنوه . وإذا قيل له أو للبنات بالتبني : أنت لست ولدنا ، فإنه يفزع ويتألم . وإذا تحجبت منه أمه بالتبني عند بلوغه واختفت وراء الستار ، فإنه يصاب بالدهشة والاضطراب لما حصل .

لهذا ينبغي أن يُفهم الأبناء أو البنات الذين يبلغون في بيت غير بيت والديهم الحقيقيين منذ البداية على أن الابن بالتبني ليس ابناً حقيقياً وذلك تدريجياً . وإذا كانت جنسيته باسم هذين الوالدين فهي حرام وباطلة ، حتى لا يحرم الناس من رعاية الأطفال الذين لا معيل لهم ، ولينالوا هذا الفيض ، والأطفال أيضاً لا يكونوا بمنزلة أولادهم الحقيقيين .

كان سالم بن أبي حذيفة بالتبني ، وكان ذلك في وقت لم ينزل فيه حكم القرآن برفعه . فلهذا كان يتعامل مع سهلة وأبي حذيفة معاملة الوالدين ، وهما أيضاً كانا يتعاملان معه نفس المعاملة . فهو عندهم بمنزلة المحرم . ولعله كان يقبل سهلة ويحتضنها كأم له ، ولم يكن إرضاعه من الثدي مستبعداً ومستهجناً كثيراً ، فلهذا قال النبي صلى الله عليه وآله ما مضمونه : أعلم أنه كبير ، لكن مع ذلك أرضعيه !

وهذا الأمر الاختصاصي مولوي بنوي لرفع الحرج والضيق الذي كان قد حصل لأبي حذيفة بعد نزول القرآن بإلغاء التبني . من هنا ليس لنا أن نطبقه على سائر الأولاد بالتبني ، لأنه مختص بهذا المورد . من جهة أخرى وبطرق أولى ليس لنا أن نطبقه على الأجانب كما فهم ذلك سائر أزواج النبي واعترضن على عائشة .

أما عائشة التي كانت ترى نفسها صاحبة رأي وفتوى ، فقد أرادت أن تحكم وتفتي كالنبي ، والعياذ بالله . وإذا اعترض عليها النبي وقال لها : لم فعلت هذا ؟! أجابته فوراً : لأنك فعلته مع سهلة وسالم !

أجل . إننا نشكر الله تعالى إذ كانت عائشة ترى الرضاع خمس مرّات كافياً . ولو قُدِّر لها أن تعمل وفقاً لحكم الحقّ عند الشيعة الإماميّة ، وهو تحقّق الرضاع من الثدي عشر مرّات أو خمس عشرة مرّة متواليّة . لصار طلاب لقاءها وحدها أضعافاً مضاعفة ، ذلك أنّهم ينبغي أن يكتبوا على ثدي أختها أمّ كلثوم ، أو بنت أختها ، ويرضعوا عشر مرّات أو خمس عشرة مرّة حتى يشبعوا أو يكتنز لحمهم وتقوى عظامهم .  
وبالجملة ، فقد أطلّعنا على شيء من أعمال هذين العالمين الرئيسيين المتقدّيين عند العامّة وفتاواهم وأحوالهم . فمن المناسب أن نُرخي العنان للقلم فينعطف نحو إماميّهم الآخرين :

### بحث حول محمّد بن إدريس الشافعيّ القرشيّ المطلبيّ

قال البحاثة العليم السيّد محمّد باقر الموسويّ الخوانساريّ في  
روضاته :

السيّد المشكور والمقتدى المشهور في مذهب الجمهور  
محمّد بن إدريس ابن العباس بن عثمان بن الشافع بن السائب بن  
عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلّب بن عبد مناف القرشيّ  
المطلبيّ المشتهر بالإمام الشافعيّ

قال صاحب «القاموس» في نسبه : وبنو شافع من بني المطلّب بن عبد  
مناف . منهم الإمام الشافعيّ . ونظم نسبه الإمام الرافعيّ ، فقال :

مُحَمَّدُ إِدْرِيسُ عَبَّاسٌ وَمَنْ بَعْدَهُمْ عُثْمَانُ بْنُ شَافِعٍ  
وَسَائِبُ بْنُ عُبَيْدِ سَاعٍ عَبْدُ يَزِيدَ ثَامِنٌ وَالتَّاسِعُ  
هَاشِمُ الْمَوْلُودُ ابْنُ الْمُطَلِّبِ عَبْدُ مَنْأَفٍ لِجَمِيعِ تَابِعِ

وذكره ابن خلكان في «وفيات الأعيان» فقال بعد جرّ نسبه إلى عبد مناف المعروف من أجداد سيّد ولد عدنان: لقي جدّه شافع رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو مترعرع . وكان أبوه السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر ، وأسر وفدى نفسه ، ثمّ أسلم . فقيل له : لِمَ لَمْ تُسلم قبل أن تفدي نفسك ؟ قال : ما كنتُ أحرم المؤمنين طمعاً لهم في<sup>١</sup> .

ثم أخذ في وصف فضل الرجل و جامعته للعلوم الدينيّة والأدبيّة والشعر الجميل و غيرها بمطول من التفصيل ، الى أن قال: حتّى قال أحمد بن حنبل: ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتّى جالستُ الشافعي.

وقال الشافعيّ: قدمتُ على مالك بن أنس وقد حفظتُ «الموطأ»، فقال لي: أحضر من يقرأ لك . فقلتُ: أنا قارئ . فقرأتُ عليه «الموطأ» حفظاً . فقال: إن يك أحد يُفلح فهذا الغلام!

وكان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير أو الفتيا، التفت إلى الشافعيّ ، فقال: سلوا هذا الغلام!

وقال أحمد بن حنبل: ما أحد ممّن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعيّ في رقبته منّة! وكان الزعفرانيّ يقول: كان أصحاب الحديث رقوداً حتّى جاء الشافعيّ فأيقظهم ، فيتقظوا . وفضائله أكثر من أن تُعدّ .

ومولده سنة خمسين ومائة ، وقد قيل: إنّه وُلِدَ في اليوم الذي توفّي فيه الإمام أبو حنيفة .

وأورد صاحب «روضات الجنّات» هنا شرحاً مشبعاً في بيان مدّة الحمل وأكثره وأقلّه ، ومقدار حمل رسول الله ، وآية النسيء نقلاً عن كتاب

١- «تاريخ بغداد» للخطيب، ج ٢، ص ٥٨.

«مقامع الفضل» للآغا محمد علي الكرمانشاهي، ثم قال بعد ذلك :  
 رجعنا إلى كلام صاحب «الوفيات». قال : وقدم بغداد سنة خمسة  
 وتسعين ومائة، فأقام بها سنتين، ثم خرج إلى مكة، ثم عاد إلى بغداد سنة  
 ثمان وتسعين ومائة، فأقام بها شهراً، ثم خرج إلى مصر. وكان وصوله  
 إليها في سنة تسع وتسعين ومائة، ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الجمعة  
 آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين. ودُفن بعد العصر من يومه، بالقرافة  
 الصغرى، وقبره يزار بها بالقرب من المقطم - انتهى كلام ابن خلكان<sup>١</sup>.  
 وقال ابن خلكان في ترجمة أبي جعفر محمد بن أحمد بن نصر  
 الترمذي الفقيه الشافعي، أنه كان يقول : تفقّهت على مذهب أبي حنيفة،  
 فرأيتُ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم في مسجد المدينة عام حججتُ،  
 فقلتُ : يا رسول الله قد تفقّهت بقول أبي حنيفة، أفأخذ به؟! فقال : لا.  
 فقلتُ : آخذ بقول مالك بن أنس؟! فقال : خذ منه ما وافق سنّتي! قلتُ :  
 أفأخذ بقول الشافعي؟! فقال : ما هو بقوله إلا أنه أخذ بسنّتي وردّ على من  
 خالفها.

قال : فخرجتُ على أثر هذه الرؤيا [إلى مصر] وكتبتُ كتب الشافعي.  
 وقال الدار قطني : هو ثقة مأمون ناسك.  
 هذا وفي أوّليات الفاضل السيوطي وغيره أنّ الشافعيّ أوّل من صنّف  
 آيات الأحكام، وأوّل من صنّف في أصول الفقه، وأوّل من تكلم في  
 مختلف الحديث وصنّف فيه.

١- إن ما نقله صاحب «الروضات» عن صاحب «وفيات الأعيان» موجود في تاريخ ابن  
 خلكان، ج ٢، ص ٢١٤ إلى ٢١٨، طبعة بولاق؛ و: ج ٤، ص ١٦٣ إلى ١٦٩، الرقم ٥٥٨،  
 طبعة بيروت بتحقيق الدكتور إحسان عباس.

قال صاحب «الروضات»: قلتُ: ومن جملة ما صنّفه أيّام مقامه ببغداد هو كتابه القديم الذي سمّاه «الحجّة» كما ذكره محيي الدين النوويّ في شرح مشكلات كتاب «التنبيه». وقال الدميريّ في كتاب «حياة الحيوان»: حكى البويطيّ عن الشافعيّ قال: إنّ كان في مجلس مالك بن أنس وهو غلام، فجاء رجل إلى مالك استفتاه، فقال: أنّي حلفتُ بالطلاق الثلاث إنّ هذا الليل لا يهدأ من الصياح، فقال له مالك: قد حثتُ!<sup>١</sup> فمضى الرجل: فالتفت الشافعيّ إلى بعض أصحاب مالك، فقال: إنّ هذه الفتيا خطأ. فأخبر مالك بذلك، وكان مالك مهيب المجلس لا يجسر أحد أن يراذه. وكان ربّما جاء صاحب الشرطة، فوقف على رأسه إذا اجلس في مجلسه.

فقالوا لمالك: إنّ هذا الغلام الشافعيّ يزعم أنّ هذه الفتيا إغفال وخطأ. فقال له مالك: من أين قلت هذا؟! فقال له الشافعيّ: أليس أنت الذي رويت لنا عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في قصّة فاطمة ابنة قيس أنّها قالت للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّها جهم، ومعاوية خطبا فيّ! فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: أمّا أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه، وأمّا معاوية فصعلوك لا مال له. فهل كانت عصا أبي جهم دائماً على عاتقه؟! وإنّما أراد من ذلك الأغلب. فعرف مالك محلّ الشافعيّ ومقداره. قال الشافعيّ: فلما أردتُ أن أخرج من المدينة جئتُ إلى مالك فودّعته. فقال لي مالك حين فارقتَه: يا غلام؛ اتّق الله تعالى ولا تُظفئ هذا

١- العامّة جميعهم يحلفون باللاق، رأي: زوجتي مطلقّة إذا لم يكن كذا أو لم أفعل كذا. بيّد أنّ الشيعة مجمعون على بطلان هذا النوع من القسم وأمثاله كالقسم بالعناق وإعطاء المال في سبيل الله، ويقولون: القسم النافذ هو القسم بالله تعالى فحسب.

النور الذي أعطاه الله عزّ وجلّ بالمعاصي ! يعني بالنور العلم ، وهو قول الله تعالى : وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ<sup>١</sup>.

وقال السيّد أحمد بن محمّد بن أحمد الحافي الحسينيّ في كتابه المسمّى بـ «التبر المذاب» في بيان ترتيب الأصحاب عند عدّه لفاضل أمير المؤمنين عليه السلام : أخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله وربّاه ودعاه إلى الإسلام فلّبّاه . فلّمّا بُعث كان عمره اثنتي عشرة سنة ، وكان أوّل من آمن به ، لما رواه الإمام أحمد في مسنده بسنده إلى حَبَّة العُرْنِيّ . إلى أن قال : وجميع العلوم أهلها تنتمي إليه . فالفقهاء الأربعة يرجعون إليه . أمّا الإمام أبو حنيفة فهو تلميذ الصادق جعفر بن محمّد الباقر بن عليّ بن زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وأما الإمام الشافعيّ فإنّه قرأ على محمّد بن الحسن الشيبانيّ تلميذ أبي حنيفة ، وعلى مالك بن أنس ، فيرجع فقهه إليه . وأما الإمام مالك فقراً على اثنين أحدهما ربيعة الرأي تلميذ عكرمة ، وهو تلميذ ابن عبّاس ، وهو تلميذ عليّ عليه السلام ، والثاني جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام .

وأما الإمام أحمد فقراً على الشافعيّ ، فيرجع فقهه إليه . انتهى . وللشافعيّ أشعار فاخرة ونظومات شتى في مختلفات من المعنى ذكر جملة منها أيضاً صاحب «الوفيات» . منها قوله ، وهو من أجود أشعاره :

يَا رَبِّ ! أَعْضَاءُ الْوُضُوءِ عِتْقُهَا

مِنْ فَضْلِكَ الْوَافِي وَأَنْتَ الْوَاقِي

١- الآية ٤٠ ، من السورة ٢٤ : النور .



وَالْعَتَقُ يَسْرِي فِي الْغِنَى يَا ذَا الْغِنَى

فَأْمُنْ عَلَيَّ الْفَانِي! بِعِتْقِ الْبَاقِي

وله أيضاً :

لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدٍ

وَلَوْلَا الشُّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي

وله أيضاً :

وَرَابِعُهَا خَلْوَةٌ وَهُوَ خِيَارُهَا  
وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الشَّبَابَ مَدَارُهَا

يَقُولُونَ أَسْبَابَ الْفِرَاحِ ثَلَاثَةٌ  
وَقَدْ ذَكَرُوا مَالًا وَأَمْنًا وَصِحَّةً

وله أيضاً :

وَسُرُورُهُ يَأْتِيكَ كَالْأَعْيَادِ  
وَتَرَى السُّرُورَ يَجِيءُ كَالْفَلَتَاتِ

مِخْنُ الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ لَا تَنْقُضِي  
تَأْتِي الْمَكَارِهِ حِينَ تَأْتِي جُمْلَةٌ

وله أيضاً :

وَأَمَزَحَ لَهُ إِنَّ الْمُزَاحَ وَفَاقُ  
يُعْطِي النَّضَاجَ وَطَبْعُهَا الْإِحْرَاقُ

وَإِذَا عَجَزَتْ عَنِ الْعَدُوِّ فَدَارِهِ  
فَالْمَاءُ بِاللَّيْلِ الَّتِي هِيَ ضِدُّهُ

وله أيضاً في الولاية شي كثير ومدائح غفيرة لمن نزل في شأنهم آية  
التطهير . منها ما نقله صاحب «حدائق الشيعة» من أن الشافعي سأله بعض

الناس عن صفة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال :

مَا يَسْعُنِي أَنْ أَقُولَ فِي حَقِّ مَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ ثَلَاثٌ مَعَ ثَلَاثٍ  
لَمْ يَجْتَمِعْنَ فِي أَحَدٍ قَطُّ : الْجُودُ مَعَ الْفَقْرِ ، وَالْجَلَادَةُ مَعَ الرَّأْيِ ، وَالْعِلْمُ مَعَ  
الْعَمَلِ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا عَبْدٌ لِفَتَى أَنْزَلَ فِيهِ هَلْ أَتَى

إِلَى مَتَى أَكْتُمُهُ إِلَى مَتَى إِلَى مَتَى ؟

ونُقل عنه أيضاً أنه قال في جواب رجل آخر سأله عن ذلك :

مَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ أَسْرَّ أَوْلِيَاؤُهُ مَنَاقِبَهُ تَقِيَّةً ، وَكَتَمَهُ أَعْدَاؤُهُ حَنَقًا

وَعَدَاوَةٌ، وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ شَاعَ مِنْهُ مَا مَلَأَتِ الْخَافِقِينَ<sup>١</sup>.

وقد أخذ منه السيد تاج الدين العاملي رحمه الله هذا المعنى في قوله :  
لَقَدْ كَتَمْتَ آثَارَ آلِ مُحَمَّدٍ مُحِبُّوهُمْ خَوْفًا وَأَعْدَاؤُهُمْ بُغْضًا  
فَأَبْرَزَ مِنْ بَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ نَبْدَةً بِهَا مَلَأَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَا  
ومن المشهور المتواتر عنه نقله قوله في جملة ما نسب إليه كَلَهُ :  
لَوْ أَنَّ الْمُرْتَضَى أَبَدَا مَحَلَّهُ لَحَرَّ النَّاسُ طُرًّا سُجْدًا لَهُ  
وَمَاتَ الشَّافِعِيُّ لَيْسَ يَدْرِي عَلِيٌّ رَبُّهُ أَمْ رَبُّهُ اللَّهُ  
وقوله :

إِذَا فِي مَجْلِسٍ ذَكَرُوا عَلِيًّا وَشِبْلِيهِ وَفَاطِمَةَ الزَّكِيَّةِ  
يُقَالُ: تَجَاوَزُوا يَا قَوْمَ عَنْهُ فَهَذَا مِنْ حَدِيثِ الرَّافِضِيَّةِ  
بَرِئْتُ إِلَى الْمُهَيَّمِينَ مِنْ أَنَاْسٍ يَرُونَ الرَّفْضَ حُبَّ الْفَاطِمِيَّةِ  
عَلَى آلِ الرَّسُولِ صَلَاةُ رَبِّي وَلَعْنَتُهُ لِمَنْ لَتَلَ الْجَاهِلِيَّةِ

وله أيضاً برواية ابن الحجر المكي في كتاب «الصواعق» :

يَا أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ  
كَفَاكُمُ مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ أَنَّكُمْ مَنْ لَا يُصَلِّي عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ  
وعن رواية محمد بن يوسف الزرندي أنه لما صرح محمد بن إدريس  
الشافعي المطبّي بمحبته لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيله  
فيه ما قيل من الكلام الطويل ، عرض على أصحاب التخطئة في ذلك بقوله :  
إِذَا نَحْنُ فَضَّلْنَا عَلِيًّا فَأِنَّا

رَوَافِضُ بِالْتَفْضِيلِ عِنْدَ أَوْلِي الْجَهْلِ

١- قال في «أقرب الموارد» الخافقان المشرق والمغرب، لأن الليل والنهار يخفقان  
فيهما. خَفَقَ النَّجْمُ خُفُوقًا: غاب. وكذلك الشمس والقمر.

وَفَضَّلُ أَبِي بَكْرٍ إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ

رُمِيَتْ بِنَضْبٍ عِنْدَ ذِكْرِي لِلْفَضْلِ

فَلَا زِلْتُ ذَا رَفِضٍ وَنَضْبٍ كِلَاهُمَا

بِحُبِّيهِمَا حَتَّى أُوَسَّدَ فِي الرَّمْلِ

وله أيضاً برواية صاحب «التبر المذاب» وغيره أشعار ومراثي كثيرة في الحسين بن عليّ عليهما السلام . وقد ذكر جملة منها في أواخر المجلد العاشر من «بحار الأنوار» (طبعة الكمباني) فليلاحظ إن شاء الله .

وينسب إليه أيضاً برواية ابن الصبّاغ المالكيّ في كتابه «الفصول

المهمّة» :

يَا رَاكِبًا قَفَّ بِالْمُحَصَّبِ ۱ مِنْ مَنِي

وَاهْتَفَّ بِسَاكِنِ خَيْفِهَا وَالنَّاهِضِ

١- قال في «مجمع البحرين»: وفي الحديث: فَرَقَدَ رَقْدَةً بِالْمُحَصَّبِ . هو بضم الميم وتشديد الصاد موضع الجمار عند أهل اللغة. والمراد به هنا كما نصّ عليه بعض شراح الحديث الأبطح، إذا لمحصّب يصحّ أن لكلّ موضع كثيرة حصاؤه. والأبطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى. وهذا الموضع تارة يسمّى بالأبطح وأخرى بالمحصّب. أوّله عند منقطع الشعب من وادي منى وآخره متصل بالمقبرة التي تسمّى عند أهل مكّة بالمعلّى. وليس المراد بالمحصّب موضع الجمار بمنى، وذلك لأنّ السنّة يوم النفر من منى أن ينفر بعد رمي الجمار، وأوّل وقته بعد الزوال وليس له أن يلبث حتّى يُمسي . وقد صلّى به النبيّ صلّى الله عليه وآله المغرب والعشاء الآخرة، وقد رقد به رقدة، فعلمنا أنّ المراد من المحصّب ما ذكرنا.

وقال في «لسان العرب»: والحصّب موضع رمي الجمار بمنى. وقيل: هو الشّعب الذي مخرجه إلى الأبطح بين مكّة ومنى، يُنام فيه ساعة من الليل ثمّ يُخرج إلى مكّة. وعلى أيّ تقدير، من المعلوم أنّ مراد الشافعيّ من المحصّب موضع رمي الجمار، لأنّه يقول: قف بالمحصّب من منى واهتف بالناس سحرّاً. ومن الطبيعيّ أنّ الناس يأتون عند

سَحْرًا إِذَا فَاضَ الْجَمِيعُ إِلَى مِنِي

فَيْضًا كَمَلَّتَمِ الْفِرَاتِ الْفَائِضِ

إِنْ كَانَ رَفُضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ

فَلَيْشْهَدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي<sup>١</sup>

هذا ومن جملة فوائده المرضية بنقل صاحب «الاثنا عشرية»: :

مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ عَظُمَتْ قِيَمَتُهُ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْفِقْهَ نَبِلَ مِقْدَارُهُ، وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ قَوِيَتْ حُجَّتُهُ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْحِسَابَ جَزُلَ رَأْيُهُ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ رَقَّ طَبْعُهُ، وَمَنْ لَمْ يَصُنْ نَفْسَهُ لَمْ يَنْفَعَهُ عِلْمُهُ. انتهى .

وعن كتاب «تفضيل فرق الشيعة» للشيخ أبي المعالي الجويني أنه لما كانت الغلبة مع الشافعي دائماً في مناظراته مع محمد بن الحسن الشيباني وأبي يوسف القاضي تلميذي أبي حنيفة الكوفي، صار ذلك سبباً في سعائهما له إلى الخليفة بأن له داعية الخلافة ونحوها، إلى أن تغير عليه وجهه كثيراً. ثم لما أراد الله تعالى خلاف ما طلباه، وانكشف كذبهما في

السحر من المشعر إلى مني، لا من مني إلى مكة.

١- ذكر هذه الأبيات الإمام الفخر الرازي في ج ٢٧، ص ١٦٦، و القندوزي الحنفي! في «ينابيع المودة» ص ٥٦٨، طبعة النجف، نقلاً عن ابن حجر الهيثمي في «الصواعق» مع بيت رابع جعله الثالث مناهي ي يبايعه، و البث هو :

وَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي مِنَ النَّفْرِ الَّذِي لَوْلَاءَ أَهْلِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِنَاقِضٍ

لكن ابن حجر لم يذكر هذا البيت في «الصواعق المحرقة» ص ٧٩. و نقل المستشار عبدالحليم الجندبي في كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص ٥١، البتين الأول و الرابع عن الشافعي، و نقط بينهما، أي: أن بيتاً موجود بينهما. و ذكر البيت الأول بلفظ:

واهتف بقاعد خفيها و الناهض .

و قال: سَمِعَ الْعَالِمَ الشَّافِعِيَّ فِي جَامِعِ عَمْرٍو يَهْتَزُّ تَحَنُّنًا إِلَى أَبْنَاءِ عَلِيٍّ فِي الْحِجَازِ،

فــــينشد

....

كلّ ما نُمياه إليه انقلبت القضية ، وصار ذلك منشأ لقرب مكانته من الخليفة وشدة غضبه عليهما ، بحيث قد صدر الأمر العالي بإخراجهما من المجلس الرفيع ، بأن يُسحبا على وجوههما في التراب ، ويجرّ بأرجلهما إلى خارج الباب ؛ وهما بعد ما وقعا عرضة لهذه الفضيحة أخذوا في الدعوة على الشافعي ، فكانا يقولان بعد ذلك : **اللَّهُمَّ أُمَّتَهُ وَأَهْلِكَهُ .** فلما بلغ الشافعي ذلك أنشأ يقول :

**تَمَنَّى رَجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أُمَّتُ**

**فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ**

**فَقُلْ لِلَّذِي يَبْقَى خِلَافَ الَّذِي مَضَى**

**تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدِ**

قال ابن حجر الهيتمي المكي في صواعقه بعد نقل الأبيات الثلاثة عن الشافعي : «يا راكباً» : قال البيهقي : وإنما قال الشافعي ذلك حين نسبة الخوارج إلى الرفض حسداً وبغياً . وله أيضاً ، وقد قال المزني : إنك رجل توالي أهل البيت فلو علمت في هذا الباب أبياتاً ، فقال :

**وَمَا زَالَ كَتَمًا مِنْكَ حَتَّى كَانَنِي بِرَدِّ جَوَابِ السَّائِلِينَ لِأَعْجَمٍ**  
**وَأَكْتُمُ وُدِّي مَعَ صَفَاءِ مَوَدَّتِي لِتَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ الوُشَاةِ وَأَسْلَمَ**  
وقال الشافعي أيضاً :

**قَالُوا تَرْفُضْتَ قُلْتُ كَلَّا مَا الرَّفْضُ دِينِي وَلَا إِعْتِقَادِي**  
**لَكِنْ تَوَلَّيْتُ غَيْرَ شَكِّ خَيْرِ إِمَامٍ وَخَيْرِ هَادِي**

١- «روضات الجنّات» ج ٢ ، ص ٥٤ إلى ١٥٦ ، طبعة الحجرّة ؛ والطبعة الحديثة ، بيروت ، ج ٧ ، ص ٢٥٧ إلى ٢٦٣ . وذكر أبو المعالي الجويني البتّين الأخيرين أيضاً في كتاب «مغيث الخلق في ترجيح القول الحقّ» ص ٨٤ ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٢ هـ .

إِنْ كَانَ حُبُّ الْوَلِيِّ رَفُضًا فَإِنِّي أَرْفُضُ الْعِبَادَ  
 يتبين ممّا ذكرناه أنّ الشافعي كان يرى الإمام عليّاً أمير المؤمنين  
 عليه السلام وأبناءه الطاهرين في كمال العلوّ والسموّ ، وكان يحبّهم . بيد أنّه  
 لم يخضع لولايتهم ولم يتبرأ من أبي بكر ، وعمر . بل كان يقرّ بفضائلها  
 ويعتقد بخلافتهما . وكذلك كان يقرّ لعثمان بمنزلة وفضيلة ، كما سُمعت له  
 أبيات حكاها الربيع بن سليمان عنه .<sup>٢</sup>  
 وهي قوله :

١- «الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة» ص ٧٩.

٢- من جملة الإشكالات التي سجّلها الجميع على الشافعي فتواه بجواز نكاح البنت  
 المولودة من رجل بالزنا. قال الشافعي: الزنا يبطل النسب، وليس لولد الزنا علاقة بأب وأمّ  
 من جهة الإرث والنظر وما شابههما، فلا يصدق عنوان البنت عليها شرعاً، ولا تدخل في  
 قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ (الآية ٢٣، من السورة ٤: النساء) وللزاني أن  
 ينكحها.

وقال مخالفوه ومنهم طائفة الإمامية الحقّة: وردت الآية بتحريم النكاح على عنوان  
 البنت. ويصدق عنوان البنت على المتولّدة من الزناء وتُسمّى بنتاً في العرف واللغة لهذا  
 يحرم نكاحها، ورفع اليد عن بعض أحكام البنت كالإرث والنظر لا يخرجها عن عنوان البنت  
 في اللغة شرعاً. فلهذا تصحّ تلك الأحكام بنحو التخصيص. كما يصحّ عنوان البنت في القرآن  
 الكريم، ويحرم نكاحها.

قال في «الفصول المختارة» وهو من إماء الشيخ المفيد وتقرير الشريف المرتضى،  
 ج ١، ص ١٣٧ و١٣٨: قال أبو حنيفة: إن الرجل إذا تزوّج بالمرأة. ثمّ طلقها عقيب عقد النكاح  
 بلا فصل، فأنت بولد لسنة أشهر أنّه يلحق به من غير أن يكون جامعها الرجل ولا خلا بها.  
 وإنّما عقد عليه لها أبوها وطلقها هو في المجلس فألحق بالرجل غير ولده. وقال: لو عقد  
 عليها بمصر وهي ببغداد ثمّ جاءت بولد وهو بمصر لم يبرح منها لَلحِقَ به الولد. وقال  
 الشافعي بضدّ هذا إنّه لو افتضّ رجل بكرةً وأجبلها فجاءت بابنة لحلّ له العقد عليها وحلّ له  
 وطبها. فأباح هذا نكاح ابنته وعلّق ذلك على الرجل غير ولده.

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ لَأَرْبَ غَيْرُهُ  
 وَأَشْهَدُ أَنَّ الْبَعْتَ حَقٌّ وَأَخْلِصُ  
 وَأَنَّ عُرَا الْإِيمَانِ قَوْلٌ مُحَسَّنٌ  
 وَفِعْلٌ زَكِيٌّ قَدْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ  
 وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَبِّهِ  
 وَكَانَ أَبُو حَفْصٍ عَلَى الْخَيْرِ يَحْرُصُ  
 وَأَنَّ عَلِيًّا فَضْلُهُ مُتَخَصِّصٌ  
 أئِمَّةٌ قَوْمٍ نَهْتَدِي بِهِدَاهُمُ  
 لِحَا اللَّهَ مَنْ إِيَّاهُمْ يَتَنَقَّصُ<sup>١</sup>

في ضوء ذلك لا تدلُّ أشعاره الرفيعة جميعها على تشييعه ، لأنَّ التبريرَ لازم في التشيع مضافاً إلى التولي . وهو كابن أبي الحديد المعتزلي ، فمع قصائده السبع الغرّ النادرة المثال ، ومع المحامد والمحاسن التي ذكرها في «شرح نهج البلاغة» ، لكنّه رجل سنّي عامّي! لقوله بحقّانيّة خلافة الشيخين . أمّا الشافعيّ فهو سنّي معتدل لا متجاوز ولا متهتك ، لأنّه أولاً : لا يتبع الأشعريّ في الأصول كسائر العامّة ، ويقول بالعدل . وثانياً : يردّ الرأي والقياس الظنّي والاستحسان في الفروع ، فهو ليس كأبي حنيفة ومالك .

١- «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» تأليف يوسف بن تعزي بردي الأتابكي ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ ، طبعة دار الكتب المصريّة ، القاهرة سنة ١٣٥١ هـ . وقال المعلق في الهامش : في «تاريخ ابن عساكر» ج ٢ ، ص ٦٥ : لا شيء غيره . وقال في فضله متخصّص : في الأصل فضله لمخصّص . وما أثبتناه عن «تاريخ ابن عساكر . وأضفنا البيت الخامس نقلاً عن «تاريخ ابن عساكر» .

أما العدل الإلهي ، فهو يعتقد به كالشيعة والمعتزلة . كما روى عنه الشيخ سليمان الحنفي القندوزي أنه قال في شعره :

لَوْ فَتَّشُوا قَلْبِي لَأَلْفَوْا بِهِ سَطْرُنَ قَدْ خُطَّ بِإِلَاحَاتِ  
 الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ فِي جَانِبٍ وَحُبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي جَانِبٍ<sup>١</sup>

كما نقل في أشعاره السابقة عن «النجوم الزاهرة» تصريحه بأن الإيمان يزيد وينقص . وهذه من المسائل التي شمر أبو حنيفة عن ساعد الجد في ردّها . وقال بصراحة : **الإيمان لا يزيد ولا ينقص** .

وأما العمل بالرأي والقياس والإستحسان ، فينبغي أن نقول : تفرّد الشافعي في عدم العمل بها .<sup>٢</sup>

الرأي هو فتوى الفقيه عند عدم الإطلاع على مدارك الحكم من الكتاب والسنة . والقياس هو تطبيق الحكم على موضوع مماثل عند القطع أو الظن أو الاحتمال بوجود الملاك والمناط في هذا الموضوع المماثل مع موضوع الحكم . والاستحسان هو الإفتاء في شيء بمجرد استحسانه في النظر مع أنّ حكم الكتاب والسنة يخالفه .

والعمل بالرأي خطأ في كلّ حال . إذ إنّ الشريعة هي الحكم الإلهي

١- «ينابيع المودة» ص ٥٦٨ ، الطبعة السابقة ، النجف الأشرف ، سنة ١٣٨٤ هـ .

٢- قال عبد الملك الجويني في كتاب «مغيث الخلق» ص ٣٣ ، في دعم المذهب الشافعي وردّ المذاهب الحنفي :

ومنها (من جملة الإيرادات على أبي حنيفة) : قوله بأنّ الخبر الواحد إذا ورد مخالفاً للقياس كان مردوداً . ولا شك أنّ أصل القياس الخبر ، فالواجب أن يطلب الموافقة بين الفرع والأصل ، إن كان القياس موافقاً للأصل وهو الخير كان مقبولاً ، وإن كان مخالفاً للأصل علم بطلانه ، فأما أن يطلب موافقه الأصل الفرع حتّى تستوي الأصول على الفروع فذلك مستحيل عقلاً ونقلاً ، بل الفروع تُسوّى على الأصول أبداً ، ومثل هذا كثير على أصوله .



الموجود في الكتاب والسنة، والإجماع القطعي على وجود الحجّة أو دخول المعصوم. والعمل بالرأي هو العمل القائم بشخص في مقابل الشرع. العمل بالقياس صحيح عند تنقيح المناط القطع والملاك اليقيني. وعند عدم اليقين بوجود ملاك الحكم في الموضوع المعهود، فإنّ جرّ الحكم من الموضوع القطعي إلى هذا الموضوع الظني والاحتمالي هو جرّ الحكم من المتيقن إلى المشكوك. وعلى أيّ حال فهو مرفوض ومُدان في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث المستفيضة الدالة على لزوم تحصيل اليقين<sup>١</sup>.

يرى الشافعيّ العمل بالاستحسان، والرأي، والقياسات الوهميّة والظنيّة باطل. ولا يُقبل القياس عنده إلا إذا حصل القطع بالملاك. من هنا فلا خلاف بين مصادر فتواه وفتوى علماء الشيعة.

وعلى الرغم من أنّ المذهب الشافعيّ يختلف عن المذهب الشيعيّ الجعفريّ في الفروع كثيراً، بيد أنّنا يمكن أن نقول: هو أقرب إليه من مذاهب العامّة جميعها<sup>٢</sup>.

١- قال في كتاب «مغيث الخلق» ص ٣٥: وقال إمام المسلمين أحمد بن حنبل رضي الله عنه لمّا لقي الشافعيّ رضي الله عنه: جاءنا صيرفيّ الحديث. وقال الشافعيّ رضي الله عنه: من علم الحديث غزرت حجّته. وإنّ أبا حنيفة رضي الله عنه كانت بضاعته من علم الحديث مزجاة، والذي يدلّ عليه أنّ أصحاب الحديث شدّدوا النكير على أبي حنيفة رحمه الله فقالوا: إنّه أقواماً أعوزهم حفظ أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فاستعملوا الرأي، فضلّوا وأضلّوا.

٢- من الفوارق البيّنة بين الشافعيّ والإماميّة نكاح البنت المخلوقة من الزنا. فذهب الإماميّة إلى تحريم البنت المخلوقة من الزنا على الأب والأخ والعمّ والخال، وكذا باقي المحرّمات المؤبّدة بالنسب. وقال الشافعيّ: حلال. قال العلامة الحلبيّ في «نهج الحقّ وكشف الصدق» ص ٥٢٢ و ٥٢٣: وقال الشافعيّ: يجوز ذلك. فجوز أن ينكح الرجل بنته

قال أبو المعالي عبد الملك الجويني في إثبات المذهب الشافعي ،  
وردّ المذهب الحنفي في موضوع الاستحسان :  
القول بالاستحسان : وذلك عمل بلا دليل ، فإنّ حاصله يرجع إلى أنّ  
الدليل معكم من الخبر والقياس ولكنّي أسْتَحْسِنُ مخالفته وهذا إثبات  
للشروع من تلقاء نفسه . وقال الشافعي رضي الله عنه حين ناظر محمّد بن  
الحسن في هذه المسألة : مَنْ استحسن فقد شرّع ، وَمَنْ شرّع فقد أشرك .<sup>١</sup>  
وقال الشافعي نفسه في كتاب «الأُمّ» في إبطال الاستحسان : (قال  
الشافعي) : وكلّ ما وصفتُ مع ما أنا ذاكر وساكت عنه اكتفاء بما ذكرت منه  
عمّا لم أذكر من حكم الله ثمّ حكم رسوله صلّى الله عليه [ وآله ] وسلّم ، ثمّ  
حكم المسلمين دليل على أن لا يجوز لمن استأهل أن يكون حاكماً أو  
مفتياً أن يحكم أو يُفتي إلاّ من جهة خبر لازم . وذلك الكتاب ثمّ السنّة . أو  
ما قاله أهل العلم لا يختلفون فيه ، أو قياس على بعض هذا ، ولا يجوز له أن  
يحكم ولا يُفتي بالاستحسان .<sup>٢</sup> إذ لم يكن الاستحسان واجباً ، ولا في واحدٍ

من الزنا وأخته وأُمّه وعمّته وخالته وكلّ من حرّم الله تعالى في كتابه . وكذا من يجتمع  
فيها سببا تحريم وأسباب كأُمّ هي أخت أو بنت هي بنت بنت أو عمّة هي خالة . \* ( كتاب  
الأُمّ ) للشافعي ، ج ٥ ص ٢٥ ، و « بداية المجتهد » ج ٢ ، ص ٢٩ . وهذا بعينه مذهب المجوس  
«نعوذ بالله تعالى من المصير إلى ذلك» . وقد قال الله تعالى : حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ  
وَبَنَاتُكُمْ . وهذه صفات حقيقيّة لا يتغيّر بتغيّر الشرائع والأديان منع إلحاقهم بالأنساب في  
الميراث وغيره من الحقوق الشرعيّة لا يخرجهم عن الصفات الحقيقيّة . ولهذا تضاف إليه ،  
فيقال : ابنته أو أُمّه أو أخته من الزنا . وليس هذا التقييد موجبا للمجازيّة كما في قولنا : أخته  
من النسب ليفصلها عن أخت الرضاع ، ولأنّ التحريم شامل لمن تصدق عليه هذه الألفاظ  
حقيقيّة أو مجازاً إجماعاً - إلى آخر كلامه .

١- كتاب «مغيث الخلق» ص ٣٢ .

٢- قال الشيخ محمّد النجار الزهري في مقدّمة كتاب «الأُمّ» للشافعي ، ص «ح» : بن

من هذه المعاني .

فإن قال قائل : فما يدلّ على أن لا يجوز أن يستحسن إذا لم يدخل الاستحسان في هذه المعاني مع ما ذكرت في كتابك هذا؟! قيل : قال الله عزّ وجلّ : **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**.<sup>١</sup>

فلم يختلف أهل العلم بالقرآن فيما علمت أنّ السدى الذي لا يؤمر ولا يُنهى . ومن أفتى أو حكم بما لم يؤمر به فقد أجاز لنفسه أن يكون في معاني السدى ، وقد أعلمه الله أنّه لم يتركه سدى ، ورأى أن قال : أقول بما شئت . وادّعى ما نزل القرآن بخلافه في هذا ، وفي السنن ، فخالف منهاج النبيين صلّى الله عليهم [وآلهم] وسلّم أجمعين وعوامّ حكم جماعة من روى عنه من العالمين.<sup>٢</sup>

وجملة القول : أنّ من ضرورات المذهب الشيعي بطلان وحرمة الحكم والفتوى بالرأي والاستحسان والقياس.<sup>٣</sup> ومن الطبيعي أنّ القياس

---

الإمام الشافعيّ مذهبه على الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولم يجنح إلى الاستحسان الذي ذهب إليه الإمام أبو حنيفة. وتحرير القول في الخلاف بين الحنفيّة والشافعيّة في اتّخاذ الاستحسان أصلاً في الشريعة، محلّه كتب الأصول.

١- الآية ٣٦، من السورة ٧٥: القيامة.

٢- «الأمّ» تأليف محمّد بن إدريس الشافعيّ، ج ٧، ص ٢٩٨، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨١ هـ، شركة الطباعة الفنيّة المتّحدة.

٣- تحدّث الجويني مفصلاً عن كيفيّة أخذ القياس عند الشافعيّ، وذكر في كتاب «مغيث الخلق» قبل ص ٤٣، سلسلة المراتب والدرجات في تنقيح الأحكام الشرعيّة، ثم قال في ص ٤٣:

هذا تدقيق نظر الشافعيّ ووجه تصرّفاته في تفاريعه حيث رتب هذا الترتيب وراعى هذه المراتب، وأبو حنيفة ساوى بين المعاملات والمناكحات والتكبير والعبادات والقرآن المعجز المنزل من ربّ السماوات والأرض، وقال: **ينعقد البيع بغير لفظه، والنكاح بغير**

هنا - كما أشرنا - هو القياس غير العلمي والاحتمالي. أما القياس العلمي فله الحجية في درجة الكتاب والسنة والإجماع المحقق. ويُدعى هذا القياس قياساً مستنبط العلة، أي: استنبطت فيه علة الحكم، ومتى تحققت العلة تحققت الحكم الذي هو معلولها. كما ورد في رواية المعصوم:

لَا تَشْرَبِ الْخَمْرَ لِأَنَّهُ مُسْكِرٌ. نلاحظ هنا أن حرمة شرب الخمر لا تتعلق بموضوع الخمر، لأنه خمر أو غير ذلك، بل إن علة الحرمة إسكاره، لهذا متى تحقق الإسكار في موضوع تعلقت الحرمة به سواء كان من مادة مخمّرة، أم من غير مخمّرة كالبنج وغيره. ذلك أن موضوعنا في الحقيقة يتبدل إلى موضوع آخر، وهو: لَا تَشْرَبِ كُلَّ مُسْكِرٍ! أو نحو الأولوية القطعية مثل قوله تعالى: فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ! فيستفاد منه أن ضربهما حرام بطريق أولى. فجاز لنا أن نستنتج من الحكم بحرمة قول: أُفٍّ، الحكم بحرمة الإساءة إليهما، وسبهما، وضربهما بطريق الأولوية.

أما في القياسات المحتملة الملاك والمظنونة المناط، فلا يتسنى لنا أن نحكم حكماً قطعياً بسرّاية الحكم، فلهذا يحظر استعمالها لاستنتاج الأحكام الشرعية والقضايا المتوّعة، وهذا الباب مسدود تماماً أمام المجتهدين والفقهاء.

روى الشيخ الطبرسي في «الاحتجاج» عن بشير بن يحيى العامري،

لفظه، والتكبير بغير لفظه. والقرآن بغير نظمه، حتى لو قرأ فارسية القرآن في الصلاة تنعقد صلاته. وهذا مزج فن بفن، وخلط قبيل بقبيل، وذهول عن الدقائق. فإذن الشافعي أتم نظراً في القياس وأعمم تدقيقاً من أبي حنيفة، فلهذا استنكف محمد بن الحسن وأبو يوسف عن متابعته في ثلثي مذهبه ووافقاً الشافعي في أكثر المسائل.

١- الآية ٢٣، من السورة ١٧: الإسراء.

عن ابن أبي ليلى ، قال : دخلتُ أنا والنعمان أبو حنيفة على جعفر بن محمد ، فرحّب بنا ، فقال : يا بن أبي ليلى من هذا الرجل ؟! فقلتُ : جُعِلْتُ فذاك من أهل الكوفة له رأي وبصيرة ونفاذ ! قال : فلعلّه الذي يقيس الأشياء برأيه ! ثمّ قال : يا نعمان ! هل تُحسن أن تقيس رأسك ؟! قال : لا ! قال : ما أراك تحسن أن تقيس شيئاً ! فَهَلْ عَرَفْتَ الْمُلُوحَةَ فِي الْعَيْنَيْنِ ، وَالْمَرَارَةَ فِي الْأُذُنَيْنِ ، وَالْبُرُودَةَ فِي الْمُنْخَرَيْنِ ، وَالْعُدُوبَةَ فِي الْفَمِّ ؟!

قال : لا ! قال : لهل عرفت كلمة أولها كفر وآخرها إيمان ؟! قال : لا . قال ابن أبي ليلى : جُعِلْتُ فِدَاكَ . لا تدعنا في عمياء ممّا وصفت .

قال : نَعَمْ ، حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ عَيْنِي ابْنَ آدَمَ شَحْمَتَيْنِ فَجَعَلَ فِيهِمَا الْمُلُوحَةَ ، فَلَوْلَا ذَلِكَ لَذَابَتَا ، وَلَمْ يَقَعْ فِيهِمَا شَيْءٌ مِنَ الْقَذَى إِلَّا أَذَابَهُ . وَالْمُلُوحَةُ تَلْفِظُ مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ مِنَ الْقَذَى . وَجَعَلَ الْمَرَارَةَ فِي الْأُذُنَيْنِ حِجَاباً لِلدِّمَاغِ ، وَلَيْسَ مِنْ دَابَّةٍ تَقَعُ فِي الْأُذُنِ إِلَّا التَّمَسَّتْ الْخُرُوجَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَوَصَلَتْ إِلَى الدِّمَاغِ فَأَفْسَدَتْهُ . وَجَعَلَ اللَّهُ الْبُرُودَةَ فِي الْمُنْخَرَيْنِ حِجَاباً لِلدِّمَاغِ . وَلَوْلَا ذَلِكَ لَسَالَ الدِّمَاغُ . وَجَعَلَ الْعُدُوبَةَ فِي الْفَمِّ مَنّاً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى ابْنِ آدَمَ لِيَجِدَ لَذَّةَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ .

وأما كلمة أولها كفر وآخرها إيمان فقول : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .  
ثمّ قال : يَا نَعْمَانَ ! إِيَّاكَ وَالْقِيَاسَ ! فَإِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : مَنْ قَاسَ شَيْئاً مِنَ الدِّينِ بِرَأْيِهِ قَرَنَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَعَ إِبْلِيسَ ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَاسَ ، حَيْثُ قَالَ : خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ

وَحَلَقَتْهُ مِنْ طِينٍ<sup>١</sup>. فَدَعُوا الرَّأْيَ وَالْقِيَاسَ فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ لَمْ يُوضَعْ عَلَى  
الْقِيَاسِ<sup>٢</sup>.

قال الدميري في كتاب «حياة الحيوان»، مادة ظبي: وذكر ابن خلكان في ترجمة جعفر الصادق أنه سأله عن أبي حنيفة: ما تقول في مُحْرِمٍ كَسَرَ رِبَاعِيَةَ ظبي؟!؟

فقال: يا بن بنت رسول الله، لا أعلم ما فيه!

فقال: إِنَّ الظَّبْيَ لَا يَكُونُ رِبَاعِيًّا وَهُوَ ثَنِيٌّ أَبَدًا<sup>٣</sup>.

وقال الجوهري في مادة سن ن ن في قول الشاعر في وصف الإبل:  
فَجَاءَتْ كَسِنُ الظَّبْيِ لَمْ أَرْ مِثْلَهَا سَنَاءً عَليلاً أَوْ حُلُوبَةً جَائِه  
أَي: هِيَ ثَنِيَّاتٌ، لِأَنَّ الثَّنِيَّ هُوَ الَّذِي يُلْقَى ثَنِيَّةً، وَالظَّبْيُ لَا تَنَبُّتُ لَهُ  
ثَنِيَّةٌ قَطُّ فَهُوَ ثَنِيٌّ أَبَدًا<sup>٤</sup>.

وقال ابن شبرمة: دخلتُ أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد

١- بالآية ١٢، من السورة ٧: الأعراف.

٢- «الاحتجاج» لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، ج ٢، ص ١١٠ إلى ١١٥، طبعة النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ.

٣- «وفيات الأعيان» ج ١، ص ٣٢٨، طبعة بيروت، تحقيق الدكتور إحسان عباس. وحكاة القاضي ابن خلكان عن كشاجم في كتاب «المصائد والمطاردة»، وفي آخره قال الإمام لأبي حنيفة: أنت تتدهى ولا تعلم أن الظبي لا يكون له رباعية وهو ثنيٌّ أبداً؟! علماً أن مراد الإمام من الرباعيّة الثنايا في مقدّم الفم، لا الرباعيّات الواقعة بين الثنايا والثنايين.

٤- «صحاح اللغة» ج ٢، ص ٣٨٤، طبعة بولاق، سنة ١٣٨٢ هـ. وفيه أن الشاعر أنشد هذه الأبيات في وصف الدينة المأخوذة. وفي «حياة الحيوان»: شفاء عليل، وفي أصل «الصحاح» سناء قتيل. وقال في «لسان العرب» ج ١٣، ص ٢٢٠، العمود الأيسر: وقول أبي جرول الجشمي واسمه هند. رثي رجلاً قتل من أهل العالية. فحكم أولياؤه في ديته فأخذوها كلها إبلاً ثنياً. ثم ذكر ما أورده الجوهري في «الصحاح».

الصادق ، فقلت : هذا رجل فقيه من العراق ! فقال : لعله الذي يقيس الدين برأيه !! أهو النعمان بن ثابت !؟

قال : ولم أعلم باسمه إلا ذلك اليوم . فقال له أبو حنيفة : نعم أنا ذلك .  
أَصْلَحَكَ اللَّهُ !

فقال له جعفر : اتَّقِ اللَّهَ ، وَلَا تَقْسِ الدِّينَ بِرَأْيِكَ ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَاسَ بِرَأْيِهِ إِبْلِيسُ ، وَإِذْ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ . فَأَخْطَأَ بِقِيَاسِهِ ، فَضَلَّ .

ثم دل الإمام عيه السلام على عجز أبي حنيفة في الجواب عن قياس رأسه إلى جسده ، والجواب عن علة خلق الملوحة في العينين ، والمرارة في الأذنين ، والبرودة في المنخرين ، والعدوبة في الشفتين ، وعن كلمة أولها كفر وآخرها إيمان - كما تقدّم في الرواية السابقة - إذ كان يسأله ، وهو لم يحر جواباً .

ثم قال له جعفر : وَيْحَكَ ! أَيُّمَا أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ إِثْمًا ، قَتَلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ الزَّانَا ؟! قَالَ : بَلْ قَتَلَ النَّفْسَ !

قال جعفر : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَبِلَ فِي قَتْلِ النَّفْسِ شَهَادَةَ شَاهِدَيْنِ وَلَمْ يَقْبَلْ فِي الزَّانَا إِلَّا شَهَادَةَ أَرْبَعٍ . فَأَنَّى يَقُومُ لَكَ الْقِيَاسُ ؟!  
ثم قال : أَيُّمَا أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ ، الصَّوْمُ أَوْ الصَّلَاةُ ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ .

قال : فَمَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ ؟!  
اتَّقِ اللَّهَ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَلَا تَقْسِ الدِّينَ بِرَأْيِكَ . فَإِنَّا نَقِفُ غَدًا وَمَنْ خَالَفَنَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ، فَتَقُولُ : قَالَ اللَّهُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ . وَتَقُولُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ : سَمِعْنَا وَرَأَيْنَا . فَيَفْعَلُ اللَّهُ بِنَا وَبِكُمْ مَا يَشَاءُ .

والجواب في أنّ الزنا لا يقل فيه إلا أربعة طلباً للستر . وفي أنّ الحائض لا تقضي الصلاة متكررة في اليوم والليلة خمس مرّات بخلاف الصوم فإنّه في السنّة مرّة . والله أعلم .

وجعفر الصادق هو جعفر بن محمد الباقر بن عليّ! زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

وجعفر أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية من سادات أهل البيت . والقّب الصادق لصدقه في مقاله . وله مقال في صنعة الكيمياء ، والزجر ، والفأل وتقدّم في باب الجيم . في الجفرة عن ابن قتيبة أنه قال في كتاب «أدب الكاتب» : إن كتاب الجفر جلد جفرة كتب فيه الإمام جعفر الصادق لأهل البيت كلّ ما يحتاجون إلى علمه وكلّ ما يكون إلى يوم القيامة .

وكذا حكاها ابن خلكان عنه أيضاً . وكثير من الناس ينسبون كتاب الجفر إلى عليّ بن أبي طالب ، وهو وهم . والصواب أنّ الذي وضعه جعفر الصادق كما تقدّم .

وأوصى جعفر ابن موسى الكاظم ، فقال :

يَا بُنَيَّ احْفَظْ وَصِيَّتِي تَعِيشْ سَعِيداً وَتَمُتْ شَهِيداً !  
يَا بُنَيَّ إِنَّ مَنْ قَسَعَ بِمَا قَسِمَ لَهُ اسْتَعْنَى ، وَمَنْ مَدَّ عَيْنَيْهِ إِلَى مَا فِي يَدِ  
غَيْرِهِ مَاتَ فَقِيْرًا . وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ أَتَهُمَ اللَّهُ فِي قَضَائِهِ . وَمَنْ  
اسْتَصْعَرَ زَلَّةً نَفْسِهِ اسْتَعْظَمَ زَلَّةً غَيْرِهِ .

يَا بُنَيَّ مَنْ كَشَفَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ ، وَمَنْ سَلَ  
سَيْفَ الْبَغْيِ قَتَلَ بِهِ . وَمَنْ احْتَفَرَ لِأَخِيهِ بَرًّا سَقَطَ فِيهَا . وَمَنْ دَاخَلَ السُّفْهَاءَ  
حَقَرَ . وَمَنْ خَالَطَ الْعُلَمَاءَ وَقُرَ . وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ أَتَهُمَ .  
يَا بُنَيَّ قُلِ الْحَقُّ لَكَ أَوْ عَلَيْنَا . وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الشَّخْنَاءَ  
فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ .

يَا بُنَيَّ إِذَا طَلَبْتَ الْجُودَ فَعَلَيْكَ بِمَادِنِهِ !

وروى أنه قيل لجعفر الصادق : مَا بَالُ النَّاسِ فِي الْغَلَاءِ يَزْدَادُ



جُوعُهُمْ بِخِلَافِ الْعَادَةِ فِي الرَّخِصِ؟! فَقَالَ: لِأَنَّهُمْ خُلِقُوا مِنَ الْأَرْضِ وَهُمْ بَنُوهَا، فَإِذَا أَقْحَطَتْ أَقْحَطُوا، وَإِذَا أَخْصَبَتْ أَخْصَبُوا.

وُلِدَ جَعْفَرُ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ سَنَةَ ثَمَانِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَقِيلَ: سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ. وَتَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةَ - انْتَهَى كَلَامُ الدَّمِيرِيِّ ١.  
من الجدير ذكره أنّ الدميري كان شافعيّاً . وأورد في كتاب «حياة الحيوان» موضوعات كثيرة في الردّ على أبي حنيفة .

ونقل في مادة بَعُوضٍ مطالب نفيسة جداً عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ، منها قال : وَكَانَ الشَّافِعِيُّ يَقُولُ : قَبْرُ مُوسَى الْكَاطِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّرْيَاقُ الْمُجَرَّبُ .

أجل ، قال الشيخ الطبرسي في «الاحتجاج» بعد نقل الرواية التي ذكرناها في القياس آنفاً : وفي رواية أخرى أنّ الصادق عليه السلام قال لأبي حنيفة لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ : مَنْ أَنْتَ؟! قال : أبو حنيفة .

قال عليه السلام : مفتي أهل العراق؟! قال : نعم !

قال : بما تُفتيهم؟! قال : بِكِتَابِ اللَّهِ .

قال : وإِنَّكَ لَعَالَمٌ بِكِتَابِ اللَّهِ ، نَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ ، وَمُحْكَمُهُ وَمُتَشَابِهُهُ؟!

قال : نعم !

قال : فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ٢ . أي موضع هو؟!

قال أبو حنيفة : هو ما بين مكّة والمدينة ! فالتفت أبو عبد الله (الإمام

١- «حياة الحيوان» الطبعة الحجرية الرحلية، غير مرقّمة الصفحات. وذكر هذا

الموضوع بمناسبة رباعية الطيبي في مادة طيبي .

٢- الآية ١٨ ، من السورة ٣٤: سبأ.

الصادق عليه السلام) إلى جلسائه ، وقال :  
 نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَسِيرُونَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَلَا تَأْمَنُونَ عَلَيَّ  
 دِمَائِكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَعَلَى أَمْوَالِكُمْ مِنَ السَّرْقِ؟!  
 فقالوا: اللهم نعم .

فقال أبو عبد الله : وَيْحَكَ يَا أَبَا حَنِيفَةَ ! إِنَّ اللَّهَ لَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا !  
 أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا » .<sup>١</sup> أي موضع  
 هو ؟

قال : ذلك بيت الله الحرام . فالتفت أبو عبد الله إلى جلسائه ، وقال :  
 نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ دَخَلَاهُ  
 فَلَمْ يَأْمَنَا الْقَتْلَ؟!  
 قالوا: اللهم نعم .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : وَ يْحَكَ يَا أَبَا حَنِيفَةَ ! إِنَّ اللَّهَ لَا يَقُولُ  
 إِلَّا حَقًّا .

فقال أبو حنيفة : ليس لي علم بكتاب الله . إنما أنا صاحب قياس .  
 قال أبو عبد الله : فانظر في قياسك إن كنت مقيساً أيما أعظم عند  
 الله : القتل أو الزنا؟! قال : بل القتل .

وهنا أدان الإمام عليه السلام أبا حنيفة بنفس أسلوب الاستدلال  
 الوارد في الرواية السابقة حول القتل والزنا ، والصلاة والصيام . وبعد ذلك  
 قال له : الْبَوْلُ أَقْدَرُ أَمْ الْمَنِيُّ؟!  
 قال : البول أقدر .

قال : يجب على قياسك الغسل من البول دون المنى ، وقد أوجب الله

١- الآية ٩٧ ، من السورة ٣: آل عمران

تعالى الغسل من المنى دون البول .

قال : إنما أنا صاحب رأي .

قال عليه السلام : فما تقول في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة . فدخلوا بامرأتهما في ليلة واحدة ، ثم سافرا وجعلوا امرأتهما في بيت واحد ، وولدتا غلامين . فسقط البيت عليهم ، وفقتل المرأتين . وبقي الغلامان . أيهما في رأيك المالك وأيهما المملوك ؟! وأيهما الوارث وأيهما الموروث ؟!

قال : إنما أنا صاحب حدود .

قال : فما ترى في رجل أعمى فقأ عين صحيح ، وأقطع قطع يد رجل ، كيف يقام عليهما الحد ؟!

قال : إنما أنا رجل عالم بمباعث الأنبياء .

قال : فأخبرني عن قول الله لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون : لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى<sup>١</sup> . ولعل منك شك ؟! قال : نعم !

قال : وكذلك من الله شك إذ قال : لَعَلَّهُ ؟! قال أبو حنيفة : لا علم لي .

قال عليه السلام : تَزَعَمُ أَنَّكَ تُفْتِي بِكِتَابِ اللَّهِ وَلَسْتَ مِمَّنْ وَرَثَهُ !  
وَتَزَعَمُ أَنَّكَ صَاحِبُ قِيَاسٍ ، وَأَوَّلُ مَنْ قَاسَ إبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ ،  
وَلَمْ يُبَيِّنْ دِينَ الْإِسْلَامِ عَلَى الْقِيَاسِ .

وَتَزَعَمُ أَنَّكَ صَاحِبُ رَأْيٍ ، وَكَانَ الرَّأْيُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَوَابًا وَمِنْ دُونِهِ خَطَأً ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ<sup>٢</sup> ، وَلَمْ يَقُلْ

١- الآية ٤٤ ، من السورة ٢٠ : طه .

٢- الآية ١٠٥ ، من السورة ٤ : النساء : إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِثِينَ خَصِيمًا . وأما الآية فأحكمم بينهم بما أنزل الله ،

ذَلِكَ لِغَيْرِهِ .

وَتَزَعَمُ أَنَّكَ صَاحِبُ حُدُودٍ ، وَمَنْ أُنزِلَتْ عَلَيْهِ أَوْلَىٰ بِعِلْمِهَا مِنْكَ !  
وَتَزَعَمُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِمَبَاعِثِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُ بِمَبَاعِثِهِمْ  
مِنْكَ !

لَوْلَا أَنْ يُقَالَ : دَخَلَ عَلَىٰ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ فَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ مَّا  
سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ ! فِقِسْ إِنْ كُنْتَ مُقْيِسًا !  
قال أبو حنيفة : لا أتكلّم بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا  
المجلس !

قال : كلاً . إنّ حبّ الرئاسة غير تارك كما لم يترك من كان قبلك -  
تمام الخبر .<sup>١</sup>

وعن عيسى بن عبد الله القرشيّ قال : دخل أبو حنيفة على أبي  
عبد الله عليه السلام ، فقال : يا أبا حنيفة قد بلغني أنّك تقيس ! فقال : نعم !  
فقال : لا تقيس فإنّ أوّل من قاس إبليس لعنه الله حين قال : خَلَقْتَنِي  
مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ .<sup>٢</sup> فقاس بين النار والطين . ولو قاس نورية آدم  
بنورية النار وعرف ما بين النورين ، وصفاء أحدهما على الآخر .<sup>٣</sup>  
روى محمّد بن يعقوب الكلينيّ عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ،  
ومحمّد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان جميعاً عن ابن أبي عمير ، عن  
عبد الرحمن بن الحجاج ، عن أبان بن تغلب ، قال :

فهي في سورة : المائدة ، الآية ٤٨ .

١- «الاحتجاج» للشيخ الطبرسيّ ، ج ٢ ، ص ١١٥ إلى ١١٨ ، طبعة النجف .

٢- الآية ١٢ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٣- «الاحتجاج» للشيخ الطبرسيّ ، ج ٢ ، ص ١١٨ ، طبعة النجف .

قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ قَطَعَ إصْبَعًا مِنْ  
أَصَابِعِ الْمَرْأَةِ كَمْ فِيهَا؟! قَالَ: عَشْرٌ مِنَ الْإِبِلِ. قُلْتُ: قَطَعَ اثْنَيْنِ؟ قَالَ:  
عَشْرُونَ. قُلْتُ: قَطَعَ ثَلَاثًا؟ قَالَ: ثَلَاثُونَ. قُلْتُ: قَطَعَ أَرْبَعًا؟ قَالَ:  
عَشْرُونَ.

قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَقْطَعُ ثَلَاثًا فَيَكُونُ عَلَيْهِ ثَلَاثُونَ، وَيَقْطَعُ أَرْبَعًا  
فَيَكُونُ عَلَيْهِ عَشْرُونَ؟! إِنَّ هَذَا كَانَ يَبْلُغُنَا وَنَحْنُ بِالْعِرَاقِ فَبَرًّا مِمَّنْ قَالَ  
وَنَقُولُ: الَّذِي جَاءَ بِهِ شَيْطَانٌ.

فَقَالَ: مَهْلًا يَا أَبَانُ؛ هَكَذَا حَكَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ إِنَّ  
الْمَرْأَةَ تُقَابِلُ الرَّجُلَ إِلَى ثُلْثِ الدِّيَةِ، فَإِذَا بَلَغَتْ الثُّلْثَ رَجَعَتْ إِلَى  
النِّصْفِ.<sup>١</sup>

يَا أَبَانُ إِنَّكَ أَخَذْتَنِي بِالْقِيَاسِ. وَالسُّنَّةُ إِذَا قِيسَتْ مُحِقَّ الدِّينِ.<sup>٢</sup>

قال السيد رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن طاووس الحسيني

١- دية المرأة نصف دية الرجل. ودية الرجل ألف دينار ذهب ودية المرأة خمسمائة  
دينار. وأما دية أعضاء المرأة وجوارحها فهي تساوي دية أعضاء الرجل وجوارحه ما لم يبلغ  
مقدار الدية ثلثاً. مثلاً دية الإصبع متساوية في المرأة والرجل. وهي مائة دينار، وهي شر  
الدية الكاملة، ودية الإصبعين متساوية أيضاً، وهي مائتا دينار، ودية الأصابع الثلاث  
متساوية. فيهما أيضاً، لأنها لم تبلغ الثلث، أي: ثلاثمائة دينار.

أما دية الأصابع الأربع فلما كانت  $\frac{4}{3}$  الدية، وتجاوزت الثلث، لهذا يجب أن تحسب  
دية المرأة في هذا الحد نصف دية الرجل. فستكون أربعمائة دينار للرجل، ومائتي دينار  
للمرأة، وهكذا. ولما كانت قيمة عشر إبل مساوية لمائة دينار فقد عيّنت في الرواية بمقدار  
الإبل.

والدية الكاملة هي ألف دينار ذهب، أو عشرة آلاف درهم فضة، أو مائة بعير، أو ألف  
رأس غنم، أو مائتا بقرة، أو مائتا حلة يمانية.

٢- «الكافي» ج ٧، ص ٢٩٩ و ٣٠٠، طبعة مطبعة الحيدري.

الحسيني في كتابه الثمين «الطرائف» بعد شرح مفصل في إثبات علل بطلان القياس ، وتحقيق في مصدره ، وطعن على العاملين به : وقد روى الخطيب في تاريخه ، وابن شيرويه الديلمي قالاً : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى بَضْعٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، أَعْظَمُهَا فِتْنَةٌ عَلَى أُمَّتِي قَوْمٌ يَقْسُونَ الْأُمُورَ ، فَيَحَرِّمُونَ الْحَلَالَ وَيُحَلِّلُونَ الْحَرَامَ .<sup>١</sup>

١- قال العلامة الحلبي في «منهاج الكرامة» ص ١٢ إلى ١٤ ، طبعة عبدالرحيم ، في ردّ آراء العامة وأفعالهم : وذهبوا (العامة) إلى أنه تعالى أمر وناه في الأزل - ولا مخلوق عنده - قائلاً : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ . ولو جلس شخص في منزله - ولا غلام عنده - فقال : يا سالم قم ! ويا غانم كل ! ويا نجاح ادخل ! قيل : لمن تنادي ؟ فيقول : لعبيد أريد أن اشتريهم بعد شعرين سنة ! نسبه كل عاقل إلى السفه والحمق . فكيف يحسن منهم أن ينسبوا الله تعالى إليه في الأزل !؟

وذهب جميع من عدا الإمامية والإسماعيلية إلى أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام غير معصومين ، فيجوزوا بعثة من يجوز عليه الكذب والسهو والخطأ والسرقة . فأبي وثوق يبقى للعامة في أقاويلهم ؟! وكيف يحصل الانقياد إليهم ؟! وكيف يجب أتباعهم مع تجويز أن يكون ما يأمرون به خطأ ؟! ولم يجعلوا الأئمة محصورين في عدد معين ، بل قالوا : كل من بايع قرشيّاً انعقدت إمامته عندهم ، ووجب طاعته على جميع الخلق إذا كان مستور الحال ، وإن كان على غاية من الكفر والفسوق والنفاق .

وذهب الجميع منهم إلى القول بالقياس ، والأخذ بالرأي ، فأدخلوا في دين الله ما ليس منه ، وحرّفوا أحكام الشريعة ، وأحدثوا مذاهب أربعة لم تكن في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَا فِي زَمَنِ صَحَابَتِهِ ، وَأَهْمَلُوا أَقَاوِيلَ الصَّحَابَةِ ، مَعَ أَنَّهُمْ نَصَّوْا عَلَى تَرْكِ الْقِيَاسِ ، وَقَالُوا : أَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسُ . وذهبوا بسبب ذلك إلى أمور شنيعة كإباحة البنت المخلوقة من الزنا ، وسقوط الحدِّ عمّن نكح أمّه وأخته مع علمه بالتحريم والنسب بواسطة عقد يعقده ، وهو يعلم بطلانه ، وعمّن لفّ على ذكره خرقه وزنى بأمّه أو بنته مع علمه بالتحريم والنسب ، وعن اللائط مع أنه أفحش من الزنا وأقبح ؛ والحاق نسب المشرقية بالمغربى ، فإذا زوّج الرجل ابنته وهي في المشرق برجل هو وأبوها في المغرب ، ولم يفترقا ليلاً ونهاراً حتى مضت مدة سنة أشهر فولدت البنت في المشرق ، التحق نسب الولد بالرجل الذي هو

وقد وقفت على كتب علماء عترة نبيّهم ، وهم مجمعون على تحريم العمل بالقياس . وأخبار هؤلاء الأربعة المذاهب في كتبهم الصحاح تشهد أنّ عترة نبيّهم لا يخالفون كتاب ربّهم إلى يوم القيامة . ثمّ وقد روى علماء الإسلام أخباراً منتظاهرة في المنع من القياس والرأي . فمن ذلك ما رووه عن أبي بكر أنّه قال : أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي وَأَيُّ أَرْضٍ تُغَلِّبُنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِرَأْيِي ؟

ومن ذلك ما روى عن عمر بن الخطّاب قال :

إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ السُّنَنِ ، أَعْيَيْتَهُمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَقَالُوا بِالرَّأْيِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا .

ومن ذلك ما رووه عن عمر أنّه كتب إلى شريح القاضي وهو يؤمئذٍ

وأبوها في المغرب، مع أنّه لا يمكنه الوصول إليها إلا بعد سنين متعدّدة، بل لو حبسه السلطان من حين العقد وقيده، وجعل عليه حفظةً مدّة خمسين سنة، ثمّ وصل إلى بلد المرأة، فرأى جماعة كثيرة من أولادها وأولاد أولادها إلى عدّة بطون، التحقوا كلّهم بالرجل الذي لم يقرب هذه المرأة ولا غيرها البتة. وإباحة النبيذ مع مشاركته الخمر في الإسكار والوضوء به، والصلاة في جلد الكلب، والسجود على العذرة اليابسة (نقل العلامة هنا صلاة القفال المروزيّ على فقه أبي حنيفة عند السلطان محمود بایجاز) ثمّ قال: وأبا حوا المغضوب لو غير الغاصب الصفة، فقالوا: لو أنّ سارقاً دخل بدار شخص له فيه دوابّ ورحى وطعام، فطحن السارق طعام صاحب الدار بدوابّه وأرचितه، ملك الطحن بذلك. فلو جاء المالك ونازعه كان المالك ظالمًا، والسارق مظلومًا. فلو تقاتلا، فإن قُتل المالك كان هدرًا، وإن قُتل السارق كان شهيدًا. وأوجبوا الحدّ على الزاني إذا كذّب الشهود، وأسقطوه إذا صدّقهم، فأسقطوا الحدّ مع اجتماع الإقرار والبيّنة. وهذا ذريعة إلى إسقاط حدود الله تعالى، فإنّ كلّ من شُهد عليه بالزنا فليصدق الشهود ليستقط عنه الحدود؛ وإباحة أكل الكلب، واللواط، وإباحة الملاهي كالشطرنج والغناء، وغير ذلك من المسائل التي لا يحتملها هذا المختصر.

نائبه عن القضاء :

أَفْضُ بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ . فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَاقْضِ  
بِمَا فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ . فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاقْضِ بِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ . فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ  
لَا تَقْضِي !

ومن ذلك ما رووه عن عبد الله بن عباس أنه قال : لَوْ جَعَلَ اللَّهُ لِأَحَدٍ  
أَنْ يَحْكُمَ بِرَأْيِهِ لَجَعَلَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ؛ قَالَ اللَّهُ لَهُ : «وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا  
أَنْزَلَ اللَّهُ»<sup>١</sup> وَقَالَ : «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا  
أَرْنَاكَ اللَّهُ»<sup>٢</sup> . وَلَمْ يَقُلْ : بِمَا رَأَيْتَ !

وروي النهي عن القياس عن عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن  
عمر ، ومسروق بن سيرين ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن . فلو كان القياس  
مشروعاً في زمن نبيهم ، ما خفي عن هؤلاء وعن عترته نبيهم وأتباعهم من  
العلماء<sup>٣</sup> .

روى الكليني في باب النهي عن القول بغير علم بسنده عن  
عبد الرحمن بن الحجاج ، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : إِيَّاكَ  
وَخَصَلْتَيْنِ ، فَفِيهِمَا هَلْكَ مَنْ هَلَّكَ : إِيَّاكَ أَنْ تُفْتِيَ النَّاسَ بِرَأْيِكَ أَوْ تَدِينَ  
بِمَا لَا تَعْلَمُ !<sup>٤</sup>

١- الآية ٤٩ ، من السورة ٥ : المائدة .

٢- الآية ١٠٥ ، من السورة ٤ : النساء .

٣- «الطرائف في معرفة مذهب الطوائف» ص ٥٢٤ إلى ٥٢٦ ، طبعة مطبعة الخيام ، قم ،  
سنة ١٤٠٠ هـ . طبعة دار الهجرة وذكر العلامة الحلبي مثل هذا البحث مع رواياته واستدلاله  
في كتاب «نهج الحق وكشف الصدق» ص ٤٠٢ إلى ٤٠٥ .

٤- «أصول الكافي» ج ١ ، ص ٤٢ ، طبعة حيدري .



وروى بسنده عن ابن شبرمة،<sup>١</sup> قال: مَا ذَكَرْتُ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِلَّا كَادَ أَنْ يَتَصَدَّعَ قَلْبِي: قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ عَمِلَ بِالْمَقَائِسِ فَقَدْ هَلَكَ وَأَهْلَكَ.<sup>٢</sup> وَمَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوحِ، وَالْمُحَكَّمَ مِنَ الْمَشْأَبَةِ فَقَدْ هَلَكَ وَأَهْلَكَ.<sup>٣</sup>

وكذلك روى في باب البدع والرأي والمقائيس بسنده عن أبي شيبه الخراساني. قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: إِنَّ أَصْحَابَ الْمَقَائِسِ طَلَبُوا الْعِلْمَ بِالْمَقَائِسِ، فَلَمْ تَرُدَّهُمُ الْمَقَائِسُ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا بَعْدًا، وَإِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُصَابُ بِالْمَقَائِسِ!<sup>٤</sup>

وروى أيضاً بسنده عن محمد بن حكيم، قال: قلتُ لأبي الحسن موسى عليه السلام: جُعِلْتُ فداك! فُفِّهنا في الدين، وأغنانا الله بكم عن الناس، حتى أنّ الجماعة منّا لتكون في المجلس، ما يسأل رجل صاحبه تحضره المسألة ويحضره جوابها فيما منّ الله علينا بكم. فربّما ورد علينا الشيء ولم يأتنا فيه عنك ولا عن آباءك شيء. فنظرنا إلى أحسن ما يحضرنا وأوفق الأشياء لما جاءنا عنكم، فناخذ به!؟

١- قال في الهامش: بضمّ المعجمة وسكون الموحدة وضمّ الراء، وقيل: بفتح المعجمة - وربّما يكسر - وسكون الموحدة وضمّ الراء. وهو عبدالله بن شبرمة الكوفي، كان قاضياً لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة، وكان شاعراً.

٢- قال في «أقرب الموارد» (هَلَكَهُ وَأَهْلَكَهُ) جعله يَهْلِكُ، ويقال لمن ارتكب أمراً عظيماً: هَلَكْتَ وَأَهْلَكَتَ.

٣- «أصول الكافي» ج ١، ص ٤٣، طبعة حيدري.

٤- «أصول الكافي» ج ١، ص ٥٦.

فقال : هيهات ، هيهات في ذلك ! والله هلك من هلك يابن حكيم .  
قال : ثم قال : لَعَنَ اللَّهُ أَبَا حَنِيفَةَ كَانَ يَقُولُ : قَالَ عَلِيٌّ وَقُلْتُ !  
وكذلك روى بسنده عن أبي شيبة قال : سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول : ضَنَّ لَّ عَلِمُ ابْنِ شُبْرَمَةَ عِنْدَ الْجَامِعَةِ : إِمْلَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَطُّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ . إِنَّ الْجَامِعَةَ لَمْ تَدْعُ لِأَحَدٍ كَلَامًا . فِيهَا عَلِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . إِنَّ أَصْحَابَ الْقِيَّاسِ طَلَبُوا الْعِلْمَ بِالْقِيَّاسِ ، فَلَمْ يَزِدُوا مِنَ الْحَقِّ إِلَّا بُعْدًا . إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يَصَابُ بِالْقِيَّاسِ .<sup>٢</sup>  
وروى بسنده عن زرارة قال : سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام ، فقال :

حَلَالٌ مُحَمَّدٌ حَلَالٌ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَحَرَامُهُ حَرَامٌ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . لَا يَكُونُ غَيْرُهُ وَلَا يَجِيءُ غَيْرُهُ .  
وَقَالَ : قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا أَحَدٌ ابْتَدَعَ بِدْعَةً إِلَّا تَرَكَ بِهَا سُنَّةً .<sup>٣</sup>  
أجل ، بلغنا هذه النقطة في كلامنا عن الشافعي الذي كان يخالف الرأي والاستحسان والقياس الظني .

قال محمد الزُّهْرِيُّ النُّجَّار - وهو من علماء الأزهر ، وأشرف على طبع كتاب «الأم» للشافعي وتصحيحه - في مقدمته على الكتاب : والذي أوصل الشافعي إلى هذه الدرجة تلك الخطوات المحكمة التي انتهجها في حياته العلميّة ، ذلك أنه تأدّب بأدب البادية ووقف على علوم اللغة العربيّة فصيحها وغريبها ، وحفظ أشعار العرب وأيامهم ، فأصبح حجّة في اللغة وخصوصاً أشعار الهذليين .

١ و... «أصول الكافي» ج ١ ، ص ٥٧ .

٣- «أصول الكافي» ج ١ ، ص ٥٨ .

وقال بعد أن فصل الكلام في ترجمته ، وعلومه ، ورحلاته : رحلته الثالثة<sup>١</sup> إلى العراق . وفي خلال هذه السنوات ، مات الإمام أبو يوسف في سنة ١٨٢ . ومات بعده الإمام محمد بن الحسن سنة ١٨٨ . ومات هارون الرشيد سنة ١٩٣ . وبويع المأمون بالخلافة . واشتهر حبه للعلويين وعطفه عليهم .

فرأى الشافعي أن يعود إلى بغداد . وأقام فيها شهراً واحداً ، وكان يلقي دروسه في جامعها الغربي . وفي ٢٨ شوال دخل مصر وبقي فيها حتى مات .

وتوفي في ليلة الجمعة الأخيرة من شهر رجب سنة ٢٠٤ هـ بعد العشاء الأخيرة . وتم تكفينه ودفنه في غدها . وبعد صلاة العصر خرجت الجنازة ، فلما وصلت إلى شارع السيدة نفيسة الآن ، خرجت السيدة نفيسة وأمرتهم بإدخال النعش إلى بيتها ، فصلت عليه وترحمت . ثم سير بالجنازة إلى

١- قال الشيخ محمد الزهري النجاري أيضاً : مؤلفات الشافعي : لما دخل الشافعي المسجد في بغداد لصلاة المغرب ، رأى غلاماً حسن القراءة يصلي بالناس ، فصلى الشافعي خلفه ، فسها الغلام في الصلاة ولم يعرف كيف يفعل ، فقال له الشافعي : أفسدت صلاتنا يا غلام . ثم بدأ من حينه في وضع كتاب السهو في الصلاة . وقد فتح الله عليه فجاء كتاباً كبيراً سمّاه «الزعران» نسبة إلى اسم ذلك الغلام الذي سها في الصلاة . وقد روى هذا الكتاب الحسن بن محمد الزعفراني ، وأحمد بن حنبل . وعرف هذا الكتاب بـ «الحجة» ، وهو أحد الكتب القديمة التي وضعها الشافعي بالعراق .

وألف أيضاً في مصر «الرسالة» وهو أول كتاب وضع في أصول الفقه ، ومعرفة الناسخ من المنسوج ، بل هو أول كتاب في أصول الحديث . وألف كتاباً اسمه «جماع العلم» دافع فيه عن السنة دفاعاً مجيداً . وأثبت ضرورة حجّة السنة في الشريعة ، وكتاب «الأئم» والإمام الصغير» و«الأمال الكبرى» ، و«مختصر المزني» و«مختصر البويطي» ، وغيرها . وكتاب «الرسالة» ، و«جماع العلم» حَقَّقهما ونشرهما فقيدهم علم الحديث الشيخ أحمد محمد شاكر .

القُرَافة الصغرى ، وفيها دُفن .

كان الشافعي الحرّية في القناعة ، والذلّ كلّ الذلّ في الطلب والسؤال ،

فيقول :

العَبْدُ حُرٌّ إِنْ قَنِعَ      وَالْحُرُّ عَبْدٌ إِنْ قَنِعَ<sup>١</sup>  
فَأَقْنَعُ وَلَا تَقْنَعُ فَلَا      شَيْءٌ يَشِينُ سِوَى الطَّمَعِ

فلذلك نجد القناعة والاعتزاز بالرضا بما قسم الله ماثلاً في قوله :

أَمْطِرِي لَوْلَا جِبَالِ سَرَنْدِي      بَ وَفِيضِي أَبَارَ تَكْرُورَ تَبْرَا  
أَنَا إِنْ عَشْتُ لَسْتُ أَعْدَمُ قَوْتًا      وَإِذَا مِتُّ لَسْتُ أَعْدَمُ قَبْرَا  
هَمَّتِي هِمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي      نَفْسُ حُرَّةٍ تَرَى الْمَدْلَةَ كُفْرًا<sup>٢</sup>

بحث حول أحمد بن محمد بن حنبل

الشَّيبَانِي المَرُوزِي البَغْدَادِي

قال السيد المحقق والعالم المتضلع السيد محمد باقر الخوانساري في

كتابه «روضات الجنات»:

رابعُ أَرْبَعَةِ النَّاسِ ، وَسَابِعُ سَبْعَةِ لَيْسَ يَكُونُ بِوَاحِدٍ مِنْهُ ذَمُّ الْقِيَّاسِ

١- قَنِعَ - قَنَعًا وَقَنَاعَةً وَقُنْعَانًا: رَضِيَ بِمَا قُسِمَ لَهُ. قَنِعَ - قُنُوعًا: سَأَلَ وَتَدَلَّلَ.

٢- روى الخطيب في «تاريخ بغداد» ج ٢، ص ٦٥ و ٦٦، بسنده عن عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: حدّثنا علي بن الحسين الهنجاني قال: سمعت أبا إسماعيل الترمذي يقول: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: ما تكلم أحد بالرأي - وذكر الثوري، والأوزاعي، ومالكاً، وأبا حنيفة - إلا والشافعي أكثر أتباعاً وأقل خطأً منه.

وروى بسنده أيضاً عن الربيع بن سليمان قال: سمعت بعض من يقول: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: أخذ أحمد بن حنبل بيدي وقال: تعالي حتى أذهب بك إلى من لم ترعيناك مثله، فذهب بي إلى الشافعي.

الإمام عز الدين أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني النسل المروزي الأصل البغدادي المنشأ والمسكن والخاتمة.

ينتهي نسبه غير الميمون إلى ذى الثدية الملعون رئيس الخوارج على أمير المؤمنين عليه السلام. ولهذا اشتهر كونه منحرفاً عن الولاء له عليه السلام بالشدّة مع أنّه من كبار أئمة أهل السنّة والجماعة القائلين بخلافته، وفرض أتباعه وموالاته ولو بعد الثلاثة لا محالة. ب ل ي روى عنه أنّه قال: أحفظ أو أحدث ممّا قدر ويته بالإسناد عن النبيّ صلّى الله عليه وآله ثلاثين ألف، حديث في فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

و عن الإمام الثعلبيّ المفسّر الآتي ترجمته إن شاء الله تعالى أنّه ينقل عن أحمد بن حنبل المذكور أنّه قال: ما جاء لأحدٍ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ما جاء لعليّ عليه السلام من الفضائل.

و عن «المناقب» لابن شهر آشوب المازندرانيّ نقلاً عن صاحب كتاب «معرفة الرجال» أنّه قال: كانت عداوة أحمد بن حنبل لأmir المؤمنين عليه السلام أنّ جدّه ذا الثدية قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم النهروان. و أن قد يحتمل أن يكون الباعث على ذلك أيضاً ما سقّف عليه في ذيل ترجمة القاضي ابن خلّكان.

و بالجملة فقد ذكر ابن خلّكان بعد الترجمة له - قريباً ممّا أسلفناه - أنّ أمّه خرجت من مرو خراسان حاملاً به، فولدته ببغداد في شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين ومائة. وقيل: إنّّه ولد بمرو، وحُمِل إلى بغداد رضيعاً. وكان إمام المحدثين. صنّف كتابه «المسند» و جمع فيه ما لم يتفق لأحد. ونُقِل أنّه كان يحفظ ألف ألف حديث، وكان من خواص أصحاب الشافعيّ، ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعيّ إلى مصر. وقال في حقّه: خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن

حنبل . ودُعي إلى القول بخلق القرآن، فلم يُجب . فُضِبَ وحُبِسَ وهو مُصَرَّرٌ على الامتناع . وكان حسن الوجه ربعةً يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني . في لحية شعيرات سود .<sup>١</sup> ثم قال صاحب «الروضات» :  
وليُعَلِّمَ أنَّ أحمد هذا كان من القائلين بقِدَمِ الكلام النفسي، والملتزمين لتعدد القدماء من هذه الجهة، كما هو مذهب الأشاعرة من العامة . وكان ينكر القول بمخلوقية القرآن لله تعالى أشدَّ الإنكار، مثل من أنكر القول بحدوث الهيولى النفسانية من الفلاسفة الذين لم يعتنوا بمداليل الآية والأخبار . وقد أجاب عن ذينك الاشتباهين أجلَّة أصحابنا المهرة من الأصوليين بما لا مزيد عليه . وفي أحاديثنا المعتبرة أيضاً بنقل الصدوق ابن بابويه القمي رحمه الله في كتابه «التوحيد» وغيره ما يزيدك بصيرةً ببطلان هذا المذهب .

ونُقِلَ أنَّ نوبة الخلافة لما انتهت إلى المعتصم العباسي الماصر لمولانا الجواد التقي عليه السلام، وجعل الأمر في الرئاسة الدينية إلى الشيخ عبد الرحمن بن إسحاق، وأبي عبد الله أحمد بن داود إلا يادي المتولّي قضاء العراق، وكانا مصرّين على القول بخلق القرآن فلا جرم دعاه المعتصم إلى القول به، وعقد مجلساً لمناظرة الرجلين، وغيرهما من النبلاء الأصوليين معه في ذلك، وذلك في شهر رمضان سنة عشرين ومائتين . فلم يلزم بحجاجهم ولا التزم بقولهم كيفما بوحت عليه . فأمر به المعتصم، فُضِرَبَ بسياط حتى غاب عقله، وتقطّع جلده، وحُبِسَ مقيداً وهو مُصَرَّرٌ على الامتناع، وبقي في الحبس مدة طويلة . وكان هو مع

١- جميع المطالب المنقولة عن ابن خلكان موجودة في «وفيات الأعيان»، ج ١، ص

٦٣ و ٦٤، طبعة دار صادر، تحقيق الدكتور إحسان عباس.

ذلك لم يزل يحضر الجمعة والجماعة. ويُفتي، ويحدّث إلى أن مات المعتصم، ووليّ الواثق فأظهر ما ظهر من المحنة. وقال لأحمد: لا تجمع إليك أحداً، ولا تساكن بلداً أنا فيه.

فاختفى الإمام أحمد لا يخرج إلى صلاة، ولا إلى غيرها حتى مات الواثق أيضاً، ووليّ المتوكّل، فأخضره وأكرمه وأطلق له مالاً فلم يقبله، ففرّقه. وأجرى على أهله وولده في كلّ شهر أربعة آلاف، ولم تزل عليهم جارية إلى أن مات المتوكّل. وفي أيام المتوكّل، ظهرت السنّة، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وإظهار السنّة، وبسط أهلها ونصرهم، وتكلّم في مجلسهم بالسنّة.

قال الصفديّ كما نُقل عنه في «الكشكول» بعد ذكر جملة ممّا أوردناه: ولم يزل المعتزلة في قوّة ونماء إلى أيام المتوكّل، فخدموا. ولم يكن في هذه الملة الإسلاميّة أكثر بدعةً منهم. ثمّ قال: ومن مشاهير المعتزلة: الجاحظ، وأبو الهذيل العلاف، وإبراهيم بن النّظام، وواصل بن عطاء، وأحمد بن حافظ، وبشر بن المعتمر، ومعمّر بن عبّاد السلميّ، وأبو موسى بن عيسى المرداد المعروف براهب المعتزلة، وثمامة بن الأشرس. وهشام بن عمر، والقُرطبيّ، وأبو الحسن بن أبي عمر، والخياط أستاذ الكعبيّ، وأبو عليّ الجبائيّ أستاذ الشيخ أبي الحسن الأشعريّ أولاً، وابنه أبو هاشم عبد السلام، وهؤلاء هم رؤوس مذهب الاعتزال. وغالب الشافعيّة أشاعرة، والغالب في الحنفيّة معتزلة، والغالب في المالكيّة قدرية، والغالب في الحنابلة حشويّة.

ثمّ قال: ومن المعتزلة الصاحب بن عبّاد، والزمخشريّ، والفراء النحويّ.

وقال صاحب «الروضات»: «وأقول: إنّ مراد الناصبة الملعونة من

قولهم: رفع المحنة، أو البدعة وإظهار السنّة كلّما يستعملونه: رفع قواعد الشيعة الإماميّة، ونصب مناصب النواصب الطاغية البغيّة كما يشهد به استناد ذلك إلى مثل المتوكّل الدعيّ الزنيم.

وقد عرفت ممّا ذكره الصفديّ، وما سوف تعرفه في تصاعيف ما يأتيك أنّ مذهب أهل الاعتزال أقرب ما يكون من مذاهبهم إلى الإماميّة الحقّة، وأنسبها منهم سيّما في الأصول الاعتقاديّة. ومن أجله اشتبه أمر الصاحب بن عباد على كثير. وَلَا يُنْبِتُكَ مِثْلُ حَبِيرٍ<sup>١</sup>.

ومن المنقول عن ابن عبد البرّ أنّه قال: إنّ أحمد هذا ك-ان شيبانياً من أنفسهم، وسكن بغداد، وكان فقيهاً محدّثاً، وغلب عليه علم الحديث والعناية وبطرقه، وكان فاضلاً زاهداً مقلّاً ورعاً ديناً. وفي «رياض العلماء» أنّه كان في عصر الإمام محمّد بن عليّ التقيّ عليه السلام. فليلاحظ!

وأنت فقد عرفت أنّه توفيّ في زمان مولانا الهاديّ أبي الحسن النقيّ عليه السلام، وأدرك برهة من دولة المتوكّل الملعون. وفي «إرشاد القلوب» للدليميّ أنّ أحمد كان تلميذاً لمولانا الكاظم عليه السلام كما أنّ أباحنيفة كان من تلامذة الصادق عليه السلام. وعليه فيكون في طبقة مولانا الرضا عليه السلام، وإن أدرك أربعة من أئمة أهل البيت المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

إلى أن قال: ثمّ إنّ من طرائف أخبار الرجل بنقل بعض المصنّفين عن الفاضل الطيّب المشهور، عن جعفر بن محمّد الطيالسيّ أنّه قال: صلّى أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وقد كان من أخصّ خواصّه في

١- الآية ١٤، من السورة ٣٥: فاطر.



مسجد الرّصافة ببغداد، فقام بين أيديهما قاصّ، فقال: حدّثنا أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، قالوا: حدّثنا عبد الرزاق، قال: حدّثنا معمر، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من قال: لا إله إلاّ الله يخلق من كلّ كلمة منها طائر منقاره من ذهب وريشه مرجان - وأخذ في قصّة طويلة - فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، ويحيى إلى أحمد، فقال: أنت حدّثته بهذا؟! قال: والله ما سمعت بهذا إلاّ هذه الساعة! فسكتا جميعاً حتّى فرغ. فقال له يحيى: من حدّثك بهذا؟! قال: أحمد بن حنبل و يحيى بن معين. فقال: أنا ابن معين، وهذا أحمد بن حنبل ما سمعنا بهذا قطّ في حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله. فإن كان ولا بدّ من الكذب، فعلى غيرنا.

فقال الرجل: لم أزل أسمع أنّ يحيى بن معين أحق، وما علمته إلاّ هذه الساعة. كأنه ليس في هذه الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غير كما! كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا. قال: فوضع أحمد كفه على وجهه، وقال: دعه يقوم. فقام كالمستهزئ بهما - انتهى.

وواصل صاحب «الروضات» كلامه إلى أن قال: ومن جملة ما حكى عنه صاحب «كشف الغمّة» عليه الرحمة وهو يدلّ على تبصّره في الواقع، وحسن اعتقاده بالأئمّة من آل محمّد عليهم السلام هو ما ذكره فيه بهذه العبارة:

ونقلت عن كتاب «اليواقيت» لأبي عمر الزاهد، قال: أخبرني بعض الثقات عن رجاله، قالوا: دخل أحمد بن حنبل إلى الكوفة، وكان فيها رجل يظهر الإمامة. فسأل الرجل عن أحمد: ما له لا يقصدني؟! فقالوا له: إنّ أحمد ليس يعتقد ما تظهر! فلا يأتيك إلاّ أن تسكت عن إظهار

مقاتلك له ! قال: فقال: لا بدّ من إظهاره له ديني، ولغيره! وامتنع أحمد من المجيء إليه. فلمّا عزم على الخروج من الكوفة، قالت له الشيعة: يا أبا عبد الله! أتخرج من الكوفة ولم تكتب عن هذا الرجل؟! فقال: ما أصنع به! لو سكت عن إعلانه بذلك كتبتُ عنه. فقالوا: ما نجب أن يفوتك مثله. فأعطاهم موعداً على أن يتقدّموا إلى الشيخ أن يكتب ما هو فيه. وجاءوا من فورهم إلى المحدث - وليس أحمد معه - فقالوا: إنّ أحمد عالم بغداد، فإن خرج ولم يكتب عنك، فلا بدّ أن يسأله أهل بغداد: لِمَ لم تكتب عن فلان؟! فتشهر ببغداد وتُلعن! وقد جنّناك نطلب حاجة. قال: هي مقضية! فأخذوا منه موعداً. وجاءوا إلى أحمد وقالوا: وقد كفيناك قم معنا!

فقام، فدخلوا على الشيخ، فرحب بأحمد ورفع مجلسه، وحدّثه ما سأل فيه أحمد من الحديث. فلمّا فرغ أحمد مسح القلم وتهيأ للقيام. فقال له الشيخ: يا أبا عبد الله! لي إليك حاجة. قال له أحمد: هي مقضية! قال: ليس أحبُّ أن تخرج من عندي حتّى أعلمك مذهبي! فقال له أحمد: هاته!

فقال له الشيخ: إنّي أعتقد أنّ أمير المؤمنين عليّاً صلوات الله عليه كان خير الناس بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله. وإنّي أقول: إنّه كان خيرهم، وإنّه كان أفضلهم، وأعلمهم. وإنّه كان الإمام بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله. قال: فماتمّ كلامه حتّى أجابه أحمد، فقال: يا هذا وما عليك في هذا القول، فقد تقدّمك في هذا أربعة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله: جابر، وأبو ذرّ، والمقداد، وسلمان. فكاد الشيخ يطير فرحاً بقول أحمد. فلمّا خرجنا شكرنا أحمد ودعونا له.

هذا ومن جدير ما ينبغي التنبيه لنا عليه في مثل هذا المقام، ويصلح

حقّ الإشارة إليه لجدوى المستفيدين وتبصير العوامّ هو أنّه إنّما صارت تدور رحى غير الحقّ، وعين الضلال المطلق، والباطل المحقّق على أعناق الأئمّة الأربعة الذين هذا الإمام رابعهم، وسائر القوم تابعهم في زمن دولة السلطان ظاهر بيبرس من كبار ملوك قاهرة مصر المحروسة حين عيّن فيها أربعة قضاة يقضون بين الناس، ويفتون لهم بالحنيفة والمالكيّة والشافعيّة والحنبليّة على سبيل التوزيع. ومنع عن كلّ ما دون ذلك بمنع بالغ فضيح بحيث قد أُخت له البيعد من كلّ فريق، وشدّدت عليه العقد والمواثيق، ونوديت إليه الخلائق من كلّ فجّ عميق، وذلك في حدود سنة ثلاث وستّين وستّمائه.

ثمّ تصرّفت كلّ طائفة منهم في ركن من أركان بيت الله الحرام يقيمون الجماعة في أتباعهم بحذاء ذلك المقام إلى زماننا هذا - بل إلى ساعة يوم القيامة - وأخذت تتزايد آثار تلك البدعة العظمى، وتتراكم اللوازم الكابرة من تبعات فتنتها الشديدة الكبرى. وبلغ الأمر في الحميّة على ذلك إلى حيث لم يتقبّلوا منذ اهتمّ وأصرّ بعض سلاطين الشيعة الإماميّة أن يكون للفرقة الجعفريّة أيضاً هنالك مقام خامس، بل جعل نادر شاه في مقابلة قبولهم إياه رفع اللعن والسبّ الشايعين في الشيعة. فلم يتقبّله ملوكهم ولا غيرت الإماميّة أيضاً سلوكهم.

وقد كانت السنيّة القاسطة من قبل استقرار هذا القرار فيهم يتبعون خطوات المعيّنين من قبل الرشيديين الملعونين (هارون والمأمون) لإقامة الفتاوى، والأحكام كالقاضي أبي يوسف، ويحيى بن أكثم الشاميّ، وسائر من كان على طريقة الأئمّة الأربعة أو غيرهم من المجتهدين، إلّا أنّ في دولة الأيوبيّة لم يكن بمصر المحروسة كثير ذكر لغير الشافعيّ المصريّ المطلبيّ، ومالك بن أنس المدنيّ، كما استفيد من التواريخ.

وأما من قبل الرشيديين، فكان الناس يقلّدون أمثال الزهري، والثوري، ومعمّر بن راشد الكوفي من الذين ترحّلوا إلى الآفاق في طلب الفقه، والحديث، واخترعوا أساس تقييدهما بالكتب والتصانيف. ثمّ من قبلهم كانوا يتبعون فقهاء الأمصار كابن أبي عليّ الكوفي، وابن جريح، والأوزاعيّ الشاميّ، وأمثالهم التابعين للتابعين للأصحاب.

وعن بعض كتب تواريخ العامة أنّ عامّة أهل الكوفة كان عملهم في عصر مولانا الصادق عليه السلام على فتاوى أبي حنيفة، وسفيان الثوري، ورجل آخر، وأهل مكّة على فتاوى ابن جريح، وأهل المدينة على فتاوى مالك ورجل آخر، وأهل البصرة على فتاوى عثمان وسوادة، وغيرهما، وأهل الشام على الأوزاعيّ، والوليد، وأهل مصر على ليث بن سعيد، وأهل خراسان على عبد الله بن المبارك، وكان فيهم من أهل الفتوى غير هؤلاء. إلى أن استقرّ رأيهم بحصر المذاهب في الأربعة في سنة خمس وستين وثلاثمائة.

إلى أن قال صاحب «الروضات»: ثمّ إنّ في كتـاب «وفيات الأعيان» في أواخر ترجمة ابن حنبل: أنّ له أيضاً ولدين عالمين، وهما صالح، وعبد الله. فأما صالح فتقدّمت وفاته، وأما عبد الله فإنّه بقي إلى سنة تسعين ومائتين. وبه كان يكنى الإمام أحمد - انتهى.

قلت: وكنية عبد الله هذا أبو عبد الرحمن، وله كتاب «المسند» عن أبيه وغيره. وكثر عنه النقل في «العمدة» لابن البطريق الحلبيّ، وغيره. وفي بعض المواضع أنّ صالحاً تولّى القضاء بإصفهان إلى أن توفيّ فيها. ثمّ ليّعلم أنّ من جملة ما ينبئك عن قلة تعصب هذا الصالح بن الطالح، ووالده المذكور أيضاً حكاية يرويها صاحب «الصواعق المحرقة». وهو في أقصى المراتب من الغضب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام بعد

ترجيحه القول بعدم كفر يزيد الملعون، واستحقاقه اللعنة تمسكاً بأن الأصل أنه مسلم، فناًخذ بذلك الأصل حتى يثبت عندنا ما يوجب الإخراج عنه، ولم تعلم موته على الكفر وإن كان كافراً في الحالة الظاهرة لاحتمال أن يختم له بالحسنى فيموت على الإسلام، وبأنهم صرّحوا بأنه لا يجوز لعن فاسق مسلم معن، وهذا منهم. ولو سلمنا أنه أمر بقتل الحسين وأسرته، فذلك حيث لم يكن عن استحلال أو كان عنه لكن بتأويل، ولو باطلاً فسق لا كفر.

فَضَّ اللهُ فَاهَ فِيمَا تَجَرَّأَ عَلَى دِينِ اللهِ فِي إِظْهَارِهِ، وَلَمْ يَسْتَحْيِي مِنْ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي تَحْقِيرِ مَنْزِلَتِهِ وَمَقْدَارِهِ. وَهِيَ أَنَّهُ قَالَ: بَعْدَ اللَّتْيَا وَالْتِي. ثُمَّ رَوَى ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنِ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى الْفَرَّاءِ أَنَّهُ رَوَى فِي كِتَابِهِ «الْمَعْتَمَدُ فِي الْأُصُولِ» بِإِسْنَادِهِ إِلَى صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ. قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: إِنَّ قَوْمًا يَنْسُبُونَنَا إِلَى تَوَلِّيِ يَزِيدَ. فَقَالَ: يَا بُنَيَّ! وَهَلْ يَتَوَلَّى يَزِيدَ أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ؟! وَلِمَ لَا تَعْلَنَ مِنْ لَعْنَةِ اللهِ فِي كِتَابِهِ!؟

فقلت: وأين لعن يزيد في كتابه!؟

فقال: في قوله تعالى: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ. <sup>١</sup> فهل يكون فساد أعظم من القتل!؟

وفي رواية: يا بُنَيَّ! م- أقول في رجل لعنه الله في كتابه. قال: ثم ذكر حديث من أخاف أهول المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. ولا خلاف أن يزيد غزا المدينة بجيش وأخاف أهلها -

١- الأيتان ٢٢ و ٢٣، من السورة ٤٧: محمد صلى الله عليه وآله.

انتهى كلام ابن حجر صاحب «الصواعق المحرقة».

والحديث الذي ذكره رواه مسلم. ووقع من ذلك الجيش من القتل والفساد العظيم، والسبى وإباحة المدينة ما هو مشهور حتى افتضّ نحو ثلاثمائة بكر، وقُتل من الصحابة نحو ذلك، ومن قرأ القرآن نحو سبعمائة نفس، وأبيحت المدينة أياماً. وبطلت الجماعة من المسجد النبويّ أياماً، فلم يمكن أحد دخول مسجدها، حتى دخله الكلاب والذئاب، وبالت على منبره صلى الله عليه وآله - تصديقاً لما أخبر به . ولم يرض أمير ذلك الجيش إلا بأن يبايعوه ليزيد على أنهم حَوَّلَ له إن شاء باع، وإن شاء أعتق. فذكر له بعضهم البيعة على كتاب الله وسنة رسوله، فضرب عنقه. وذلك في وقعة الحرّة السابقة.

ومن جملة ما جرّتنا مناسبة الكلام إلى ذكره في مثل هذا المقام هو ما نقله السيّد الجزائريّ في كتابه «المقامات» عن ابن أبي الحديد المعتزليّ البغداديّ في شرحه على «النهج»، عن يحيى بن سعيد الثقة، قال: حضرت عند إسماعيل بن عليّ الحنبليّ فقيه الحنابلة ومقدمهم ببغداد، إذ دخل عليه رجل حنبلي كان في الكوفة، فقال: يا سيدي! شاهدت يوم زيارة الغدير عند قبر عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ورأيت فيه من الفضايح وسب الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة.

فقال إسماعيل: أَيُّ ذَنْبٍ لَهُمْ؟! فَوَاللَّهِ مَا جَرَّأَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَلَا فَتَحَ لَهُمْ ذَلِكَ الْبَابَ إِلَّا صَاحِبُ ذَلِكَ الْقَبْرِ.

فقال: يَا سَيِّدِي! فَإِنْ كَانَ مُحَقَّقًا فَمَا لَنَا نَتَوَلَّى فُلَانًا وَفُلَانًا؟! وَإِنْ كَانَ مُبْطَلًا فَمَا لَنَا نَتَوَلَّاهُ؟! يَنْبَغِي أَنْ نَبْرَأَ إِمَّا مِنْهُ أَوْ مِنْهُمَا!

قال يحيى بن سعيد: فقام إسماعيل مسرعاً ولبس نعله، وقال:

لَعَنَ اللَّهُ الْفَاعِلَ بْنَ الْفَاعِلَةِ - يَعْنِي بِهِ نَفْسَهُ الْخَبِيثَةَ - إِنْ كَانَ يَعْرِفُ  
جَوَابَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ !

ودخل دار حرمه .

فَأَنْظَرُ إِلَى ءَاثِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ  
لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>١</sup>.

ومحصلة الكلام أنّ هذه المذاهب الأربعة التي أبنا موجزاً عنها -  
مضافاً إلى اشتراكها في الاعتقاد بخلافة الخلفاء الغاصبين - تختلف  
فيما بينهما ف-ي أصول المعارف والفروع الفقهيّة. وفي كلّ منها  
انحراف كبير حسب الأصول العقلائيّة والموازن الحكميّة والتأريخ  
الدقيق ، ولا يتسنى لنا أن نتمسك بها ونتخذها حُجزةً الثقة والعمل  
والصراط المستقيم نحو الله تعالى، حتّى أنّ الشيخ محمود جار  
الله الزمخشريّ الذي كان من فرائد دهره ونوادير عصره في الأدب  
- مع أنّه كان عامّي المذهب، ولم يخرج من هذه الأصول في عقائده ولا  
من هذه الفروع في عمله -<sup>٢</sup>

١- الآية ٥٠، من السورة ٣٠: الروم. وانظر: «روضات الجنّات» ج ١، ص ٥١ إلى ٥٤،

الحجريّة الرحليّة، وفي طبع دار المعرفة، بيروت: ج ١، ص ١٨٤ إلى ١٩٣.

٢- قال العلامة الحلّيّ في «منهاج الكرامة» ص ٢٨، طبعة عبدالرحيم: مع أنّ

الزمخشريّ - من مشايخ الحنفيّة - ذكر في كتاب «ربيع الأبرار» أنّه ادعى بنوّته (بنوّة معاوية)

أربعة نفر. وفي «ريحانة الأدب» ج ٢، ص ٣٨١: ويُنسب إليه أيضاً:

كَثُرَ الشُّكُّ وَالْخِلَافُ فَكُلُّ

فَاعْتَصَابِي بِإِلَّا إِلِهِ سِوَاهُ

فَارَ كَلْبٌ بِحُبِّ أَصْحَابِ كَهْفٍ كَيْفَ أَشَقَى بِحُبِّ آلِ نَبِيِّ

ومع أنّه صرح بأنّ الزمخشريّ كان معتزليّ الأصول، حنفيّ الفروع، لكنّه قال في آخر

ترجمته بعد نقله أبياته التسعية في سرّ كتمان مذهبه: ظاهر هذه الأشعار يدلّ على تشييع

إِذَا سَأَلُوا عَنْ مَذْهَبِي لَمْ أُبْحِ بِهِ  
 وَأَكْتُمُهُ، كِتْمَانُهُ لِي أَسْلَمَ  
 فَإِنْ حَافِيًا قُلْتُ قَالُوا بَأْنِي  
 أُبِيحُ الطَّلَا وَهُوَ الشَّرَابُ الْمُحَرَّمُ  
 وَإِنْ مَالِكِيًّا قُلْتُ قَالُوا بَأْنِي  
 أُبِيحُ لَهُمْ أَكْلَ الْكِلَابِ وَهُمْ هُمْ  
 وَإِنْ شَافِعِيًّا قُلْتُ قَالُوا بَأْنِي  
 أُبِيحُ نِكَاحَ الْبِنْتِ وَالْبِنْتُ تَحْرِمُ  
 وَإِنْ حَنْبَلِيًّا قَالُوا بَأْنِي  
 ثَقِيلٌ حُلُولِي بَغِيضٌ مُجَسَّمٌ  
 وَإِنْ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَحَزْبِهِ  
 يَقُولُونَ: يَسُّ لَيْسَ يَدْرِي وَيَفْهَمُ  
 تَعَجَّبْتُ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ  
 فَمَا أَحَدٌ مِنْ أَلْسِنِ النَّاسِ يَسْلَمُ

الزمخشري. وقال في «هدية الأحياب»: روى الزمخشري بإسناده عن النبي صلى الله عليه  
 وآله أنه قال: فاطمة مَهَجَةٌ قَلْبِي، وابناها ثمرة فُوَادِي، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها  
 أمناء ربي وحبل ممدود بينه وبين خلقه. من اعتصم بهم نجاة، ومن تخلف عنهم عنهم  
 هوى.

ونحن بحمد الله والمئة تحدثنا مفصلاً عن سند هذا الحديث المبارك في الصفحة  
 الأخيرة من الجزء الثالث عشر من هذا الكتاب.

١- قال في «أقرب الموارد»: الطلاء القطران، وكل ما يُطلى به، وما طُبِّخ من عصير  
 العنب حتى ذهب ثلثاه. وبعض العرب يسمي الحمر الطلاء يريد بذلك تحسين اسمها، لا  
 أنها الطلاء بعينها.



وَأَخْرَجَنِي دَهْرِي وَقَدَّمَ مَعْشَرًا  
عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَأَعْلَمَ  
وَمُذْ أَفْلَحَ الْجُهَّالُ أَيَقَنْتُ أَنَّنِي  
أَنَا الْمِيمُ وَالْأَيَّامُ أَفْلَحَ أَعْلَمُ<sup>١</sup>

(يقصد الزمخشريّ أنّه كحرف الميم وهو من الحروف المطبقة التي ينغلق الفم عن -د تلفظها، وعلومه في باطنه، أمّا غيره فشافهم مشقوقة، وهم يثرثرون وينسجون كلاماً من شفّتهم المشقوقتين).

ويبدو من الضروريّ! هنا أن يكون لنا حديث عن سبب تميّز فقه الشيعة عن فقه العامّة، و عصر انفصاليه، وسبب خمود الاجتهاد عند العامّة، وغلق طريق الفكر أمام جميع الناس بانسداد باب الاجتهاد وحصر المذاهب في أربعة. وحديث عن عدالة الصحابة الذين يُعتبرون اكبر سند داعم لفقه العامّة وعقائدهم، ويعدّون الدعامة الوحيدة التي يتوكّأون عليها في الأصول والفروع. وبانهيار هذه الأبنية الواهية المسيّدة على ساحل البحر بلا أساس رصين، نبرهن كالشمس الساطعة على مدى ضعف الأساس الذي يقوم عليه مذهب العامّة، وندلّ على أنّه أقام هذه الخيمة الواهية على قاعدة خاوية بلا اتّكاء على أصل ثابت وأساس رصين وبنيان متين، وأنّه أثار ضجيجاً وجلبة في العالم، وحرّم أصحابه ومتابعيه من شرب الماء المعين من عين صافية لماء الحقيقة.

١- ذكر الشيخ إبراهيم الدسوقيّ مصحّح الكتاب في آخر الجزء الثاني من تفسير «الكشّاف» مطالب في سياق ترجمة الزمخشريّ في ثلاث صفحات، ونحن نقلناه هذه الأبيات منها، ص ٥٧٣. دار المطبعة الأميريّة من طبعة بولاق، في أواخر القرن الثالث عشر الهجريّ.

قال العلامة الحلبي في كتاب « منهاج الكرامة » بعد ترجمة مفصلة للأئمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام: فهؤلاء الأئمة الفضلاء المعصومون عليهم السلام، الذين بلغوا الغاية في الكمال، ولم يتخذوا ما اتخذ غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك وأنواع المعاصي والملاهي، وشرب الخمر والفجور، حتى فعلوا بأقاربهم على ما هو المتواتر بين الناس. قالت الإمامية: **فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**<sup>١</sup>. وما أحسن قول بعض الناس:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَرْضَى لِنَفْسِكَ مَذْهَبًا

وَتَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ فِي نَقْلِ أَخْبَارِ

فَدَعُ عَنكَ قَوْلَ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكِ

وَأَحْمَدَ وَالْمَرْوِيَّ عَنِ كَعْبِ أَخْبَارِ

وَوَالِ أَنْسَاءَ قَوْلُهُمْ وَحَدِيثُهُمْ

رَوَى جَدُّنَا عَنِ جَبْرِئِلَ عَنِ الْبَارِي

وما أظن أحداً من المحصّلين وقف عليه هذه المذاهب فاختر غير مذهب الإمامية باطناً، وإن كان في الظاهر يصير إلى غيره طلباً للدنيا، حيث وضعت لهم المدارس والربط والأوقاف حتى تستمرّ لنبي العباس الدعوة، ويُشيد للعامّة اعتقاد إمامتهم.

وكثيراً ما رأينا من يتدين في الباطن بمذهب الإمامية، ويمنعه عن إظهاره حبّ الدنيا وطلب الرئاسة. وقد رأيتُ بعض أئمة الحنابلة يقول: إنني على مذهب الإمامية، فقلتُ: فلم تدرّس على مذهب الحنابلة؟ فقال: ليس في مذهبكم البغلات والمشاهرات. وكان أكبر مدرّسي

١- اقتباس من آية قرآنية وليس مضموناً لها.

الشافعية في زماننا، حيث توفيّ أوصى بأن يتولّى أمره في غسله وتجهيزه بعض المؤمنين، وأن يدفن في مشهد الكاظم عليه السلام، وأشهد عليه أنه على دين الإمامية.<sup>١</sup>

وقال العلامة أيضاً في الفصل الأوّل من الكتاب: في نقل المذاهب: ذهبت الإمامية إلى أنّ الله تعالى عدل حلّكيم لا يفعل قبيحاً ولا يخلّ بواجبٍ، وأنّ أفعاله إنّما تقع لغرض صحيح وحكمة، وأنّه لا يفعل الظلم ولا العبث، وأنّه رؤوف بالعباد يفعل بهم ما هو الأصلاح لهم والأنفع. وأنّه تعالى كلّهم تخبيراً لا اجباراً، ووعدهما لثواب وتوعدهم بالعقاب على لسان أنبيائه ورسله المعصومين، بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النيسان ولا المعاصي، وإلا لم يبق وثوق بأقوالهم وأفعالهم فتنفي فائدة البعثة. ثمّ أردف الرسالة بعد موت الرسول بالإمامة، فنصب أولياء معصومين ليأمن الناس من غلظهم وسهوهم وخطأهم فينقادون إلى أوامرهم، لئلا يخلي الله تعالى العالم من لطفه ورحمته. وأنّه لما بعث رسوله محمّداً صلّى

١- «منهاج الكرامة في إثبات الإمامة» ص ٢٣، طبعة عبدالرحيم، سنة ١٢٩٦.

ومن الجدير ذكره أنّ موارد الخلاف بين الإمامية والعامّة لا تنحصر في الموارد المذكورة. فالخلاف بينهما في الفتاوى والآراء كبير لا حصر له. وأحد موارد جواز عقد الزواج المؤقت (المتعة) قال العلامة الحلّي في كتاب «نهج الحقّ وكشف الصدق» ص ٥٢٤ و ٥٢٥: ذهبت الإمامية إلى إباحة نكاح المتعة. وخالف الفقهاء الأربعة. وقد خالفوا القرآن، والإجماع، والسنة النبوية، أما القرآن فقوله تعالى: **فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً** (الآية ٢٤، من السورة ٤: النساء)، وهو حقيقة في المتعة. وأيضاً قرأ ابن عباس: **إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى**. وأما الإجماع، فلا خلاف في إباحتها. واستمرت الإباحة مدة نبوة النبي صلّى الله عليه وآله، وخلافة أبي بكر، وكثيراً من خلافة عمر. ثمّ صعد المنبر وقال: أيّها الناس! متعتان كانتا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما.

الله عليه وآله قام بنقل الرسالة، ونصّ على أنّ الخليفة بعده عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، ثمّ من بعده علي ولده الحسن الزكيّ، ثمّ عليّ الحسين الشهيد أخيه، ثمّ عليّ بن الحسين زين العابدين، ثمّ عليّ محمّد بن عليّ الباقر، ثمّ عليّ جعفر بن محمّد الصادق، ثمّ عليّ موسى بن جعفر الكاظم، ثمّ عليّ بن موسى الرضا، ثمّ عليّ محمّد بن عليّ الجواد، ثمّ عليّ بن عليّ بن محمّد الهاديّ، ثمّ عليّ الحسن بن عليّ العسكريّ، ثمّ عليّ الخلف الحجّة محمّد بن الحسن عليهم أفضل الصلوات؛ وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لم يمت إلّا عن وصيّة بالإمامة. وذهب أهل السنّة إلى خلاف ذلك كلّ.

فلم يثبتوا العدل والحكمة في أفعاله، وجوّزوا عليه فعل القبيح والإخلال بالواجب، وأنّه لا يفعل لغرض بل كلّ أفعاله لا لغرض من الأغراض ولا لحكمة البتة. وأنّه يفعل الظلم والعبث، وأنّه لا يفعل ما هو الأصلح للعباد بل ما هو الفساد في الحقيقة، لأنّ فعل المعاصي وأنواع الكفر والظلم وجميع أنواع الفساد الواقعة في العالم مسندة إلى الله - تعالى عن ذلك.

وأنّ المطيع لا يستحقّ ثواباً والمعاصي لا يستحقّ عقاباً، بل قد يُعذّب المطيع طول عمره المبالغ في الممتثال أو امره تعالى كالنبيّ صلّى الله عليه وآله، ويثيب العاصي طول عمره بأنواع المعاصي وأبلغها كإبليس وفرعون؛ وأنّ الأنبياء على نبينا وآله وعليهم السلام غير معصومين، بل قد يقع منهم الخطأ والزلل والفسوق والكذب والسهو، وغير ذلك؛ وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لم ينصّ على إمام بينهم، وأنّه مات بغير وصيّة؛ وأنّ الإمام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله أبو بكر بن أبي قحافة لمبايعة عمر بن الخطّاب له برضا أربعة: أبي عبّيدة، وسالم مولى [أبي] حذيفة،

وأسيد بن حضير، وبشير بن سعد. ثمّ من بعده عمر بن الخطّاب بنصّ أبي بكر عليه، ثمّ عثمان بن عفّان بنصّ عمر على ستّة<sup>١</sup> هو أحدهم فاختره بعضهم، ثمّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمبايعة الخلق له. ثمّ اختلفوا. فقال بعضهم: إنّ الإمام بعده ابنه الحسن عليه السلام، وبعضهم قال: إنّه معاوية بن أبي سفيان. ثمّ ساقوا الإمامة في بني أميّة حتّى ظهر السفّاح من بني العبّاس، فساقوا الإمامة إليه. ثمّ انتقلت الإمامة منه إلى أخيه المنصور. ثمّ ساقوا الإمامة في بني العبّاس إلى المستعصم<sup>٢</sup>.

كان العلامة الحلّي كالشيخ المفيد حقّاً، فهو من أركان الأُمّة ورعاتها المدافعِين عنها. ويعدّ في الدرجة الأولى بين المتكلّمين والباحثين في مذهبنا على أساس التعقّل والبرهان. صنّف كتابه «منهاج الكرامة» بطلب من الجايّتو (السلطان محمّد خدا بنده) الذي كان حنفيّاً، ثمّ اختار المذهب الشيعيّ بفضل مجلس العلامة وبرهانه. وانتشر هذا الكتاب بعد ذلك المجلس. والحقّ أنّه كتاب نفيس، وحرّيّ بالطلّاب المبتدئين أن يدرسوه عند أستاذ ضمن دروسهم الكلاميّة.

وصنّف ابن تيميّة الحنبليّ الذي كان من النواصب المعاندين للشيعيّة، وكان معاصراً للعلامة، كتاباً عنوانه «منهج السُنّة»، ردّاً على العلامة واعتراضاً عليه، وكان في جوابه بذئيّاً، ولم يرفع عن كلّ قذف وتهمة في غير سدد.

ولمّا كان كتاب «منهاج الكرامة» موجزاً جدّاً، وكان مشتملاً على أصول

١- وهم: عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف.

٢- «منهاج الكرامة» ص ٣ و٤، طبعة عبدالرحيم.

معتقدات الشيعة فحسب، لذا صنّف العلامة بعده كتاباً آخر أكثر تفصيلاً سمّاه: «نهج الحقّ وكشف الصدق» يضمّ من ذخائر النفائس واللائئ الثمينة والدرر الباهرة ما يجعله - برأبي - منهلاً يحتاج إليه الأعلام أيضاً ليرتشفوا منه.

وتحدث فيما يأتي عن بعض موارد الخلاف بين الشيعة والعامّة، التي تُعدّ من أصول الاعتقادات والمعارف الدينيّة. قال العلامة في بحث حول البارئ تعالى إنه لا يُرى:

**البحث السابع:** في أنه تعالى يستحيل رؤيته.

وخالفت الأشاعرة كافّة العقلاء في هذه المسألة، حيث حكموا بأنّ الله تعالى يُرى للبشر. أمّا الفلاسفة، والمعتزلة، والإماميّة فإنكارهم لرؤيته ظاهر لا يُشكّ فيه. وأمّا المشبّهة، والمجسّمة فإنهم إنّما جوّزوا رؤيته تعالى، لأنّه عندهم جسم، وهو مقابل للرائي. فلهذا خالفت الأشاعرة باقي العقلاء، وخالفوا الضرورة أيضاً<sup>١</sup>. فإنّ الضرورة قاضية بأن ما ليس

١- قال في الهامش: من راجع كتاب «الإبانة في أصول الديانة» لأبي الحسن الأشعريّ رئيس الأشاعرة، ص ٥ و٦، يظهر له أنّه لم يأت بمذهب جديد يمتاز عن مذاهب المتكلّمين من أهل الحديث. وقد صرّح في كتابه هذا بأنّ ما يعتقد، وما أظهره من أصول العقائد كلّها كان تبعاً لأحمد بن حنبل، وتقليد له. وأفرط في تعظيمه، وتجاوز الحدّ بالغلوّ فيه. وقال عبد الكريم الشهرستانيّ في «الملل والنحل» ج ١، ص ٩٣: حتّى انتهى الزمان إلى عبد الله بن سعيد الكلابيّ، وأبي العباس القلانسيّ، والحارث بن أسد المحاسبيّ. وهؤلاء كانوا من جملة السلف، إلّا أنّهم باشروا علم الكلام، وأيدوا عقائد السلف بحجج كلاميّة وبراهين أصوليّة. فأيد أبو الحسن الأشعريّ مقالاتهم بمنهج كلاميّة، وصار ذلك مذاهباً جديداً لأهل السنّة والجماعة، وانتقلت سمة الصفاتيّة إلى الأشعريّة - انتهى.

وذكر بذلك محمّد كرد عليّ في الجزء السادس من كتابه «خطط الشام»: والمشبّهة والمجسّمة من المتكلّمين هم الصفاتيّة. وتبع الأشعريّ في ذلك أحمد بن حنبل وأتباعه.

بجسم، ولا حالاً في الجسم، ولا في جهة، ولا مكان، ولا حيز، ولا يكون مقابلاً، ولا في حكم المقابل، فإنه لا يمكن رؤيته. ومن كابر في ذلك فقد أنكر الحكم الضروري، وكان في ارتكاب هذه المقابلة سوفسطائياً.

وخالفوا أيضاً آيات الكتاب العزيز الدالة على امتناع رؤيته تعالى. قال عز من قائل: **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**<sup>١</sup>. تمدح بذلك، لأنه ذكره بين مدحين، فيكون مدحاً، لقبح إدخال ما لا يتعلق بالمدح بين مدحين، فإنه لا يحسن أن يقال: فلان عالم فاضل، يأكل الخبز، زاهد ورع. وإذا مدح بنفي الإبصار له، كان ثبوته له نقصاً، والنقص عليه تعالى مُحال<sup>٢</sup>.

قال العلامة في تقي الجسمية عن الله تعالى:

**البحث الثالث:** في أنه تعالى ليس بجسم.

أطبق العقلاء على ذلك إلا أهل الظاهر، كداود، والحنابلة كافة، فإنهم قالوا: إنه تعالى جسم يجلس على العرش، ويفضل عنه من كل جانب ستة أشبار يشبره. وإنه ينزل في كل ليلة جمعة على حمار، وينادي إلى الصباح: **هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟**<sup>٣</sup> وحملوا آيات التشبيه على

---

(راجع: «الملل والنحل» ج ١، ص ٩٢ إلى ١٠٨؛ و«حاشية الكستلي» المطبوع في هامش «شرح العقائد» للفتازاني، ص ٧٠).

١- الآية ١٠٣، من السورة ٦: الأنعام: **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**.

٢- «الأنهج الحق وكشف الصدق» ص ٤٦ و ٤٧، طبعة منشورات دار الهجرة، قم، تعليق العالم الفاضل الشيخ عين الله الأموري الحسيني.

٣- قال في الهامش: وفي الأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: **إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَلَكاً ينادي ليلة الجمعة: هل من تائب؟ هل من مستغفر؟** من دون أن يتجسم تعالى شأنه (راجع: تعليقة «إحفاق الحق» ج ١، ص ١٧٣).

ظواهرها.<sup>١</sup> والسبب في ذلك قلة تمييزهم وعدم تفتنهم بالمناقضة التي تلزم، وإنكار الضروريات التي تُبطل مقالاتهم. فإنَّ الضرورة قاضية بأنَّ كلَّ جسم لا ينفك عن الحركة والسكون، وقد ثبت في علم الكلام: أنَّهما حادثان. والضرورة قاضية أنَّ ما لا ينفك عن المحدث فإنَّه يكون محدثاً، فيلزم حدوث الله تعالى.

والضرورة الثانية قاضية بأنَّ كلَّ محدث مفتقر إلى محدث، فيكون

١- قال في الهامش: غير خفي على أولي الألباب أنَّ أحمد بن حنبل إمام الحنابلة كان معتقداً بأنَّ لله جسم، وله أعضاء كاليد، والوجه، والعين، ويتمسك لذلك بظواهر الآيات المتشابهة. وهكذا قال مالك بن أنس إمام المالكية. (راجع: «الملل والنحل» ج ١، ص ٩٣ و ١٠٤). وقال الزمخشري في «الكشاف» ج ٣، ص ٣٠١:

فإن حنبلياً قلتُ قالوا بأنني ثَقِيل حُلُولِي بِغِيضِ مَجَسِّمٍ  
قال ابن الأثير الجزري في «الكامل في التاريخ» ج ٦، ص ٢٤٨، تحت عنوان «ذكر فتنة الحنابلة ببغداد»: وفيها عظم أمر الحنابلة، وقويت شوكتهم... إلى أن قال: فخرج توقيع الراضي بما يقرأ على الحنابلة، ينكر عليهم فعلهم، ويؤيخهم باعتقاد التشبيه، وغيره، فمنه: تارة أنكم تزعمون: أنَّ صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين، وهيئكم الرذلة على هيئته، وتذكرون: الكف، والأصابع، والرجلين، والنعملين المذهبين، والشعر القلط، والصعود إلى السماء والنزول إلى الدنيا تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ثم طعنكم على خيار الأئمة، ونسبتكم شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله إلى الكفر والضلال، ثم استدعواكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهرة، والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن.

هذا وكُتِبَ الحنابلة مشحونة بهذه الخرافات في الأمور الاعتقادية، حتى أنَّ أبا الحسن الأشعريَّ رئيس الأشاعرة، تبعاً لقدوته أحمد بن حنبل، قد عقد أبواباً لهذه المناكير في كتابه «الإنباء في أصول الديانة» ص ٣٦ إلى ٥٥. وذهب إلى هذا المذهب الوهابيون، وقدوتهم ابن تيمية. (راجع: «العقيدة الحموية» ضمن مجموعة الرسائل، ج ١، ص ٤٢٩؛ و«منهاج السنة» ج ٢، ص ٢٤٠ إلى ٢٧٨؛ و«الرسائل الخمس» المسمى بـ «الهدية السنية» ص ٩٧ إلى ٩٩، وفي الرسالة الخامسة، ص ١٠٥).



واجب الوجود مفتقراً إلى مؤثّر، ويكون ممكناً، فلا يكون واجباً، وقد فُرض أنّه واجب، هذا خُلف.

وقد تمادى أكثرهم، فقال: إنّه تعالى يجوز عليه المصافحة، وإنّ المخلصين يعانقونه في الدنيا.<sup>١</sup>

وقال داود: <sup>٢</sup>أَعْفُونِي عَنِ الْفَرْجِ وَاللَّحْيَةِ وَأَسْأَلُونِي عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ .

وقال: إنّ معبوده جسم ذو لحم، ودم، وجوارح، وأعضاء، وإنّه بكى على طوفان نوح، حتّى رمدت عيناه، وعادته الملائكة لما اشتكت عيناه!

فليُصف العاقل المقلّد من نفسه، هل يجوز له تقليد هؤلاء في شي؟ وهل للعقل مجال في تصديقهم في هذه المقالات الكاذبة والاعتقادات الفاسدة؟ وهل تثق النفس بإصابة هؤلاء في شيء البتّة؟

## إنّه تعالى ليس في جهة

البحث الرابع: في أنّه تعالى ليس في جهة.

العقلاء كافّة على ذلك، خلافاً لكُراميّة<sup>٣</sup> حيث قالوا: إنّه تعالى في

١- روى محمّد بن الكريم الشهرستانيّ هذا القول عن عدّة علماء من أهل السنّة في كتاب «الملل والنحل» ج ١، ص ١٠٥.

٢- وهو داود الجوارب، من علماء أهل السنّة. ذكره الشهرستانيّ في «الملل والنحل» ج ١، ص ١٠٥.

٣- قال في الهامش: الكُراميّة: هم أصحاب أبي عبدالله محمّد بن كرام، بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة. (راجع: «الفرق بين الفرق» ص ١٣١؛ و«الملل والنحل» ج ١، ص ١٠٨). وذهب مذهب الكُراميّة أبو الحسن الأشعريّ رئيس الأشاعرة، وأثبت الفوقيّة لله تعالى. (راجع «الإبانة في أصول الديانة» ص ٣٦ إلى ٥٥).

وذهب أيضاً إلى ذلك المذهب فرقة الوهابيّة وقدوتهم ابن تيميّة (راجع: «رسالة

جهة فوق. ولم يعلموا أن الضرورة قضت بأن كل ما هو في جهة، فإما أن يكون لاتباً فيها، أو متحرّكاً عنها. فهو إذن لا ينفك عن الحوادث، وكل ما لا ينفك عن الحوادث، فهو حادث على ما تقدّم<sup>١</sup>.

## نقل الخلاف في مسائل العدل

المبحث الحادي عشر: في العدل. وفيه مطالب:

الأول: في نقل الخلاف في مسائل هذا الباب.

اعلم أن هذا أصل عظيم نبنتي عليه القواعد الإسلامية، بل الأحكام الدينية مطلقاً وبدونه لا يتم شيء من الأديان، ولا يمكن أن يُعلم صدق نبي من الأنبياء على الإطلاق، على ما تقرّره فيما بعد إن شاء الله. وبئس ما اختار الإنسان لنفسه مذهباً، خرج به عن جميع الأديان. ولم يمكنه أن يعبد الله تعالى بشرع من الشرائع السابقة واللاحقة. ولا يجزم به على نجاته نبي مرسل، أو ملك مقرّب، أو مطيع في جميع أفعاله من أولياء الله تعالى وخلصائه، ولا على عذاب أحد من الكفار والمشركين، وأنواع الفساق والعاصين. فلينظر العاقل المقلّد هل يجوز له أن يلقي الله تعالى بمثل هذه العقائد الفاسدة، والآراء الباطلة، المستندة إلى اتباع الشهوة، والانقياد إلى المطامع؟! إلى المطامع؟!!

\* \* \*

قالت الإمامية، ومتابعوهم من المعتزلة: إنّ الحُسن والقبح عقليّان

العقيدة الحمويّة» ج ١، ص ٤٢٩، لابن تيميّة؛ و«الهدية السنية» ص ٩٧، والرسالة الخامسة

منها، ص ١٠٥، لعبد اللطيف، حفيد محمّد بن عبد الوهاب.

١- «نهج الحقّ وكشف الصدق» ص ٥٥ إلى ٥٧.

مستندان إلى صفات قائمة بالأفعال، أو وجوه واعتبارات يقع عليها. وقالت الأشاعرة: إنّ العقل لا يحكم بحُسن شيء البتّة ولا بقبحه، بل كلّ ما يقع في الوجود من أنواع الشرور كالظلم، والعدوان، والقتل، والشرك، والإلحاد، وسبّ الله تعالى، وسبّ ملائكته وأنبيائه وأوليائه، فإنّه حُسن.<sup>١</sup>

\* \* \*

وقالت الإماميّة ومتابعوهم من المعتزلة: إنّ جميع أفعال الله تعالى، حكمة وصواب، ليس فيها ظلم، ولا جور، ولا كذب ولا عبث، ولا فاحشة، والفواحش، والقبائح، والكذب، والجهل من أفعال العباد، والله تعالى منزّه عنها، وبريء منها. وقالت الأشاعرة: ليس جميع أفعال الله تعالى حكمة وصواباً، لأنّ الفواحش والقبائح كلّها صادرة عنه تعالى، لأنّه لا مؤثّر غيره.<sup>٢</sup>

\* \* \*

وقالت الإماميّة: نحن نرضى بقضاء الله تعالى: حُلوه ومُرّه، لأنّه لا يقضي إلاّ بالحقّ. وقالت الأشاعرة: لانرضى بقضاء الله كلّّه، لأنّه قضى الكفر،

---

١- «شرح التجريد» للقوشجيّ، ص ٣٧٣؛ و«الفصل» لابن حزم، ج ٣، ص ٦٦؛ و«الملل والنحل» ج ١، ص ١٠١.  
٢- «الملل والنحل» ج ١، ص ٩٦؛ و«عقائد النسفيّ» وشرح للتغذازانيّ، ص ١٠٩؛ و«الفصل» لابن حزم ج ٣، ص ٦٩.

والفواحش، والمعاصي، والظلم، وجميع أنواع الفساد.<sup>١</sup>

\* \* \*

وقالت الإمامية والمعتزلة: لا يجوز أن يعاقب الله الناس على فعله، ولا يلومهم على صنعه، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى.<sup>٢</sup>  
وقالت الأشاعرة: لا يعاقب الله الناس إلا على ما لم يفعلوه، ولا يلومهم إلا على ما لم يصنعوه، وإنما يعاقبهم على فعله فيهم، وسببه وشتمه، ثم يلومهم عليه، ويعاقبهم لأجله، ويخلق فيهم الإعراض، ثم يقول: فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ.<sup>٣</sup> ويمنعهم من الفعل، ويقول: مَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا.<sup>٤</sup>

\* \* \*

وقالت الإمامية: إن الله تعالى لم يفعل شيئاً عبثاً، بل إنما يفعل لغرض ومصلحة. وإنه إنما يمرض لمصالح العباد، ويعوّض المؤلم بالثواب، بحيث ينفي العبث والظلم.  
وقالت الأشاعرة: لا يجوز أن يفعل الله شيئاً لغرض من الأعراس، ولا لمصلحة، ويؤلم العبد بغير مصلحة ولا غرض، بل يجوز أن يخلق خلقاً

١- «شرح العقائد» وحاشيته للكستكي ص ١١٣؛ و«الملل والنحل» ج ١، ص ٩٤؛

و«التفسير الكبير» ج ٢٦، ص ٢٠١.

٢- الآية ١٥، من السورة ١٧: الإسراء.

٣- الآية ٤٩، من السورة ٧٤: المدثر.

٤- الآية ٥٥، من السورة ١٨: الكهف.

في النار مخلّدين فيها، من غير أن يكونوا قد عصوا أو لا.<sup>١</sup>

\* \* \*

وقالت الإماميّة: لا يحسن في حكمة الله تعالى أن يظهر المعجزات على يد الكذّابين، ولا يصدّق المبطلين، ولا يرسل السفهاء، والفسّاق، والعُصاة.

وقالت الأشاعرة: يحسن كلّ ذلك.<sup>٢</sup>

وقالت الإماميّة: إنّ الله سبحانه لم يكلف أحداً فوق طاقته. وقالت الأشاعرة: لم يكلف الله أحداً إلاّ فوق طاقته، وما لا يتمكّن من تركه وفعله، ولا مهم على ترك ما لم يعطهم القدرة على فعله. وجوّزوا أن يكلف الله مقطوع اليد الكتابة، ومن لا مال له الزكاة، ومن لا يقدر على المشي للزمانة (العاهة، عدم بعض الأعضاء، تعطيل القوى): الطيران إلى السماء، وأن يكلف العاطل الزّمين المفلوج خلق الأجسام، وأن يجعل القديم مُحدّثاً، والمحدّث قديماً. وجوّزوا أن يرسل رسولاً إلى عباده بالمعجزات، ليأمرهم ب.ن يجعلوا الجسم الأسود أبيض دفعة واحدة، ويأمرهم بالكتابة الحسنة، ولا يخلق لهم الأيدي والآلات، وأن يكتبوا في الهواء بغير دواة ولا مداد، ولا قلم، ولا يد ما يروّه كلّ أحد.<sup>٣</sup>

١- «التفسير الكبير» ج ١٧، ص ١١، و: ج ٢٨، ص ٢٣٢؛ و«شرح التجريد» للقولنجي، ص ٣٧٥.

٢- «الفصل» لابن حزم، ج ٣، ص ١؛ و«المنحول» للغزالي.

٣- «الملل والنحل» ج ١، ص ٩٦ و ١٠٢؛ و«الفصل» لابن حزم، ج ٣، ص ٥٤؛ و«شرح العقائد» ص ١٠٢ و ١٢٣.

وقالت الإمامية: ربنا أعدل وأحكم من ذلك.

\* \* \*

وقالت الإمامية: ما أضلَّ الله تعالى أحداً من عباده عن الدين، ولم يرسل رسولاً إلا بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقالت الأشاعرة: قد أضلَّ الله كثيراً من عباده عن الدين، ولبس عليهم وأغواهم. وأنه يجوز أن يرسل رسولاً إلى قوم لا يأمرهم إلا بسبِّه، ومدح إبليس. فيكون من سبَّ الله تعالى، ومدح الشيطان، واعتقد التثليث والإلحاد، وأنواع الشرك مستحقاً للثواب والتعظيم. ويكون من مدح الله تعالى طول عمره، وعبدته بمقتضى أوامره، وذمَّ إبليس دائماً، في العقاب المخدِّد، واللعن المؤبِّد. وجوزوا أن يكون فيمن سلف من الأنبياء، ممن لم يبلغنا خبره، من لم يكن شريعته إلا هذا.<sup>١</sup>

\* \* \*

وقالت الإمامية: قد أراد الله تعالى الطاعات، وأحبَّها، ورضيها، واختارها، ولم يكرهها، ولم يسخطها، وأنه كره المعاصي، والفواحش، ولم يحبَّها، ولم رضيها، ولا اختارها.

وقالت الأشاعرة: قد أراد الله من الكافر أن يسبَّه ويعصيه، واختار ذلك، وكره أن يمدحه. قال بعضهم: أحبَّ وجود الفساد، ورضي بوجود

١- قال في الهامش: وقد قرّر مقالتهم هذه متكلمهم الفضل بن روزبهان في المقام. (وليراجع: «الفصل» لابن حزم، ج ٣، ص ١٤٢؛ و«شرح العقائد» ص ١٠٩ و ١٢٩، وفي حاشيته للكستلي).

## الكفر. ١

\* \* \*

وقالت الإماميّة: قد أراد النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ مَا أَرَادَ الْهَلْ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَرِهَ مِنَ الْمَعَاصِي مَا كَرِهَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؛  
وقالت الأشاعرة: بل أراد النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَثِيراً مِمَّا كَرِهَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَرِهَ كَثِيراً مِمَّا أَرَادَ اللهُ.<sup>٢</sup>

\* \* \*

قالت الإماميّة: قد أراد الله تعالى من الطاعات ما أرادته أنبيأؤه، وكره ما كرهه، وأراد ما كرهه الشياطين من الطاعات، ولم يُرد ما أرادوه من الفواحش.

وقالت الأشاعرة: بل قد أراد الله سبحانه ما أرادته الشياطين من الفواحش، وكره ما كرهه من كثير من الطاعات، ولم يُرد ما أرادته الأنبياء من كثير من الطاعات، بل كره ما أرادته منها.<sup>٣</sup>

\* \* \*

---

١- وقد قرّر ذلك أيضاً الفضل في المقام، وحاول توجيهه. (وليراجع: «الملل والنحل» ج ١، ص ٩٦؛ و«شرح العقائد» ص ١١٣. وذكره ابن القيم الجوزيّة في شرح «منازل السائرين»).

٢- «التفسير الكبير» ج ١٧، ص ٢١٨. ويأتي ما هو الحقّ في ذلك في مسألة النبوة إن شاء الله.

٣- إذا فُرض أنّ الله تعالى هو الفاعل لأفعال البشر، ولا مؤثّر إلا هو، فلا بدّ أن يكون مريداً لما يقع من الفواحش التي هي مراد الشياطين، ومراد الشياطين مكروهه للأنبياء. وقد أراد الله منهم ما هو مكروهه للأنبياء، وما أرادته الأنبياء من الطاعات لم يردها الله تعالى في الشياطين والفساق.

وقالت الإمامية: قد أمر الله عزّوجلّ بما أرادته ونهى عمّا كرهه.  
وقالت الأشاعرة: قد أمر الله عزّوجلّ بكثير ممّا كرهه، ونهى عمّا  
أراد.<sup>١</sup>

فهذه خلاصة أقاويل الفريقين في عدل الله تعالى .

\* \* \*

وقول الإمامية في التوحيد يضاهي قولهم في الع-دل، فإنهم يقولون:  
إنّ الله عزّوجلّ واحد لا قديم سواه، ولا إله غيره، ولا يُشبهه الأشياء،  
ولا يجوز عليه ما يصحّ عليها من التحرك، والسكون. وأنّه لم يزل  
ولا يزال حياً، قادراً، عالماً، مدركاً، لا يحتاج إلى أشياء يعلم بها، ويقدر  
ويُحيى، وأنّه خلق الخلق، أمرهم، ونهاهم، ولم يكن أمراً ونهاياً قبل  
خلقه لهم.

وقالت المشبهة: إنّهُ يشبه خلقه، ووصفوه بالأعضاء، والجوارح، وأنّه لم  
يزل أمراً ونهاياً، ولا يزال قبل خلق خلقه، ولا يستفيد بذلك شيئاً، ولا  
يفيد غيره. ولا يزال أمراً ونهاياً ما بعد خراب العالم، وبعد الحشر والنشر،  
دائماً بدوام ذاته تعالى.<sup>٢</sup>

١- «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٤٢؛ و«الفصل» لابن حزم، ج ١، ص ١٤٢؛ و«شرح  
العقائد» وفي حاشيته للكستلي ص ١٠٩ إلى ١١٣.

٢- قال في الهامش: قال أبو منصور البغداديّ في كتابه «الفرق بين الفرق» ص ٣٧،  
طبعة مصر: إنّ المشبهة صنفان: صنف شَبَّوا ذات الباري بذات غيره، وصنف آخر شَبَّهوا  
الصفات بصفت غيره. وكلّ من هذين الصنفين متفرّقون إلى أصناف شتى. أقول: إنّ أحمد  
بن حنبل، ومن تبعه من الحنابلة، وغيرهم، كأبي الحسن الأشعريّ؛ والوهّابية، قد وافقوا  
في التشبيه في كلا الصنفين. راجع «الإبانة في أصول الديانة» للأشعريّ؛ و«الملل والنحل» ج  
١، ص ٩٢ و٩٣ و١٠٣ و١٠٨؛ و«الكامل في التاريخ» ج ٦، ص ٢٤٨؛ وتفسير «الكشاف» ج



وهذه المقالة في الأمر والنهي ودوامها مقالة الأشعرية أيضاً. وقالت الأشاعرة أيضاً: إنه تعالى قادر، عالم، حي، إلى غير ذلك من الصفات، بذوات قديمة، ليست هي الله تعالى، ولا غيره، ولا بعضه - ولولاها لم يكن قادراً، عالماً، حياً تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

\* \* \*

وقالت الإمامية: إن أنبياء الله وأئمة منزّهون عن المعاصي، وعمّا يُسْتَحْفَ وَيَنْفَرُ. ودانوا بتعظيم أهل البيت الذين أمر الله تعالى بمودّتهم، وجعلها أجر الرسالة، فقال: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى. ٢

وقال أهل السنة: ٣ إنه يجوز عليهم الصغائر. وجوّزت الأشاعرة عليهم الكبائر.

## ترجيح أحد المذهبين

فليُنظر العاقل في المقاليتين، ويلمح المذهبين، ويُنصف في الترجيح، ويعتمد على الدليل الواضح الصحيح،<sup>٤</sup> ويترك تقليد الأبناء،

١، ص ٣٠١؛ و«منهاج السنة» ج ٢، ص ٢٤٠ إلى ٢٧٨؛ والرسائل الخمس المسماة بـ «الهدية السنّية» ص ٩٧ إلى ٩٩، وفي الرسالة الخامسة: ص ١٠٥؛ و«مجموعة الرسائل» ج ١، ص ٤٢٩.

١- «الملل والنحل» ج ١، ص ٩٥.

٢- الآية ٢٣، من السورة ٤٢: الشورى.

٣- مراده الأعم من المعتزلة والأشاعرة.

٤- كما قال الله تعالى: هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (الآية ٢٠٣، من السورة ٧: الأعراف). وقال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ

والمشايع الأخذين بالأهواء،<sup>١</sup> وغرّتهم الحياة الدنيا.<sup>٢</sup> بل ينصح نفسه، ولا يعول على غيره،<sup>٣</sup> ولا يقبل عذره غداً في القيامة: إني قلّدت شيخي الغلاني،<sup>٤</sup> أو وجدتُ آبائي وأجدادي على هذه المقالة.<sup>٥</sup> فإنّه لا ينفعه ذلك يوم القيامة، يوم يتبرأ المتبعون من أتباعهم، ويفرون من أشياعهم. وقد نصّ الله تعالى على ذلك في كتابه العزيز.<sup>٦</sup> ولكن أين الأذان السامعة،

وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ . (الآية ٥٧، من السورة ١٠: يونس.

١- كما قال تعالى في الآية ٢٣، من السورة ٩: التوبة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ . وقال تعالى في الآية ٣١، من هذه السورة: اتَّخِذُوا أَحِبَارَهُمْ وَرُهَيْبَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ .

٢- كما قال تعالى في الآية ٧٠، من السورة ٦: الأنعام: وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا .

٣- كما قال تعالى في الآية ٥٦، من السورة ٣٩: الزُّمَرُ: أَن تَقُولَ نَفْسٌ يٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لَمِنَ السَّخِرِينَ .

٤- كما قال تعالى في الآية ١١٣، من السورة ١١: هود: وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ . وقال تعالى في الآية ٥٧، من السورة ٣٠: الروم: فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعِدْرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ .

٥- كما قال تعالى في الآية ٢٨، من السورة ٧: الأعراف: وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

٦- ينصّ كتاب الله على أنّ يوم القيامة يوم تكشف فيه الأسرار، ويتذكر فيه الإنسان ما سعى، ويرى أنّه لا يغير من عمله صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها في صحيفة عمله. قال تعالى: فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى \* يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْأُنْسَانُ مَا سَعَى . (الآيتان ٣٤ و ٣٥، من السورة ٧٩: النازعات). وقال تعالى في الآية ٤٩، من السورة ١٨: الكهف: وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا . وقال في الآيتين ١٦٦ و ١٦٧ ، من السورة ٢ : البقرة: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَ

والقلوب الواعية؟! وهل يشك العاقل في الصحيح من المقاتلين؟! وأن مقالة الإمامية هي أحسن الأقاويل، وأنها أشبه بالدين، وأن القائلين بها هم الذين قال الله فيهم: **فَبَشِّرْ عِبَادِ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَيْهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ** ١.

ولينصف العاقل من نفسه: أنه لو جاء مشرك يطلب شرح أصول دين المسلمين في العدل، والتوحيد، رجاء أن يستحسنه، ويدخل فيه معهم، هل كان الأولى أن يقال له، حتى يرغب في الإسلام، وبتزيين في قلبه أنه من ديننا: إنه جميع أفعال الله تعالى حكمة وصواب، وأنا نرضى بقضائه، وأنه منزّه عن فعل القبائح والفواحش، لا تقع منه، ولا يعاقب الناس على فعل يفعله فيهم، ولا يقدرّون على دفعه عنهم، ولا يتمكّنون من امتثال أمره. أو قال: ليس في أفعاله حكمة وصواب، وإنه يفعل السفه والفاحشة (وإنه أمر بالسفه والفاحشة) ولا نرضى بقضاء الله، وإنه يعاقب الناس على ما فعله فيهم، بل خلق فيهم الكفر والشرك، ويعاقبهم عليهما، ويخلق فيهم اللون، والطول، والقصر، ويعذبهم عليها.

وهل الأولى أن نقول: من ديننا أن الله لا يكلف الناس ما لا يقدرّون عليه، ولا يطيقون؟! أو نقول: إنه يكلف الناس ما لا يطيقون، ويعاقبهم على ترك ما لا يقدرّون على فعله؟!

وهل الأولى أن نقول: إنه تعالى يكره الفواحش، ولا يريدّها، ولا يحبّها، ولا يرضّاها، أو نقول: إنه يجب أن يُشتم، ويُسبّ، ويُعصى

---

تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ \* وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ .

١- الأيتان ١٧ و ١٨، من السورة ٣٩: الزمر.

بأنواع المعاصي، ويكره أن يُمدح، ويُطاع، ويعذب الناس لما كانوا كما أراد ولم يكونوا كما كرهه؟!

وهل الأولى أن نقول: إنَّه تعالى لا يُشبه الأشياء، ولا يجوز عليه ما يجوز عليها، أو نقول: إنَّه يُشبهها؟!

وهل الأولى أن نقول: إنَّ الله تعالى يعلم، ويقدر، ويُحيي، ويدرك لذاته، أو نقول: إنَّه لا يُدرك، ولا يُحيي، ولا يقدر، ولا يعلم إلا بذوات قديمة، لولاها لم يكن قادراً، ولا عالماً، ولا غير ذلك من الصفات؟!

وهل الأولى أن نقول: إنَّه تعالى لما خلق الخلق أمرهم ونهاهم، أو نقول: إنَّه لم يزل في القَدَم ولا يزال بعد فنائهم طول الأبد يقول: **أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة!** ولا يخُلُّ بذلك أصلاً؟!

وهل الأولى أن نقول: إنَّه تعالى تستحيل رؤيته، والإحاطة بكُنْه ذاته، أو نقول: إنَّه يُرى بالعين إمَّا في جهة من الجهات له أعضاء وصورة، أو يُرى لا في الجهة؟!

وهل الأولى أن نقول: إنَّ أنبياءه وأئمَّته منزَّهون عن كلِّ قبيح وسخيف، أو نقول: إنَّهم اقترفوا المعاصي المنفَّرة عنهم، وإنَّه يقع منهم ما يدلُّ على الخسَّة والذلَّة كسرقة درهم، وكذب، وفاحشة، ويدومون على ذلك، مع أنَّهم محلُّ وحيه، وحَفَظَة شرَّعه، وإنَّ النجاة تحصل بامتثال أوامرهم القوليَّة والفعليَّة؟!

فإذا عرفت أنَّه لا ينبغي أن يُذكر لهذا السائل عن دين الإسلام، إلا مذهب الإماميَّة دون قول غيرهم، عرفت عِظَم موقعهم في الإسلام، وتعلم أيضاً بزيادة بصيرتهم. لأنَّه ليس في التوحيد دليل ولا جواب عن شبهة إلا من أمير المؤمنين عليه السلام، وأولاده عليهم السلام أخذ. وكان جميع العلماء يستندون إليه على ما يأتي. فكيف لا يجب تعظيم الإماميَّة،

والاعتراف بعلوّ منزلتهم!؟

فإذا سمعوا شبهة في توحيد الله تعالى، أو في عبث بعض أفعاله انقطعوا بالفكر فيها عن كلّ أشغالهم فلا تسكن نفوسهم، ولا تطمئنّ قلوبهم حتّى يتحقّقوا جواباً عنها. ومخالفتهم إذا سمع دلالة قاطعه على أنّ الله عزّ وجلّ لا يفعل الفواحش والقبايح، ظلّ ليله ونهاره مهموماً مغموماً، طالباً لإقامة شبهة يجيب بها حذراً: أن يصحّ عنده أنّ الله تعالى لا يفعل القبيح. فإذا ظفر بأدنى شبهة قنعت نفسه، وعظم سروره بما دلّت الشبهة عليه بأنّه لا يفعل القبيح، وأنواع الفواحش غير الله تعالى. فشتان بين الفريقين! وبعدّ ما بين المذهبيين! ولنشرع الآن في تفصيل المسائل، وكشف الحقّ فيها بعون الله ولطفه:

### إثبات الحُسن والقُبْح العقليّين

المطلب الثاني ذهبت الإماميّة، ومن تابعهم من المعتزلة إلى أنّ من الأفعال ما هو معلوم الحُسن والقُبْح بضرورة العقل. كعلمنا بحسن الصدق النافع، وقبح الكذب الضارّ. فكُلّ عاقل لا يشكّ في ذلك. وليس جزمه بهذا الحكم بأدون من الجزم بافتقار الممكن إلى السبب، وأنّ الأشياء المساوية لشيءٍ واحد متساوية. ومنها ما هو معلوم بالاكتساب أنّه حسن، أو قبيح، كحسن الصدق الضارّ، وقبح الكذب النافع.<sup>١</sup> (فهذه أحكام عقليّة

---

١- قال المعلّق المحترم في الهامش: أقول: إنّ الحسن والقبح العقليّ لا يتغيّر ولا يتبدّل بعروض الحسن أو القبح الثانويّ، بطرؤ العنوان الثانويّ، لأنّ ما هو حسنٌ في ذاته لا ينقلب قبيحاً في ذاته وبالعكس - انتهى كلامه.

في هذا الكلام سهو واضح، لأنّ كلام العلامة رحمه الله ليس في حسن الصدق بذاته وقبح الكذب بذاته، فيقال: الذاتي لا يتغيّر ولا يتبدّل، بل الكلام في حسن الصدق النافع

لكونها تحتاج إلى تهيئة المقدمات العقلية).  
ومنها ما يعجز العقل عن العلم بحسنه أن قبحه، فيكشف الشرع عنه  
كالعبادات .

وقالت الأشاعرة: إنَّ الحُسن والقبح شرعيان، ولا يقضي العقل بحسن  
شيء منها، ولا بقبحه، بل القاضي بذلك هو الشرع. فما حسنه فهم  
حسن، وما قبحه فهو قبيح.<sup>1</sup> وهو باطل من وجوه:  
الأول: أنهم أنكروه ما عمله كل عاقل: من حُسن الصدق النافع، وقبح  
الكذب الضارّ، سواء كان هناك شرع أم لا. ومنكر الحكم الضروري  
سوفسطائيّ.

الثاني: لو خيّر العاقل الذي لم يسمع الشرائع، ولا عَلِمَ شيئاً من  
الأحكام، بل نشأ في بادية خالياً من العقائد كلها، بين أن يصدق ويعطي  
ديناراً، أو بين أن يكذب ويعطي ديناراً، ولا ضرر عليه فيهما، فإنه يتخير  
الصدق على الكذب. ولولا حكم العقل بقبح الكذب، وحُسن الصدق،  
لما فرّق بينهما، ولا اختار الصدق دائماً.

بقيد «النافع»، وقبح الكذب الضارّ بقيد «الضارّ». وهذا من الأحكام العقلية. وإذا رُفِعَ القيدان  
ووضع مكانهما ضدّهما فإنهما يتغيّران ويتبدّلان البتّة كالصدق الضارّ الذي ما عادله حُسن،  
والكذب النافع الذي ما عادله قبح، بل الصدق الضارّ قبيح والكذب النافع حسن.  
أجل محصّلة الكلام هو أننا ينبغي أن نقول: الصدق حَسَن بذاته حتّى لو كان مضرّاً  
والكذب قبيح بذاته حتّى لو كان نافعاً. وهذا الكلام غير سديد، إذ إنَّ حُسن الكذب النافع  
وقبح الصدق المضرّ أمر مفروغ منه عند العلامة وعند غيره. أو ينبغي أن نقول: ما لم يتقيّد  
الصدق والكذب بالنفع والضرر مبدئياً فلا يطرأ عليهما السحن والقبح، فهما تابعان للقيد.  
وحينئذٍ يجب أن نقول: للعقل حكمه المستقلّ في حسن الصدق النافع وقبح الكذب  
المضرّ، وفي حسن الكذب النافع وقبح الصدق المضرّ يحتاج إلى نظر ومقدّمات.  
١- «الملل والنحل» ج ١، ص ١٠١؛ و«شرح التجريد» للقوشجيّ، ص ٣٧٥.

**الثالث:** لو كان الحُسن والقبيح شرعيّين لما حكم بهما من ينكر الشرع، والتالي باطل، فإنّ البراهمة بأسرهم ينكرون الشرائع والأديان كلّها، ويحكمون بالحُسن والقبح، مستندين إلى ضرورة العقل في ذلك.

**الرابع:** الضرورة قاضية بقبح العبث، كمن يستأخر أجيراً ليرمي من ماء الفرات في دجلة، ويبيع متاعاً أُعطي في بلده عشرة دراهم، وفي بلد يحمله إليه بمشقة عظيمة، ويعلم أنّ سعره كسعر بلده بعشرة دراهم أيضاً. وقبح تكليف ما لا يُطاق، كتكليف الزّمن الطيران إلى السماء، وتعذيبه دائماً على ترك هذا الفعل.

وقبح من يذمّ العالم الزاهد على علمه وزهده، وحُسن مدحه. وقبح مدح الجاهل الفاسق على جهله وفسقه، وحُسن ذمّه عليهما. ومن كابر في ذلك فقد أنكر أجلى الضروريات، لأنّ هذا الحكم حاصل للأطفال، والضروريات قد لا تحصل لهم.

**الخامس:** لو كان الحُسن والقبح باعتبار السمع لاغير، لما قبح من الله شيء، ولو كان كذلك لما قبح منه تعالى إظهار المعجزة على يد الكذابين. وتجوز ذلك يسدّ باب معرفة النبوة. فإنّ أيّ نبيّ أظهر المعجزة عقيب ادّعاء النبوة لا يكمن تصديقه مع تجويز إظهار المعجزة على يد الكاذب في دعوى النبوة.

**السادس:** لو كان الحُسن والقبح شرعيّين لحسن من الله تعالى أن يأمر بالكفر، وتكذيب الأنبياء، وتعظيم الأصنام، والمواظبة على الزنا والسرقة، والنهي عن العبادة والصدق، لأنّها غير قبيحة في أنفسها. فإذا أمر الله تعالى بها صارت حسنة، إذ لا فرق بينهما وبين الأمر بالطاعة.

فإن شكر المُنعّم، وردّ الوديعة، والصدق ليست حسنة في أنفسها، ولو نهى الله تعالى عنها كانت قبيحة، لكن لما اتّفق أنّ الله تعالى أمر بهذه

مجاناً لغير غرض ولا حكمة، صارت حسنة، واتفق أنه نهى عن تلك فصارت قبيحة، وقبل الأمر والنهي لا فرق بينهما.

ومن أذاه عقل إلى تقليد من يعتقد ذلك، إِنَّهُ أَجْهَلُ الْجُهَّالِ، وَأَحْمَقُ الْحَمَقَى، إذ علم أن معتقد رئيسه ذلك. ومن لم يعلم، ووقف عليه، ثم استمر على تقليده فكذلك، فلهذا وجب علينا كشف معتقدهم، لئلا يضل غيرهم ولا تستوعب البليّة جميع الناس.

**السابع:** لو كان الحُسن والقبح شرعيّين، لزم توقّف وجوب الواجبات على مجيء الشرع.

ولو كان كذلك لزم إفحام الأنبياء، لأنّ النبيّ على السلام إذا ادّعى الرسالة، وأظهر المعجزة، كان للمدعو أن يقول: إنّما يجب عليّ النظر في معجزتك، بعد أن أعرف أنّك صادق! (ولكن لما لم يكن وجوب عقليّ في النظر) فأنا لا أنظر حتّى أعرف صدقك! ولا أعرف صدقك إلا بالنظر! وقبله لا يجب عليّ امتثال الأمر. (وعلى هذا أنا لأنظر في صدق كلامك أبداً حتّى تجب عليّ متابعتك، وهكذا أنا غير ملزم إلى يوم القيامة. ولا أنظر حسب الرغبة فتجب عليّ طاعتك والقبول منك) فينقطع النبيّ، ولا يبقى له جواب.

**الثامن:** لو كان الحُسن والقبح شرعيّين، لم يجب المعرفة لتوقّف معرفة الإيجاب على معرفة الموجب، (الباري تعالى شأنه العزيز) المتوقّفة على معرفة الإيجاب، فيدور.

**التاسع:** الضرورة قاضية بالفرق بين ما أحسن إلينا دائماً، ومن أساء إلينا دائماً، وحسن مدح الأوّل، وذمّ الثاني، وقبح ذمّ الأوّل، ومدح الثاني، ومن يشكّك في ذلك فقد كابر مقتضى عقله.



## إن الله تعالى لا تفعل القبيح

المطلب الثالث: في أنّ الله تعالى لا يفعل القبيح ولا يُخلّ بالواجب. ذهبت الإماميّة ومن وافقهم من المعتزلة إلى أنّ الله تعالى لا يفعل القبيح، ولا يُخلّ بالواجب، بل جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب. ليس فيها ظلم، ولا جور، ولا عدوان، ولا كذب، ولا فاحشة، لأنّ الله تعالى:

(أولاً): غني عن القبيح.

(ثانياً): وعالم بقبح القبيح، لأنّه عالم بكلّ المعلومات.

(ثالثاً): وعالم بغناه عنه.

وكلّ من كان كذلك فإنّه يستحيل عليه صدور القبيح عنه، والضرورة قاضية بذلك. ومن فعل القبيح مع الأوصاف الثلاثة استحقّ الذمّ واللوم. وأيضاً الله تعالى قادر، والقادر إنّما يفعل بواسطة الداعي، والداعي: إمّا داعي الحاجة، أو داعي الجهل، أو داعي الحكمة. فأما داعي الحاجة، فقد يكون العالم بقبيح القبيح محتاجاً إليه، فيصدر عنه دفعاً لحاجته.

وأما داعي الجهل، فبأن يكون القادر عليه جاهلاً بقبحه، فيصحّ صدوره عنه.

وأما داعي الحكمة، فبأن يكون الفعل حسناً فيفعله لدعوة الداعي إليه. والتقدير أنّ الفعل قبيح فانتفت هذه الدعاوى، فيستحيل القبح منه تعالى.

و ذهبت الأشاعرة كافة إلى أنّ الله قد فعل القبائح بأسرها، من أنواع الظلم، والشرك، والجور، والعدوان، ورضي بها وأحبّها. فلزمهم من ذلك محالات:

منها: امتناع الجزم بصدق الأنبياء، لأنّ مسيلمة الكذاب لا فعل له، بل القبيح الذي صدر عنه من الله تعالى عندهم، فجاز أن يكون جميع الأنبياء كذلك (أي: كلّهم كذابون ومتنبّئون لا أنبياء). وإنّما يُعلم صدقهم لو علمنا أنّه تعالى لا يصدر عنه القبيح، فلا يُعلم حينئذٍ نبوة نبينا صلّى الله عليه وآله، ولا نبوة موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء.

فأيّ عاقل يرضى لنفسه أن يقلّد من لا يجزم بنبيّ من الأنبياء البتّة؟ وأنّه لافرق عنده بين نبوة محمّد صلّى الله عليه وآله، ونبوة مسيلمة الكذاب! فليحذر العاقل من اتّباع أهل الأهواء، والانقياد إلى طاعتهم، ليلبّغهم مرادهم، ويربح هو الخسران بالخلود في النيران، ولا ينفعه عذره غداً في يوم الحساب!

وهكذا يسجّل العلامة ستّة إشكالات أخرى على الأشاعرة، ثمّ يصل إلى المطلب الرابع في أنّ الله تعالى يفعل لغرض وحكمة، وينقل قول الأشاعرة في أنّه لا يجوز أن يفعل الله شيئاً لغرض، ولا مصلحة ترجع إلى العباد، ولغاية من الغايات. ولزمهم من ذلك محالات، ويؤاخذهم بعدد من الإشكالات، حتّى يصل إلى الإشكال الرابع فيقول: إنّه يلزم الطامة العظمى، والدهية الكبرى عليهم، وهو: إبطال النبوات بأسرها، وعدم الجزم بصدق أحدٍ منهم، بل يحصل الجزم بكذبهم أجمع، لأنّ النبوة إنّما تتمّ بمقدّمتين:

إحدهما: أنّ الله تعالى خلق المعجزة على يد مدّعي النبوة لأجل التصديق.

والثانية: أنّ كلّ من صدّقه الله تعالى فهو صادق.

١- «نهج الحقّ وكشف الصدق» ص ٧٢ إلى ٨٦.

وتحدّث العلامة مفصّلاً عن المقدّمة الأولى. ثمّ انتقل انتقل إلى المقدّمة الثانية، فقال:

المقدّمة الثانية: وهي أنّ كلّ من صدّقه الله تعالى فهو صادق. ممنوعة عندهم (عند الأشاعرة) أيضاً، لأنّه يخلق الضلال والشرور وأنواع الفساد والشرك، والمعاصي الصادرة من بني آدم، فكيف يمتنع عليه تصديق الكاذب؟! فيبطل المقدّمة الثانية أيضاً.

هذا نصّ مذهبهم، وصريح معتقدتهم. نعوذ بالله من عقيدة أدّت إلى إبطال النبوات، وكذيب الرسل، والتسوية بينهم وبين مسيلمة، حيث كذب في ادّعاء الرسالة.

فلينظر العاقل المنصف، ويخفّ ربّه، ويخش من أليم عقابه، ويعرض على عقله: هل بلغ كفر الكافر إلى هذه المقالات الرديّة والاعتقادات الفاسدة؟! وهل هؤلاء أعذر في مقالتهم، أم اليهود، والنصارى الذين حكموا بنبوّة الأنبياء المتقدّمين عليهم السلام، وحكم عليهم جميع الناس بالكفر، حيث أنكروا نبوّة محمّد صلّى الله عليه وآله؟! و

وهؤلاء قد لزمهم إنكار جميع الأنبياء عليهم السلام، فهم شرّ من أولئك. ولهذا قال الصادق عليه السلام، حيث عدّهم، وذكر اليهود، والنصارى: **إِنَّهُمْ شَرُّ الثَّلَاثَةِ**.<sup>١</sup>

١- قال في الهامش: في «الوسائل» ج ١، ص ٤٩٣، عن «علل الشرائع» للشيخ الصدوق قدّس الله سرّه بالإسناد عن عبد الله بن يعفور عن الصادق عليه السلام بعد ذكر حكم اليهودي والنصرانيّ والمجوسيّ قال عليه السلام: **والناصب لنا أهل البيت، فهو شرّهم فإنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق أنجس من الكلب وإنّ الناصب لأهل البيت أنجس منه.** وفي «بحار الأنوار» ج ٢٧، ص ٢٢٤، و«ثواب الأعمال» ص ١٩٩ و ٢٠٠، قال أبو

ولا يعذر المقلّد نفسه. فإنّ فساد هذا القول معلوم لكلّ أحد، وهم معترفون بفساده أيضاً.  
ويواصل العلامة كلامه فيسجّل بعد هذا الإشكال سبعة إشكالات أُخرى على الأشاعرة في هذه المقالة ويختتم الموضوع.<sup>١</sup> وقال في مبحث «تكليف ما لا يُطاق»:

### المطلب الثامن: في امتناع تكليف ما لا يُطاق

قالت الإمامية: إنّ الله تعالى يستحيل عليه من حيث الحكمة أن يكلف العبد ما لا قدرة له عليه، ولا طاقة له به، وأن يطلب منه فعل ما يعجز عنه، ويمتنع منه، فلا يجوز له أن يكلف الزمن الطيران إلى السماء، ولا الجمع بين الضدين، ولا كونه في المشرق حال كونه في المغرب، ولا إحياء الموتى، ولا إعادة آدم ونوح عليهما السلام، ولا إعادة أمس الماضي، ولا إدخال جبل قاف في خرم الإبرة، ولا شرب ماء دجلة في جرعة واحدة، ولا إنزال الشمس والقمر إلى الأرض، إلى غير ذلك من المحالات الممتنعة لذاتها.

وذهبت الأشاعرة إلى أنّ الله تعالى لم يكلف العبد إلا ما لا يُطاق، ولا يتمكّن من فعله.<sup>٢</sup> فخالفوا المعقول الدالّ على قبح ذلك، والمنقول، وهو المتواتر من الكتاب العزيز. قال الله تعالى: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

عبدالله عليه السلام: مُدّ من الخمر كعابد الوثن، والناصب لآل محمّد شرٌّ منه.

١- «نهج الحقّ وكشف الصدق» ص ٨٦ إلى ٩٦.

٢- «الملل والنحل» ج ١، ص ٩٦؛ و«التفسير الكبير» ج ٧، ص ١٤٠؛ و«روح المعاني»

ج ٧، ص ٦٠.

وُسَعَهَا<sup>١</sup>.

وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ.<sup>٢</sup>  
لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ.<sup>٣</sup>

وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.<sup>٤</sup>

والظلم هو إضرار غير المستحق، وأي إضرارٍ أعظم من هذا، مع أنه غير مستحق؟!

تَعَالَى اللَّهُ عَن ذَلِكِ عُلُوًّا كَبِيرًا.<sup>٥</sup>

يواصل العلامة رحمه الله كلامه بعد بحوث طويلة الذيل في الأصول وفروع موارد الخلاف بين الشيعة الإمامية والعامّة بعد الذي اخترناه، إلى أن يصل إلى مسألة مهمّة من موارد خلاف الشيعة والعامّة وهي نَزَاهَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَن دَنَاءَةِ الْآبَاءِ وَعَهْرِ الْأُمَّهَاتِ. فيقول في هذا البحث: في أنه يجب أن يكون منزهاً عن دناءة الآباء، وعهر الأمّهات.<sup>٦</sup>

١- الآية ٢٨٦، من السورة ٢: البقرة.

٢- الآية ٤٦، من السورة ١٤: فصلت.

٣- الآية ١٧، من السورة ٤٠: غافر.

٤- الآية ٤٩، من السورة ١٨: الكهف.

٥- ليس مضمون آية قرآنية بل اقتباس منها. وانظر: «نهج الحق وكشف الصدق» ص

٩٩ و ١٠٠.

٦- قال في «أقرب الموارد» دَنَا (ع)، يَدْنُو وَيَدْنُو (ر) يَدْنُوَةٌ وَدَنَاءَةٌ: كَانَ دَنِئًا.

الدُّنْيَى: ذ: الخسيس الدون و- الذي لا خير فيه، ج دُنَاءٌ وَادْنَاءٌ. ومنه أهل الدنَاءَةِ هم أهل الشَّفَاءَةِ.

وَعَهْرٌ إِلَيْهَا (ع) عَهْرًا وَعَهْرًا وَعُهْرًا وَعُهْرًا وَعَهْرَةٌ وَعَهْرَةٌ: أَنَاهَا لِلْفَجْرِ فَهِيَ (عَاهِرٌ

ج عُهُار). والمرأة (عَاهِرٌ وَعَاهِرَةٌ) أَيْضًا. جمع عَوَاهِر. وفي «المصباح»: عَهْرٌ عَهْرًا مِنْ بَابِ تَعَبٍ: فَجَرٌ فَهِيَ عَاهِرٌ، وَعَهْرٌ عُهُورًا مِنْ بَابِ قَعَدَ لَغَةً.

ذهبت الإمامية إلى أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يجب أن يكون منزهاً عن دناءة الآباء، وعهر الأمهات، برئياً من الرذائل والأفعال الدالة على الخسنة، كالاستهزاء به، والسخرية، والضحك عليه، لأنّ ذلك يسقط محلّه من القلوب، وينفّر الناس عن الانقياد إليه، فإنّه من المعلوم بالضرورة الذي لا يقبل الشكّ والارتياب.

وخالفت السنة فيه:

أمّا الأشاعرة فباعثار نفى الحُسن والقبح، فلزمهم أن يذهبوا إلى جواز بعثة ولد الزنا، المعلوم لكلّ أحد.

وأن يكون أبوه فاعلاً لجميع أنواع الفواحش، وأبلغ أصناف الشرك، وهو ممّن يُسخر به، ويضحك عليه، ويُصَفح في الأسواق، ويُستهزأ به. ويكون قد ليط به دائماً لأبنته فيه، قواداً.

وتكون أمّة في غاية الزنا والقيادة، والافتضاح بذلك، لا تردّد يد لامس. ويكون هو في غاية الدناءة والسفاهة، ممّن قد ليط به طول عمره، حال النبوة وقبلها، ويُصَفح في الأسواق، ويعتمد المناكير، ويكون قواداً بصاصاً.

فهؤلاء يلزمهم القول بذلك حيث نفوا التحسين والتقبيح العقليين، وأنّ ذلك ممكن. فيجوز من الله وقوعه. وليس هذا بأبلغ من تعذيب الله من لا يستحقّ العذاب، بل يستحقّ الثواب طول الأبد!

وأما المُعْتَرِلة، فلا تُهمّ جَوَزُوا صدور الذنب عنهم، لزمهم القول بجواز ذلك أيضاً. واتفقوا على وقوع الكبائر منهم كما في قصّة إخوة يوسف.

فليُنظر العاقل بعين الإنصاف: هل يجوز المصير إلى هذه الأقاويل الفاسدة، والآراء الرديّة؟ وهل يبقى مكلف ينقاد إلى قبول قول من كان

يُفعل به الفاحشة طول عمره إلى وقت نبوّته؟ وأنه يُصفع ويُستهزأ به حال النبوة؟ وهل يثبت بقول هذا حجّة على الخلق؟!  
وأعلم أنّ البحث مع الأشاعرة في هذا الباب ساقط، وأنهم إن بحثوا في ذلك استعملوا الفضول، لأنهم يجوّزون تعذيب المكلف على أنّه لم يفعل ما أمره الله تعالى به، من غير أن يعلم ما أمره به، ولا أرسل إليه رسولاً بالنبوة، بل وعلى امثال أمره بها. وأنّ جميع القبائح من عنده تعالى، وأنّ كلّ ما وقع في الوجود فإنّه فعله تعالى، وهو حسن، لأنّ الحسن هو الواقع، والتقيح هو الذي لم يقع.

فهذه الصفات الخسيّة في النبيّ وأبويه تكون حسنة لوقوعها من الله تعالى. فأيّ مانع حينئذٍ من البعثة باعتبارها، فكيف يمكن للأشاعرة منع كفر النبيّ وهو من الله، وكلّ ما يفعله تعالى فهو حسن؟! وكذا أنواع المعاصي؟ وكيف يمكنهم مه هذا المذهب التنزيه للأنبياء؟!  
نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَذْهَبٍ يُؤَدِّي إِلَى تَحْسِينِ الْكُفْرِ، وَتَقْيِيحِ الْإِيمَانِ، وَجَوَازِ بَعْثَةِ مَنْ اجْتَمَعَ فِيهِ كُلُّ الرِّذَائِلِ وَالسَّقَطَاتِ. وقد عرفت من هذا أنّ الأشاعرة في هذا الباب قد أنكروا الضروريات<sup>١</sup>.

\* \* \*

من الجدير ذكره أنّ جميع الفقهاء الأربعة ورؤساء الأشاعرة والمعتزلة كانوا من تلاميذ مدرسة الإمام الصادق عليه السلام. وقد أخذوا منه مباشرة أو غير مباشرة. كلّ ما في الأمر أنّهم انحرفوا عقيدياً أو فكرياً أو عملياً بعد أن وجدوا أنفسهم أولي علم ودراية، وشعروا بالاستقلال في

١- «نهج الحقّ وكشف الصدق» ص ١٥٨ إلى ١٦٣.

آرائهم .

وهذه المسألة خليقة بالإمعان جدًّا، إذ كيف كان ذلك الإمام الهمام الحامي الوحيد للواء الشريعة والعلم والطريقة والدراية. واضطلع عليه السلام بعبء الشيعة، وليس بعبء الشيعة وحدهم بل بعبء جميع المسلمين وحمل على عاتقه المبارك أعباء النبوة المصطفوية والولاية المرتضوية، بل استفاض جميع العالم وكافة مدارس العلم من وجوده المبارك .

قال العلامة الحلبي رضوان الله عليه في إرجاع جميع العلوم إلى سيدنا أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلين إلى يوم الدين :  
وأما الفقه فالفقهاء، كلهم يرجعون إليه . أما الإمامية فظاهر، لأنهم أخذوا علمهم منه ومن أولاده عليهم السلام .

وأما غيرهم كذلك . أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وزفر، فإنهم أخذوا عن أبي حنيفة (وكان أبو حنيفة تلميذ الإمام الصادق عليه السلام) .

والشافعي قرأ على محمد بن الحسن الشيباني وعلى مالك، فرجع فقهه إليهما .

وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي، فرجع فقهه إليه، وفقه الشافعي راجع إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على الصادق عليه السلام، والصادق عليه السلام قرأ على الباقر عليه السلام، والباقر عليه السلام قرأ على زين العابدين عليه السلام، وزين العابدين عليه السلام قرأ على أبيه عليه السلام، وأبوه عليه السلام قرأ على علي عليه وآله الصلاة والسلام .

ومالك قرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وعكرمة على عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عباس تلميذ علي عليه السلام .

وأما علم الكلام فهو عليه السلام أصله، ومن خطبه استفاد الناس،



وكلّ الناس تلاميذه. فإنّ المعتزلة انتسبوا إلى واصل بن عطاء، وهو كبيرهم. وكان تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمّد ابن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذ عليّ! عليه السلام. والأشعرية تلامذة أبي الحسن عليّ بن إسماعيل بن [أبي بشر الأشعريّ، وهو تلميذ أبي عليّ الجبائيّ، وهو شيخ من مشايخ المعتزلة.<sup>١</sup>

\* \* \*

تحدّث أحمد أمين بك المصريّ عن الشيعة مفصّلاً، إلى أن قال: وهم (الشيعة) يقولون في كثير من مسائل أصول الدين بقول المعتزلة. فقد قال الشيعة كما قال المعتزلة بأنّ صفات الله عين ذاته، وبأنّ القرآن مخلوق، وبإنكار الكلام النفسيّ!، وإنكار رؤية الله بالبصر في الدنيا والآخرة، كما وافق الشيعة المعتزلة في القول بالحسن والقبح العقليّين، وبقدرة العبد واختياره، وأنّه تعالى لا يصدر عنه قبيح، وأنّ أفعاله معلّلة بالعلل والأغراض... إلى آخره.

وقد قرأتُ كتاب «الياقوت» لأبي إسحاق إبراهيم بن نوبخت من قدماء متكلّمي الشيعة الإمامية،<sup>٢</sup> فكنْتُ كأني أقرأ كتاباً من كتب أصول المعتزلة إلا في مسائل معدودة كالفصل الأخير في الإمامة، وإمامة عليّ، وإمامة الأحد عشر بعده.

ولكن أيّهما أخذ من الآخر؟ أمّا بعض الشيعة فيزعم أنّ المعتزلة

١- «منهاج الكرامة» ص ٧٥ و٧٦، طبعة عبدالرحيم الحجريّة.

٢- قال في الهامش: وهو مخطوط نادر تفضّل صديقي الأستاذ أبو عبدالله الزنجانيّ

فأهدانيه.

أخذوا عنهم، وأنّ واصل بن عطاء - رأس المعتزلة - تتلمذ لجعفر الصادق. وأنا أُرَجِّح أنّ الشيعة هم الذين أخذوا من المعتزلة تعاليمهم. وتتبع نشوء مذهب الاعتزال يدلّ على ذلك.

وزيد بن عليّ زعيم الفرقة الشيعية الزيدية التي تنتسب إليه تتلمذ لواصل. وكان جعفر يتصلّ بعلمه زيد.

ويقول أبو الفرج الإصفهانيّ في «مقاتل الطالبين»: كان جعفر بن محمد يمسك لزيد بن عليّ بالركاب ويسوي ثيابه على السرج.<sup>١</sup> فإذا صحّ ما ذكره الشهرستانيّ وغيره عن تتلمذ زيد لواصل، فلا يعقل كثيراً أن يتلمذ واصل لجعفر.

وكثير من المعتزلة كان يتشيع. فالظاهر أنّه عن طريق هؤلاء تسربت أصول المعتزلة إلى الشيعة.<sup>٢</sup>

إنّ حكم أحمد أمين هذا غير سديد، وقد انطلق فيه من عناده ومكابرتة للشيعة. فعندما يذكر المؤرّخون أنّ واصل بن عطاء كان يحضر في درس الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ويستفيد من علومه، ثمّ تركه وعقد له مجلساً مستقلاً، فلا معنى لو هم أحمد أمين، وكلامه في غير سدد.

بخاصّة مع علم الإمام عليه السلام الغزير وفكره الواسع، كيف يمكن أن يكون زيد المعليّ بالعلوم تلميذاً للإمام؟ كلّ ما في الأمر لَمّا كان زيد أكبر سنّاً من الإمام عليه السلام، وكان عمّه، والعمّ بمنزلة الأب، فإنّ احترام الإمام المفطر إياه لا يتنافى مع عظمة علم الإمام بالنسبة إلى زيد.

الجميع يعلمون أنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام أخذ علومه من

١- «مقاتل الطالبين» ص ٩٣.

٢- «ضحى الإسلام» ج ٣، ص ٢٦٧ و ٢٦٨.

أبيه الإمام محمّد الباقر عليه السلام، وأنّ أباه أخذها من الإمام سيّد الساجدين عليه السلام، وسيّد الساجدين أخذها من أبويه الحسن<sup>١</sup> والحسين عليهما السلام، وهما أخذها من الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

كانت هذه المدرسة مدرسة واحدة متماسكة لا تقبل الانفصال والثغرات. وتلك المطالب الدقيقة العميقة من أسرار التوحيد وحقيقة لبّ المعرفة الواردة في عبارات الإمام وكلمات أبيه، وفي تضاعيف الأدعية الرفيعة لـ «الصحيفة السجّاديّة الكاملة»، وفي خطب مولى الموالي أمير المؤمنين عليهم جمعياً سلام الله وصلوات ملائكته المقربين لم يحلم بها واصل بن عطاء قطّ. وكم من الإجحاف أن يوزن الصدف بالفيروزج، والزجاج بالياقوت المتألّي!!

ألم تكن عبارات واصل بن عطاء وكلماته قريبة المنال؟! قايسوها بكلمة واحدة من كلمات الإمام وسائر الأئمّة لتروا هل تعطرّ واصل برائحة تلك الأسرار التوحيدية الخفية والمطالب العرفانية العالية في التوحيد، أو العدل، أو سائر الأمور المشتركة بين الشيعة والمعتزلة!

أجل، لقد جار الدكتور أحمد أمين كثيراً في حكمه على الشيعة والتشيع في كتابيه «فجر الإسلام» و«ضحى الإسلام». ويُسْتَبَح من باحث مؤرّخ أن يتقول عليهم ويرميهم بتهم تافهة رخيصة هم منها بُراء. فقد أراد

---

١- استشهد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام بسم جُعدَة ابنة الأشعث بن قيس (زوجته) سنة ٥٠ هـ. ولما كان عمر الإمام زين العابدين عليه السلام في واقعة الطفّ الحادثة سنة ٦٠ هـ ثلاثاً وعشرين سنة، لذا أدرك ثلاث عشرة سنة من حياة عمّه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام. وهذه المدّة كافية للطفل أن يستفيد من العلوم جيّداً.

هذا الرجل - من غير مطالعة لكتب الشيعة - أن يعرف محتويات البيت ويحكم عليه من على سطحه. واستبان للباحثين في العالم تخطبه ومآربه التخريبية.

وقد انتبه أحمد أمين في كتاب «يوم الإسلام» الذي صنّفه في الأيام الأخيرة من حياته إلى كثير من موضوعاته الممّوهة المشوّقة وأصلحها. وكتابه هذا في الحقيقة كتاب توبة من مطالب مغلوطة وأحكام غير صائبة حكم بها على الشيعة في كتبه السابقة<sup>١</sup> استطراداً.

عندما نلاحظ في موضع من المواضع أنّه ضعيف جداً في التأريخ، إذ مع ما أبداه من آراء وأقضية حول زيد، فإنّه لم يعرف وجوده الخارجي، ولم يعلم أنّ الزيديّ هو من انتسب إلى زيد بن عليّ بن الحسين! فقد قال في كتاب «فجر الإسلام»: فالزيدية أتباع زيد بن حسن بن عليّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب.<sup>٢</sup>

وعندما نعلم أنّه لم ير كتاب «سرّ العالمين» للغزاليّ ولم يعرفه، وسماه «سرّ العارفين»<sup>٣</sup> وذهب إلى أنّه من وضع الشيعة ومنسوب إلى الغزاليّ، فماذا نتوقع منه؟ وأنتى له أن يكون مصيباً في أحكامه ومّتخذاً نهجاً صحيحاً في آرائه التي حكم بها على الشيعة والتشيع؟!

وأهمّ من هذا كلّه أنّ دكاترة وأساتذة التأريخ والآداب والفلسفة وعلم الاجتماع الدارسين في الخارج يريدون على سجيّة معلّمهم المستشرقين

١- تحدّثنا في الجزء الرابع عشر من كتاب «معرفة الإمام» الدروس ١٩٦ إلى ٢٠٠، عن

عدول أحمد أمين عن تهمه التي افترها على الشيعة.

٢- «فجر الإسلام» ص ٢٧٢.

٣- «فجر الإسلام» ص ٢٧٥.

وغيرهم وفي ضوء تعاليمهم أن يقيسوا العلوم الإلهية بالعلوم الذهنية والكفرية، ويضعوا لها مصدر علاقة إنسانية وتعليم خارجي، إنهم غافلون عن العلوم الإلهامية واللدنية. وعندما يصلون إلى علوم رسول الله صلى الله عليه وآله يحاولون أن يمتروا فيها فيقولون: ممّن أخذ محمد [صلى الله عليه وآله] علمه؟!

ولمّا كانوا لا يعرفون الوحي، ولا جبرائيل، ولا الروح الأمين، ولا الجذبات الربّانية السبحانية، ولا الحالات التوحيدية وكيفية تلقّي الوحي من العالم العلويّ، فإنّهم يتشبّهون بكلام فارغ، وترّهات وأباطيل فيقولون: أخذه من الراهب الفلانيّ، أو الحبر الفلانيّ العالم بالتلمود! فانظر إلى البون الشاسع بين الطريقتين! وشتان بينهما!

من هنا، نحن لانتمن هذا الضرب من العلوم السطحيّة، ونرى أنّ أساتذتها ودكاترتها عاميّن لاعمق لهم، إذ إنّ الدروس الحوزوية هي التي تربّي الإنسان الباحث المتبحّر المتّبّع. ولاحظنا ونلاحظ أنّ الدكتور أحمد أمين وأمثاله مع ضخامة كتبهم لم يعالجوا أدواء المجتمع، ولم يضعوا الورد والرياحين في طريق أبنائه، ولم يتركوا له إلاّ الخلاف النابع من نفوسهم الأمارّة.

أجل، لانعجب من ضروب هذا التعصّب الذي ما زال يُمارَس، ولانعجب من إخفاء وجه الحقّ، فمنذ عصر وليّ الله المطلق وأستاذ الكلّ في الكلّ الإمام الناطق بالحقّ جعفر بن محمد الصادق عليه وعلى آبائه الأكرمين وأولاده الأطيبين أفضل صلوات الله وصلوات أنبيائه المرسلين وملائكته المقرّبين، رأينا كيف كانوا يمنعون الناس من دخول بيت الإمام، ويردعونهم عن التردّد عليه، وكان في الحقيقة تحت الإقامة الجبريّة، مع أنّ علمه قد ملأ الآفاق. وزهده بلغ القمر، وإعراضه عن الدنيا

والرئاسة قد أقرّ به أعداؤه كأبي جعفر المنصور الدوانيقي وغيره. مع ذلك لما كان أساس وجوده محرّجاً لسطنة المنصور الكسروية وجبروتيته الفرعونية، فقد بذل ما بذل من الأموال الطائلة من أجل إطفاء نوره. وتزامناً مع إمامته، وسجن نجله موسى بن جعفر عليهما السلام مع التشريد والتضييق في طوامير سجن بغداد، واستشهادهما - في آخر المطاف - بسمّ قاتل، أمر مالك بن أنس أن يصنّف كتاب المسائل (توضيح المسائل في عصرهم) لينشره في أرجاء العالم بالقوّة والإكراه. ونكتفي فيما يأتي بما ذكره ابن قتبية الدينوري في كتاب «الإمامة والسياسة» حول هذا الكتاب الذي صنّف بأمر المنصور. ولعلّ مسائل أخرى تستبين للقارئ الكريم حوله أيضاً من خلال الإمعان في خصوصيات الأمر:

قال ابن قتبية: وذكروا أنّه هاج بالمدينة هيح في ابتداء أيام أبي جعفر، فبعث إليها أبو جعفر ابن عمّه جعفر بن سليمان بن العباس، ليسكن هيجهما وفتنتها، ويجدّد بيعة أهلها، فقدمها وهو يتوقّد ناراً على أهل الخلاف لهم، فأظهر الغلظة والشدة، وسطا بكلّ من ألحد في سلطانهم، وأشار إلى المنازعة لهم، وأخذ الناس بالبيعة.

وكان مالك بن أنس لم يزل صغيراً وكبيراً محسداً... فاستدعى ذلك منهم الحسد له، وألجأهم ذلك إلى البغي عليه، فدسّوا إلى جعفر بن سليمان من قال له: إنّ مالكا يُفتي الناس بأنّ أيمان البيعة لا تحلّ، ولا تلزم لمخالفتك، واستكراهك إياهم عليها، وزعموا أنّه يُفتي بذلك أهل المدينة أجمعين لحديث رواه عن النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أنّه قال: رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي لَخَطَأٍ وَالتَّسْيَانِ وَمَا أَكْرَهُوا عَلَيْهِ.

فعظم ذلك على جعفر واشتدّ عليه وخاف أن ينحلّ عليه ما أبرم من

بيعة أهل المدينة، وهمّ أن يبدر فيه بما عافاه الله منه، وأنعم على المسلمين ببقائه.

ف قيل له: لا تبدر فيه ببادرة، فإنّه من أكرم الناس على أمير المؤمنين (المنصور)، وآثرهم عنده. ولا بأس عليك منه، فلا تحدّث شيئاً إلاّ بأمر أمير المؤمنين، أو يستحقّ ذلك عندنا بأمر لا يخفى على أهل المدينة. فدسّ إليه جعفر بن سليمان بعض من لم يكن مالك يخشى أن يؤتى من قبله، ومن مأمّنه يؤتى الحذر. فسأله عن الأيمان في البيعة، فأفتاه مالك بذلك طمأنينة إليه، وحسبة فيه. فلم يشعر مالك إلاّ ورسول جعفر بن سليمان فيه، فأتوا به إليه متتهك الحرمة، مذال الهيبة. فأمر به، فضرب سبعين سوطاً. فلما سكن الهيج بالمدينة، وتمّت له البيعة، بلغ بمالك ألم الضرب حتّى أضجعه.

### إنكار أبي جعفر المنصور لضرب مالك

وذكروا أنّه لمّا بلغ أبا جعفر ضرب مالك بن أنس، وما أنزل به جعفر بن سليمان أعظم ذلك إعظماً شديداً، وأنكره ولم يرضه. وكتب بعزل جعفر بن سليمان عن المدينة، وأمر أن يؤتى به إلى بغداد على قتب. وولّى على المدينة رجلاً من قريش من بني مخزوم. وكان يوصف بدين وعقل وحزم وذكاء، وذلك في شهر رمضان من سنة إحدى وستين ومائة. وكتب أبو جعفر إلى مالك بن أنس ليستقدمه إلى نفسه ببغداد، فأبى مالك، وكتب إلى أبي جعفر يستعفيه من ذلك، ويعتذر له ببعض العذر إليه. فكتب أبو جعفر إليه: أن وافني بالموسم العام القابل إن شاء الله، فإنّي خارج إلى الموسم.

### دخول مالك على أبي جعفر بمنى

وذكروا أنّ مالكاً حجّ سنة ثلاث وستين ومائة، ثمّ وافى أبا جعفر بمنى أيام منى. فذكروا أنّ مطرقاً أخبرهم، وكان من كبار أصحاب مالك. قال لي مالك: لمّا صرّْتُ بمنى أتيتُ السراذقات، فأذنت بنفسى، فأذن لي، ثمّ خرج إليّ الإذن من عنده فأدخلنى. فقلتُ للأذن: إذا انتهيت بي إلى القبّة التي يكون فيها أمير المؤمنين فأعلمني!

فمرّ بي من سرادق إلى سرادق، ومن قبّة إلى أخرى، في كلّها أصناف من الرجال بأيديهم السيوف المشهورة، والأجزرة المرفوعة، حتّى قال لي الأذن: هو في تلك القبّة.

ثمّ تركني الأذن وتأخّر عني. فمشيت حتّى انتهيت إلى القبّة التي هو فيها. فإذا هو قد نزل عن مجلسه الذي يكون فيه إلى البساط الذي دونه. وإذا هو قد لبس ثياباً قصدة لا تشبه ثياب مثله تواضعاً لدخولي عليه.

وليس معه في القبّة إلّا قائم على رأسه بسيف صلّيت.

فلمّا دنوتُ منه رحّب بي وقرب، ثمّ قال: ها هنا إليّ! فأوميت للجلوس. فقال: ها هن! فلم يزل يُدنيني حتّى أجلسني إليه ولصقت ركبتي بركبته.

ثمّ كان أوّل ما تكلم به أن قال: **وَاللّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** يا أبا عبد الله ما أمرتُ بالذي كان، ولا علمته قبل أن يكون، ولا رضيته إذ بلغني (يعني الضرب!).

قال مالك: فحمدتُ الله تعالى على كلّ حال، وصلّيت على الرسول صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، ثمّ نزّهته عن الأمر بذلك. والرضا به.

ثمّ قال: يا أبا عبد الله! لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم! وإنّي أخالك أماناً لهم من عذاب الله وسطوته. ولقد دفع الله بك



عنهم وقعة عظيمة ! فإنّهم ما علمتَ أسرع الناس إلى الفتن، وأضعفهم عنها! قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ<sup>١</sup>.

وقد أمرتُ أن يؤتى بعدوّ الله من المدينة على قتب، وأمرتُ بضيق مجلسه، والمبالغة في امتهانه. ولا بدُّ أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه.

فقلتُ له: عافى الله أمير المؤمنين، وأكرم مثواه! قد عفوتُ عنه لقربته من رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم، ثمّ منك. قال أبو جعفر: وأنت فعفى الله عنك ووصلك.

قال مالك: ثمّ فاتحني فيما مضى من السلف والعلماء، فوجدته أعلم الناس بالناس. ثمّ فاتحني في العلم والفقّه. فوجدته أعلم الناس بما اجتمع عليه، وأعرفهم بما اختلفوا فيه، حافظاً لما روى، واعياً لما سمع. ثمّ قال لي: يا أبا عبد الله! ضع هذا العلم ودوّنه! ودوّنْ منه كتباً! وَتَجَنَّبْ شِدَائِدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَرُحْصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَشَوَازِدَ ابْنِ مَسْعُودٍ! وَاقْصِدْ إِلَى أَوَاسِطِ الْأُمُورِ، وَمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْأَيْمَةُ وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. لتحمل الناس إن شاء الله على علمك وكتبك، ونبتّها في الأمصار، ونعهد إليهم أن لا يخالفوها، ولا يقضوا بسواها.

فقلتُ له: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! إنّ أهل العراق لا يرضون علمنا، ولا يرون في علمهم رأينا!

فقال أبو جعفر: يُحْمَلُونَ عَلَيْهِ، وَنَضْرِبُ عَلَيْهِ هَامَاتِهِمْ بِالسَّيْفِ، وَنَقْطَعُ طِيَّ ظُهُورِهِمْ بِالسَّيَاطِ. فتعجّل بذلك وضعها!

فسيأتيك محمّد ابني المهدي العالم القابل إن شاء الله إلى المدينة

١- الآية ٤، من السورة ٦٣: المنافقون.

ليسمعها منك . فيجرك وقد فرغت من ذلك إن شاء الله !  
قال مالك : فبينما نحن قعود إذ طلع بُني له صغير من قبة ، بظهر القبة التي  
كنّا فيها . فلما نظر إليّ الصبيّ فزع ، ثمّ تفهقر فلم يتقدّم .  
فقال له أبو جعفر : تقدّم يا حبيبي ! إنّما هو أبو عبد الله فقيه أهل  
الحجاز !

ثمّ التفت إليّ فقال : يا أبا عبد الله ! أتدري لِمَا فزع الصبيّ  
ولم يتقدّم ؟  
فقلتُ : لا .

فقال : والله استنكر قرب مجلسك منّي ، إذ لم ير به أحداً غيرك قطّ .  
فلذلك تفهقر .

قال مالك : ثمّ أمر لي بألف دينار عيناً ذهباً ، وكسوة عظيمة ، وأمر  
لابني بألف دينار .

ثمّ استأذنته ، فأذن لي . فقممتُ فودّعني ودعا لي . ثمّ مشيتُ منطلقاً .  
فلحقني الخصي بالكسوة فوضعها على منكبي ، وكذلك يفعلون بمن كسوه ،  
وإن عظم قدره ، فيخرج بالكسوة على الناس فيحملها ، ثمّ يسلمها إلى  
غلامه .

فلما وضع الخصي الكسوة على منكبي انحنيتُ عنها بمنكبي كراهة  
احتمالها ، وتبرؤاً من ذلك . فناداه أبو جعفر : بلّغها رحل أبي عبد الله !

### قدوم المهدي إلى المدينة

وذكروا أنّ مالك بن أنس لمّا أخذ في تدوين كتبه ، ووضع علمه ،  
قدم عليه المهدي بن أبي جعفر ، فسأله عمّا صنع فيما أمره به أبو جعفر .  
فأياه بالكتب وهي كتب «الموطأ» . فأمر المهدي بانتساخها ، وقرئت على

مالك. فلمّا أتمّ قراءتها أمر له بأربعة آلاف دينار، ولابنه ألف دينار. يواصل ابن قتيبة حديثه فيذكر تأريخ موت أبي جعفر المنصور، واستخلاف المهدي. ثمّ استخلاف هارون الرشيد. ويبلغ دخول هارون إلى المدينة، فيقول:

### قدوم هارون الرشيد المدينة

وذكروا أنّه لمّا كانت سنة أربع وسبعين ومائة خرج هارون حاجاً إلى مكة، فقدم المدينة زائراً قبر النبيّ عليه الصلاة والسلام، فبعث إلى مالك بن أنس، فأتاه، فسمع منه كتاب «الموطأ». وحضر ذلك يومئذ الحجاز والعراق والشام واليمن. ولم يتخلف منهم أحد إلا حضر الموسم مع الرشيد وسمع وسمعوا من مالك موطأه الذي وضع. وكان قارئه يومئذ حبيب كاتب الرشيد. فلمّا أتمّ قراءته قال هارون لفقهاء الحجاز والعراق: هل أنكرتم شيئاً من هذا العلم؟ قالوا: ما أنكرنا شيئاً إلا ما ذكر من أمر الدماء والتدمية في القتل، فإنّ هذا من أنكر ما يكون من العلم وأبطله.

يقول الرجل: قتلني فلان فيقبل منه، ويحلف أولياؤه على القائل خمسين يمناً، ثمّ يقتل. ولعلّ أولياءه لم يحضروا ولم يكونوا بمصر، فيعرض بهم الحنث في الأيمان، فيقبل قول رجل على غيره، وهو لا يقبل في ربع دانق يدعيه إلا بيّنة تقوم.

إنّ هذا لهو الضلال. وقد قال صلى الله عليه [وآله] وسلّم في الحديث الصحيح الذي رواه ابن عباس حيث قال: لَوْ يُعْطِي النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَا دَعَى نَاسٌ دِمَاءَ قَوْمٍ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدْعَى، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ.

قال الرشيد: ويحكم! إنّ في كتاب الله ما يصدّق ذلك، ولا أخال

أباعد الله أخذه إلا من كتاب الله فاستشبهوه !  
فأرسل إليه فأقبل . فقال هارون: يا أباعد الله ! إن أصحابنا هؤلاء  
لم يختلف منهم اثنان في الإنكار عليك فيما وضعت في موطأك من  
التدمية، وتصديق قول من ادّعى . وأنت وهم تزعمون بطل دعوى من  
ادّعى على رجل دانقاً إلا بيّنة تقوم له ! فأخبر القوم، وأوضح لهم حجبتك  
في ذلك ! وأنا معك عليهم ! فإني لا أعلم بعد أمير المؤمنين<sup>١</sup> أحداً أعلم  
منك !

فقال مالك: يا أمير المؤمنين، إن مما يصدق القسامة ما في كتاب الله  
من القتل، والأخذ بالدم الذي كان في بني إسرائيل . قال الله عزّ وجلّ:  
أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا.<sup>٢</sup>

فذبحت البقرة، ثمّ ضربوه بعضو من أعضائها، فحيي القتيل، ثمّ  
تكلم، فقال: فلان قتلني . فقتله موسى بن عمران (على نبينا وآله و) عليه  
السلام بقوله ذلك، وهو حكم التوراة . فيها هدى ونور يحكم بها النبيون  
الذين أسلموا.<sup>٣</sup>

فالذين أسلموا محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وأصحابه . وقد حكم  
بالتوراة رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في المرجوم اليهودي  
الذي زنى، فرجمه رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم .  
وقد ذكر أنس بن مالك أنّ يهودياً لقي جارية من جواري الأنصار في  
بعض أنقاب المدينة، وعليها أوضاع من ذهب وورق، فأخذ الأوضح

١- أي: أنا الذي أرى نفسي أمير المؤمنين .

٢- الآية ٧٣، من السورة ٢: البقرة: فقلنا أضربوه ببعضها .

٣- الآية ٤٤، من السورة ٥: المائدة: يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا .

منها، وشدخ رأسها بين حجرين .  
فأدركت بالجارية وبها رمق . فأتهم بها اليهود، فأتى بهم . فعرضوا  
عليها رجلاً رجلاً وهي لا تتكلم، حتّى أتى بصاحبها الذي قتلها فعرفته .  
فقبل لها: هذا الذي قتلك؟ فأومأت برأسها أن نعم! فأمر رسول الله صلّى  
الله عليه [وآله] وسلّم فشدخ رأسه بين حجرين .

فهذا يا أمير المؤمنين حكم الدماء، والقسامة فيها سنّة قائمة من  
رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم والخلفاء فقنعوا منه بذلك وصاروا  
إلى الرضا بقوله: والتصديق لروايته، والتسليم لتأويل ما تأوّل من القرآن  
الكريم .

ثمّ قال له مالك: إنّ أباك يا أمير المؤمنين بعث إليّ في هذا المجلس كما  
بعثت إليّ، وحدثته بما حدثتك به في شأن أهل المدينة، وما يصبرون  
عليه من البلاء، وشدّة الزمان، وغلاء الأسعار صبراً على ذلك واختياراً  
لجوار قبر رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم!

فقال هارون: ذلك أبي وأنا ابنه، وسوف أفعل ما فعل . وأمر لأهل المدينة  
بعشرة أئيات<sup>١</sup> مال ضعفي ما أمر لهم المهدي .

وكان أبو يوسف القاضي مع الرشيد يومئذٍ فسأله أن يجمع بينه وبين  
مالك، ليكلّمه في الفقه .

فقال الرشيد لمالك: كلّمه يا أبا عبد الله .

فأنف من ذلك مالك وتنزّه عنه . وقال الهارون: هاهنا من فتیان  
قريش من تلامذتنا من يبلغ حاجة أمير المؤمنين، ويخصمه فيما يتكلّم  
به، ويذهب إليه .

١- يعادل كلّ بيت مال خمسمائة ألف درهم .

فسرّ ذلك الرشيد حين أضاف ذلك إلى قريش، فقال: من هو؟!

فقال: المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي.

فبعث إليه الرشيد، فقال له: كلّمني بما بدا لك أجابك!

فقال أبو يوسف القاضي: يا أمير المؤمنين! إنّ هؤلاء، يعني مالكا وأصحابه يقضون بغير ما في كتاب الله. يقول الله عزّ وجلّ:

وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ<sup>١</sup>.

وقال: وَأَسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ<sup>٢</sup>.

وهؤلاء يقضون باليمين مع الشاهد، ولا يسمعون أنّ الله تعالى ذكر إلا شاهدين وأربعة شهداء<sup>٣</sup>. ولم يصحّ عن النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أنّه قضى به.

وإنّما يدور هذا الحديث الذي روى فيه سهيل عن أبي صالح عن أبيه. ثمّ نسبه سهيل، فكان يحدث ويقول: حدّثني ربيعة عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قضى باليمين مع الشاهد. فلمّا نسبه سهيل بطل الخبر وأثبت أصله، فلا معنى لذكره.

قال المغيرة: قضى به رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وقضى به عليّ بالكوفة.

فقال أبو يوسف: أنا أكلمك بالقرآن، وأنت تكلمني بأفعال الناس، أترأك تعرّفني بهذا؟! وبما قضى به عليّ وغيره؟!!

١- الآية ٢، من السورة ٦٥: الطلاق.

٢- الآية ٢٨٢، من السورة ٢: البقرة.

٣- الآية ٤، من السورة ٢٤: النور: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً.

فقال المغيرة: فأنت كافر بنبيّ قضى باليمين مع الشهد، أو مؤمن به؟! <sup>١</sup>

فسكت أبو يوسف، فحجّجه المغيرة. فسُرّ بذلك الرشيد، وأمر للمغيرة بألف دينار. ثم أرسل الرشيد إلى مالك، فقال: ما تقول في هذا المنبر؟! فأني أريد أن أنزع ما زاد فيه معاوية بن أبي سفيان، وأردّه إلى الثلاث درجات التي كانت بعهد رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم! فقال له مالك: لاتفعل يا أمير المؤمنين! فإنّما هو من عودٍ ضعيف قد تخزّمته المسامير. فإن نقضته تفكّك وذهب أكثره.

ومع هذا أنّه يا أمير المؤمنين لو أعدته إلى ثلاث درجات لم آمن عليه أن ينقل عن المدينة! يأتي بعدك أحد فيقول أو يُقال له: ينبغي لمنبر رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أن يكون معك حيث كنت. فإنّما المنبر للخليفة، فينتقل كما انتقل من المدينة كلّ ما كان بها من آثار رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ما أعلم أنّه ترك له عليه الصلاة والسلام بها نعل، ولا شعر، ولا فراش، ولا عصاة، ولا قدح، ولا شيء ممّا كان له هاهنا من آثاره إلّا وقد انتقل. فأطاعه الرشيد، وانتهى عن ذلك برأي مالك بن أنس. وكان ذاك رحمة من الله لأهل المدينة، وتثبيتاً لمنبر رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بين أظهرهم.<sup>١</sup>

أجل، لو أراد أبو جعفر المنصور أن يُرجع الناس إلى أصل الإسلام

---

١- كتاب «الإمامة والسياسة» المعروف بـ«تاريخ الخلفاء» تأليف أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ المولود سنة ٢١٣ والمتوفّى سنة ٢٦٧، ج ٢، ص ١٤٦ إلى ١٥٤، طبعة مطبعة الأُمّة بدرّب شغلان، مصر، سنة ١٣٣٨ هـ؛ و: ج ٢، ص ١٧٧ إلى ١٨٦، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٨٢ هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ بمصر.

في تدوين الحديث والسنة العملية لأمر مالك بن أنس بتدوين ما صحَّ من السنة النبوية وعليه شاهد في كتاب الله. بيد أنه لم يقصد ذلك لقوله في أمره له: تجنَّب شذائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله ابن عباس وشواذ ابن مسعود! واقصد إلى أواسط الأمور، وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة! أي: أن موطأه يحمل هذه المواصفات. مثلاً لا يمكن أن تكون فيه حليّة المتعة لاختلاف الصحابة فيها. فعمر وأتباعه رفضوها، وأمير المؤمنين وشيعته وابن عباس أقرّوها.

إنّ كتاب «الموطأ» في الحقيقة كاللستور الذي يُدوّن للبلاد بعد الانقلاب العسكريّ، فلا بدّ أن تكون أحكامه وتعاليمه مطابقة لعقيدة الانقلابيين ومنهجهم وأخلاقهم. وقد قام المنصور الدوانيقيّ بانقلاب مذهل، وثبت أركان التسلط والاستبداد والظلم العباسيّ الذي دام أكثر من خمسمائة سنة، فلا محيد من تدوين هذا الميثاق بأمره، ومن ثمّ إرساله إلى أقصى نقاط بلاده.

وعلى هذا الأساس نلاحظ أنّ «الموطأ» يشتمل على خمسمائة حديث منتخبة من عشرة آلاف حديث.<sup>1</sup> أي: أسقط منها تسعة آلاف وخمسمائة حديث. فلماذا أسقط هذا العدد؟!

ألم يسمع مالك حديث الغدير، وحديث الطير، وحديث الثقلين، وحديث المنزلة، وحديث الموالاتة وغيرها. ولم يروها بأسناد صحيحة متصلة؟! ألم يجزِ الحديث عن الولاية والإمارة الحقّة والإمامة والخلافة بحضور الإمام الصادق عليه السلام وتلاميذه الذين كان مالك أحدهم، فيروي أيضاً ما رواه زرارة، ومحمد بن مسلم، وأبو بصير، وأمثالهم من

1- كتاب «أضواء على السنة المحمديّة»، للشيخ محمود أبو ريّة المصريّ، ص ٢٩٦.



### الأحاديث!؟

أجل، لقد سمعها. والله قد سمعها، بيدَ أنّها لم تَرُق المنصور فلا بدّ أن تسقط ليظلّ شأن مالك واعتباره وجاهه على أريكة التحكيم، وليعلم أنّ معارضة والي المدينة المنصوب من قبل المنصور تستبع سبعين جلدة لفتوى صحيحة أفتاها، ولعلّه لم ينسّ مرارتها حتّى آخر العمر.

إنّ معارضة المنصور تستبع الضرب والقتل والحبس، وهو ما رآه مالك رأي العين مع بني الحسن. وتستبع أيضاً التشريد والأذى، والاعتصام في بيت العلم، والسجن، والنفي، وأخيراً سمّ الإمام الصادق، وهو ما كان مالك بن أنس مطلعاً على تفاصيله.

بيدَ أنّ مالكاً كان يريد أن يكون رئيس الافتاء ومرجع الحجاز في الحكم والقضاء، ويحضر في مسجد المدينة بلباس جميل وخلعة خلابة، ويدرس فيه، وتُقسّم خمسة أبيات المال حيناً. وعشرة أبياته حيناً آخر على أهل المدينة غنيهم وفقيرهم بيده وتحت إشرافه، لتبقى الشؤون المالكيّة محفوظة تحت إمارة أمير المؤمنين المهدي وأمير المؤمنين هارون. وليستمتع بالجوائز السنّيّة، ألف دينار له وألف لابنه في منى مرّة، وعشرة آلاف دينار له وألف لابنه مرّة أخرى بعد تدوين دستور البلاد للمنصور (كتاب «الموطأ»).

هل يمكن أن نتصوّر أنّ مالكاً يعارض المنصور بعد ذلك التجليل والتبجيل الذي أبداه له في منى!؟ لماذا لم يقل مالك للمنصور حين اعتذر إليه المنصور: لما كانت بيعتك بالقوّة والإكراه، فلا مؤاخذه على نكثها وفقاً للحديث النبويّ!؟

لماذا قبل عذر جعفر بن سليمان، وعفا عنه لقرابته منه!؟

هذه وعشرات الأسئلة التي لاحظناها من تضاعيف حكاية ابن قُتيبة

تدلنا على أن مالك بن أنس هو الذي وطّد دعائم الحكومة الغاصبة الجائرة والإمارة العادية للدوانقيي. ألم تكن دموع عبد الله المحض وإخوته في مطامير بغداد وضروب القتل والتعذيب التي لا يمكن تصوّرها، والتي كان يأمر بها المنصور، هي التي تتحوّل إلى دنانير حمراء تنهال على فقهاء البلاط وعَاط السلاطين، ويُعطاها مالك بن أنس فقيه المدينة، ليس بوصفها أجراً على السكوت، بل بوصفها معيناً وناصرًا ومثبتاً لحكومة الظالم!؟

أراني هنا مضطراً لذكر أبيات الشاعرة صاحبة الضمير الحي، المتفرّسة، المفكّرة بالعاقبة، المتوجّهة إلى عالم البقاء، المعرضة عن عالم الفناء المرحومة پروين اعتصامي حشرها الله مع جدّتنا المظلومة الصديقة الزهراء: تقول:

### اشك يتيماً (= دموع اليتيم)

روزی گذشت پادشهی از گذرگهی

فرياد شوق بر سر هر كوی وبام خاست

پُرسید زان میانه یکی كودك یتیم

كاین تابناك چیست كه بر تاج پادشاست<sup>۱</sup>

۱- «ديوان قصائد ومثنویات وتمثیلات ومقطعات خانم پروین اعتصامی» (= ديوان قصائد السیّدة پروین اعتصامی ومزدوجها وتمثیلاتها ومقطوعاتها) ص ۷۹، رقم ۵۷، الطبعة الخامسة، جمادى الآخرة ۱۳۸۲.

تقول: مرّ ملك ذات يوم من طريق فتعالت صيحات الشوق من كلّ حيّ و من سطوح

الدور .

آن یک جواب داد چه دانیم ما که چیست  
پیداست آنقدر که مَتاعی گرانبهاست  
نزدیک رفت پیرزنی کوژپشت و گفت  
این اشک دیده من و خون دل شماست  
ما را به رخت و چوب شبانی فریفته است  
این گرگ سالهاست که با گله آشناست  
آن پارسا که ده خَرَد و مِلْک، رهزن است  
آن پادش که مال رعیت خورد گداست  
بر قطره سرشک یتیمان نظاره کن  
تا بنگری که روشنی گوهر از کجاست  
پروین به کجروان سخن از راستی چه سود

کو آنچنان کسی که نرنجد ز حرف راست<sup>۱</sup>

قال الشيخ محمود أبو رية المصري: قال عبد الرحمن بن مهدي:  
أئمة الناس في أزمانهم أربعة: سفیان الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز،  
والأوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة... وكان (مالك) يتكلم برأيه

فسأل من الجموع طفل یتیم: ما هذا التلألؤ على تاج الكملك؟».

۱- تقول: فأجاب أحدهم: ما یدرینا ما هو، يبدو أنه شيء ثمين .

دنت امرأة عجوز محدودة الظهر وقالت: هذا دمع عيني ومُعاناتكم الدائمة!

لقد خدعنا بلباسه وعصا عيّه، فهذا الذئب يعرف القطيع منذ سنين.

ذلك المتظاهر بالزهد الذي يشتري القرى والأملك سلاب، وذلك الملك الذي يأكل

مال الرعيّة سخّاذ.

انظر إلى دموع اليتامى لترى سرّ تلالؤ المجوهرات !

يا «بروين»! إما فائدة الكلام عن الصدق للمنحرفين، وأين الذين لا يألمون من الكلام

الصادق؟».

على الاجتهاد وعلى ما أدرك عليه أهل العلم ببلده... وقال الدهلوي في «حجة الله البالغة»: إن الطبقة الأولى من كتب الحديث منحصرة بالاستقراء في ثلاثة كتب: «الموطأ»، و«صحيح البخاري»، و«صحيح مسلم»....  
ونقل السيوطي في «تنوير الحوالك» عن القاضي أبي بكر بن العربي أن «الموطأ» هو الأصل الأول، والبخاري هو الأصل الثاني. وأن مالكا روى مائة ألف حديث اختار منها في «الموطأ» عشرة آلاف، ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة (أي: السنة العملية) حتى رجعت إلى خمسمائة حديث - أي: الحديث المسند -<sup>١</sup> ورواية ابن الهباب: ثم لم يزل يعرضه على الكتاب والسنة ويختبرها بالآثار والأخبار حتى رجعت إلى خمسمائة حديث.

وذكر ابن فرحون في «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» (أي: المالكي): قال عتيق الزبيدي: وضع مالك «الموطأ» على نحو من عشرة آلاف حديث، فلم يزل ينظر فيه كل سنة ويسقط منه حتى بقي هذا، ولو بقي قليلاً لأسقطه كله.<sup>٢</sup>

وفي شرح الزرقاني على «الموطأ» أنه ظلّ يخلصها عاماً فعاماً بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل في الدين.<sup>٣</sup>  
إلى أن قال: وبين الروايات (روايات «الموطأ») اختلاف كبير من

١- «المُسْنَد» مرفوع صحابي، بسنده ظاهر الاتصال. و«المُرْسَل» ما سقط من سنده الصحابي، بأن يرويه التابعي عن رسول الله مباشرة. و«الموقوف» ما أُضيف إلى الصحابي قولاً أو فعلاً أو نحوه متصلاً كان أو منقطعاً. و«المرفوع» هو ما أُخبر فيه الصحابي عن رسول الله.

٢- «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» ص ٢٥.

٣- شرح الزرقاني على «الموطأ» ج ١، ص ١١.

تقديم وتأخير وزيادة ونقص<sup>١</sup> ومن أكبرها وأكثرها زيادات رواية أبي مصعب. قال ابن حزم: في رواية أبي مصعب زيادة على سائر الموطّات نحو مائة حديث. وقال السيوطي: في رواية محمّد بن الحسن أحاديث يسيرة زيادة عن سائر الموطّات.

وقد علّل الدكتور أحمد أمين سبب هذا الاختلاف، فقال: إنّ مالكاً لم ينته من نسحة يؤلّفها ويقف عندها، بل قد كان دائم التغير فيها، كما روينا من أنّه كان دائم المراجعة للأحاديث وحذف ما لم يثبت صحّته منها. فالذين سمعوا «الموطّأ» سمعوه من مالك في أزمان مختلفة، فكان من ذلك الاختلاف في النسخ، وقد بقي من هذه النسخ بين أيدينا رواية يحيى بن الليثي، وهي التي شرحها الزرقاني، ورواية محمّد بن الحسن

---

١- قال في ص ٢٩٧ من «أضواء على السّنة المحمّديّة» ما نصّه: روي عن مالك روايات مختلفة تختلف في ترتيب الأبواب، وتختلف في عدد الأحاديث حتّى بلغت هذه الروايات عشرين نسخة، وبعضهم قال: إنّ هاتلاثون. وقال الشيخ عبدالعزيز الدهلوي: \* في كتابه «بستان المحدّثين»: إنّ نسخ «الموطّأ» التي توجد في بلاد العرب في هذه الأيام متعدّدة، عدّها منها ١٦ نسخة، كلّ نسخة عن راوٍ خاصّ. وقال أبو القاسم بن محمّد بن حسين الشافعي: الموطّات المعروفة عن مالك أحد عشر، ومعناها متقارب، والمستعمل منها أربعة: موطّأ يحيى بن يحيى، و«موطّأ أبي بكر»، و«موطّأ أبي مصعب» \* \* \*، و«موطّأ ابن وهب». ثمّ ضعف استعمال الآخرين.

\* - ذكر مثل ذلك الزرقاني في شرحه على «الموطّأ» ج ١، ص ٧.

\* \* - المتوفّي سنة ١١٣٩ هـ.

\* \* \* - أبو المصعب الزهري كان آخر من روى «الموطّأ» عن مالك لصغر سنه. وعاش بعد مالك ٦٣ سنة. وموطّأ أكمل الموطّات، لأنّ فيه ٥٩٠ حديثاً بالمكرّر وبإسقاط المتكرّر فيه ٥٥٩ (ص ١٧ من كتاب «توجيه النظر»).

الشيبياني صاحب أبي حنيفة. وفيها أشياء كثيرة ليست في! رواية يحيى. وهو يمزج ما روى عن مالك بأرائه فكثيراً ما يقول: قال محمد<sup>١</sup>.

### سبب تأليفه وزمن تأليفه «الموطأ»<sup>٢</sup>

أُلف «الموطأ» في أواخر عهد المنصور، وكان ذلك في سنة ١٤٨ هـ.<sup>٣</sup> وكان سبب ذلك كما روى الشافعي أنّ أبا جعفر المنصور بعث إلى مالك لَمَّا قدم المدينة وقال له: إنّ الناس قد اختلفوا في العراق، فضع للناس كتاباً نجتمعهم عليه، فوضع «الموطأ». وفي رواية لغير الشافعي أنّه قال له مع ذلك: اجتنب فيه شواذ ابن عباس، وتشددات ابن عمر، ورخص ابن مسعود.<sup>٤</sup> فقال له مالك: ما ينبغي يا أمير المؤمنين أن نحمل الناس على

١- «ضحى الإسلام» ج ٢، ص ٢١٥.

٢- قال الحافظ ابن عبد البرّ في كتاب «الانتقاء» ص ٤١: إنّ محمد بن سعد قال: سمعتُ مالك بن أنس يقول: لَمَّا حجّ أبو جعفر المنصور دعاني فدخلتُ عليه. فحدثته وسألني فأجبته، فقال: إني عزمْتُ أن أمر بكتبتك هذه التي وضعت (يعني «الموطأ») فتنسخ نسخاً، ثمّ أبعث إلى كلّ مصر من أمصار المسلمين منها نسخة، وأمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدّوها إلى غيرها! فإني رأيتُ أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم، قال: فقلتُ: يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا! فإنّ الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث، ورووا روايات. وأخذ كلّ قوم بما سبق إليهم وعملوا به ودانوا من اختلاف أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وغيرهم. وإنّ ردّهم عمّا اعتقدوه شديد. فدع الناس وما هم عليه، وما اختار أهل كلّ بلدٍ لأنفسهم، فقال: لعمرى، لو طواعنتني على ذلك لأمرتُ به. وفي روايات أخرى أنّ المنصور طلب منه أن يضع للناس كتاباً يتجنّب فيه تشديدات ابن عمر، ورخص ابن عباس، وشواذ ابن مسعود.

٣- امتدّ حكم المنصور من سنة ١٣٦ إلى سنة ١٥٨ هـ. فسنة ١٤٨ هـ أواسط عهده.

٤- هذا سهوٌ. والصحيح هو رخص ابن عباس، وشواذ ابن مسعود.

قول رجل واحد يُخطئ ويصيب. وقد كان المنصور كما بيّنا من قبل معيّناً بأمر الحديث ودراسته.

وقد أخرج ابن عبد البر أنّ أوّل من عمل كتاباً بالمدينة على معنى «الموطأ» - من ذكر ما أجمع عليه أهل المدينة - عبدالعزيز بن عبد الله بن سلمة الماجشون المتوفّى في سنة ١٦٤ هـ، ونظر فيه مالك قبل أن يضع موطأه.

### نقد ابن معين لمالك

قال ابن معين: إنّ مالك لم يكن صاحب حديث بل كان صاحب رأي. وقال الليث بن سعد: أحصيتُ على مالك سبعين مسألة، وكلّها مخالفة لسنة الرسول.

وقد اعترف مالك بذلك. وألّف الدار قطني جزءاً فيما خولف فيه مالك من الأحاديث في «الموطأ» وغيره. وفيه أكثر من عشرين حديثاً. وهو من محفوظات المكتبة الظاهريّة بدمشق.<sup>١</sup>

من الجدير ذكره أنّ مالكا كان في البداية يمتنع من قبول ما أمره به المنصور، لأنّه كان عافاً بخطرته، بيد أنّه استجاب بعد سنين مضت وبعد تَعوُّده على سماع ما كان يُكرّر عليه. وكان مالك في أوّل أمره طالباً للعلم وعالمًا متتبعًا كما رأينا في ترجمته الواردة في هذا الكتاب، وذكرنا حضوره عند الإمام الصادق عليه السلام ومجالسه معه. لكن رائحة الرئاسة وزعامة فقهاء الحجاز قد زكمته شيئاً فشيئاً حتّى استجاب لأمر الدوانيقي

١- «أضواء على السنة المحمديّة، أو دفاع عن الحديث» ص ٢٩٥ إلى ٢٩٩، الطبعة

الثالثة، دار المعارف بمصر.

دعماً لتسلطه، ولم يأل جهداً في توطيد قواعد عرش ذلك الجبار السفّاك الذي ليس له مثيل في عصره، ودخل الميدان تدريجاً كالمَنصور نفسه في بادئ أمره قبل انتقال الحكومة من الأمويين إلى العباسيين (أي: قبل سنة ١٣٢ هـ). فقد كان طالباً فاضلاً قانعاً زاهداً، وكان يسافر لطلب العلم وأخذ الرواية. وعُدَّ من النموذ جيِّين أولي الفهم والكياسة لكنّه انقلب رأساً على عقب بعد انتقال الحكم، وبخاصّة بعد سنة ١٣٦ هـ حين تصدّى للأمر وأصبح على رأس السلطة الجائرة. فقد تغيّرت شخصيته وهويته حتّى اختدم جميع علومه - وكانى رى نفسه أعلم أهل زمانه - في طريق الانحراف والاعتداء على الشعب المسكين والأمة المستكينة، ولم يبلغ النصاب في ظلمه، بل ضرب الرقم القياسي فيه، وفعل كفعل نيرون وسابور ذي الأكتاف.

لقد حجّ المنصور ستّ مرّات، وفي سنة مائة وثلاث وخمسين<sup>١</sup> أمر مالكا وهو بمنى أن يدوّن الرسائل العمليّة للناس كافة في أرجاء بلاده، وفي السنة التي تلتها حجّ ولده المهدي، والتقى بمالك في المدينة وكان قد دوّن كتب «الموطأ». وفي سنة مائة وثمانين وخمسين<sup>٢</sup> مات المنصور في آخر حجّة له، وفي سنة مائة وتسع وستّين مات ولده المهدي،<sup>٣</sup> وفي السنة التي أعقبتها حجّ هارون والتقى بمالك في المدينة، وكانت القضايا الواقعة بينه وبين هارون في هذه السنة.

وأما أوّل سفرة التقى فيها بمالك فقد كانت في سنة مائة وثمانين

١- ذكر ابن قتيبة في «الإمامة والسياسة» ج ٢، ص ١٧٨، الطبعة الثالثة: أنّها كانت سنة مائة وثلاث وستّين.

٢- في «الإمامة والسياسة» ج ٢، ص ١٨١: سنة مائة وستّ وستّين.

٣- أورد ابن قتيبة في «الإمامة والسياسة» ج ٢، ص ١٨٢: أنّها سنة مائة وثلاث

وسبعين.



وأربعين هجرية، أي: السنة التي سُمّ فيها الإمام جعفر الصادق عليه السلام واستشهد. وفي تلك السنة عمّ غبار الغربة أرض الحجاز والمدينة بفقدان وليّ الله الأعظم الإمام المظلوم المعصوم المسموم، والتقى المنصور في منى بجمع من الإعيان وذوي السابقة من أتراه القدامى الذين جاؤوا الزيارته، وفيهم مالك بن أنس، واقترح على مالك تصنيف الكتاب، فرفض ذلك في السنة بصراحة، ولم يرَ فيه صلاح الإسلام والمسلمين.

قال ابن قتيبة الدينوريّ في هذا المجال: ذكروا أنّ أبا جعفر أمير المؤمنين لما استقامت له الأمور، واستولى على السلطان خرج حاجاً إلى مكة، وذلك في سنة ثمان وأربعين ومائة. فلما كان بمنى أتاه الناس يسلمون عليه ويهّئونه بما أنعم الله عليه. وجاءه رجال الحجاز من قريش وغيرهم وفقهائهم وعلمائهم ممّن صاحبه وجامعه على طلب العلم ومذاكرة الفقه ورواية الحديث. فكان فيمن دخل عليه منهم مالك بن أنس. فقال له أبو جعفر: يا أبا عبد الله! إنّي رأيت رؤيا! فقال مالك: يوفّق الله أمير المؤمنين إلى الصواب من الرأي، ويلهمه الرشاد من القول، ويعينه على خير الفعل! فما رأى أمير المؤمنين؟!

فقال أبو جعفر: رأيت أنّي أجلسك في هذا البيت، فتكون من عمّار بيت الله الحرام، وأحمل الناس على علمك، وأعهد إلى أهل الأمصار يوفدون إليك ودهم، ويرسلون إليك رسلهم في أيّام حجّهم، لتحملهم من أمر دينهم على الصواب والحقّ إن شاء الله. وإنّما العلم علم أهل المدينة، وأنت أعلمهم!

فقال مالك: أمير المؤمنين أعلى عيناً، وأرشد رأياً، وأعلم بما يأتي وما يذر. وإن أذنّ لي أقول، قلتُ! فقال أبو جعفر: نعم، فحقيقٌ أنت أن يُسمع منك، ويصدر عن رأيك. فقال مالك: يا أمير المؤمنين! إنّه أهل

العراق قد قالوا قولاً تعدّوا فيه طورهم، ورأيتُ أنِّي خاطرتُ بقولي، لأنّهم أهل ناحية. وأمّا أهل مكّة فليس بها أحد، وإنّما العلم علم أهل المدينة، كما قال الأمر.

وإنّ لكلّ قوم سلفاً وأئمة. فإن رأى أمير المؤمنين أعزّ الله نصره إقرارهم على حالهم فليفعل.

فقال أبو جعفر: أمّا أهل العراق فلا يقبلُ أمير المؤمنين منهم صرفاً ولا عدلاً، وإنّما العلم علم أهل المدينة. وقد علمنا أنّك إنّما أردت خلاص نفسك ونجاتها.

فقال مالك: أجل يا أمير المؤمنين! فاعفني يعف الله عنك!

فقال أبو جعفر: قد أعفك أمير المؤمنين. وأيم الله ما أجد بعد أمير المؤمنين<sup>١</sup> أعلم منك ولا أفقه!

نفهم من هنا أيضاً أنّ الأعمليّة والأفقيّة من جميع الأئمة من الشروط الأولى اللازمة للرئيس والإمام الحاكم في الإسلام. وقد تمسك المنصور بمالك بن أنس واستشهد به بعد نفسه - التي سمّاها أمير المؤمنين - تثبيتاً لموقعه.

وعلى هذا الأساس كانت عدم دراية الأئمة الأربعة لأهل السنّة وعدم فقاہتهم. وهو ما نبّه عليه العالم المصريّ الشيخ محمود أبو ريّة الذي كان من العامّة وقذف الله النور في قلبه حقّاً، فأحصى في كتابه «أضواء على السنّة المحمّديّة» كثيراً من أخطاء كتب العامّة وأصحابها.

١- يريد نفسه.

٢- «الإمامة والسياسة» ج ٢، ص ١٤٠ و١٤١، طبعة مصر، سنة ١٣٢٨، ج ٢، ص ١٤٠ و١٤١؛ و: ج ٢، ص ١٧٠ و١٧١، الطبعة الثالثة، مطبعة الحلبيّ.

قال: لم يكن الأئمة الأربعة الذين يتبعهم أكثر المسلمين في الأحكام العلميّة مطّلعين على كتب الحديث، ولا سيّما الإمام أبي حنيفة. ولم يكن الحديث مدوّناً في الأسفار فيأخذه منها. وهو مع ذلك معترف بإمامته واجتهاده عند أتباعه وغيرهم من أهل السنّة. ولم يظهر البخاري ولا غيره من كتب الحديث إلّا بعد انقضاء خير القرون.<sup>١</sup>

لهذا كان أسس العلوم الفقهيّة والحديثيّة والتفسيريّة وغيرها التي تشكّل محور العلوم الإسلاميّة على قاعدة علوم أهل البيت عليهم السلام، وكان أهمّ معلّم وناشر لها هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وكان أصل هذه العلوم وأساسها من المدينة التي كانت موطناً لأهل البيت، ومنهم انتشرت جميع العلوم في كافّة أرجاء العالم، حتّى الأئمة الأربعة لمذاهب العامّة مع إظهارهم الاستقلال، لكنّ جميع علومهم كانت من أهل البيت، سواء الإمام الصادق، أم أبوه وجده حتّى يصل الدور إلى مولى الموحّدين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي كان فارس الحلبة في ميدان العلم والدراسة والقرآن والأدب والخطابة والبلاغة والعلوم الإلهيّة والمعارف السبحانيّة، وقد نورّ العالم بتلك القناديل الوضّاء والمصاييح المتوهّجة، وأخرج البشريّة من ظلمات الجهل إلى نور العلم والعرفان.

ونلحظ اليوم بعد مضي أربعة عشر قرناً على عصر أمير المؤمنين عليه السلام وثلاثة عشر قرناً على عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّ الكتب تُصنّف، ويُماط اللثام عن كثير من الجهالات، ويثبت أنّ كلّ ما كان ويكون فهو من علومهم. ويتفق الصديق والعدوّ على ذلك في عصرنا

١- «أضواء على السنّة المحمّديّة» ص ٤٠٧ و٤٠٨، الطبعة الثالثة.

هذا، ويدور الحديث حول عظمة الإمام الصادق بلهجة واحدة. قال المستشار عبدالحليم الجنديّ الذي كان من أعضاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة بمصر في كتاب «الإمام جعفر الصادق» بعد بحوث مفصّلة رائعة تستحقّ الاهتمام، مع أنّه عامّي المذهب: ومن المدينة انطلق الفقه الإسلاميّ إلى العراق، حيث أقام عبدالله بن مسعود زماناً معلماً ووزيراً كما سمّاه عمر. وتعلّم عليه تلاميذه وتلاميذ عليّ، كعبيدة، وعلقمة، والحارث. وعن طريق علقمة تعلّمت مدرسة النخعيّين يتقدّمها الأسود وعبدالرحمن، ويتوسّط عقدها إبراهيم بن يزيد شيخ حمّاد بن أبي سليمان.

وفي حلقة حمّاد بالكوفة قضى أبو حنيفة عشرين عاماً يتعلّم، ليصبح علماً على مدرسة الرأي والقياس الذي قعدّ قواعده الشافعيّ فانتشر في كلّ فروع العلم الإسلاميّ.

وهو أبو حنيفة مع أبناء عليّ معروف، وصلة فكره بزعماء أهل البيت واضحة. وإنّ مذهبه ليقارب المذهب الزيديّ أكثر ممّا يقارب المذهب الحنفيّ غيره من مذاهب أهل السنّة كما قيل.

ولقد استشهد زيد - بن زين العابدين - سنة ١٢١. وفي ذلك العهد جلس أبو حنيفة مجلس حمّاد بن أبي سليمان بعد وفاته. وشرع يدوّن بعض مذهبه وكثيراً من الفروع. ثمّ مكن أبو يوسف للمذهب بتولية زملائه القضاء ليلزموا الناس به. ثمّ نشره محمّد بن الحسن بتدوينه في كتبه الشهيرة.

وتدوين الفقه في كتاب «المجموع» قد سبق به زيد مدرسة أبي حنيفة. ولعلّ أبا حنيفة تعلّم تدوين الفقه عليه. بل إنّ الجميع قد قلّدوا فيه صنيع أهل البيت أنفسهم. ولديهم الكتب فيها العلم، أحاديث وفقهاً،

يتعلّمونه كابرأ عن كابر.

فالحجاز والعراق قد تضامنا في إنتاج الفقه لتتابعهما بعد ذلك شتّى الحواضر في الفسطاط ودمشق وقرطبة والقيروان، وفي المغرب، وفي المشرق، وفي الأندلس ووسط آسيا. وظاهر من هذا التاريخ أمور:

١ - أنّ المذاهب الفقهيّة جميعاً بما فيها المذاهب الباقية إلى اليوم لأهل السُنّة، يتصدّرها في الظهور مذهب أهل البيت على يد زيد بن عليّ زين العابدين. وكذلك يسبق المذهب الزيديّ مذهب الإمام جعفر الصادق الذي تبعه الأئمّة من نسله، وصار يسمّى مذهب الإماميّة. فالصادق صار إماماً أبيه الباقر في العقد الثاني من المائة الثانية. ثمّ كانت وفاته بعد استشهاده عمّه زيد سنة ١٢١ بسبعة وعشرين عاماً، سنة ١٤٨.

أمّا أبو حنيفة فمات في سجن أبي جعفر المنصور سنة ١٥٠. وأمّا مالك فمات بعد أبي حنيفة بتسعة وعشرين عاماً سنة ١٧٩. والشافعيّ مات بعد أبي حنيفة بأربعة وخمسين عاماً سنة ٢٠٤. ولحق بهم ابن حنبل سنة ٢٤١. وأصحاب المذاهب الأخرى بين معاصرين لهم أو لاحقين.

٢ - أنّ الإمام جعفرأ كما سنرى ينهى عن استعمال القياس كمثل ما يرفضه فقهاء المدينة عموماً والمحدّثون خصوصاً. وهم زعماء الفقه في المائة الأولى.

وسنرى بعد أن نهى الصادق عن القياس لا يعارض الاجتهاد، بل إنّه ليأمر به، ويبلغ بمنهاجه في الاجتهاد ما يبلغه سواه.

وسنرى أنّ منهاجه في الاعتبار والاستخلاص هو منهج الفكر الإسلاميّ، نقله عن الفكر العالميّ.

٣ - أنّ البيئة التي عاش فيها أهل البيت ستّين عاماً بعد مجزرة

كربلاء، كانت منجبة، بظهور العلم والعلماء من الرجال والنساء. فشاركت المرأة في العلم من أمّهات المؤمنين. ووجدت الفقيهات في جيل التابعين وتابعي التابعين من أهل السُّنَّة. فتصدّرت نساء أهل البيت سكيّنة ابنة الحسين (١١٧). وكانت برزة، تساجل فحول الشعراء، بل الفقهاء<sup>١</sup>. وجملة القول يستفاد من مجموع ما ذُكر أنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان من حيث الأنوار المُلكيّة والملكوّتيّة في أعلى قبة عالم وحدة الحقّ المتعال، وفي ذروة العرفان الأسنى، والعلوم المترشّحة من ذات المئان المقدّسة. وكان كافّة الطّلاب من الأربعة آلاف بعامة، ومن أمثال هشام بن سالم، وهشام بن الحكم، وأبان بن تغلب ونظرائهم بخاصّة قد أصابوا حظّاً من جميع العلوم الإلهيّة وغيرها. والذين كانوا مثلهم كانوا يعرفونه بالولاية الإلهيّة الكلّيّة المطلقة، وقد رويوا أدعيته وأحواله الخاصّة التي تدلّ على كمال العبوديّة أمام الربّ الجليل، وهي ملازمة للإحاطة العلميّة والسيطرة القدريّة والأنوار المُلكيّة والملكوّتيّة على عالم الوجود، ودونوها في الكتب.

والأشخاص الذين لم يعرفوه بهذا المقام كمالك وأبي حنيفة، واعتبروه رجلاً عادياً أو نابغة كحدّ أعلى - كما ذهب إلى ذلك أحمد أمين المصريّ - اكتفوا بعلومه الظاهريّة. وذهبوا إلى أنّه عالم محترم وشيخ من مشايخ أهل البيت كعبد الله المحض، والحسن المثنيّ، والحسن المثلث. لهذا يحارون في الأدعية والروايات التي تعبّر عن أحواله الخاصّة. وخلواته وأسرارها. ويتمرّغون في الوحل كالحمير في فهمها.

ولم يعلم هؤلاء المساكين أنّ تلك المعانيّ غزيرة في تضاعيف كتب

١- «الإمام جعفر الصادق» ص ١٣١ إلى ١٣٣، طبعة سنة ١٣٩٧ هـ.

الصوفية، وكتب عرفائهم كمحيي الدين بن عربي، وهذا أمر لا يُنكر بالنسبة إليهم. أمّا ما ذنب الإمام الصادق عليه السلام حتّى يجعلوه أوطاً من أولئك وأقلّ درجة منهم؟ فهذا شيء لا يعلمه إلاّ هم ومعلّمهم الشيطان الأكبر.

يقول أحمد أمين بك على سبيل التهكم والكناية والقدح في ذلك الإمام بالحقّ صلوات الله وسلامه عليه: وكثير من أحاديث الإمامة ونظمها تروى عنه، من أهمّها ما رواه جعفر الصادق عن عليّ بن أبي طالب في كيفية خلق العالم، وانتقال النور من آدم إلى نبيّنا صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، إلى أن قال:

ثُمَّ انْتَقَلَ النُّورُ إِلَى غَرَائِزِنَا، وَلَمَعَ فِي أَيْمَتِنَا. فَنَحْنُ أَنْوَارُ السَّمَاءِ وَأَنْوَارُ الْأَرْضِ، فِينَا النَّجَاةُ، وَمِمَّا مَكُونُ الْعِلْمِ، وَاللِّينَا مَصِيرُ الْأُمُورِ. وَبِمَهْدِينَا تَنْقَطِعُ الْحُجُجُ، خَاتِمَةُ الْأَيْمَةِ، وَمَنْقِذُ الْأُمَّةِ، وَغَايَةُ النُّورِ، وَمَصْدَرُ الْأُمُورِ.

فَنَحْنُ أَفْضَلُ الْمَخْلُوقِينَ، وَأَشْرَفُ الْمُوحِدِينَ، وَحُجَجُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَيْهِنَا بِالنُّعْمَةِ مَنْ تَمَسَّكَ بِوَلَايَتِنَا، وَقَبِضَ عُرْوَتَنَا.<sup>١</sup>

ومن هذا ونحوه يظنّ أنّ فكرة المهديّة، وعصمة الأئمة وتقديسهم وإعلاء شأنهم نبتت في ذلك العصر، عصر الإمام جعفر الصادق.<sup>٢</sup>

وقال أحمد أمين بك أيضاً: وله أقوال كثيرة منشورة في الكتب تدلّ على حكمته، وبعد نظره، وسعة علمه.

وإنّما قلنا: إنّ لَوْنَ معنى الإيمان لوناً خاصّاً لما رُوي عنه من بعض

١- المسعوديّ في «مروج الذهب» ج ١، ص ١٥.

٢- «ضحى الإسلام» ج ٣، ص ٢٦٣.

الأقوال التي تدلّ على أنّ الله جعل لمحمد نوراً، ثمّ تنقل هذا النور إلى أهل بيته، كالذي ذكره المسعودي من حديث نسبه الإمام جعفر إلى الإمام عليّ، جاء فيه:

إِنَّ اللَّهَ أَتَّاحَ نُوراً مِنْ نُورِهِ فَلَمَعَ، وَنَزَعَ قَبَساً مِنْ ضِيَائِهِ فَسَطَعَ ...  
ثُمَّ اجْتَمَعَ النُّورُ فِي وَسَطِ تِلْكَ الصُّورَةِ الْحَقِيقَةِ، فَوَافَقَ ذَلِكَ صُورَةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْتَ الْمُخْتَارُ الْمُنتَخَبُ، وَعِنْدَكَ مُسْتَوْدَعُ نُورِي وَكُنُوزُ هِدَايَتِي. مِنْ أَجْلِكَ أُسَطِّحُ الْبَطْحَاءَ، وَأُمَوِّجُ الْمَاءَ، وَأَرْفَعُ السَّمَاءَ، وَأَنْصِبُ أَهْلَ بَيْتِكَ لِلْهُدَايَةِ، وَأُوتِيهِمْ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِي مَا لَا يُشْكَلُ بِهِ عَلَيْهِمْ دَقِيقٌ، وَلَا يَغِيبُ عَنْهُمْ بِهِ خَفِيٌّ. وَأَجْعَلُهُمْ حُجَّتِي عَلَى بَرِيَّتِي، وَالْمُتَّبِعِينَ عَلَى قُدْرَتِي وَوَحْدَانِيَّتِي.

ونحو ذلك من الأقوال المنسوبة إليهم. فكلّ هذا جعلنا ننسب إلى الإمام جعفر الصادق صبغته للإمام صبغة جديدة لم نكن نعرفها من قبل.<sup>١</sup> وقد لاحظنا في أوّل البحث عند تعريف الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّ هذه الحقائق ظهرت من الإمام، بيد أنّها ليست بمعنى صبغة جديدة في الإسلام، وتلوّنه بهذا اللون، بل بمعنى إبداء الصبغة الحقيقية للإسلام وإبراز اللون الواقعيّ له، إذا لم يكشف عنه، ولم تُبيّن حقيقة النبوة المندمجة في الولاية حتّى عصر الإمام. وهذا هو سبب تسمية المذهب بالمذهب الجعفريّ، وهو الصبغة الحقيقية للإسلام مقرونة بنور العرفان وحقيقة الولاية إلى الآن، بل إلى الأبد. ولا يبقى من الإسلام بدونه إلاّ الاسم وإلاّ قشور جوفاء.

١ - «ظهر الإسلام» ج ٤، ص ١١٥ و١١٦.



وأما كلام أحمد أمين كما أشرنا إليه فهو واهٍ، إذ ذكر أنّ الأئمة الاثني عشر للشيعة لمّا لم يتولّوا الحكم، فادّعاء العصمة لهم غير مضحك على عكس بني أمية وبني العباس للذين لو ادّعت لهم العصمة فهذا الادّعاء مهزلة تُقَابِل بالضحك، لهذا لم يدّع أحد منهم بالعصمة.<sup>١</sup> فلم يتحرّك أئمة الشيعة في طريق الباطل ولم يتجاوزوا الحقّ مع كمال قدرتهم وغاية إمكانيّاتهم.

إنّ النجابة والأصالة والسيادة والكرامة والمجد والفتوة والمروءة في أهل البيت مشهودة من حيث الأصل عند صغيرهم وكبيرهم، ومع أنّهم بشراً بيد أنّ هذا المعدن هو غير سائر المعادن. فقد ظهرت من امرأتهم ورجلهم، وعاميّهم وعالمهم صفات سامية حميدة.

ونقل لكم فيما يأتي قصّة عن محمّد بن زيد بن إمام الساجدين عليّ بن الحسين عليهما الصلاة والسلام كنموذج على ما نقول. فقد سلك هذا الرجل سبيل الإنصاف والفتوة، ولم يتجاوز الحقّ، ولم يقتل أحاً بأخ، ولم يقنص من ولد بريء بسبب جرم أبيه مع أنّه كان في ذروة القوّة والإمكانيّات وفي أوج الاستيلاء على العدوّ الدمويّ المهلك الفتاك.

قال السيّد عليّ خان المدنيّ الكبير في «شرح الصحيفة السجّادية»: وأمّا محمّد بن زيد فيكنّى أبا جعفر، وأمّه أمّ ولد سنديّة، وهو أصغر ولد أبيه. وكان في غاية الفضل ونهاية النبل. فيُحكى أنّ المنصور عرض عليه جوهرأفاخرأ وهو بمكّة فعرّفه، وقال: هذا جوهر كان لهشام بن عبد الملك، وقد بلغني أنّه عند ابنه محمّد ولم يبق منهم غيره، ثمّ قال للربيع: إذا كان غد وصلّيت بالناس في المسجد الحرام فأغلق الأبواب كلّها

١- «ضحى الإسلام» ج ٣، ص ٢٣١ و ٢٣٢.

ووكّل بها ثقاتك، ثمّ افتح باباً واحداً وقف عليه، ولا يخرج إلا من تعرفه. ففعل الربيع ذلك.

وعرف محمّد بن هشام أنّه المطلوب، فتحيّر. وأقبل محمّد بن زيد المذكور فرآه متحيّراً وهو لا يعرفه، فقال له: يا هذا أراك متحيّراً، فمن أنت؟!

قال: ولي الأمان؟ قال: ولك الأمان، وأنت في ذمّتي حتّى أخلصك!

قال: أنا محمّد بن هشام بن عبد الملك. فمن أنت؟!

قال: أنا محمّد بن زيد.

فقال: عند الله أحتسب نفسي إذاً.

فقال: لا بأس عليك، فإنّك لست بقاتل زيد، ولا في قتلك درك بثأره. الآن خلاصك أولى من إسلامك. ولكن تعذرني في مكروهٍ أتناولك به، وقبيح أخاطبك به، يكون فيه خلاصك!

قال: وأنت ذاك.

فطرح بردائه على رأسه ووجهه وأقبل يجرّه. فلمّا أقبل على الربيع لطمه لطمات، وقال: يا أبا الفضل! إنّ هذا الخبيث جمّال من أهل الكوفة أكراني جماله ذهاباً وإياباً وقد هرب منّي في هذا الوقت، وأكرى قوادم الخرسانيّة وولي عليه بذلك بيّنة، فضمّ إليّ حارسين لئلا يفلت منّي.

فضمّ إليه حارسين فمضيا معه. فلمّا بعد من المسجد، قال له: يا خبيث!

تؤدّي إليّ حقّي؟ قال: نعم يا بن رسول الله!

فقال للحرسين: انطلقا! ثمّ أطلقه، فقبّل محمّد بن هشام رأسه، وقال: بأبي أنت وأمّي الله أعلم حيث يجعل رسالته! ثمّ أخرج جوهرًا

له قَدْر، فدفعه إليه، وقال: تشرّفني بقبول هذا!

فقال: **إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَقْبَلُ عَلَى الْمَعْرُوفِ ثَمَنًا.**

وقد تركت لك أعظم من هذا، دم زيد بن عليّ، انصرف راشداً ووارٍ شخصك حتّى يرجع هذا الرجل (المنصور). فإنّه مجدّ في طلبك.

فعدّت هذه الفعلة من مكارم شيمه وعظيم همّته.<sup>١</sup>

ذهب المحدث القمّيّ إلى أنّ محمّداً هو أصغر أولاد زيد، وقال: كان كثير الفضل كامل النبل، وقصّة فتوّته ومروءته معروفة نقلها الداعي الكبير للسادات والعلويّين، وجعلها أسوة له، وسار سيرتها. وقد أوردناها في ص ١٨١ من كتاب «منتهى الآمال» عند ذكر أولاد الإمام الحسن عليه السلام.<sup>٢</sup>

أقول: إنّ ذلك التعليم والمقتدى كان من أخى الداعي الكبير، لامنه. وتوضيح ذلك أنّه ذكر ترجمة الداعي الكبير الأمير حسن بن زيد بن محمّد بن إسماعيل بن حسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام

١- «رياض السالكين» ص ١٩، الطبعة الحجرية، وفي الطبعة الحديثة: ج ١، ص

قال السيّد الأجل الشارح مؤلّف الكتاب في ذيل هذه الحكاية: قال الشارح: ونسبي ينتهي إلى محمّد بن زيد المذكور. فأنا عليّ، بن أحمد، بن محمّد معصوم، بن أحمد، بن إبراهيم، بن سلام الله، بن مسعود، بن محمّد، بن منصور، بن محمّد، بن إبراهيم، بن محمّد، بن إسحاق، بن عليّ، بن عرب شاه، بن أمير أنبه، بن أميري، بن حسن، بن حسين، بن عليّ، بن زيد الأعشم، بن عليّ، بن محمّد، بن عليّ أبي الحسن نقيب نصيبين، بن جعفر، بن أحمد السكّين، بن جعفر، بن محمّد، بن زيد الشهيد، بن عليّ، بن الحسين، بن عليّ، بن أبي طالب أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين.

**أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْتِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعِ**

٢- «منتهى الآمال» ج ٢، ص ٤٦، طبعة علميّة إسلاميّة الرحليّة.

مفضلاً، وأورد أنه استولى على طبرستان سنة ٢٥٢ هـ وحكم عشرين سنة. وحكم بعده أخوه محمد بن زيد الحسنّي. إلى أن قال:

كان محمد بن زيد فحلاً في العلم والفضل ورجلاً عظيماً في السّماحة والشجاعة. وكان العلماء والشعراء يرون فيه ملاذاً لهم. وكان قانونه أنه ينتظر بيت المال في آخر كل سنة، فمأزاد على النفقات يوزعه على قريش والأنصار والفقهاء، والقراء وسائر الناس، ولم يترك فيه حبة واحدة.

حدث مرة أنه بدأ بعتاء بني عبد مناف في إحدث السنين، وفرغ من عطاء بني هاشم، فدعا طبقة أخرى من عبد مناف. وقام رجل لأخذ العطاء فسأله محمد بن زيد: من أيّ قبيلة؟! قال: من أولاد عبد مناف.

قال: من أيّ بطن؟! قال: من بي أميّة!

قال: من أيّ سلسلة؟! فلم يجب.

قال: من بني معاوية؟! قال: أجل.

قال: من أيّ أولاده؟! فسكت.

قال: من أولاد يزيد؟! قال: نعم.

قال: ما أحمقك رجلاً! طمعت في عطاء أولاد أبي طالب وهم يطلبونك بثأراً! إن كنت جاهلاً بما فعل جدك فما أغفلك وأجهلك! وإن كنت عالماً به فقد أهلكت نفسك!

لمّا سمع العلويّون هذه الكلمات نظروا إليه شزراً وأرادوا قتله. فصاح بهم محمد بن زيد، وقال: لا تضمروا له سوءاً، فمن آذاه عاقبته. أتظنون أنكم تطلبون بثأراً الحسين عليه السلام منه؟! فالله لا يؤاخذ أحداً بذنب غيره!

اسمعوا حتّى أحدثكم بحديث اعملوا به. أخبرني أبي زيد أنّ

المنصور كان قد ذهب إلى مكة ذات يوم، فأُتي إليه بجوهر نفيس.

وسرد المرحوم المحدث القمي هذه الحكاية برمتها.<sup>١</sup>

إنّ ذلك الجوهر النفيس هو وجود الأئمة الذي ميّزهم عن الآخرين، ورفع علم الكرامة على رؤوسهم كما قرأنا للشافعي قوله في قبر موسى بن جعفر عليهما السلام: قَبْرُهُ تَرْفَاقٌ مُجَرَّبٌ. وهو نفسه يتأوّه ويتألّم ويتحسّر على مقتل سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ويقول في رثائه:

تَأَوَّهَ قَلْبِي وَالْفُؤَادُ كَيْبُ      وَأَرْقَ نَوْمِي فَاسْهَادُ عَجِيبٍ  
فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْحُسَيْنَ رَسَالَةً      وَإِنْ كَرِهَتْهَا أَنْفُسٌ وَقُلُوبٌ  
ذَبِيحٌ بِلا جُرْمٍ كَانَ قَمِصُهُ      صَبِيغٌ بِمَاءِ الْأَرْجُوانِ خَضِيبُ  
فَلِسَيْفِ أَعْوَالٍ وَلِلرُّمَحِ رَنَّةٌ      وَلِلخَيْلِ مِنْ بَعْدِ الصَّهِيلِ نَجِيبُ  
تَزَلَزَلَتِ الدُّنْيَا لِأَلِ مُحَمَّدٍ      وَكَادَتْ لَهُمْ صُمُّ الْجِبَالِ تَذُوبُ  
وَعَارَتْ نُجُومٌ وَأَقْشَعَرَتْ كَوَاكِبُ      وَهَتَّكَ أَسْتَارٌ وَشَقَّ جُيُوبُ  
يُصَلِّي عَلَى الْمَبْعُوثِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      وَيُعْزَى بَنُوهُ إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ  
لَسِنَّةً كَانَ ذَنْبِي حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ      فَذَلِكَ ذَنْبٌ لَسْتُ مِنْهُ أَتُوبُ  
هُمُ شُفَعَائِي يَوْمَ حَشْرِي وَمَوْفِي      إِذَا مَا بَدَتْ لِلنَّاظِرِينَ خُطُوبُ<sup>٢</sup>

١- «منتهى الآمال» طبعة «علمية إسلامية» الرّحليّة، ج ١، ص ١٨٠ - ١٨٢. وقال في الهامش. نقل السيّد الأجل السيّد علي خان رضوان الله عليه هذا المطلب في أوّل شرح الصّحيفة عن محمّد بن زيد الشّهيد. ثمّ قال: محمّد هذا جدّي، وإليه ينتهي نسبي. ثمّ ذكر نسبه، وقال:

أولئك آبائي فِجَنِّي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعِ (منه)

٢- «المناقب» لابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٢٣٢ و ٢٣٣، الطبعة الحجرية، وفي الطبعة الحديثة، المطبعة العلميّة بقم: ج ٤، ص ١٢٥ و ١٣٥. ووردت هذه الأبيات في ج ٤٥، ص ٢٥٣ من الطبعة الحديثة ل: «بحار الأنوار» نقلاً عن «المناقب». ونقل في ص ٢٧٤

ليس هذا هو الجلال والعظمة والأبهة المعنوية والكمال الروحاني الذي عبّر عنه أبو هريرة العجليّ أمام جنازة الإمام الصادق عليه السلام كما ذكره المحدث القمّيّ؟ وقال:

وروي عن عيسى بن داب أنه لما وُضع جثمان الإمام الصادق عليه السلام على السرير وحُمِلَ إلى البقيع لدفنه، أنشد أبو هريرة العجليّ الذي كان من شعراء أهل البيت المجاهرين قائلاً:

أَقُولُ وَقَدْ رَاحُوا بِهِ يُحْمَلُونَهُ عَلَى كَاهِلٍ مِنْ حَامِلِيهِ وَعَاتِقِ  
أَتَدْرُونَ مَاذَا تَحْمِلُونَ إِلَى الثَّرَى ثَبِيرًا تَوَى مِنْ رَأْسِ عَلِيَاءِ شَاهِقِ  
غَدَاةٍ حَتَّى الْحَاثُونَ فَوْقَ ضَرِيحِهِ تُرَابًا وَأُولَى كَانِ فَوْقَ الْمَفَارِقِ ١  
ونحن نقرأ في زيارة سيّد الشهداء عليه السلام: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ  
أَدَمَ صَفْوَةَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا  
وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ.... إلى آخرها. ٢

ثمانية أبيات عن أبي منصور الشهردار غير البيتين السادس والتاسع، وأضيف إليها بيت في السطر الثاني، وهو قوله:

وَمِمَّا نَفِي جَسْمِي وَشَيْبَ لَمْتِي تَصَارِيفَ أَيَّامٍ لَهْنٌ خَطُوبُ

١- «منتهى الآمال» ج ٢، ص ١٠٤.

٢- «مصباح المتهجد» للشيخ الطوسي، ص ٥٠١، الطبعة الحجرية، وفي «المناقب» لابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٢٣٤ و ٢٣٥، الطبعة الحجرية، روايات أنيقة وعجيبة في زيارته عليه السلام نذكرها فيما يأتي لكمال أهميتها: فصل: في زيارته عليه السلام. قال إسحاق ابن عمار: قال الصادق عليه السلام: ليس ملك في السماوات والأرض إلا وهم يسألون الله تعالى أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام ففوجٌ ينزل وفوجٌ يعرج.

وفي كتاب «الفردوس الأعلى» عن الديلمي: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ مُوسَى ابْنَ عِمْرَانَ سَأَلَ رَبَّهُ زِيَارَةَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فزاره في سبعين ألف من ملائكة. أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام قال: وَكَلَّ اللَّهُ بِقَبْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مَلَكًا

ونقرأ في زيارة الإمام جعفر الصادق والأئمة المدفونين في البقيع عليهم السلام: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أئِمَّةَ الْهُدَى، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ التَّقْوَى، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْحَبِجُّ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا.**

**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْقَوَّامُ فِي الْبَرِّيَّةِ بِالْقِسْطِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الصَّفْوَةِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ آلَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ النَّجْوَى، أَشْهَدُ أَنَّكُمْ قَدْ بَلَّغْتُمْ وَنَصَحْتُمْ وَصَبَرْتُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَكُذِّبْتُمْ وَأُسِيءَ إِلَيْكُمْ**

شُعْتًا غُبْرًا يَبْكُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَمَنْ زَارَهُ عَارِفًا بِحَقِّهِ شَيَّوَهُ حَتَّى يُسَبِّغُوهُ مَأْسِنَهُ، وَإِنْ مَرَضَ عَادُوهُ غَدَوَةً وَعَشِيًّا، وَإِذَا مَاتَ شَهِدُوا جَنَازَتَهُ وَاسْتَغْفَرُوا لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وروي عن الباقر عليه السلام: **مَرُّوا شِيعَتَنَا بِزِيَارَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّ زِيَارَتَهُ تَدْفَعُ الْهَدْمَ وَالْحَرْقَ وَالغَرَقَ وَأَكْلَ السَّبْعِ، وَزِيَارَتَهُ مَفْتَرَضَةٌ عَلَيَّ مِنْ أَقْرَبِ الْإِمَامَةِ مِنَ اللَّهِ.** إسحاق بن عمار: قال الصادق عليه السلام: **مَا بَيْنَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مُخْتَلَفٌ الْمَلَائِكَةِ. الْكَاطِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ زَارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَارِفًا بِحَقِّهِ غَفَّرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.** الصادق عليه السلام: **كَانَ الْحُسَيْنُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي حَجَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَلَاعِبُهُ وَيُضَاحِكُهُ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: مَا أَشَدَّ إِعْجَابَكَ بِهَذَا الصَّبِيِّ! فَقَالَ لَهَا: وَيَلِكُ كَيْفَ لَا أُحِبُّهُ وَلَا أُعْجِبُ بِهِ وَهُوَ ثَمَرَةُ فُوَادِي وَقِرَّةَ عَيْنِي. أَمَا إِنَّ أُمَّتِي سَتَقْتَلُهُ. فَمَنْ زَارَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حِجَّةً مِنْ حَجَجِي. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حِجَّةً مِنْ حَجَجِكَ؟! قَالَ: نَعَمْ حَجَّتَيْنِ مِنْ حَجَجِي. قَالَتْ: حَجَّتَيْنِ مِنْ حَجَجِكَ؟! قَالَ نَعَمْ وَثَلَاثَ. قَالَ: فَلَمْ تَزَلْ تَزَادُهُ وَيَزِيدُ وَيَضَعْفُهُ حَتَّى بَلَغَ سَبْعِينَ حِجَّةً مِنْ حَجَجِ رَسُولِ اللَّهِ بِأَعْمَارِهَا. قَالَ الشَّاعِرُ:**

**فَحَجَعْتُ الصَّادِقُ مِنْ وُلْدِهِ      خَبَّرْنَا مِنْ فَضْلِهِ بِالْتِمَامِ  
عَنْ جَدِّهِ إِنَّ لِمَنْ زَارَهُ      ثَوَابَ حِجِّ الْبَيْتِ سَبْعِينَ عَامًا**

وفي الرسالة «المفتحة»، و«المزار» للكليوبي بإسناده عن الرضا عليه السلام قال: **من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه. نظمه العبد ي:**

**وَحَدِيثٌ عَنِ الْأئِمَّةِ فِيمَا      قَدْ رَوَيْنَا عَنِ الشُّيُوخِ الثَّقَاتِ  
إِنَّ مَنْ زَارَهُ كَمَنْ زَارَ ذَا الْعَرِ      شَ عَلَى عَرْشِهِ بِغَيْرِ صِفَاتِ  
أَي: كَمَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ.      انْتَهَتْ رَوَايَاتُ ابْنِ شَهْرَآشُوبِ.**

فَغَفَرْتُمْ

وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأَثَمَةُ الرَّاشِدُونَ الْمُهْتَدُونَ، وَأَنَّ طَاعَتَكُمْ مَفْرُوضَةٌ، وَأَنَّزَ قَوْلَكُمْ الصِّدْقَ، وَأَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ فَلَمْ تُجَابُوا، وَأَمَرْتُمْ فَلَمْ تُطَاعُوا.

وَأَنَّكُمْ دَعَائِمُ الدِّينِ، وَأَرْكَانُ الْأَرْضِ، لَمْ تَزَالُوا بَعَيْنَ اللَّهِ يَنْسُخُكُمْ مِنْ أَصْلَابِ كُلِّ مُطَهَّرٍ، وَيَنْفُلُكُمْ مِنْ أَرْحَامِ الْمُطَهَّرَاتِ، لَمْ تُدْنِسْكُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَاهِلَاءُ، وَلَمْ تَشْرِكْ فِيكُمْ فِتْنُ الْأَهْوَاءِ.

طَبِئْتُمْ وَطَابَتْ مَنِيِّكُمْ، مَنْ بِكُمْ عَلَيْنَا دِيَانُ الدِّينِ فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ.

وَجَعَلَ صَلَاتَنَا عَلَيْكُمْ رَحْمَةً لَنَا وَكَفَّارَةً لِدُنُوبِنَا، إِذْ اخْتَارَكُمُ اللَّهُ لَنَا، وَطَيَّبَ خَلْقَنَا بِمَا مِنْ عَلَيْنَا مِنْ وَلَايَتِكُمْ، وَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَمَّنِينَ بِعِلْمِكُمْ، مُعْتَرِفِينَ بِتَصَدِيقِنَا إِيَّاكُمْ - إلى آخر الزيارة.<sup>١</sup>

أليس معنى الإرث من جميع الأنبياء، ومعنى هذه الزيارة واحداً؟  
ومفادهما واحداً؟

١- «مصباح المتهجد» ص ٤٩٦؛ و«مفاتيح الجنان» زيارة أئمة البقيع عليهم السلام.  
وذلك هو نفسه تعريف الإمام محمد الباقر عليه السلام في أبيات له. نقلها المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٤٦، ص ٢٧٠ و ٢٧١، الطبعة الحديثة، في سياق ترجمته نقلاً عن كتاب الوزير السعيد مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد بن محمد بن العلقمي رحمه الله إلى أن بلغ كلام الإمام عليه السلام إذ قال: أنا رجل علوي. ثم أنشد:

فَنَحْنُ عَلَى الْحَوْضِ ذُوادُهُ نَذُودُ وَنُسْعِدُ وَرَادُهُ  
فَمَا فَازَ مَنْ فَازَ إِلَّا بِنَا وَمَا خَابَ مَنْ حُبُّنَا زَادُهُ  
فَمَنْ سَرَّ نَالَ مِنَّا السُّرُورَ وَمَنْ سَاءَ نَا سَاءَ مِيلَادُهُ  
وَمَنْ كَانَ غَاصِبِنَا حَقَّنَا فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ مِيلَادُهُ

ثم قال: أنا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. («كشف الغمّة» ج ٢، ص ٣٥١، عن دلائل الحميري، عن مالك الجهني).



أليس مفاد مضامينها ومضمون القصيدة العصماء للشيخ كاظم الأزري رضوان الله عليه واحداً؟ تلك القصيدة التي تُقَل عن شيخ الفقهاء العظام خاتم المجتهدين الفخام الشيخ محمد حسن صاحب «جواهر الكلام» أنه كان يتمنى أن تُكتب في صحيفة أعماله، وأن يكتب «جواهر الكلام» - في المقابل - في صحيفة الأزري!

من أبياتها:

إِنَّ تِلْكَ الْقُلُوبَ أَقْلَقَهَا الْوَجْدُ      وَأَذْمَى تِلْكَ الْعُيُونَ بُكَاهَا  
كَانَ أَنْكَى الْخُطُوبِ لَمْ يُبْكِ مِنِّي      مُقْلَةً لَكِنَّ الْهَوَى أَبْكَاهَا

إلى أن قال<sup>١</sup>

لَسْتُ أَنْسَى مَنَازِلَ قُدْسٍ      قَدْ بَنَاهَا التُّقَى فَأَعْلَا بِنَاهَا  
وَرَجَالاً أَعِزَّةً فِي بُيُوتٍ      أَدْنَى اللَّهِ أَنْ يُعَزَّ حِمَاهَا

١- وهذه الأبيات هي:

كُلَّ يَوْمٍ لِلْحَادِثَاتِ عَوَادٍ      لَيْسَ يَتَّقَى رَضْوَى عَلَى مُلْتَقَاهَا  
كَيْفَ يُزْجِي الْخَلَاصَ مِنْهُنَّ إِلَّا      بَدَمَامٍ مِنْ سَيِّدِ الرُّسُلِ طَه  
مَسْعَلُ الْخَائِفِينَ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ      أَوْ فَرُّ الثُّرْبِ ذِمَّةٌ أَوْفَاهَا  
مَصْدَرُ الْعِلْمِ لَيْسَ إِلَّا لَدَيْهِ      خَبِرَ الْكَائِنَاتِ مِنْ مُبْتَدَاهَا  
فَاضٌ لِلْخَلْقِ مِنْهُ عِلْمٌ وَحِلْمٌ      أَخَذَتْ مِنْهُمَا الْعُقُولُ نُهَاهَا  
نَوَّهَتْ بِاسْمِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَ      رَضُ كَمَا نَوَّهَتْ بِصُبْحِ ذُكَاهَا  
وَعَدَتْ تَنْشُرُ الْفَضَائِلَ عَنْهُ      كُلُّ قَوْمٍ عَلَى اخْتِلَافٍ لُغَاهَا  
طَرِبَتْ لِاسْمِهِ الثَّرَى فَاسْتَظَلَّتْ      فَوْقَ عُلوِيَّةِ السَّمَاءِ سَفْلَاهَا  
جَارَ مِنْ جَوْهَرِ التَّقْدُسِ ذَاتَا      تَاهَتْ الْأَنْبِيَاءُ فِي مَعْنَاهَا  
لَا تُجِلُّ فِي صِفَاتِ أَحْمَدٍ فِكْرًا      فَهِيَ الصُّورَةُ الَّتِي لَنْ تَرَاهَا  
أَيُّ خَلْقٍ لَيْلَهُ أَعْظَمُ مِنْهُ      وَهُوَ الْعَايَةُ الَّتِي اسْتَفْصَاهَا  
قَلْبَ الْخَائِفِينَ ظَهْرًا لِبَطْنِ      فَرَأَى ذَاتَ أَحْمَدٍ فَاجْتَبَاهَا

سَادَةٌ لَا تُرِيدُ إِلَّا رَضَى اللّهِ      كَمَا لَا يُرِيدُ إِلَّا رِضَاهَا  
 خَصَّهَا مِنْ كَمَالِهِ بِالْمَعَانِي      وَبِأَعْلَى أَسْمَائِهِ سَمَاهَا  
 لَمْ يَكُونُوا لِلْعَرْشِ إِلَّا كُنُوزًا      خَافِيَاتٍ سُبْحَانَ مَنْ أَبْدَاهَا  
 كَمْ لَهُمُ أَلْسُنٌ عَنِ اللّهِ تُنْبِي      هِيَ أَقْلَامُ حِكْمَةٍ قَدْ بَرَاهَا  
 وَهُمْ الْأَعْيُنُ الصَّحِيحَاتُ تَهْدِي      كُلَّ عَيْنٍ مَكْفُوفَةٍ عَيْنَاهَا  
 عُلَمَاءٌ أئِمَّةٌ حُكَمَاءُ      يَهْتَدِي النّجْمُ بِاتِّبَاعِ هُدَاهَا  
 قَادَةٌ عِلْمُهُمْ وَرَأْيُ حِجَاهُمْ      مَسْمَعًا كُلَّ حِكْمَةٍ مَنظَرَاهَا  
 مَا أَبَالِي وَلَوْ أُهَيْلَتْ عَلَيَّ الْآ      رُضِ السَّمَاوَاتُ بَعْدَ نَيْلِ وَلَاهَا<sup>١</sup>

قال العلامة المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٤٥، ص ٢٨٨: الطبعة الحديثة وروي أن أبا يوسف عبد السلام بن محمد القزويني ثم البغدادي قال لأبي العلاء المعري: هل لك شعر في أهل بيت رسول الله؟ فبعض شعراء قزوين يقول فيهم ما لا يقول شعراء تنوخ. فقال له المعري: وماذا تقول شعراؤهم؟ فقال: يقولون:

رَأْسُ ابْنِ بِنْتِ مُحَمَّدٍ وَوَصِيهِ      لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى قَنَاءٍ يُرْفَعُ  
 وَالْمُسْلِمُونَ بِمَنْظَرٍ وَبِمَسْمَعٍ      لَا جَازِعُ مِنْهُمْ وَلَا مُتَوَجِّعُ  
 أَيَقِظَتْ أَجْفَانًا وَكُنْتَ لَهَا كَرِيًّا      وَأَنْمَتَ عَيْنًا لَمْ تَكُنْ بِكَ تَهْجِعُ  
 كَحَلَّتْ بِمَنْظَرِكَ الْعُيُونُ عَمَايَةَ      وَأَصَمَّ نَعِيكَ كُلُّ أُذُنٍ تَسْمَعُ

١- \* - «ديوان الأزرى» ص ١٢٩ فما بعدها، طبعة النجف، سنة ١٣٨٦ هـ. والأبيات التي ذكرناها مختارة من قصيدة ألفية طويلة بلغت ألف بيت. لكن من المؤسف إذ لم يبق منها إلا (٥٨٧) بيتاً بسبب أكل حشرة الأرضة إياها على ما نقل الباحث آية الله الشيخ محمد رضا المظفر في مقدّماتها. والبيت الأول الذي ذكرناها هنا

\* إِنَّ تِلْكَ الْقُلُوبَ أَقْلَقَهَا الْوَجْدُ \*

هو البيت الثامن والثلاثون منها.

مَا رَوْضَةٌ إِلَّا تَمَنَّتْ أَنَّهَا لَكَ مَضْبَعٌ وَلِخَطِّ قَبْرِكَ مَوْضِعٌ

فقال المعريّ: وأنا أقول:

مَسَحَ الرَّسُولُ جَبِينَهُ فَلَهُ بَرِيْقٌ فِي الْخُدُودِ

أَبَوَاهُ مِنْ عَلِيٍّ فُرَيْشٍ جَدُّهُ خَيْرُ الْجُدُودِ

لله الحمد وله الشكر فقد تمّ الجزءان السادس عشر والسابع عشر من دورة «معرفة الإمام» من سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة بتأييد الله سبحانه وتسديده بين الطلوعين يوم الأربعاء الأوّل من شهر رجب الحرام سنة ألف وأربعمائة وأربع عشرة من الهجرة المصادف ذكرى الميلاّد السعيد للإمام باقر العلوم محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام في الأرض الرضويّة المقدّسة على شاهدها أفضل السلام وأكمل التحيّة والإكرام بِمَنِّهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ إِنَّهُ هُوَ الْمَنَّانُ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ.

ولا يخفى أنّه لما كانت مطالب هذين الجزئين متّسقة متماسكة. وكان جعلها في مجلّد واحد خارجاً عن المألوف، وكان وضعها في جزءين مستقلّين باعثاً على تشتّت الموضوع، لهذا جعلناها في جزءين هما السادس عشر والسابع عشر، ونقدّمها للقراء الكرام بهذا الشكل. وسنقوم بتأليف الجزء الثامن عشر من هذه الدورة إن شاء الله تعالى، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَالْعَنْ أَعْدَاءَهُمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ.

السيد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ.